

دولة ليبيا

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب

جامعة سرت



بجث مقدم لاستكمال الإجازة العالية (الماجستير)

بعنوان

الأدب القصصي للأطفال في ليبيا

قصة يوسف الشريف نموذجاً

"دراسة نقدية"

إعداد الطالبة

ثرياً محمد عبد الجليل القماطي

إشراف

أ.د. مصطفى محمد أبو شعالة: مشرفاً رئيساً

أ.د. حماد حسن أبو شوايش: مشرفاً مساعداً

العام الجامعي: 2021/2020 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَأَقْصِرِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

بِسْمِ اللَّهِ
الْعَظِيمِ

سورة الأعراف - من الآية / 176

الإهداء

إلى أطفالنا ..

وكل المهتمين بثقافتهم

إبداعاً وتقداً ودراسةً

الباحثة

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمد لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين...

أسجّل بالغ شكري وعرفاني للدكتور **مصطفى محمد أبو شعالة**، المشرف الرئيس على الرسالة، وللدكتور **حماد حسن أبو شاويش**، المشرف المساعد، على ما قدّماه أثناء الإشراف على هذه الرسالة، وتكرّمهما بنصحي وتوجيهي حتى إتمامها.

والشكر موصول لصديقتي الغالية الدكتورة فوزية أحمد الواسع، التي لا يمكنني أن أفيها حقّها من الشكر والتقدير، فلها مئّي خالص المحبّة والامتنان..

كما أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان لعميدة الكلية الدكتورة فرحة الشريدي، على تشجيعها ووقوفها إلى جانبي، ولرئيس قسم اللغة العربية الدكتورة حنان شعبان.

كما أتقدّم بجزيل الشكر لعضوي لجنة المناقشة على تفضّلها بقبول مناقشة هذه الرسالة، وأعدهما بالأخذ بنصائحهما وتوجيهاتهما، فلهم مئّي جميعاً كل الاحترام والتقدير..

وأخيراً.. خالص الشكر لأسرتي الكريمة ولكل الأصدقاء والصديقات.. على تشجيعهم لي .. وجزى الله - تعالى - الجميع الجزاء الطيب..

الباحثة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا شك أن أدب الأطفال بات مقصداً للباحثين بعد أن غدا مجالاً فسيحاً للمبدعين، لما له من دورٍ بارزٍ في تلبية احتياجاتِ الطفلِ وتنمية قدراته الإبداعية والذهنية والنفسية، فهو - وبخاصةِ القصة - أقرب إلى نفوس الأطفال، وأبعدُ أثرًا في شخصياتهم.

وتُعد القصةُ الطفليَّةُ عندَ يوسف الشريف من الجهودِ الإبداعيةِ المتميِّزةِ الموجهةِ للأطفالِ في ليبيا، من حيث كثرتها ومن حيثُ مستواها الفنِّي وما تحقَّقه من أغراضٍ وأهدافٍ تجعل لها قيمةً لا تُنكر.

ولعلَّ ذلك كانَ من دوافعِ اختيارِ هذا الموضوعِ للدراسة، ومن تلك الدوافعِ - أيضاً - الحرصُ على إثراء المكتبةِ العربيَّةِ بموضوعٍ جديد، وشغفي بأدبِ الأطفالِ ورغبتني في الاقترابِ من إبداعاته الموجهةِ لهم بغرضِ إسعادهم وبناءِ شخصياتهم، وهم مستقبلُ الأمة. ومما شجَّعَ على تناولِ هذا الموضوعِ عدمُ وجودِ دراسةٍ مستقلةٍ - حسب علمِ الباحثة - تتناولُ قصصَ الأطفالِ عندَ يوسف الشريف من جميعِ جوانبها الموضوعيةِ والفنيةِ.

إنَّ أدبَ الأطفالِ في ليبيا - رغمَ ما حظيَ به من اهتمامٍ من عددٍ من الباحثين - لا يزالُ بحاجةٍ إلى دراساتٍ واسعةٍ ومعتمَدةٍ للكشفِ عمَّا يتَّسُمُ به من قيمٍ جماليَّةٍ وفكريَّةٍ وتربويَّةٍ.

ومن الدراساتِ ذاتِ الصلةِ بموضوعِ هذا البحثِ والتي ستفيدُ منها الباحثةُ دراسةُ د.سالم امحمد العواسي: (أدب الطفل في ليبيا 1970 - 2000) ودراسةُ د.عبد الحميد محمد عامر: (أدب الأطفال في ليبيا دراسة في مضمون القصة) ودراسةُ د.فريدة الأمين المصري: (أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية)، ولكن هذه الدراسات - على أهميتها - لم تتناولُ القصةَ إلا ضمن اهتمامها الأعم بالأدبِ الموجهِ للأطفالِ في ليبيا، وكانت دراسةُ د.عبد الحميد محمد عامر أكثرَ تخصصاً في دراسة القصة ولكنها دراسة لم تقاربُ قصةَ الأطفالِ عند يوسف الشريف بصورةٍ وافيةٍ وبشكلٍ مستقل.

تجيبُ هذه الدراسة عن عددٍ من التساؤلاتِ أبرزها:-

■ ما دوافعُ الكتابةِ للأطفالِ عندَ يوسف الشريف؟

- ما مصادرُ الإبداعِ القصصي والعوامل المشجّعة له عند يوسف الشريف؟
- ما موضوعاتُ قصصِ الأطفالِ عندَ يوسف الشريف، وما أهمُّ المضامين والقيم التربويّة في تلك القصص؟

- ما الأثرُ التربوي لقصصِ يوسف الشريف الطفليّة؟
- ما القيمةُ الفنيّةُ الجماليّةُ لقصصِ يوسف الشريف؟

استخدمتُ الباحثةُ في دراستها المنهجَ الوصفي التحليلي، وقد أمكّن من خلاله الوقوفُ عندَ العديد من الظواهر والمضامين والقيم، كما تمَّ استخدامه في دراسةِ البنيةِ الفنيّةِ لقصصِ الشريف، وتحليلِ نماذجٍ من تلك القصص للكشفِ عن جماليّاتِ التّشكيلِ الفني، واستخلاصِ أهمِّ السّماتِ المميّزة لهذا الإبداع، كما تمّت الإفادةُ من بعضِ معطياتِ المنهجِ التاريخي، وذلك في تتبّعِ مراحلِ نشأةِ أدبِ الأطفالِ وتطوّره عالمياً وعربياً وليبياً، كما تمَّ استخدامُ المنهجِ السيميائي بشكلٍ محدودٍ في دراسةِ عناوينِ عددٍ من قصصِ الشريف للأطفال وبعضِ قصصِ الحيوانِ وتوضيحِ دلالاتها الرمزيّة.

وقد اقتضت طبيعةُ الموضوعِ ومادته تقسيمَ الدراسةِ إلى مقدّمةٍ وأربعةِ فصولٍ وخاتمةٍ، وذلك على النحو الآتي:-

المقدّمة: وتتضمّن أهميّة الموضوع، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، والمنهج المتّبع، ومحتويات الدراسة.

الفصل الأول: أدب الأطفال وقصصهم: المفهوم والنشأة:

وقُسم إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهومُ أدبِ الأطفال ووظيفته.

المبحث الثاني: نشأة أدبِ الأطفال في ليبيا.

المبحث الثالث: نظرة حول أدبِ الأطفال عالمياً وعربياً.

المبحث الرابع: مفهوم قصة الأطفال، ونشأتها في ليبيا.

الفصل الثاني: يوسف الشريف الإنسان والكاتب والمبدع:

وقُسم إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: العوامل المؤثرة في إبداعه وفكره.

المبحث الثاني: إبداعه القصصي للأطفال.

المبحث الثالث: مصادر الإبداع القصصي عند يوسف الشريف.

المبحث الرابع: مراحل إبداع القصة وتطوره عند يوسف الشريف.

الفصل الثالث: قصص يوسف الشريف للأطفال: دراسة موضوعية وفنية:

وُقِّسَمَ إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المضامين والقيم التربوية والوطنية والإنسانية والمعرفية

المبحث الثاني: الدراسة الفنية: اللغة والأسلوب - البيئة - الشخصيات - الحكمة

المبحث الثالث: التقانات الفنية التي استخدمها الكاتب في قصصه، وهي: الرمز وعالم الطبيعة والحيوان، وتوظيف التراث العلمي والتاريخي والشعبي، والرسم والألوان والصُّور (التصوير).

الفصل الرابع: دراسة تحليلية تطبيقية لعدد من قصص يوسف الشريف للأطفال:

تناولتُ فيها نماذج من قصص يوسف الشريف من مراحل مختلفة.

الخاتمة:

تضمَّنتُ خلاصة النتائج التي توصلتُ إليها من خلالِ دراستي لهذا الموضوع، إضافةً إلى ما رأيتُ تسجيله من توصيات.

وبعد.. فهذه الدراسة المتواضعة تمثل وقفة غير قصيرة مع إبداع يوسف الشريف في مجال قصص الأطفال، ولست أدعي بلوغ الغاية فيها أو خلوها من النقص أو الخطأ، ولكن حسبي أنني اجتهدتُ وبذلتُ قُصاري جُهدي، فإن وقفتُ فله الحمد والمنة، وإن قصرتُ فالقصور مني وهو من طبيعة البشر، والله سبحانه وتعالى من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

(الباقي)

الفصل الأول

أدب الأطفال وقصصهم: المفهوم والنشأة

المبحث الأول

مفهوم أدب الأطفال ووظيفته

المبحث الثاني

نشأة أدب الأطفال في ليبيا

المبحث الثالث

نظرة حول أدب الأطفال عالمياً وعربياً

المبحث الرابع

مفهوم قصة الأطفال، ونشأتها في ليبيا

الفصل الثاني

يوسف الشريف الإنسان والكاتب والمبدع

المبحث الأول

العوامل المؤثرة في إبداعه وفكره

المبحث الثاني

إبداعه القصصي للأطفال

المبحث الثالث

مصادر الإبداع القصصي

عند يوسف الشريف

المبحث الرابع

مراحل إبداع القصة وتطوره

عند يوسف الشريف

الفصل الثالث

قصة يوسف الشريف للأطفال

دراسة موضوعية وفنية

المبحث الأول

المضامين والقيم التربويّة والوطنية والإنسانيّة والمعرفيّة

المبحث الثاني

الدراسة الفنيّة

اللُّغة والأسلوب - البيئّة - الشخصيات - الحكمة والعقدة

المبحث الثالث: تقانات فنيّة

- الرّمز وعالم الطبيعة والحيوان
- توظيف التُّراث العلمي والتّاريخي والشّعبي
- الرُّسوم والألوان والصُّور (التّصوير)

الفصل الرَّابِع

دراسة تحليلية تطبيقية لعدد من قصص يوسف

الشريف للأطفال

الخاتمة

الملاحق

فهرس المصادر والمراجع

الفصل الأول

أدب الأطفال وقصصهم: المفهوم والنشأة

المبحث الأول

مفهوم أدب الأطفال ووظيفته

أولاً: مفهوم أدب الأطفال:

يتفق الأدب العام وأدب الأطفال في المبادئ العامة، غير أنّ لأدب الأطفال خصائصه ومقاييسه الخاصة به، وهذا مثار بحث كثير من الدارسين، فقيل: إنّ أدب الأطفال "وإن كان رافداً يصب في تيار الأدب العام، إلا أنّ له شخصيته المستقلة وهويته المتميّزة. ومع أنّه يتفق مع أدب الكبار في المبادئ العامة ويندرج معه في إطار الأدب، إلا أنّه كوّن لنفسه مقاييس جماليّة خاصّة به، وعلى أساسها يمكن الحكم عليه"⁽¹⁾.

واجتهد النقاد في البحث لمعرفة الفروق بين الأدب الموجّه إلى الكبار والأدب الموجّه إلى الأطفال؛ لأنّه من خلال معرفة هذه الفروق يتسنى لهم الوقوف على أهم الخصائص التي يميّز بها هذا النوع عن غيره، ممّا يساعد على الوصول إلى تعريف محدّد له.

يقول (أحمد المصلح) عند حديثه عن خصوصية أدب الأطفال: "الكتابة للطفل مهمة صعبة، فهي بالإضافة لكونها تحمل قضية محدّدة الأهداف واضحة المعالم، فهي تتطلّب أيضاً رؤية فنيّة غنيّة، فعملية الإيصال هنا معقّدة. إنّ عملية الكتابة للكبار لا يعينها إطلاقاً المستوى العقلي للمتلقّي؛ لأنّها تتوجّه بالأساس إلى معدّل ذكاء ثابت نسبياً لدى الجميع، أما الكتابة للأطفال فلا تملك إلا أن تراعي مستويات الذكاء المختلفة تبعاً لمراحل نمو الشخصية الكلية للطفل"⁽²⁾.

كما عبّر (عبد الله أبو هيف) عن هذه الصعوبة الكامنة في كتابة أدب الأطفال حين ميّز بين "أمرين في غاية الأهمية، هما سياق النص والسياق التربوي، فثمة منظومة كلمات هي من طبيعة الأدب، وثمة منظومة قيم هي من طبيعة التربية وغايتها، وتبدو ماثرة أدب الأطفال في اندغام هاتين المنظومتين داخل لغة تتعدّى مجرد مخاطبة الأطفال إلى إذكاء روحهم وإثارة وجدانهم بجوهر الحياة"⁽³⁾.

(1) Encyclopaedia Britaica, op. cit. p. 519: نقلاً عن: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 6، 1990 م، ص 100.

(2) أدب الأطفال في الأردن، أحمد المصلح، منشورات دائرة الفنون والثقافة، عمان، ط 1، 1983، ص 23.

(3) أدب الأطفال نظرياً وتطبيقياً، عبد الله أبو هيف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983، ص 31.

وممكن الصعوبة في الحفاظ على التوازن بإيصال ما يهدف إليه الكاتب، لكن بلغة فنيّة جميلة تستهوي الطفل، بعيداً عن المباشرة كالوعظ والإرشاد، وبالتالي لا يخرج النص عن مقاييسه الفنية ويحقق أهدافه التربوية.

ويركّز (الحديدي) اهتمامه على الجانب النقدي لأدب الأطفال، ويحدّر من الإحجام أو التّهاون في وصف ما يُقدّم للأطفال من مواد لا تتناسب مع مقاييس الفن الرفيع، ولا يرى ثمة فرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار في هذا الجانب، فيذكر: "وقد يختلف أدب الصغار عن أدب الكبار في تلك الأمور التي لا مفرّ من أن تختلف فيها العقليتان والإدراكان، وتلك هي قضايا الذوق وطرائق التكنيك؛ ولكن الذي لا شك فيه، هو أن مادة "أدب الأطفال" ليست منفصلة عن أدب الكبار، ولم تنشأ منفصلة عن التيار العام للحياة الأدبية؛ فنتاج الذهن من أدب الأطفال، يستحق أن يواجه نفس المستويات من النقد، وينبغي ألا نحجم أو نتهاون في وصف التافه أو الفج منه بما يستحقه من صفات؛ بل نقف منه الموقف الذي نقفه من أدب الكبار حين يوضع أمام المقاييس العامة للأدب"⁽¹⁾.

ونتيجة لجهود النقاد في البحث عن أهم الفروق والاختلافات بين ما يُعرف بأدب الأطفال وأدب الكبار، نعرض جملة من تلك الفروق⁽²⁾:

1. أدب الكبار تبذعه القرائح، وفي ظل مطالب الحياة تتم عملية الإبداع، دون شروط سابقة وتوجهات خاصة، أما أدب الأطفال، فإنّه يُصاغ في ظل شروط سابقة، ينطوي على التوجيه، وبث التوجّهات في المتلقين وهو يصور حياة لا تضبطها قواعد وتقاليد، بقدر ما يحيط بها من متع وآمال وطموحات وأحلام وردية، كما أنّ المبدع لا يعيش تجربة بشرية كاملة، وإنما يعيش موقفاً تربوياً، ويتسلّح برؤية إنسانية أخلاقية، وهذه الرؤية تحسن النظر لما حولها من أشياء.

2. تقوم عملية الإبداع في أدب الأطفال على خصوصيات الأدب بعامة؛ لأنّه يخاطب الجميع، حيث يمكن لدرجات التأثر أن تختلف بين الكبار والصغار؛ لكنه يتسم بخصوصيات تضبط المبدعين في هذا

(1) في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 104.

(2) ينظر: أدب الأطفال في العالم المعاصر "رؤية نقدية تحليلية"، إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 2000 م، ص 26-27، وينظر: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان - الأردن، ط 1، 2006، ص 44 - 46.

المجال، وتجعلهم في حالة وعي بالمرحلة التي يمر بها الأطفال، ومن هذه الخصوصيات نستنتج أنّ أدب الأطفال نشأ جنساً أدبياً خاصاً، له أسسه ومقوماته المتصلة بطبيعة مادته اللغوية، وتراكيبه الأسلوبية، ومضامينه، وأشكاله الفنية، وأنواعه الأدبية، بعكس أدب الكبار الذي تبده قرائح، تملك عالمها اللغوي والفكري، وتجربتها الحياتية الخاصة.

3. يحتاج أدب الأطفال إلى مهارة عميقة في فهم نفسياتهم وأحوالهم، على عكس أدب الكبار الذي يعكس في غالبه أحوال كاتبه النفسية وأحواله المزاجية وغير ذلك، وتمتد الفروق إلى الأسلوب... فبينما نجد أنّ أدب الأطفال يحتاج إلى أسلوب سهل بسيط، ويتمتع بمزايا خاصة، نجد أدب الكبار على مستوى أعلى من الصياغة الفنية المعقدة التي لا تتناسب مع مستوى الأطفال الفكري والعقلي، فأدب الأطفال يتجه إلى متلقٍ ذي خصائص جسميّة ونفسية وعقلية خاصة، تختلف عن الخصائص التي يعرفها الكبار عن أنفسهم ومن ثم - على الرغم من تبسيطه - قد يكون أكثر تكلفاً من أدب الكبار لأنّ صفة البساطة قد تتحقق - فقط - إذا التقى الكاتب مباشرة مع طفولته الكامنة، وعقله الباطن واستطاع أن يحيا تلك الطفولة عن طريق إبداعه القصصي والشعري.

4. أدب الأطفال - في أكثر صوره - محاولة لتبسيط أدب الكبار، لكن بصيغة فنية، والتبسيط تفعيل، وقد لا يخلو من التكلّف، لهذا فلا نجزم بأن يكون أدب الأطفال في كل الأحوال أدباً بسيطاً غير متكلف على عكس أدب الكبار. ثم إنّ مصطلح البساطة يجب أن تكون له معايير محددة تتصل بالنوع الأدبي، ببساطة القصة تتصل بالمفردات والتراكيب، وبناء العبارة، وبناء الشخصية، والأحداث والعقدة، وهي معايير لا بد أن تستنبط عن طريق تحليل بعض القصص، واستنباط ذلك منها، كما نرى الفرق واضحاً فيما تتناوله موضوعات كل منهما، وعلى الرغم من الاختلافات بين الجانبين فإنهما يلتقيان في اتحاد الشكل والمضمون.

5. أدب الأطفال خيالي، ينمو بداخله جنين التوجّهات الإيجابية، والأدب الذي يقمّ للكبار يعبر عن ذاتنا تجاه الوجود والمصير.

6. يتضح الفرق أكثر بين أدب الأطفال وأدب الكبار في عملية النقد.. فعملية النقد والتحليل والتوجيه الأدبي - حيث القيم النقدية والجمالية والنظرية الأدبية لكل من الأدبين - لا تلتقي على سواء. ويترتب على هذا أنّ المعايير التي ننقد ونحكم من خلالها على أدب الأطفال، تختلف عن مثيلاتها بالنسبة لأدب الكبار.

7. أدب الكبار مدوّن في معظمه أدب يُقرأ كثيراً، ويُسْتَمَع إليه قليلاً، ويُشاهد أحياناً، أمّا أدب الأطفال، فهو مشاهدة بصرية (قراءة، أو فرجة)، وتلقاه الآذان كثيراً، وهو في كل الأحوال مرتبط - من حيث علاقته - بمتلقيه.

8. أدب الأطفال له تميّزه وخصوصيته، بينما أدب الكبار له حرّيته واستمراريته.

التّعريف بأدب الأطفال

رغم مرور فترة زمنيّة ليست بالقصيرة على ظهور أدب الأطفال، بفضل رواده الذين تأثروا بازدهار أدب الأطفال في أوروبا، أمثال رفاة الطهطاوي، وأحمد شوقي، ومن بعدهما محمد الهراوي وكامل كيلاني، وغيرهم، فإنّه لم يُنْفَق - حتى الآن - على تعريف موحد له، ويرى بعض الباحثين أنّ من أهم قضايا أدب الطفل العربي الشائكة تعدّد مفاهيمه أو تعريفاته، ممّا يؤدي إلى الخلط بين الوسائل والأدب ذاته⁽¹⁾.

إنّ من اللّافت للنظر تأخّر تحديد مفهوم أدب الأطفال _ عربياً _ حتى سنة 1975 م، بل لم يكن الطفل العربي قد نال الاعتراف بأحقّيته في أدب يخصّه ويخاطبه، وهو ما اتضح في مؤتمر اتحاد الكتاب العرب في الجزائر سنة 1975 م، وقد اعترف بعض الباحثين بأنّ ما يقدّم للطفل ليس أكثر من "تعليم وتربية" وقد شاع في فترة السبعينيّات من القرن العشرين استخدام مصطلح "أدب الأجيال الحديثة" وكأنّ "أدب الأطفال" نقيصة أو إقلاقاً من شأن ما كتبت ومن كتبت⁽²⁾.

وهناك من لا يرى اختلافاً كبيراً في مفهومه عن أدب الكبار، إلا بما يقدّمه للطفل من المعارف المناسبة، والقيم السليمة، والسلوكيات السويّة شرط توافر المتعة، والتشويق، والإثارة⁽³⁾.

(1) ينظر: القضايا المعاصرة لأدب الطفل العربي، أحمد زلط، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص 242.

(2) أدب الطفل في الخليج والجزيرة العربية "في الدوريات الورقية عموماً، والشعر خصوصاً"، السيد نجم: <http://www.startimes.com/f.aspx?t=22003854>

(3) أدب الطفولة واقع وتطلعات (دراسة نظرية تطبيقية)، نزار وصفي اللبدي، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2001، ص 14.

ويرى (محمد عبد الرؤوف الشيخ) ضرورة "... أفراد تعريف خاص لأدب الأطفال وتعيين حدوده حتى يكون ذلك منطلقاً لتحديد هذا الفن، والعمل في إطاره العام، بالإضافة إلى أن ذلك - يمكننا من فهم أفضل لنظريته وآفاق ممارسته لدى مبدعيه"⁽¹⁾.

وبعرض نماذج من هذه التعريفات يتضح جلياً مدى الاختلاف الذي لا يزال يكتنف تعريف هذا المصطلح، وقد رأت الباحثة أن هذه التعريفات في المجمل تندرج تحت ثلاثة أقسام، أولها يخلط بين ما يسمّى: الأدب بمعناه العام، والأدب بمعناه الخاص، وثانيها: يمزج بين ما هو ثقافي وأدبي، والثالث: يحصره في الجانب الأدبي وحده، وحتى التعريفات التي تندرج تحت قسم واحد قد لا تعني الاتفاق حول مفهوم محدد، وهذا ما يتضح في العرض الآتي:

أولاً: الخلط بين المفهوم العام والخاص:

يندرج في إطار هذا القسم الذي يخلط بين المفهوم العام والمفهوم الخاص لأدب الأطفال رأي "أحمد نجيب" صاحب أول كتاب في المؤلفات المعاصرة عن أدب الأطفال سنة 1968 وهو: "فن الكتابة للأطفال" حيث يقول عن أدب الأطفال، إنه "... الإنتاج الفكري الذي يتلاءم مع فئة من الجمهور هم فئة الأطفال الذين يتميزون بعدم القدرة على تذوق شكل الأدب المخصص للكبار، وعلى هذا الأساس يمكن أن نجد لأدب الأطفال في سن معينة مفهوميين رئيسيين هما:

1. أدب الأطفال بمعناه العام وهو يعني الإنتاج الفكري المدوّن في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة.

2. أدب الأطفال بمعناه الخاص، وهو يعني الكلام الجيد الذي يحدث في النفوس (الأطفال) متعة سواء كان شعراً أو نثراً، سواء كان شفوياً بالكلام، أو تحريرياً بالكتابة"⁽²⁾.

(1) أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، دبي، ط 2، 1996، ص 19.

(2) أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 3، 2000، ص 294، كما ينظر: أدب الأطفال والتربية الإبداعية، سناء العطار، شبكة المعلومات الدولية:

file:///C:/Users/4G/Downloads/Documents/db_lfll_w_ltrby_lbdy_17_022.pdf

وأخذ بهذا التعريف آخرون، حيث قسّموا ما يقدّم للأطفال قسمين، عام: وهو كل ما يقدّم للأطفال، وخاص: ينحصر في النتاج الأدبي⁽¹⁾.

ويأتي (عبد الحميد عامر) بما يوافق ما ذهب إليه (أحمد نجيب)، مع توسّع يتجاوز إطار النتاج المدوّن في الكتب، حيث يقول: "ومن ثم فإن لأدب الأطفال مفهوميّن: عام وخاص، فالعام كل ما يتمظهر في القصص، والمسرحيات، والأغاني، والشعر، والأناشيد ومتاحف الأطفال التي تصف تاريخ الشعوب، وتجسّد حضارتهم، ومنها المسارح التي تصل بهم إلى درجة كبيرة من تحقيق المتعة والتسلية، ومنها أسطوانات الأناشيد، والحكايات، التي تؤدّي إلى تهذيب النفس، وحب الفضيلة، ونشر المبادئ الإسلامية، وكذلك مجلات الأطفال التي ترسم واقع الحياة المعاصرة، في إطار جميل، وذلك بالصورة، والقصة، والمقالة الصحفية، وكذلك الكتيبات العلمية التي تبسط المعلومات، وتثير عقول الأطفال، والمعاجم الخاصة بالأطفال، ودوائر المعارف، والمكتبات الإلكترونية، وشبكة المعلومات، وما تفرزه عن طريق الحاسب الآلي، فهي كلها تغدّي خيالهم، وتشبع نهمهم الفضولي، وحاجاتهم إلى المعرفة، والتثقيف، وكلها ذات طابع ثقافي يشبع نهم الأطفال الفكري.

أمّا المفهوم الخاص فهو ما يقدّم للطفل في صورة نصوص أدبيّة متمثّلة في الأجناس الأدبية المعهودة لدى دارسي الأدب وهي: الشعر، القصة، المسرح، الرواية، وكل منها نصوص موجهة في سياق خاص من حيث البناء الفني والمضموني بهدف تنمية الذائقة الجمالية والفنية ورفع الروح الابتكارية في شخصية الطفل⁽²⁾.

ونرى الكاتب في نهاية تعريفه للمفهوم العام يقر بأنّ كل ذلك ذو طابع ثقافي، وهو دليل واضح على الخلط بين ما هو أدبي وثقافي.

(1) ينظر: تأثير ألف ليلة وليلة على أدب الأطفال العربي، يحيى رافع، دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا، 2001 م، ص 22، وينظر: مدخل إلى أدب الأطفال، محمد السيد حلاوة، المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003 م، ص 65 _ 66.

(2) تأثير الخطاب الأدبي في بناء شخصية الطفل، عبد الحميد عامر، مجلة: شمال الجنوب، دورية نصف سنوية ثنائية اللغة تصدر عن قسم اللغة الفرنسية كلية الآداب، مصراتة، جامعة 7 أكتوبر، العدد الثاني، صيف 2008، ص 114.

وينتقد (أحمد زلط) هذا الخلط قائلاً: "إن مثل هذه المفاهيم التي تنتم بالتعميم حيث يدمج فيها العام بالخاص، وبالوسائط معاً، ودورانها في الدراسات المعاصرة، سيؤخر مسيرة التخصص الدقيق أو الازدهار المنشودين⁽¹⁾."

وأرجح أن ما جعل بعض الباحثين يُدخل كل ما يدون للأطفال تحت مسمى أدب الأطفال العام، هو خلطهم بين مادة ذلك الأدب ووسائله ووسائطه، خاصة وأن تلك المواد ينبغي أن تراعى فيها خصائص الطفولة من نواحٍ شتى كاللغة والمضامين والكم وغير ذلك، وحرصاً على تحديد مفهوم المصطلح ودلالته لا يمكن أن نسمي كل ما يدون في شتى فروع المعرفة أدباً بأي حال من الأحوال.

ثانياً: المفهوم الحضاري (الثقافي):

يخلط بعض الباحثين بين ثقافة الأطفال وأدبهم، لكن بصورة أخرى ليس فيها أي فصل أو تقسيم، ويتضح هذا جلياً من خلال عرض نماذج من هذه التعريفات؛ التي تبيّن درجة المزج والتداخل بين ما هو ثقافي وما هو أدبي فيما يقدّم للأطفال:

تقول (شرايحة): "يتخذ أدب الأطفال أشكالاً عديدة ويكتب في مجالات واسعة مختلفة، وإذا كانت ثقافة الأطفال تعني الكتب والمجلات والمقالات التي يقرؤونها والأفلام والمسارح التي يشاهدونها والأغاني الخاصة بهم، فهذا هو المقصود أيضاً بأدب الأطفال"⁽²⁾.

لا يخفى في هذا التّعريف مقدار المزج بين ما هو ثقافي وأدبي صراحةً، كما لا يخفى أن هذا التعريف يقوم على عرض للوسائط أكثر من عرضه لطبيعة المادة المقدّمة، ولا لمعاييرها ومناسبتها لمراحل الطفولة وخصائصها المختلفة، والأهداف المرجوة من ذلك.

وعرض (سمير عبد الوهاب) تعريفاً ارتضاه - وهو في رأيه يتّسم بقدر من الشمول والدقة - استخلصه في ضوء تعريفات عرضها في كتابه، فيقول: "أدب الأطفال هو كل ما يقدّم للطفل من مادة أدبية أو علمية، بصورة مكتوبة أو منطوقة أو مرئية، تتوفر فيها معايير الأدب الجيد، وتراعي

(1) الأدب العربي للطفولة، أحمد زلط، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 106.

(2) أدب الأطفال ومكتباتهم، هيفاء خليل شرايحة، منشورات مركز هيا الثقافي، عمان، الأردن، ط 3، 1990، ص

خصائص نمو الأطفال وحاجاتهم، وتتفق مع ميولهم واستعداداتهم، وتسهم في بناء الأطر المعرفية الثقافية، والعاطفية والقيمية، والسلوكية المهارية، وصولاً إلى بناء شخصية سوية ومرتزة، تتأثر بالمجتمع الذي تعيش فيه، وتؤثر فيه تأثيراً إيجابياً⁽¹⁾. ولا يخلو هذا القول من مزج بين ما هو ثقافي وما هو أدبي، إضافة إلى ما فيه من إسهاب، الأمر الذي يفقده خصوصية المفهوم وتمييزه.

وقد أخذ بهذا المفهوم آخرون، حيث مزجوا بين ما هو ثقافي وأدبي من مواد مقدّمة للأطفال وجعلوها شيئاً واحداً⁽²⁾، ولعلّ هذا المزج يمثل صورة من صور التأثر برؤية شاعت في الغرب، ترى أنّ أدب الأطفال لا يقتصر على الألوان الأدبية فقط، بل يتسع ليشمل ألواناً أخرى متعددة، وأنّ أدب الأطفال "مجموعة الكتابات التي يعتبرها الأطفال خاصة بهم، ولذلك فهو يضم كتب الأطفال بأنواعها المختلفة ومجلاتهم وصحفهم وما يكتب لهم في صحف الكبار ومجلاتهم، وغير ذلك"⁽³⁾.

واعترض (أحمد زلط) على الخلط بين المفهوم العام والخاص، كما اعترض على إقحام بعض الكتاب الناتج المعرفي (تاريخي أو ثقافي أو علمي) إلى أدبيات الطفل، وعدّه هدماً للمفهوم اللغوي والاصطلاحي لأدب الطفل، ففضّل أن يدرجه أصحابه تحت مظلة تخصصات العلوم باختلاف أنواعها.

وقد أخرج (أحمد زلط) "الوسائل" أو "الوسائط" التي نستعين بها لتحقيق فلسفة أدب الطفل وأهدافه عن دائرة تعريف المصطلح⁽⁴⁾.

-
- (1) أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، مرجع سابق، ص 49.
 - (2) ينظر: أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 18. وينظر: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، مرجع سابق، ص 47.
 - (3) ينظر: صورة الطفولة في التربية الإسلامية، صالح نياض الهندي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000 م، ص 10-14.
 - (4) أدب الطفولة..أصوله.. مفاهيمه.. رواده، أحمد زلط، الشركة العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 1990، ص41.

كما رأى أهمية فصل المؤلفات العامة في مجال الطفولة عن الأدب الإبداعي الموجّه للطفل بغرض بناء جسر جديد يوصل الطريق لخلق أدب الأطفال في المكتبة العربية⁽¹⁾.

ثالثاً: المفهوم الأدبي:

لا شك أنّ أدب الأطفال له سماته وفنونه التي تراعي خصوصية المرحلة العمرية المقدم لها، وما يترتب على ذلك من خصائص موضوعية ومعايير فنية، وأهداف يؤمّل تحقيقها من وراء ذلك، ربما هذا ما قصده "عبد الرؤوف أبو السعد" بقوله: "إذا كان هناك أدب للكبار، فإنه الأدب الذي لا يقصد مبدعه أن يتوجّه به إلى هؤلاء الكبار، كما أنه لن يكون الأدب الذي يتم إبداعه في ظل شروط سابقة، والحق أن هذه المعايير تعجز أحياناً عن التمييز بين ما نسميه بأدب الكبار وما نسميه بأدب الصغار، لكن الخصوصية التي تميز أدب الأطفال هي أنه أدب موجّه ويتم إبداعه في ظل شروط خاصة ويتوجّه به صاحبه إلى الأطفال"⁽²⁾.

وأعرض - هنا - جملة من التعريفات لم يخرج بها أصحابها عن مسمى الأدب، لكنها على الرغم من ذلك غير متفقة في أمور أخرى، فمنهم من ركّز اهتمامه على جانب وأهمل جوانب أخرى، ومنهم من أسهب حتى خرج به عن دائرة المفهوم.

يقول (الحديدي) في حديثه عن أدب الطفل: "وإذا بحثنا عن تعريف يميزه عن أدب الكبار يمكن أن نقول: أدب الأطفال خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلاً، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، يدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينميّ فيهم الإحساس بالجمال، وتدوّقه، ويقوى تقديرهم للخير ومحبته، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان"⁽³⁾.

(1) أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، أحمد زلط، دار المعارف، القاهرة، 1994، ص 30.

(2) الطفل وعالمه الأدبي، عبد الرؤوف أبو السعد، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1994، ص 45.

(3) في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 101.

وله أيضاً تعريفات أخرى قريبة من هذا التعريف وموازية له⁽¹⁾، ويتضح من هذا التعريف أنه حصره في الجانب الفني للمادة الأدبية، وفيما تهدف إليه هذه المادة بالإضافة إلى تحديد المرحلة العمرية المستهدفة، وهو تعريف لا تعوزه الدقة لولا ما فيه من إسهاب لا يتماشى مع خصائص تعريف المصطلح.

ويعرّف (الهييتي) أدب الأطفال بقوله: "إنّ أدب الأطفال هو مجموعة الإنتاجات الأدبية المقدّمة للأطفال التي تراعي خصائصهم وحاجاتهم ومستويات نموهم، أي في معناه العام يشمل كل ما يقدم للأطفال في طفولتهم من مواد تجسد المعاني والأفكار والمشاعر"⁽²⁾.

وقول (الهييتي) بوجود ملاءمة تلك الآثار الفنية لمدارك الأطفال، ومراعاة مضامينها لقدرات الأطفال العقلية والخيالية والعاطفية، يشير إلى اختلاف أدب الأطفال عن أدب الكبار، بسبب اختلاف جمهور المتلقين الصغار وخصائصهم.

وفي إطار المفهوم الأدبي لأدب الأطفال يعرّف (أحمد زلط) أدب الطفل قائلاً: "أدب الطفل هو نوع أدبي متجدّد في أدب أي لغة؛ وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع المستحدث من جنس أدب الكبار شعره ونثره، وإرثه الشفاهي والكتابي "فهو نوع أخص من جنس أعم يتوجه لمراحل الطفولة .. بحيث يرقى المؤلف بلغة الأطفال وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة، مع مراعاة الخصائص النمائية وتحقيق الأهداف "الوظائف" التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية والترويحية فيما يقدّم للأطفال من نصوص الأنواع الأدبية"⁽³⁾.

ومن خلال النّظر والمراجعة لهذا التّعريف نجد أنّ (أحمد زلط) نفسه الذي أولى تعريف أدب الأطفال عنايةً خاصةً، وقع فيما وقع فيه غيره، فتعريفه أطول مما يحتمله تعريف لمصطلح، كما هو الحال في تعريفات أخرى له⁽⁴⁾.

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 102_103.

(2) ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهييتي، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 155.

(3) الأدب العربي للطفولة، أحمد زلط، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 108.

(4) ينظر: أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، أحمد زلط، دار النشر للجامعات المصرية، المنصورة، 1994، ط 1، ص 16.

وعرّفته (هدى قناوي) بأنّه: "كل خبرة لغويّة - لها شكل فنّي - ممتعة وسارة، يمر بها الطفل ويتفاعل معها، فتساعد على إرهاب حسّه الفني، والسمو بذوقه الأدبي، ونموّه المتكامل، فتسهم بذلك في بناء شخصيته، وتحديد هويته، وتعليمه فن الحياة"⁽¹⁾.

والكاتبة - هنا - تولي اهتماماً واضحاً بوظيفة أدب الأطفال، يتضح ذلك من تأكيدها على هذا الجانب.

وعرّفه الشيخ بقوله: "فن أدبي إنساني يستخدم اللغة وسيلة له لتحقيق أهداف معينة لبناء شخصيّة الطفل في ضوء تعاليم الإسلام ويناسب خصائص النمو العقلي والنفسي والاجتماعي للطفل"⁽²⁾.

يؤكد (الشيخ) من خلال تعريفه لأدب الأطفال على أنّ بناء شخصيّة الطفل وفق تعاليم الإسلام، ومناسبته لخصائص نمو الطفل أهم ما يجب أن يتوافر فيه.

وهناك من حلّق بعيداً عن كل ذلك، حيث ترى (سيسيليا ميراييل): "أنّ ما يفضّله الأطفال ويقروونه بفائدة وممتعة هو ما يستحق أن نطلق عليه أدباً طفلياً، فالأطفال هم الذين يحدّدون الأدب المفضّل لديهم"⁽³⁾.

قد تكون الكاتبة محقّة في ذلك، وقولها يتوافق مع ما ذهب إليه كثيرون حيث "توضّح الدراسات التاريخية لأدب الأطفال، أنّ الأطفال في شتى أنحاء العالم أقبلوا على كثير من الإنتاج الأدبي الذي لم يؤلّف لهم أصلاً، وذلك بعد تبسيطه وتفتيته"⁽⁴⁾.

(1) الطفل وأدب الطفل، هدى قناوي، مكتبة الأنجلو المصرية، 2009، ص 11.

(2) أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي" محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 20.

(3) الأدب الطفلي، سيسيليا ميراييل، ترجمة: مها عرنوق، دراسات نقدية عالمية، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997، ص 26.

(4) ينظر: تبسيط أدب الكبار للأطفال، دراسة نظرية مع نماذج تحليلية، سهير أحمد محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991، ص 9.

"وكثير مما يعتبر من كلاسيكيات أدب الأطفال اليوم، كُتبت أصلاً للكبار، ولكن الأطفال وجدوا فيه بعد تبسيطه وإعادة صياغته ما يشبع خيالاتهم، وينمّي حاجاتهم العقلية، ويشبع فضولهم لمعرفة العالم المحيط بهم"⁽¹⁾.

ورغم اختلاف النقّاد في نظرتهم حول مفهوم أدب الأطفال – كما اتضح من العرض السابق – فإنّهم يتفقون حول أهميته المتزايدة في إعداد إنسان المستقبل وتهيبته.

يمكن الخروج – ممّا سبق – بتعريف موجز لأدب الأطفال بأنّه: الفنون الأدبية المقدّمة للأطفال، بما يتناسب وحاجاتهم حسب مراحلهم العمرية، محققاً لهم المتعة والفائدة وبناء شخصياتهم بناءً سويّاً متكاملًا.

إنّ الغرض من هذا العرض لهذه النماذج من التعريفات التي تعمّدت أن تكون مختارة من فترات زمنية مختلفة، تبدأ بأولى الدراسات العربية في هذا المجال متمثلة في تعريف (أحمد نجيب) وتنتهي بآخر ما ورد في هذا الجانب في السنوات العشر الأخيرة – هو تتبّع التغيّرات والتطوّرات التي يمكن أن تكون قد اعترت هذا المفهوم، وهي تعريفات رغم دقتها؛ فإنها تخلو من الإيجاز وتفقر إلى الجمل الدالة على تععيد المفهوم⁽²⁾.

والملاحظ ممّا سبق أنّ الاختلاف لم يقتصر على تحديد مفهوم أدب الأطفال فقط، بل إنّ هنالك اختلافاً أيضاً حول تحديد مرحلة الطفولة، وتقسيماتها المختلفة، فمن الباحثين من ينتهي بها عند الثانية عشرة، ومنهم من يمتد بها حتى سن الخامسة عشرة، ومنهم من يصل بها إلى أكثر من ذلك⁽³⁾. ولا نستغرب هذا الاختلاف، عندما نعرف أنّ الطفل نفسه لا يزال مشروع دراسة من قبل علماء النفس والتربية، ولم يصل العلم بعد إلى نقطة النهاية في هذا الجانب.

(1) تبسيط أدب الكبار للأطفال، دراسة نظرية مع نماذج تحليلية، سهير أحمد محفوظ، مرجع سابق، ص 9.

(2) ينظر: الأدب العربي للطفولة، أحمد زلط، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008، ص 107.

(3) ينظر: فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، دار اقرأ، بيروت، د.ط، 2000، ص 37_44، كما ينظر: أدب الأطفال فلسفته، فنونه وسائطه، هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، د.ط، د.ت، ص 19-54. كما ينظر: أدب الأطفال فلسفته أنواعه تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، دار زهران، عمان، 2009، ص 134_136.

وفي ضوء ما قدّمناه - آنفاً - فإنّ تحديد أشكال أدب الأطفال ينحصر في دائرتين⁽¹⁾:

الأولى: دائرة الشعر، وتضم:

الأمهودات والأغاني الموزونة (أغاني الترقيص)، وأغاني اللعب والمناسبات والأناشيد والأراجيز الشعرية، والمنظومات الشعرية القصيرة والمحفوظات التعليمية والدراما المبسطة (المسرح الشعري للطفل)، والقصة الشعرية على لسان الحيوان.

والثانية: دائرة النثر، وتضم:

الحكايات القصصية، والأساطير (المعالجة)، الحكاية على ألسنة الحيوان والطيور، (الأدب الحكيم) الأمثال والوصايا والألغاز الأدبية والأحاديث اللغوية".

ثانياً: وظيفة أدب الأطفال

فلسفة أدب الأطفال:

إنّ إدراك وظيفة أدب الأطفال يستدعي معرفة الفلسفة التي يقوم عليها هذا الأدب، ولا شك أنّ تلك الفلسفة ترتبط بالمنطلقات الفكرية التي يقوم عليها وبالأسس التي يرتكز عليها، لينطلق منها ليؤدّي دوره ورسالته في المجتمع.

تستمد فلسفة أدب الأطفال مقوماتها من فلسفة المجتمع وعاداته وتقاليده، كما تستمد هذه الفلسفة اليوم من فلسفة التربية الحديثة، التي تولي الطفل اهتماماً خاصاً بشخصيته، وصفاته الجسدية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، وتسعى إلى أن يحيا الطفل طفولته، ويبني مستقبله بسلام وطمأنينة، الأمر الذي حدا بالقائمين على أدب الأطفال إلى صقله بألوان الأدب التي تلبي احتياجات الطفل

(1) ينظر: أدب الطفولة.. أصوله.. مفاهيمه.. رواده، أحمد زلط، الشركة العربية للنشر والتوزيع، مصر، ط 1، 1990، ص 41.

وتناسب قدراته بأسلوب فني جميل، يثير خيال الطفل، وينمي فيه التذوق وحب الجمال واستيعاب الأدب⁽¹⁾.

ويمكن استنباط هذه الفلسفة في أدب الأطفال من خلال البحوث والدراسات المعمّقة التي جرت في هذا الميدان، ومن خلال توصيات ومقترحات الندوات والحلقات الدراسية ومؤتمرات الأدباء والكتّاب، التي ناقشت جوانب هذه القضية بكل استفاضة وعمق، في محاولة منها لإيجاد اهتمام قوي بأدب الطفل العربي على المستويات جميعها⁽²⁾.

ويكاد يجمع الخبراء والمختصون في مجال الكتابة للأطفال وتربيتهم وثقافتهم أنّ الفلسفة التي يكون عليها أدب الأطفال في الوطن العربي يجب أن ترتكز على الأسس الآتية⁽³⁾:

1. أن يسهم أدب الأطفال في إعداد الطفل إعداداً إيجابياً في المجتمع، بحيث يأخذ مكانه، ويشق طريقه، ويعرف دوره، ويكون مستعداً لتحمل مسؤولياته الاجتماعية.
2. أن يقوي أدب الأطفال الالتزام بالنظام واتباع الأنماط السلوكية المبنية على الحب والعدل والمساواة والخير للجميع.
3. أن يخلق أدب الأطفال روح التضامن والتعاون بين الأطفال لتحل محل الحقد والكراهية، حيث إن التعاون هو مفتاح تقدم المجتمع ورفاهيته.
4. أن يوقظ أدب الأطفال مواهب الطفل واستعداداته، وأن يقوّي فيه ميوله وطموحاته، وينتهي به إلى الشغف بالقراءة والمثابرة عليها.

(1) ينظر: أدب الأطفال في العالم المعاصر، إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 2000 م، ص 30. وينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات (دراسة تطبيقية)، نزار وصفي اللبدي، مرجع سابق، ص 23.

(2) ينظر: أدب الأطفال فلسفته .. أنواعه .. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، مرجع سابق، ص 42.

(3) ينظر: المرجع في أدب الأطفال، محمود حسن إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ط 1، ص 56-58، كما ينظر: أدب الأطفال فلسفته .. أنواعه .. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، مرجع سابق، ص 42 _ 43.

5. أن يُكتب أدب الأطفال بلغة تناسب جميع مستويات الأطفال الموجّه إليهم، بحيث يتدوّقونه ويفهمونه في يسر ودون مشقة أو عناء.

6. أن يثري أدب الأطفال القارئ بثروة لغوية، فيُكتَب بلغة عربية فصحة سهلة، حيث إنّ أعلى ما يمكن أن يتحصّل عليه الأطفال وأثمنه في سنوات عمرهم، هو لغتهم القومية.

7. أن يفتح أدب الأطفال أبواب التفكير والابتكار والإبداع وخصوصاً للأطفال العرب بدلاً من الاعتماد على التقليد الأعمى، ويجب أن تكون المعلومات المقدمة للأطفال رحيباً واسعة تدفع بهم إلى التفكير، وكذلك فإن هذا التفكير يجب أن يكون واسع النطاق، لا ضيقاً أو محدوداً.

8. أن يقوِّي أدب الأطفال في الطفل العربي اعتزازه بوطنه وأمته ودينه وأن يهيئه للإسهام في بناء الوطن وتعريفه بالقيم الإنسانية والقيم الحضارية الخالدة لأمتة العربية والإسلامية.

9. أن يوظّف أدب الأطفال لبعث التراث العربي الإسلامي، وذلك من خلال تعريف الأطفال بالنواحي المشرقة من تاريخ أمتهم المجيدة، وكذلك الاطلاع على كنوز حضاراتهم.

وظائف أدب الأطفال:

يُعدّ أدب الأطفال بثنّى فنونه ميداناً مهماً لتنمية قدرة الطفل على الإبداع، كما يُعد وسيطاً مناسباً في الجانب التربوي للتعليم وتنمية القدرات الذهنية واستقرار الجوانب النفسية لدى الطفل، وبتيح للطفل الشعور بالرضى والثقة بالنفس وحب الحياة والطموح للمستقبل، ويؤهله لكي يكون إنساناً إيجابياً في المجتمع، ولنحصل على هذه النتيجة الطيبة لا بد أن تكون المضامين جيدة وهادفة⁽¹⁾. وهكذا يؤدّي أدب الأطفال وظائف عديدة في جوانب كثيرة تحقّق أهدافاً إيجابية.

أولاً: وظيفة دينية:

إنّ أهم ما ينتشره الطفل المسلم هو عقيدته، فيتوجّب على الأسرة وكل المؤسسات التربوية العمل على ترسيخ العقيدة السليمة لدى الطفل في شكل أسس دينية بطريقة سهلة يتدرج الطفل في فهمها

(1) ينظر: دراسات في أدب الأطفال، "الأنشودة ودورها في تقويم سلوك الطفل" في الخطاب الشعري.. والخطاب

المسموع، عائشة الرماش: <http://syrianstory.com/comment29-12.htm>

واستيعابها مع مرور الوقت، فتكسبه أمناً فكرياً يمكنه أن يقف سداً منيعاً في وجه الانحراف في التصور العقدي، وطغيان أحد الفكرين: الفكر التكفيري المنظر للإرهاب، والمستند على التأويل الباطل للنصوص الدينية، والقصور في الفهم الصحيح لمبادئ الشريعة الإسلامية الغراء، والفكر الإلحادي الذي يلغي الدين، ولا يؤمن إلا بالمادي والملموس من الأمور⁽¹⁾، يشير الإمام الغزالي: إلى أهمية التربية الدينية للطفل فيقول: "فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار ليُغرس في نفسه حب الصالحين"⁽²⁾.

ويؤكد (الحديدي) على أن أدب الأطفال من أقوى وسائل تكوين العقيدة في نفوس الأطفال، وأكثرها فعالية في مرحلة الطفولة، لكن يتوجب على الذين يتخذون أدب الأطفال وسيلة لغرس العقيدة الدينية في قلوب الناشئة، أن يتخذوه أيضاً وسيلة من وسائل احترام الأديان الأخرى⁽³⁾.

ولا خلاف على أن الطفل بحاجة إلى من يعلمه دينه، ويبدأ تعليم الدين من الأسرة، ثم يأتي دور المدرسة وغيرها من المؤسسات، فتشربه العقيدة منذ الصغر، ونمو الانتماء لدينه يقوي إيمانه، ويرسخه في نفسه، وأدب الأطفال يكمل جهود كل من الأسرة والمؤسسات التعليمية، باعتباره جزءاً من تربية ثقافية تؤدي دوراً كبيراً في توجيه الطفل دينياً، فهو:

1. يُسهم في تشكيل وجدان الطفل المسلم من خلال عرضه المعتقد والآداب والسلوكيات التي تحت الطفل على الإيمان بالله _ عز وجل - خالق الكون، والتدبر في ملكوته، كما يقوم شخصية الطفل وأخلاقه من خلال الاقتداء بسيرة الرسول ﷺ - وصفاته الحسنة، وعرض الصفحات المشرقة من بطولات المسلمين وتاريخهم⁽⁴⁾.

(1) ينظر: أدب الطفل في المقرر المدرسي الجزائري، (ملخص دراسة نقدية)، د. أم كلثوم يحيى، ود. الطيب بن دحان،

ص 2. (جامعة بشار)، الجزائر: https://wefaqdev.net/st_ch572.html

(2) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تقديم ومراجعة: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003 م، ج 3، ص 64.

(3) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 162.

(4) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 70.

2. تبيين ما أحله الله _ تعالى _ والتأكيد على ما حرّمه ليعرف الأطفال جوانب المحرمات وأضرارها فيجتنبوها⁽¹⁾.

3. يعمّق القيم الإسلامية كالتسامح والعدالة الاجتماعية والإنصاف والتجرّد من الأهواء في سبيل كلمة الحق، وإتقان العمل، على أن يواكب ذلك تطوّر العصر، وتجنب الوعظ والإرشاد المباشر الذي ينفر الأطفال.

4. يتيح للأطفال إدراك قيمة العلم الذي لا يتنافى مع التعاليم الأخلاقية والدينية، والذي يقودهم إلى الإيمان بقدرة الله _ تعالى _ وعظمته، والذي يخدم الإنسانية وينهض بها.

5. ويسهم أيضاً في تعريف الأطفال بالدور الإيجابي الذي قامت به الحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها⁽²⁾.

ثانياً: وظيفة تربية أخلاقية:

الوظيفة التربوية الأخلاقية من وظائف النص الأدبي المعد للأطفال؛ إذ يعمل الأديب على إكساب الطفل قيماً واتجاهات تكون في مجموعها أساساً قوياً لبنين أخلاقي متماسك وسلوك اجتماعي راق⁽³⁾.

ترتبط هذه الوظيفة ارتباطاً مباشراً بالوظيفة الدينية، وذلك لأنّ كل الأديان السماوية تحت الإنسان على السمو عن مواطن الزلل، والتحلّي بالفضائل ونبذ الرذيلة، والطفل المسلم إذا عرف دينه جيداً، وعرف ما يدعو إليه من الأخلاق الحميدة حاول اتباعها والابتعاد عن سواها، أما المجتمعات الغربية التي عزلت الدين عن تسيير شئون الحياة، فإن القيم التربوية والأخلاقية تستمد قوتها من كونها أصبحت دستوراً متعارفاً عليه، لدرجة أنّ الإنسان فيها يضيق بأصحاب السلوك المعوج⁽⁴⁾.

(1) ينظر: أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية، إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ط 1، ص 107.

(2) ينظر: الطفولة والقيم (بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الإقليمية لعام 1985) بعنوان: (القيم التربوية في ثقافة الطفل)، عبد التواب يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 111.

(3) ينظر: أدب الأطفال فلسفته .. أنواعه .. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، مرجع سابق، ص 40.

(4) ينظر: الطفولة والقيم (بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الإقليمية لعام 1985) بعنوان: (القيم التربوية في ثقافة الطفل)، عبد التواب يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986، ص 115.

وكما يستفيد الطفل في تربيته من الأسرة والمجتمع المحيط به، فإنّه يستفيد من الأدب بمختلف الوسائط المكتوبة أو المرئية أو المسموعة، وربما يكون تأثير الأدب على سلوك الطفل لا يقل عن تأثير الأسرة والمجتمع عليه؛ لأنّ الأدب يستخدم طرقاً أكثر إبهاراً، لذا فهو أداة خطيرة في توجيه سلوك الأطفال، وهو معلم ومرشد بطريقة غير مباشرة، محببة للأطفال، بعيداً عن الوعظية التي ينفرون منها⁽¹⁾.

والأدب الخارج عن نطاق الكتب المدرسية يشعر الطفل بحرية الاختيار، واستقلال الشخصية، كل ذلك يمكنه من استيعاب أكبر قدر من الأفكار والقيم، لذا فإن الحرص على القيم التربوية في أدب الأطفال هو هدف لا يمكن التغاضي عنه⁽²⁾.

ويحذّر (الحديدي) من أنّ الأدب إذا لم يكن في صورته التي تقدّم للطفل باعثاً على تكوين الأخلاق والدُّوق، فمن الخير ألا يراه أو يسمعه الصغار. وخير "أدب الأطفال" ما أدّى إلى هدفين لهما تأثيرهما الكبير في حياة الأطفال، في حاضرهم ومستقبلهم: أن يدفع بهم إلى حب العمل، وأن يساعدهم على تكوين الأخلاق الحميدة. وأكثر ما يظهر ذلك في الأمور الآتية⁽³⁾:

1. تعليم الآداب العامة للفتيات والبنين.

2. غرس الدُّوق الفني في الطفل بتصوير الفنون الجميلة بصورة إنسانية محببة إليه.

3. معرفة الدافع إلى الحرب بإثارة كوامن الكراهية لأعداء الوطن المحتل مثلاً. وإثارة كوامن الفخر والعزة والذكرى الحسنة والخلود مع الشهداء وتمجيد الأبطال المحاربين في سبيل الوطن. وكذلك إثارة مشاعر الطفل الرافضة لأعمال العنف وفضائع الحرب بالنسبة للدول التي تحارب بغية الاعتداء والاستعمار. وفي معالجة أدب الأطفال للحرب يجب أن يصدر من أساسين: إنّ الحرب آخر وسيلة لحفظ حياة الإنسان أو كرامته وكرامة وطنه، وإنّ نهايتها بشعة للحياة الإنسانية بعامّة وللمعتدي بخاصة.

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ط 1، ص73.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص74.

(3) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 169 - 170.

4. حب المغامرات لكشف المجهول في سبيل رفع المستوى المعيشي، أو بغية الاستكشاف والاستطلاع.

5. آداب المعاملة والسلوك الإنساني المحمود، ورعاية آداب المائدة.

6. تحبيب العلم إلى نفوس الأطفال، واكتشاف المواهب العلمية عندهم، من خلال القصص العلمية والمكتشفات الحديثة وقصص العلماء والباحثين.

7. اكتشاف المواهب الأدبية والفنية في مرحلة مبكرة عند الطفل، وذلك بدفعه إلى الممارسة.

8. غرس العاطفة الوطنية في نفوس الأطفال بسرد تاريخ الوطن في حكايات، وكتابة بطولات رجاله السابقين، وتمجيد حضارته في قصص.

9. توجيه النشء إلى نوع معين من التعليم تحتاجه الأمة في تخطيطها، كالتعليم الصناعي أو الزراعي، وذلك بإظهار مزايا هذا النوع في قصص تصور من سلك هذا الطريق تصويراً يحبب الأطفال فيه.

10. تنشئة الطفل على تقديس الحرية والديمقراطية، وذلك بقصص تظهر ما يعانيه شعب محتل أو محكوم حكماً دكتاتورياً، وما تقاسيه الأمة والأفراد من الحكم الفردي في غيبة القانون والشورى⁽¹⁾.

كل هذه الأهداف وغيرها يمكن أن يوصلها أدب الأطفال إلى قلوبهم؛ فيكبرون وهم يعملون في إطارها، تدفعهم العاطفة والميول الكامنة في نفوسهم التي اختزنوها في قلوبهم من أيام الطفولة منذ بدأوا يستمتعون بالقصص التي تحبب إليهم هذه الأهداف.

ثالثاً: وظيفة وطنية قومية:

يقوم أدب الأطفال بتعزيز جانب الانتماء الوطني عند الطفل، فيربطه بأرضه، وينمي العلاقة الوجدانية بينه وبين موطنه، وإذا كان حب الوطن شعوراً يولد مع الإنسان وجدانياً، فإن أدب الأطفال من ضمن أهدافه تعريف الأطفال بأهمية الوطن بالنسبة للإنسان، وأن الذي ليس له وطن ليس له ماض ولا

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 170-171.

حاضر ولا مستقبل، لأن الوطن يعني الاستقرار، والشعور بالأمن وذلك يدفع الإنسان إلى الإبداع، وهو الذي يجعله يشارك في صنع أو تشكيل تاريخه وواقعه وتطلعاته⁽¹⁾.

ومن وسائله لتحقيق ذلك قراءة بعض قصص البطولات التاريخية، وحركات الجهاد والاقتداء بها، وبما يُسرّد من قصص بعض الأبطال الذين دافعوا عن وطنهم ضد الاستعمار، وجادوا بأنفسهم في سبيله، لإيمانهم بقضية الوطن، والتفاني من أجله، وحب الوطن عندما ينمو مع الطفل يوُلّد لديه الغيرة الوطنية، فيحاول قدر جهده - مع أبناء وطنه المخلصين - أن ينهض به، ويدفع به إلى التقدم والرقى، كما أنّ الشعور القومي يدفعه إلى المحافظة على لغته وعرويته وكيانه، وبذلك تتعزّز الصلات بين أقطار الوطن العربي التي تجمعها حضارة واحدة وتاريخ واحد ومستقبل واحد، فعندما نغرس أحلامنا في نفوس أطفالنا، يكونوا قادرين على تحقيق ما لم يحققه الكبار⁽²⁾.

وتقع على عاتق كتّاب أدب الأطفال - خصوصاً في ليبيا - مسؤوليّة مضاعفة في هذا الجانب، لأنّ مفهوم الوطنيّة تعرّض لتشويه كبير؛ بسبب عوامل كثيرة نتج عنها انحراف في التوجّهات والسلوكيّات، ويتضح هذا جلياً قبل الثورة في ليبيا وبعدها، حيث طفحت القبليّة والجهويّة وغاب الوطن عن شرائح ليست بالقليلة، وما من شك في أنّ تغيير مفاهيم مشوّهة ترسّخت لعقود ليس بالأمر السهل، لذا على جميع المؤسسات التعليميّة والإعلاميّة، والثقافيّة، والأدبيّة أن تتضامن لتصحيح تلك المفاهيم.

رابعاً: وظيفة معرفيّة:

تذكر (ليلى كريم الدين) جملةً من الأسباب لأهميّة تثقيف الأطفال علمياً وتنمية التفكير العلمي لديهم، أهمها⁽³⁾:-

1. انتشار الأميّة وسيادة التّفكير الخرافي لدى قطاعات عريضة من المجتمعات العربية.

(1) أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص74.

(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص74-75.

(3) ينظر: تنمية التفكير العلمي عند الأطفال العرب، أ.د.ليلى كريم الدين، مجلة الطفولة والتنمية "دورية (علمية - متخصصة - محكمة)، العدد: 20، سبتمبر 2013 م، المجلس العربي للطفولة والتنمية، ص 129 - 131.

إنَّ الأمل في تغيير الأوضاع في مجتمعاتنا ينعقد بالدرجة الأولى على تثقيف الأطفال علمياً وتنمية التفكير العلمي لديهم؛ سعياً إلى تخليص مجتمعاتنا العربية من أشكال الفكر الخرافي كافة.

2. الارتباط الكبير والحيوي بين تثقيف الأطفال علمياً وتنمية التفكير العلمي لديهم، وإكسابهم العقلانية والقدرة على التفكير المنطقي والعقلاني وفقاً لما أكّدت عليه مختلف النظريات والأطر النظرية في مجال النمو العقلي للأطفال.

3. ما أكّدت عليه التوجّهات والأطر والدراسات النفسية والتربوية كافة من ضرورة البدء في تنمية تفكير الأطفال بشكل عام، وتفكيرهم العلمي على وجه الخصوص مبكراً من عمر الطفل.

4. تزايد الاهتمام بتنمية التفكير العلمي للأطفال في المجتمعات العربية في ضوء الألفية الثالثة، وما يميّز هذا العصر من تقدّم علمي وتكنولوجي سريع ومتلاحق يحتمُّ ضرورة إعداد الأطفال للتعامل والتوافق بل والتفوّق في هذا العصر في ضوء المنافسة الشديدة التي تميّزه.

إضافةً إلى ما يقدّمه الأدب للطفل من خبرات ثقافية ووجدانية ونفسية وسلوكية، فإنَّ له دوراً كبيراً في توعيته وتعليمه من خلال ما يقدّمه من معلومات جديدة وخبرات متنوعة بأسلوب أدبي ممتع، ومن الوظائف المهمة لأدب الأطفال توظيفه في تعليم الأطفال بعض المضامين العلمية الصعبة، بتقديمها بأسلوب أدبي جذاب يساعد الطفل على الفهم، باستعمال الصور والتشابه التي تضيء متعة عند قراءة الكتاب، وقد شاع هذا الأسلوب في كثير من الكتب العلمية الحديثة الموجهة للأطفال لمساعدتهم على استيعاب المادة باستعمال اللغة الأدبية، وحث الأطفال على التخيل، وهناك سلاسل كتب خاصة تتناول مضامين علمية بأسلوب قصصي جذاب يساعد على الفهم كما في "سلسلة العلوم بالقصص"⁽¹⁾.

ويوصي بعض علماء النفس والتربية بأنَّ 60% على الأقل من كتب الأطفال يجب أن تقدّم في صورة قصص؛ لأنّها الطريق الجيد لتقديم الحقائق للأطفال؛ ذلك أنّ القصة أكثر الطرق التعليمية ملائمة وأدقها انسجاماً وأبعدها أثراً في نفسية الطفل وقدراته الإدراكية لتغذيته بالثقافة والعلوم⁽²⁾.

(1) ينظر: أضواء على أدب الأطفال، إبراهيم أحمد نوفل، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط 1، ص 21-22.

(2) ينظر: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، عبد الفتاح أبو معال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2005، ط 1، 123.

وقد يكون الأدب رداً على أسئلة تدور في عقول الأطفال، وكلما كانت الإجابة صادقة ومقنعة، زال الالتباس عن الطفل، واتضحت الأمور أكثر، وكلما زادت المعرفة، أزيح الإبهام، وفُكَّت الطلاسم وأغلقت أبواب التفكير الخرافي، وتفتَّحت آفاق رحبة للتفكير العلمي السليم⁽¹⁾.

ويقدّم أدب الأطفال قصص العلماء والمخترعين، والمبدعين، ليتخذ الأطفال من حياتهم وسيرهم نماذج وأمثلة تحتذى، كما يقدّم أدب الأطفال أنماطاً للتفكير المستهدف، ونماذج للتصرف السليم في مختلف الجوانب، فمن خلال مواقف الأبطال التي يعجب بها الطفل، يقلّد تصرفاتهم ويتبنّى أساليبهم من غير تردّد، لعلّ هذا مما يخدم أساليب التفكير العلمي، والتفكير الابتكاري والإبداعي⁽²⁾.

ومن بين هذه الفنون ذات الطابع العلمي والأدبي الشائق ما يُعرف بأدب الخيال العلمي، وفي هذا الجانب يذكر (محمد قرانيا) أنّ من أهم وظائفه تهيئة العقل الإنساني لتقبُّل العلوم المستقبلية، وفي هذا المجال نتذكّر أيضاً أنّ العالم أنشتاين ذكر عبارة، يستشهد بها الكتاب والباحثون في أدب الخيال العلمي، قال فيها: "لقد تعلمت من الأديب الروسي دوستوفسكي في مجال الرياضيات أكثر ممّا تعلمته من نيوتن وكوس"⁽³⁾.

كما يؤكّد بعض الباحثين على ضرورة إضافة الخيال العلمي كجنس أدبي مهم؛ لأنّ فيه ما يبني على واقع ونظريات علمية متوقعة أو قابلة للنفاد يعطي قدرات فكرية أوسع، ويمكن أن يستغل في بناء طاقات الأجيال الجديدة من الأطفال المبدعين والعلماء الصغار⁽⁴⁾.

والخيال العلمي أدب شائق وجميل يحبه الأطفال لا يقتصر دوره على نقل المعارف، بل إنّه ينزع إلى إخراج أدب الأطفال من ميادينه التقليديّة، فيحفّز الطفل لبحث من خلاله عن أمور كثيرة، من بينها

(1) أدب الأطفال في ليبيا .. في النصف الثاني من القرن العشرين .. دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 76.

(2) ينظر: أدب الأطفال والتربية الإبداعية، سناء العطاري:

file:///C:/Users/4G/Downloads/Documents/db_ltf_l w_ltrby_lbdy_17_022.pdf

(3) دراسات في أدب الأطفال، بداية قصة الأطفال في سوريا، محمد قرانيا:

<http://www.syrianstory.com/comment29-5.htm>

(4) ينظر: أدب الأطفال في العالم المعاصر رؤية نقدية تحليلية، إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 62-63.

إرضاء فضوله إزاء العلم، وإزاء استكشاف الفضاء والعوالم المجهولة، لذلك يرى أحد الباحثين أنه لا بدّ للطفل أن يجد في الخيال العلمي بعض الأمور، منها⁽¹⁾:

1. نقطة انطلاق الأحلام، ووسيلة هذه الأحلام الخصبة التي تحت على التفكير في بناء المستقبل.
2. طريقة جديدة في النظر إلى عالمنا ومجتمعنا نحن الكبار، وفي النقد أيضاً لما يستحقه هذا العالم من اهتمام.

3. الخيال العلمي طريقة جديدة في خلق الكلمات، واستعمال التراكيب اللغوية، مما يساعد على تجديد المفردات اللغوية، واللغة ذاتها، مع إعادة الخلق والإبداع والتجديد.

إضافةً إلى ما سبق، فإنّ من أهم الأدوار غير المباشرة لأدب الأطفال الناجح أنّه يحبب الأطفال بالكتب والقراءة وينمّي عندهم حب الاطلاع، بما يحققه من ألفة بين الأطفال وكل أوعية العلم والمعرفة الحديثة، وهذا في حد ذاته مكسب كبير؛ لأنه يمثل امتلاكاً لمفتاح من أهم مفاتيح الحياة المستقبلية، كما أنه يساعدهم على النضج، وعلى فهم النفس البشرية، واستيعاب الحياة بمقوماتها المتغيرة⁽²⁾.

ويذكر (الشيخ)⁽³⁾ أنّ باستطاعة أدب الأطفال أن يحقق الأهداف المعرفية الآتية:

1. يمد الطفل بالمعلومات والمعارف التي تعمق نظرتة للحياة والتي تعرفه بالبيئة من حوله.
2. ينمّي القدرات العقلية المختلفة عند الطفل، مثل التذكر والتخيّل والتفكير، والتحليل والنقد والاستنتاج والقدرة على حل المشكلات.

3. ينمّي حب الاستطلاع والبحث والاستكشاف.

4. ينمّي ملكة الحفظ والتذكر.

5. يكشف عن المواهب في مجالات الأدب المختلفة: القصة، الشعر، المسرحية، فيمكن رعاية الأطفال الموهوبين ومساعدتهم على النضج حتى يصلوا إلى الإجابة والإتقان والتمكن.

6. يعرّف الطفل بالعلم والعلماء ومنزلتهما في الإسلام.

وليقوم أدب الأطفال بوظيفته المعرفية، عليه الانطلاق من مبدأين، هما:

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 61-62.

(2) ينظر: أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، مرجع سابق، 298.

(3) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 79-

1. إذكاء الفعاليات العقلية وتقويتها في تنمية الذاكرة والإبداع واختزان المعلومات وتركيز الانتباه وإطالة أمره وربط الأسباب بالنتائج والحكم على الأشياء يكسب الطفل أنماطاً من التفكير العقلي السوي ويمنحه القدرة على مواجهة المواقف المختلفة بأراء سديدة وفكر حقيقي.

2. ربط ثقافة الطفل العامة بفروع المعرفة كافة، وهذه المعارف هي المعلومات والحقائق العلمية المتصلة بمجتمع الطفل والمجتمعات البشرية، وأدب الأطفال الذي يقدم عن طريق القراءة الحرة أو القراءة الخارجية، يرفد المناهج الدراسية، ويساعدها على تحقيق أهدافها⁽¹⁾.

إنَّ الطفل الذي ينشأ على حب المعرفة والاستطلاع يجد في الأدب ملاذاً يشبع هذه الرغبة وهذا النهم المعرفي، حيث يأخذه الأدب إلى عوالم غير عالمه، وبيئات غير بيئته، فلا تنحصر معرفته في سرداب ضيق محكم الإقبال، بل تتعدها إلى مجالات أخصب وفضاءات أرحب تنمي طاقته الإبداعية، وتربي ملكته الابتكارية، استشرافاً لمستقبل أفضل وتطلعاً لغد مشرق⁽²⁾.

خامساً: وظيفة لغوية:

إنَّ تعلُّم الطفل المهارات القرائية والكتابية ليس بالأمر السهل، ولا شكَّ أنَّ لأدب الطفل دوراً فعَّالاً في هذا المجال؛ لأنه يساعد على تطوير تلك المهارات بشكل طبيعي يتناسب مع مراحل تطوره اللغوي، وإذا ما أحس الطفل بالمتعة في قراءة العمل الأدبي، فإنَّ ذلك يدفعه إلى مزيد من القراءة، وبخاصة الكتب التي تناسب اهتمامه وحاجاته، وعندئذ يبدأ القراءة معتمداً على نفسه⁽³⁾.

إنَّ الأدب بمختلف أجناسه مصدر للنمو اللغوي السليم عند الأطفال، وبرغم ما يوجد في أطوار نمو الأطفال من اختلاف وتباين نتيجة لاختلاف الاستعدادات للنمو اللغوي لديهم، فإنَّ الأدب يساعد كل الأطفال، ابتداء من مرحلة الحضانه حتى عتبات الشباب على التحصيل اللغوي وتنميته، فيتزايد المحصول اللغوي، وتثري دلالاته وتتنوع استخداماته، وذلك بأثر من تزايد عمليات النضج الداخلي لدى الطفل، والخبرات التي تزوده بها البيئة والتجارب التي يمارسها بحكم تقبله وتلقيه للإبداعات المختلفة

(1) ينظر: أدب الأطفال فلسفته .. أنواعه .. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، مرجع سابق، ص 41.

(2) أدب الأطفال في ليبيا .. في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 76.

(3) ينظر: أضواء على أدب الأطفال، إبراهيم أحمد نوفل، مرجع سابق، ص 21.

من قصص، ومسرحيات، وأناشيد، وأشعار جميلة، وأغان ذات إيقاع جماعي، لكن بشرط أن تكون هذه الفنون متوافقة ومتناسبة مع حاجة من حاجات الأطفال⁽¹⁾.

ولذا يوصي بعض الباحثين بضرورة بناء الأدب بمختلف فنونه _ والقصص خاصة _ على مواد تعليمية ترتبط بميول التلاميذ والأطفال وخبراتهم في مختلف مراحل نموهم، لأنَّ مثل هذه المواد التعليمية تزيد من شغف الأطفال والتلاميذ بالأعمال الفنية، وتدفعهم إلى بذل المزيد من حسن الاستعداد، ومن الجهد العقلي للاستفادة من هذه المواد، كما تزيد من تهيئتهم للاستفادة الوجدانية وتنمية قدراتهم على الحفظ والقراءة والأداء اللغوي والصوتي السليم⁽²⁾.

وكلما قرأ الطفل قصةً أو سمعها تعلَّم منها ألفاظاً جديدة أضافها إلى قاموسه اللغوي، ومن ثمَّ يبدأ في استعمالها، ويساعد الأدب أيضاً على تدوُّق الطفل للغة، وكذلك الارتقاء بأسلوبه، وخاصة عندما يكون الأدب مكتوباً باللغة العربية الفصحى في تراكيبها الجميلة المبسطة للأطفال، وفي هذه الحالة يكون دور الشعر مؤثراً في جعل الطفل يتدوَّق اللغة والتراكيب، لأنَّ الطفل يستعذب سماع الشعر وقراءته، بل يحاول حفظه وإنشاده، ذلك أنَّ موسيقى الشعر والقافية تسهِّل على الطفل ذلك، الأمر الذي يسهم في ارتباط الشعر بالتعليم، وظهور ما سمي بـ (الشعر التعليمي)⁽³⁾.

ويسعد الطفل كثيراً إذا ما تعلَّم ألفاظاً جديدة، فهو في البداية يكتشف هذا اللفظ فيقوم بنطقه نطقاً صحيحاً ويكرّره من أجل استيعابه وحفظه، ثم يتحوَّل إلى معرفة معناه ومدلوله ثم يلجأ إلى استعماله استعمالاً صائباً وملاحظة موقعه من العبارة أو التركيب اللغوي، ويفضِّل أن يتعلَّم الطفل الألفاظ المتصلة ببيئته أولاً، ثم ينتقل إلى تعلم الألفاظ المتعلقة بالبيئات الأخرى⁽⁴⁾.

(1) ينظر: أدب الطفل ووظيفته التعليمية والذوقية، عبد الرؤوف أبو السعد

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article3606>:

(2) ينظر: أدب الطفل ووظيفته التعليمية والذوقية، عبد الرؤوف أبو السعد، مرجع سابق.

(3) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا .. في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص

.76

(4) أدب الأطفال فلسفته .. أنواعه .. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، مرجع سابق، ص 39.

ولا شكّ في أنّ تنمية القراءة لدى الطفل هي الخطوة الأولى نحو إعداد جيل قارئ يمارس القراءة لتصبح حقيقة في واقع الإنسان وحياته، وفي هذا المجال يحث الكاتبان Shirley و Shelby Woolfe و Brice Heath في كتابهما (شريط الأدب) على تنمية أدب الأطفال الذي يركّز على لحظة القراءة، وبيّنان أهمية دور القارئ في إبراز معنى للنص، قائلين: "إنّ النص، وصوره، ومواقفه، ومعاييره، وتناقضاته، تقفز إلى أبعد بكثير من حدث القراءة نفسه، في أشكال جديدة، وسياقات أخرى، وقراءات لكتب مختلفة، ونحن نرى هنا كيف أنّ القراءة الأولى لنص أدبي تسلّم نفسها لقراءات أخرى متكررة.. وأنّ خبرة القراءة تعيش أطول بكثير من فعل القراءة نفسه"⁽¹⁾.

لا أحد ينكر ما للقراءة من تأثير إيجابي على شخصيّة الإنسان، فلم يعد الفرق بين الأمي والمتعلّم مجرد القدرة على القراءة، وإنما الفرق الحقيقي هو ممارسة القراءة وعدمها، فحال من يعرف القراءة ولا يمارسها كالمبصر الذي يعيش مغمض العينين!

قال (فرانسيس سبا فورد) في مذكراته (الطفل بنّته الكتب): "تستطيع أن نتذكر القراءات التي أحدثت فينا تحولات. لقد كانت هناك أوقات وقع فيها كتاب معيّن داخل عقولنا وهي على استعداد تام له، شأنه شأن محلول شديد الإشباع، وفجأة تغيرنا"⁽²⁾.

سادساً: وظيفة جماليّة:

يُولد الطفل رقيق المشاعر، وشعوره فياض بالنيات الحسنة والحب المتسامح النبيل، وهو يولد مزوداً بخبرات فطريّة جميلة، تتطوي على حب الخير، ويتمنّع أيضاً بشموليّة ذوقه، ورهافة حسه وسعة

(1). Shelby Woolfe and Shirley Brice Heath, the Braid of literature: children, s words of . (1992). p.4.

reading (Cambridge,MA: Harward university press, (1992). نقلاً عن: أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، سيث ليرر، ترجمة: ملكة أبيض، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص 21.

(2) Francis Spu fford, the child that Boks Built: A life in Reading (London:faber, 2002)

.9.p.: نقلاً عن: أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، سيث ليرر، ترجمة: ملكة أبيض، المرجع السابق، ص 6.

خياله، وحبه وشوقه للمجهول، وقيام عالمه الطفولي على المغامرة، والحل والتركيب، والأدب يخلف في عالم الطفل توجهات نحو الجمال، ويبرز القدرات المتدوّقة ويكشف عن القدرة الإبداعية⁽¹⁾.

وإذا ما خرج النصّ الأدبي من القلب مشحوناً بعاطفة الكاتب الصادقة فلا بدّ أن يكون رائعاً، وإذا ما دخل إلى القلب الصغير ربّاه على تذوّق الجمال، فالطفل يعشق الجمال بقدر قدراته ملتقياً مع الأديب في بعض سماته⁽²⁾، "فالأديب يعشق الجمال في الحق، وفي الخير، وفي العدل، والطفل كذلك يعشق الجمال في الألوان البرّاقة، وفي الحنان الذي يحميه، وفي الحب والسلام الذي يبعد عنه كل خوف وغدر، إنّ الأدب باعتباره فناً لغوياً يتمتع كاتبه بمميزات وخصائص فنية خاصة تكاد تقترب من بعض خصائص الطفولة⁽³⁾.

ويستطيع الطفل في كل مرحلة من مراحل نموه، اكتساب قدرات التذوّق بحسب طبيعة كل مرحلة، وخصائصها، وقيمتها، وطبيعة العمل الأدبي المناسب لها، فيستطيع الطفل أن ينشأ تنشئة تذوقية حسب استعداداته، وقدراته، وطبيعة مرحلته، فرحلة الطفل خلال مراحل نموه برفقة الأدب، تخلق نوعاً من الصلة بين الجمال والإحساس به، ويمكن ملاحظة أثر ذلك على الطفل الذي تلقى الأدب استماعاً أو مشاهدة، أو قراءة، فهو أكثر استعداداً إذا توافرت عوامل أخرى أن يكون في أتم حالات الصحة النفسية، ويكون أكثر خبرة ونضجاً، وفي أفضل حالاته الوجدانية والذهنية، وهذا كله نتيجة للحس الذوّقي الذي نما لديه بسبب ارتباطه المستمر بالتذوّق الأدبي⁽⁴⁾.

ويوصي بعض النقاد بضرورة التخلّي عن النظرة الغربية للجمال، والمحصورة في المادّة والمظاهر الإنسانية بعيداً عن الجوهر والروح، والسلوك، والمرتبطة بالفنون وشئى الصور المنحرفة؛ حتى لا تغدو الشخصيات المرتبطة بهذه الفنون قدوة، وأمثلة تحتذى من قبل أبنائنا.

(1) أدب الطفل ووظيفته التعليمية والتذوقية، د. عبد الرؤوف أبو السعد:

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article3606>

(2) أدب الأطفال في ليبيا .. في النصف الثاني من القرن العشرين .. دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 77.

(3) الطفل وأدب الطفل، د. هدى محمد قناوي، مرجع سابق، ص 35.

(4) ينظر: أدب الطفل ووظيفته التعليمية والتذوقية، د. عبد الرؤوف أبو السعد:

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article3606>

وفي مقابل ذلك من المهم أن نغرس في نفوس أطفالنا المفاهيم الإسلامية في الجمال، والصور الجميلة التي عرضها كتاب الله - سبحانه وتعالى - مقترنة بالدلالات الإيمانية، وصور الحقيقة الساطعة، وتوجهات الخير والهدى⁽¹⁾.

ويمكن حصر بعض الآثار الإيجابية التي تتبلور نتيجة تنمية التذوق الأدبي لدى الأطفال من خلال تعاملهم مع الأدب، استماعاً أو قراءة أو مشاهدة، وذلك فيما يلي⁽²⁾:

1. تنشئة شخصية الطفل، وتكاملها، ودعم القيم الاجتماعية والدينية، والثقافية لديه، وجعل الطفل قادراً على مواصلة العلاقات الإيجابية ببيئته، والسعي دائماً إلى تحقيق الجمال في حياته الخاصة والعامة.
2. تنمية قدرات الطفل وخبراته وتجاربه وثقافته، وذلك في إطار الجمال، إضافة إلى دعم القيم الروحية والقومية والوطنية لدى الطفل.
3. تنشيط وجدان الطفل، وإكسابه القدرة على تذوق اللغة واستعمالاتها، وحسن توظيفها، فتنكّن لديه عادات عقلية وفكرية إيجابية.
4. القدرة على التعبير باللغة والرسم عن الأفكار والأحاسيس، والاستفادة من ألوان الثقافة وفنون المعرفة.
5. فتح مجالات وآفاق أوسع في تعامل الأطفال الاجتماعي والإنساني، ومعالجة بعض السلبيات مثل انطوائهم وعزلتهم، وتخرجهم من إطار عيوبهم الشخصية والاجتماعية إلى إطار أوسع من النشاط والحيوية والتعاون والإقبال على الحياة.
6. القدرة على القراءة الواعية، وعلى تقدير قيمة الكلمة المكتوبة.

(1) ينظر: أدب الأطفال "أهدافه وسماته"، محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1996 م، ص 146.

(2) ينظر: أدب الطفل ووظيفته التعليمية والتذوقية، د. عبد الرؤوف أبو السعد:

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article3606>

كما ينظر: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، مرجع سابق، ص 55-57.

7. تنمية الإحساس بالجمال لدى أطفالنا، فالأدب فن والفن موطن الجمال وهو قادر على تغذية مخيلة الطفل بكل ما يثير ويمتّع.

8. إنّ الأدب في أفقه الأوسع مجموعة من التجارب والخبرات، فالأطفال لم يخوضوا أية تجربة شخصيّة مؤلمة، ولم يتعرّفوا على معنى الخوف القابع في أعماقهم، ولهذا فإنّهم يجدون في أدبهم تعويضاً عن ذلك في تلك الشخصيات والأحداث والمناسبات التي يتضمنها أدبهم.

سابعاً: وظيفة الإمتاع والتسلية:

إنّ هذه الوظيفة ترتبط بكل الوظائف السابقة، بل هي مكّمة لها، فهي تتعلّق بأمر مهم أيضاً هو عنصر التشويق والإثارة، فلو أنّ الطفل لم يشعر بالمتعة والسعادة فيما يقرؤه لما استمر في المتابعة، ولما أمكن أن يحقّق الأدب هدفه.

وهذا ما يؤكده (الحقيل) في دراسته عن أهمية التسلية والترفيه في أدب الطفل، حين قال: "لا بدّ أن يكون هذا الدور داخلياً في الأدوار السابقة؛ لأنّ الطفل يحب التسلية والترفيه ويميل من الجد؛ فعندما نقدّم له العقيدة والتعليم والتربية عن طريق الترفيه فلا بدّ أنه سيُقبل عليها وتتغرس في ذهنه أكثر مما لو كانت خالية من التسلية والترفيه"⁽¹⁾.

لكنّه يعود ويحدّر من طلب التسلية والترفيه للطفل دون ربطها بالوظائف الأخرى؛ لأنّ الوظائف هي الأساس، والتسلية والترفيه هي الوسيلة، ويشير إلى واقعنا حينما صرفنا أطفالنا نحو التسلية؛ فكثير من آداب الطفل كان القصد منها التسلية والترفيه، لذلك غرست في نفوسهم أحياناً ما يصادم الدين والأخلاق؛ وهذا يؤكّد أنه لا يوجد أدب ترفيهي منعزل عن الأهداف الأخرى⁽²⁾.

لكن التّرفيه بمعناه الواسع لا يتعارض مع الجديّة، فقد يقرأ الطفل أو يستمع لقصة دينيّة أو تاريخيّة جادّة، ومع ذلك يشعر معها بمنتهى السعادة والاستمتاع، وهذا ما تُصد به أن تواكب المتعة والترفيه جميع الوظائف الأخرى حتى ما نراه جديّاً، في حين قد يقرأ الطفل قصةً قصد بها كاتّبها الترفيه والتسلية، لكن الطفل ينفر منها ولا يجد فيها ما يمتع لسبب أو لآخر!

(1) لمحات في أدب الطفل، إبراهيم بن سعد الحقيل: <https://saaid.net/tarbiah/32.htm>

(2) ينظر: لمحات في أدب الطفل، إبراهيم بن سعد الحقيل، المرجع السابق: <https://saaid.net/tarbiah/32.htm>

وفي هذا المقام ينبغي ألا ننسى أنّ ظروف كثيرٍ من أطفالنا القاسية أفقدتهم مظاهر البهجة والسعادة، وقد يجد أولئك الأطفال في الأدب شيئاً من البهجة، بل إن بعض الخبراء يرى في الأدب علاجاً نفسياً لبعض الأمراض التي يعاني منها بعض الأطفال، بسبب أخطائنا في تربيتهم ورعايتهم، سواء أكانت تلك الأخطاء عن جهل أو تعمُد، أو نتيجة ظروف عامة يعيشها المجتمع كالحروب وعدم الاستقرار كما هو الحال في كثير من مجتمعاتنا العربية.

ومن شأن الأدب أن ينقل الطفل من حالة إلى حالة أخرى، كأن ينقله من حالة فراغ إلى حالة انشغال، أو ينقله من حالة كسل إلى حالة نشاط عن طريق إمتاعه وتسليته، وإدخاله في فضاءات مثيرة معاشياً شخصياتها، فينفع بانفعالاتها ويتجاوب مع ما يحدث لها ويواكب تطورها، ويحزن لأحزانها ويسعد لسعادتها، ويشعر بالفخر عندما ينتصر الخير على الشر في حالة وجود صراع بينهما، يضحك من قلبه عند سماع النواذر والمواقف الفكاهية، وترقص جميع حواسه عند سماعه قصيدة أو نشيداً⁽¹⁾.

لذا فإنّ وظيفة الإمتاع والتسلية والترفيه التي يؤديها الأدب للطفل من أهم الوظائف، لأنّ الوظائف الأخرى تعبر من خلالها إلى عقل الطفل ووجدانه، وكان الأجدر أن تكون هذه الوظيفة في المرتبة الأولى، فهي على رأس كل الوظائف، ومن خلالها يستدرج الكاتب الطفل ليتقبّل النص، وبواسطتها يحقق الهدف المرجو من الأهداف السابقة، وإنّ تأخيرها إلى خاتمة الوظائف أو الأهداف سابقة الذكر لا يقلل من أهميتها⁽²⁾.

إنّ الطفل يميل - فطرياً - إلى كل ما يبعث في نفسه السعادة، والأدب باعتباره سبباً من أسباب هذه السعادة، كفيل بأن يضمن السعادة للطفل، وأن تستمر معه في الغالب لفترة غير قصيرة، وذلك لأنّ الأدب يحقّق رغبة الطفل في اللعب والحركة وإصدار أصوات يحبها وتتغيم كلمات العمل الأدبي، كما يجيب عن استفساراته وأسئلته التي تحيره، ويخرجه من دائرة الممنوعات المحيطة به من قبل الأسرة من أجل المحافظة على بعض الأمور كالنظافة والنظام والهدوء وغيرها، إلى دوائر من

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا .. في النصف الثاني من القرن، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 78_79.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 79.

المسموحات مثل شقاوة بعض الشخصيات التي ترضيه كثيراً، ويجد فيها متنفساً عن انفعالات مكبوتة في صدره، فتصفو نفسه، ويعود إلى هدوئه، ويشعر بسعادة غامرة⁽¹⁾.

ولكي يقوم أدب الأطفال بوظيفته التي تتناسب مع الغاية المرجوة لا بد أن يتَّسم بالخصائص والميزات التالية:

1. أن يشكّل جزءاً من العملية التربوية.
2. أن يتضمن المعرفة العلمية بالطفولة عامة، وبالعالمها السيكولوجي خاصة لتكامل تلك المعرفة مع العملية التربوية؛ لأنّ ذلك ضرورة لإبداع أدب أطفال.
3. أن تتكامل في أدب الأطفال الإحاطة بالشروط الثقافية والاجتماعية والسياسية العامة السائدة في المجتمع مع المعرفة العلمية بعالم الطفولة.
4. أن يحقق أدب الأطفال توازناً دقيقاً بين تنمية الحياة الانفعالية للطفل، وبين حياته الفاعلة. فلا يستثمر الجانب الانفعالي على حساب الحياة الفاعلة والعقلية.
5. ألا يتعارض التعبير بالصورة في أدب الأطفال مع مهمته التربوية، ولا مع الحياة الواقعية ومعطياتها⁽²⁾.
6. أن يمتلك أدب الأطفال عناصر التشويق والإثارة المناسبة التي تستدعي استجابات إيجابية من المتلقّي، تجعله قادراً على تحريك دوافع الطفل وتوجيهه إيجابياً، خاصة ما تعلق منها بتحقيق حاجاته⁽³⁾.

(1) ينظر: الطفل وأدب الطفل، د. هدى محمد قناوي، مرجع سابق، ص 29 _ 30 _ 31.
(2) ينظر: تطوير أدب الأطفال، جلال فاروق الشريف، الموقف الأدبي، العدد 95، 1979، ص 7: نقلاً عن: القصة الطفولية في سورية دراسة تحليلية للقيم التربوية، عيسى الشماس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص 32.
(3) ينظر: كيف نعتى بالطفل وأدبه، إسماعيل الملحم، دار علاء الدين، دمشق، ط 1، 1994 م، ص 28: نقلاً عن: مدخل إلى أدب الأطفال، محمد السيد حلاوة، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2003، ص 50-51، كما ينظر: سيمياء القصص للأطفال في الجزائر الفترة ما بين 1980 - 2000 نموذجاً، رسالة دكتوراه منشورة، يحيى عبد السلام، جامعة

المبحث الثَّاني

نشأة أدب الأطفال في ليبيا

فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2011، ص 24. وأيضاً ينظر: قصص الأطفال ومسرحهم، محمد حسن عبد الله، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 89 - 90.

إنَّ البداية الجادَّة لثقافة الطفل في ليبيا، والاهتمام به في صورة الجنس الأدبي المعروف، لم تظهر إلا مع بداية عقد السبعينيات من القرن الماضي، فقد تشكَّل الخطاب الموجَّه للطفل تالياً للخطاب الأدبي العربي، وقد تبلورت أجناس الكتابة الأدبيَّة الموجَّهة للطفل في ليبيا في ثلاثة أنماط، وهي: القصة، والمسرح والشعر⁽¹⁾.

وقد حظيت القصة بالنَّصيب الأكبر من اهتمام الكاتب الليبي ليأتي بعدها فن المسرح بنوعيه: (المسرح المدرسي، ومسرح الطفل)⁽²⁾.

أولاً: القصة:

اتكأت قصص الأطفال وحكاياتهم في ليبيا في نشأتها على الموروث الشعبي خصوصاً في مرحلة البدايات، كما هو الحال عند سائر الثقافات والشعوب، فلا تخلو أمَّة من الأمم، أو حضارة من الحضارات من تراث أدبي جميل، وهو ما يسمَّى بالتراث الشعبي، قد يلتقي ذلك الموروث مع غيره لشعوب أخرى، لكنه حتماً يتطبَّع بطابع ذلك الشعب وتلك الأمة وثقافتها، ويختص بخصائصها، فعلى سبيل المثال هناك جحا في كل أمة، ولكن جحا العربي يختلف عن جحا التركي، بل إنه يختلف في الأمة الواحدة من عصر إلى آخر، و"عويشة بنت الحوَّات"^(*) في الأدب الشعبي الليبي تلتقي في الخطوط العامة مع رائعة (سندريلا)^(**) ولكن بخصوصيَّة وتفصيل تختلف وهذا ما تؤكِّده "هنرييت

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2006، ط 1، ص 118.

(2) ينظر: مسرح الأطفال في ليبيا، عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 81.

(*) ينظر: خرايف ليبية، أحمد يوسف عقيلة، "عويشة بنت الحوَّات، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 41.

(**) من روائع القصص العالمية، من تأليف رائد أدب الأطفال في فرنسا "شارل بيرو".

سكسك" في مقدمة كتابها "يا حزاركم" حين ذكرت بأن: "القصة الشعبية نشأت مع الشعوب المختلفة، وترعرعت بين ظهرانيها، واقتبست حيوية أفرادها، تشابهت تشابه الإنسان في طباعه البشرية، واختلفت في الوقت ذاته اختلاف العناصر التي تميز الأمة الواحدة عن الأخرى تشابهت واختلفت كما أنها تنقلت من محيط إلى آخر بسبب تعاقب الحروب وتنقل الناس من رواة وغيرهم"⁽¹⁾ ويؤكد كثير من الباحثين على ضرورة الاستفادة من المخزون الشعبي مستقبلاً، مثلما كان في الماضي حيث إنَّ "التراث الشعبي كان ولا يزال هو الدعامة الأولى والكبرى لأدب الأطفال، وهو يمثل جميع الأطوار والمراحل الثقافية التي سارت فيها المجتمعات والشعوب على اختلاف بيئاتها وظروفها"⁽²⁾.

ومن القصص الشعبية في ليبيا ما كان متداولاً بين أهالي الصحراء، حيث جمع بعضها "محمد سعيد القشاط" في كتابه (من القصص الشعبي في الصحراء سنة 1996)، لغرض حفظها من الاندثار والزوال.

وكثير من الناس يتأسفون على انقراض عادة رواية القصص والحكايات الشعبية على الأطفال بحكم تغيير واقع الحياة وظروفها في مجتمعاتنا العربية، ولكن الأفضل من الأسف هو العمل على توعية القائمين على شؤون الطفل بأهمية رواية القصص لهم خصوصاً قبل النوم - في المراحل العمرية الأولى - بطريقة واعية مدروسة برفقة كتاب يناسب الطفل شكلاً وموضوعاً، كما هو الحال عند المجتمعات التي سبقتنا في هذا المجال، وهذا ما ذكرته (فريدة المصري) في المقام نفسه! بمعنى إعادة هذه العادة التي كانت تقتضيها ظروف معينة بشكل عصري، حيث أصبح بالإمكان توفير الكتاب المناسب لأطفالنا، حسب المراحل العمرية، ووفق المعايير المناسبة لاختيار تلك القصص⁽³⁾.

(1) يا حزاركم (مجموعة من القصص الشعبي الليبي)، هنرييت سكسك فراج، طرابلس، دار الفرجاني، ط 2، 1991، ص 14.

(2) التراث الشعبي وأدب الأطفال بتصريف، د. عبد الحميد يونس، الحلقة الدراسية حول "مسرح الطفل"، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 161، نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 19.

(3) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 22.

إنَّ وجود الكتاب المناسب في واقع الطفل يعزِّز لديه حب القراءة، والتعوُّد عليها، فينشأ الطفل محباً للقراءة والاطلاع، وهذا من أهم أهداف أدب الأطفال، وهو بطبيعة الحال لم يكن ممكناً في العهود السابقة.

غير أنَّ التراث القصصي به الكثير من المحاذير التي يجب التنبُّه إليها، فهي رغم ارتباطها بالذكريات الطفوليَّة الجميلة، وذلك الجو الفطري الساذج - لمن عاصر هذه العادة - فإنَّ فيها كثيراً من المضامين التي لا تتناسب وروح هذا العصر، وتثير كثيراً من الجدل، فبعض هذه الحكايات تثير الخوف والرعب في نفوس الأطفال، فالنظرة إلى الطفل تغيَّرت كثيراً، مع تطوُّر علم نفس الأطفال، فهو ليس مجرد رجل صغير، فطفل الثالثة - مثلاً - إذا استمع إلى حكايات تثير الخوف كحكايات الجن والغاريت فهو حتماً سينعكس سلباً على نفسيته، وربما على شخصيته مستقبلاً، بل إنَّ بعض الباحثين⁽¹⁾ يرى أنَّ في كلمات مثل (كان ياما كان .. في قديم الزمان .. وسالف العصر والأوان) خطورة كبيرة جداً، لو دقَّق في بنيتها ودلالاتها للأسباب الآتية:-

1. إنَّ إجراء من هذا النوع، من شأنه خلق ذهنيَّة حكائيَّة، يكون الماضي ممؤلها النفسي والعقلي أو المعرفي - فهذه الكلمات لا تشد انتباه الطفل، بقدر ما تشكِّل فيه وعياً حكائيّاً، يربطه بالماضي سلبياً.
2. كما أنَّ بناء الوعي بهذا الشكل، من شأنه جعل مستقبله ماضياً، فالمثل الأعلى هو في الماضي، حيث يتم التأكيد عليه، من خلال العبرة التي تتضمنها الحكاية.
3. كذلك الخطورة في صياغات من هذا النوع، هو أنَّ الطفل الذي يعيش طفولة مشوَّهة، أو ناقصة، أو مرقَّعة، يتم انشداده أو شدُّه إلى عالم الحكاية، وكأنَّه يعوض عن هذا العالم المشوَّه الذي يعيش فيه. فالحكاية لا تثيره جماليّاً، ولا تشحنه بالمتعة النفسيَّة، بقدر ما تثبت فيه وهماً، وهم التواصل مع الواقع في سلبيته، وكأنَّه ليس كذلك.
4. ومفهوم الحكاية في طابعه الإلقائي، يعبِّر عن طابع مكتبي وصائي، والطفل يقوم بدور المتلقِّي، وراوي الحكاية هو الموجَّه للطفل، والناقل والفاعل، أما الطفل فمنفعل في سماعه!.

(1) ينظر: ثقافة الطفل واقع وآفاق، إبراهيم محمود وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريان 1997، ط 2، ص 147.

ويُظهر بعض الباحثين حماسهم لقصص الخيال، والحكايات الشعبيّة، حيث تذكر (فريدة المصري) أنّ أدب الأطفال لم يتخلّ عن جذوره التي خرج منها، رغم محاولة عقلنة الفكر الحديث، وتستدل على ذلك بالترحيب الكبير والرواج منقطع النظير الذي لاقته رواية "هاري بوتر" لمؤلفتها الإنجليزية ج. ك. رولينغ التي حادت عن طريق الروايات الحديثة التي تتسم بالخيال العلمي لتظهر عالم السحر الذي تدور حوله أحداث روايتها المؤلفة من سبعة أجزاء إلى الآن صدرت في السنوات الماضية، وتمّت ترجمتها إلى العربية، وقد تحوّلت الأجزاء الثلاثة الأولى منها إلى أفلام سينمائية شهدت هي الأخرى إقبالاً شعبياً غير مسبوق من قبل الأطفال وأسرهم⁽¹⁾، مما يدل على أن بني البشر شغوفون بعوالم غير عوالمهم، ولوعون باكتناه أسرار خفيّة لا تطالها عقولهم إلا بين صفحات كتاب مثل "ألف ليلة وليلة" الذي ألهم العديد من الكتاب، آخرهم مؤلفة "هاري بوتر"⁽²⁾.

والحقيقة أنّ تلك المجتمعات الغربيّة تحاول خلق شيء من التوازن، فمنذ ظهور الآباء المؤسسين لقصص الخيال العلمي "جول فيرن" 1828-1905 م في فرنسا في القرن التاسع عشر، وتبعه "هربرت جورج ويلز" 1866-1946 م في بريطانيا، فإنّ القصص العلمي أخذت مكانها المرموق، ولها جمهورها العريض من الكبار والصغار على السواء.

فلا نستغرب احتفال تلك المجتمعات بمثل هذه القصص الخياليّة، في ظل سيادة العلم والقصص العلميّة وأدب الخيال العلمي، لتتحقيق شيء من التوازن.

في حين أنّ المجتمعات العربية مع انتشار الأميّة والتخلّف الاجتماعي، وسيادة الخرافة فيها، بحاجة كبيرة لإدخال شيء من العلميّة والعقلنة لفكرنا، لخلق شيء من "المواءمة بين الإنسانية والأخلاقية والروحية وبين التقدم العلمي، والتكنولوجي وأشكال الحياة الماديّة الجديدة"⁽³⁾.

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، 89.

(2) ينظر: هاري بوتر والحنين إلى القديم، مقالات أدبية، بتاريخ 4/6، 1425 هجرية، www.Adabatfal.

(3) أدب الخيال العلمي في تلفزيون الأطفال العرب، عماد زكي، المؤتمر الثامن عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، عمان، 12 - 19 كانون الأول 1992: نقلاً عن: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، دار المسيرة، عمان، 2006، ط 1، ص 316.

ويرفض بعض النقاد مثل هذه القصص الخرافية ويرى أنها تتعارض مع الأهداف الاجتماعية التي نجدها ضرورية في مجتمعاتنا العربية المسلمة؛ لأنها لا تتناسب وروح العصر الذي نعيش فيه، إذا استثنينا بعض القصص الكلاسيكية مثل سندريلا وغيرها⁽¹⁾.

وفي هذا الشأن يذكر "نهاد شريف": "أنه إذا كانت للغرب ثقافته الجديدة الآخذة مسيرة التطور في جموح وخروج متصل عن المألوف، كما أن للشرق عامة ثقافته الخاصة به والأقل جموحاً والأصلب على مقاومة التيارات غير المنضبطة، فإننا _ نحن المسلمين _ لنا في ثقافتنا الإسلامية خير ضابط وسط موجات المد العلمي وتطبيقاته التقنية التي يغلب على بعضها المبالغة والشطط أحياناً"⁽²⁾.

ولقد أدرك بعض الكتاب العرب _ وهم قلة مقارنة بغيرهم، بأهمية ذلك فأسهموا في تزويد الطفل العربي بالقصص العلمية، أو قصص الخيال العلمي^(*) على رأسهم "نهاد شريف" في مصر، و"طالب عمران" في سوريا.

دور الصحافة في ليبيا في التمهيد لقصص الأطفال:

أسهمت الصحافة في ليبيا - منذ نشأتها سنة 1866 م، على "يد أمين أفندي خوجة" الذي أصدر صحيفة (طرابلس الغرب) - بالاهتمام بشؤون الطفل في ليبيا، مع تعثرها بسبب ظروف الاستعمار⁽³⁾، حيث نُشرت المقالات التي كانت في مجملها تولي اهتماماً بالأمر المعرفية والعلمية كما هو الحال مع (فنون) التي صدرت 1898 م، على يد (العالم محمد داود)، التي كانت تعنى بالمقالات العلمية، وقد

(1) ينظر: ثقافة الأطفال واقع وطموح، سعيد أحمد حسن، مؤسسة المعارف، بيروت، ط 1، 1995، ص 124.

(2) العطاء العربي لأدب الخيال العلمي، نهاد شريف، مجلة الخيال العلمي، (مجلة علمية ثقافية شهرية، تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية)، ع 12، ص 11: www.moc.gov.sy

(*) تناول التقدم العلمي ومنجزات التقنية وتطورها الصالح منها والضار من خلال أحداث درامية: "ينظر: مجلة الخيال

العلمي، مرجع سابق، سوريا، نهاد شريف، أكثر الألوان إثارة، ع 1، ص 13: www.moc.gov.sy

(3) ينظر: بدايات الصحافة الليبية، عبد العزيز الصويحي، مصراتة، الدار الجماهيرية، ط 1، 1989، ص 102 -

خصصت فصولاً لنشر الدروس الأوليّة وشرح بعض المبادئ العلمية للناشئة⁽¹⁾، كما صدرت بعض الكتب التعليمية الموجهة للأطفال، مثل: "كتاب درر الاقتباس في تاريخ الأنبياء والإسلام" لـ(مصطفى ذهني الكعباري)، سنة 1921 م في مطبعة الترقّي، وكتاب: "السفر الأدبي في الرسم العربي لـ"محمد علي المجرب"، سنة 1920، وكتاب: "الدروس الأساسية للناشئة المدرسية وتلقين الصبيان (للشيخ علي سيالة)، وهو في ثلاثة أجزاء سنة 1924 م⁽²⁾، وكتاب: "كتاب تلقين الصبيان" سنة 1344 هجرية⁽³⁾.

وعند التمعّن فيما أصدرته الصحافة في بداياتها، يلاحظ أنّها تهدف لتحقيق غرضين، أولهما: تعليم التلاميذ مساعدتهم على استيعاب الدروس بطريقة محببة، ثانيهما: المساهمة في نشر الوعي بين الناس بالاهتمام بالناشئة، حيث رأت فيهم الركيزة لإصلاح حال البلاد، والتخلص من الاستعمار وإنقاذ الوطن، الذي كان يعاني آنذاك من شتى أنواع التخلف والتردي⁽⁴⁾.

وفي الخمسينيات - أي مع حصول ليبيا على استقلالها - ازداد الاهتمام بالطفل في الصحف والمجلات، حيث نشرت كثير من المقالات التي تسهم بتوعية الناس بالأطفال، وبعض هذه الصحف خصصت مقالات عن الطفل، في نواح مختلفة (نفسية واجتماعية وسلوكية ... وغيرها)⁽⁵⁾، كما هو الحال بصحيفة "ليبيا" التي نشرت عدة مقالات تعنى بشأن الطفل، ومن بين هذه المقالات مقال بعنوان (الطفل والطبيعة) حيث يدعو صاحب هذا المقال من بين ما يدعو إليه إلى ضرورة سرد القصص على الأطفال في قوله: "نعم إنه حسن أن نخبر الأطفال بأسماء الطيور والحيوانات والنباتات التي يشاهدونها، ولكن أحسن منه أن ننير فيهم الرغبة في تفهم حياتها العجيبة التي تختلف عن حياته هو،

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 108.

(2) ينظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين، طرابلس، دار الكتب، أمانة الإعلام والثقافة، ص 251.

(3) ينظر: الفنان .. الموسيقي .. عبد الله جمال الدين الميلادي، علي مصطفى المصراي، ص 209 - 213.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 227.

(5) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري،

مرجع سابق، ص 30.

وخير وسيلة لذلك هو أن نسرد عليهم قصصاً أبطالها الحيوانات والطيور والأشجار⁽¹⁾، حيث يرجع الفضل لهذه الصحف من خلال ما تنشره عن الأطفال وخصائصهم، ورغبتهم في زيادة الوعي بأهمية هذه الشريحة، بل الوعي بأهمية أن يكون للطفل خطابه الخاص به، الذي يسهم في نموه المعرفي والوجداني، وذلك مع تنامي الدراسات النفسية والتربوية التي سلطت اهتمامها على الطفل وحاجاته.

كما يذكر أحد الباحثين أنّ صحيفة (طرابلس الغرب) نشرت سنة 1956 م في صفحتها المخصصة للأطفال قصة بعنوان (سبب ملح البحر) وهي قصة خيالية موجهة إلى الأطفال⁽²⁾.

أمّا في فترة الستينيات فقد ازدادت وتيرة الوعي بشريحة الأطفال مع زيادة نشاط حركة الصحافة، ورغم الاهتمام بالأمور الوطنية، فإنّ الطفل أخذ نصيباً من الاهتمام، مع إدراك الكُتّاب والصحفيين أهمية هذه المرحلة من عمر الإنسان في بناء المجتمع والدولة، حيث نشرت مقالات لتوعية المربين بتجنب تعنيف الأطفال، وأن يكونوا قدوة حسنة للنشء، وأدرك الكُتّاب والمتخصصون ضرورة تعاون الأسرة والمدرسة في تربية الطفل تربية سليمة⁽³⁾، إنّ تلك الأصوات المتعالية والمنادية بالاهتمام بالطفل وبتغيير الأساليب التقليدية التي تظهر في أساليب تربيته والتعامل معه، واتباع أساليب التربية الحديثة، وفق ما ينادي به علماء النفس والاجتماع، تبيّن أنّ هناك تأثراً واضحاً بالتغير الثقافي في هذا الشأن بمن حولنا، ربما عن طريق السفر والكتب والمنشورات، إضافة إلى الرحلات العلمية.

وفي منتصف الستينيات، أي بعد توحيد الولايات الثلاث، نادى رائد كتاب القصص في ليبيا "محمد عبد الله الزكرة"^(*) بضرورة توحيد المناهج التعليمية في الولايات الثلاث، كما دعا في مقال له ضرورة

(1) ينظر: صحيفة ليبيا، ع 10، س 2، مارس 1953، ص 19: نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني

من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 30.

(2) ينظر: الصحافة الأدبية في ليبيا، الطيب سالم الشريف، ط 1، ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2000، ص 938.

(3) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 32.

(*) هو أول من أصدر قصة للأطفال في ليبيا، كما سنرى لاحقاً.

تطوير التعليم في الجامعات والكليات، وكذلك دعا إلى وجوب انتشار المدارس في جميع المدن والقرى الليبية⁽¹⁾.

ففي هذه الفترة ركز التربويون جهودهم على تعليم الأبناء وتربيتهم، كما كانت هناك دعوات للاهتمام بثقافة الأطفال، وتوجيههم نحو القراءة، خاصة قراءة القصص السهلة، مع عدم توفر كتب خاصة بالأطفال في تلك الفترة، وكان الاعتماد على ما جاء من كتب وقصص من مصر بشكل خاص، وقد زودت بها المكتبات، وهي بطبيعة الحال لا تكفي عدد الأطفال في ليبيا، وغير متيسرة للجميع⁽²⁾.

وفي هذه الفترة ازدادت دعوات الكتّاب إلى ضرورة توجيه الأطفال نحو القراءة، يوضح (محمد بشير عقيلة) في مقال له إن خير وسيلة لاستدراج الطفل إلى الكتاب هي القصة المناسبة له، فيقول: "إننا نستطيع جعل القراءة عادةً، وذلك بغيرها في نفوس الأطفال والناشئين بتوجيه مطالعتهم وتركهم يقرءون بادئ الأمر بعض القصص السهلة ثم نتدرج بهم إلى حيث يشبّون وحب القراءة والاطلاع عادة متصلة في نفوسهم"⁽³⁾(*).

غير أنّ هذه الدعوات تصطدم دائماً بالواقع المرير الذي كانت تعاني منه الدولة الليبية آنذاك، متمثلاً في نسبة الأمية التي وصلت في هذه الفترة إلى أعلى مستوياتها، في جميع المستويات العمرية، فقد ذُكر أنّ نسبة الأمية سنة 1964 م، ما بين سن السابعة وما فوق 73.4%⁽⁴⁾، وتذكر (أسماء

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 33.

(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 33.

(3) محمد بشير عقيلة، طرابلس الغرب، ع 2 أكتوبر 1966، ص 6: نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 34.

(*) لم تذكر د. فريدة الأمين المصري عنوان المقال واكتفت بنقل جزء منه حرفياً.

(4) ينظر: بلدية طرابلس في مائة عام، إعداد مجموعة من المؤلفين، طرابلس، دار الطباعة الحديثة، 1971، ص 687: نقلاً عن: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا "1921-2005" أسماء مصطفى الأسطى، مجلس الثقافة العام، 2006، ص 107-108.

الأسطى) بأن ذلك هو سبب عدم الانتباه إلى ضرورة صدور كتب ثقافية للأطفال؛ قبل ظهور طفرة النفط، وانتعاش الحياة الاقتصادية في البلاد⁽¹⁾.

ولتترجم هذه الدعوات إلى عمل ملموس شهدت هذه الفترة ظهور عدد من الدوريات الموجّهة للأطفال وهي: مجلة "الطفل" سنة 1961 م، ثم مجلة "الجبل الصاعد" سنة 1962 م، كما صدرت سنة 1965 م مجلة (الليبي الصغير) وقد صدرت عن مجلة ليبيا الحديثة⁽²⁾، كما ارتبط هذا التاريخ بظهور صفحة (حلقة الأشبال) التي كانت تصدر ضمن مجلة (جيل ورسالة)، تتضمن قصصاً موجهة إلى الأطفال في الحركة الكشفية⁽³⁾، وكل هذه الدوريات توقفت عن الصدور منذ فترة طويلة.

وتواترت في هذه الفترة المقالات التي جعلت من الطفل وتربيته وتنقيفه محوراً، وكان من نتيجة هذه الدعوات المنادية بتنقيف الطفل وتنمية عادة القراءة لديه، انتشار المكتبات المدرسية، رغم إن أول مكتبة مدرسية في ليبيا أنشئت سنة 1770 م على يد "مصطفى الكاتب بن قاسم المصري في مدرسته"⁽⁴⁾، كما تأسست مكتبة الجغبوب في شرق ليبيا وهي مكتبة ضخمة في منتصف القرن التاسع عشر⁽⁵⁾، وبطبيعة الحال كان لهذه المكتبات روادها ومن ثم كان لها دورها في نشر العلم والثقافة رغم محدوديتها، بسبب سياسة الاستعمار الإيطالي في التضييق لفرض الجهل والتخلف، ولكن فكرة إنشاء المكتبات في مرحلة الستينيات كان لها الأثر الكبير، وهي دليل على وعي التربويين بأهمية أن يكون للطفل كتابه المحبب لديه، وعدم الاكتفاء بالكتاب المدرسي.

وترجع بداية تأسيس المكتبات المدرسية بشكل رسمي إلى سنة 1944_1945 م، حين حاولت نظارة المعارف في (برقة سابقاً) تكوين نواة المكتبة المدرسية في المدارس حيث عملت على إمدادها

(1) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا "1921-2005" أسماء مصطفى الأسطى، مجلس الثقافة العام، 2006، ص 107.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 173-174.

(3) أدب الطفل في ليبيا 1970-2000، سالم امحمد العواسي، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 27.

(4) ينظر: المكتبات المدرسية في الجماهيرية، د.ميرورة عمر محيريق، طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1985، ص 51.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص 56.

بعدد من الكتب التربوية وقصص الأطفال، غير أنّ الفكرة لم تتجح، أمّا في سنة 1955 م فقد أُنشئت مكتبتان عامتان في بنغازي وفي المرج، وكلاهما يحتوي على قسم خاص بالأطفال⁽¹⁾.

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة، يمكننا أن نعد فترة الستينيات من القرن العشرين بداية الصحة بعالم الطفل، خاصة في الجوانب التربوية والتنقيفية، وقد شُغلت بها الصحافة، وبعض رجال التربية، وكان من نتيجة ذلك الاهتمام انتشار المكتبات المدرسية رغم محدودية الإمكانيات الاقتصادية، حيث إنّ تلك المكتبات تعتمد في معظمها على جلب الكتب من الدول المجاورة.

"ومع مطلع السبعينيات من القرن العشرين زاد عدد المكتبات، وانفصلت المكتبات المدرسية عن المكتبات العامة، وصارت لكل مدرسة مكتبة خاصة بها"⁽²⁾.

وفي ظل تلك النهضة التعليمية والصحة الفكرية والأجواء الثقافية بدأ أدب الأطفال يتنافس على يد بعض الكتاب والشعراء الذين شرعوا يؤلفون القصص والأناشيد للأطفال، خاصة مع انتشار المجلات الخاصة بالأطفال، وتخصيص برامج إذاعية لهم، ومع التحسّن الاقتصادي للدولة، وانتشار المطابع ودور النشر، ازدادت المطبوعات التي كان للطفل فيها نصيب، وكان للكُتّاب والأدباء دور التوجه له بخطاب يخاطب وجدانه⁽³⁾.

ومن أهم المطبوعات التي كان لها دور كبير في إتاحة الفرصة للكُتّاب بالتوجّه للأطفال بالكتابة والنشر "مجلة الأمل"، يقول يوسف الشريف في مقاله: "مجلة الأمل الريادة في الزّمن الصّعب": "سنة 1974 أصدرت السيدة (خديجة الجهمي) المربية والصحافية والإذاعية والناشطة في حقوق المرأة 1921 _ 1996 م (مجلة الأمل) بعد (مجلة الأسرة والمجتمع)، وقد استقبلت الأوساط الأدبية ميلاد الأمل بترحيب كبير وأيضاً بخوف كبير إذ أنّ المشهد الصحفي في ذلك الزمن لم يكن ينبئ بأي إمكانية لنجاح أي مشروع صحفي جاد إضافةً إلى خلو الفضاء الأدبي من كتب الأطفال والرسامين والمخرجين والمصورين الذين يمكن أن تهتدي بهم الأمل في مشروعها، إلا أنّ طموح السيدة خديجة

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 37.

(2) ينظر: المكتبات المدرسية في الجماهيرية، د.مبروكة عمر محيريق، مرجع سابق، ص 37.

(3) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 37.

عزّز خروج المجلة إلى النور، وكنّا نحن أصدقائها أو "أولادها" أول من وقف معها وكنتُ من هؤلاء الأولاد إضافة إلى الأستاذ (عبد الله القويري) والأستاذ (كامل عراب) وآخرون، وعندما صدر العدد الأول كانت الفرحة طاغية، قامت المجلة بكل مسؤولياتها بعقول ليبية الرسام والكاتب والمصور والمخرج والمصحح، ثم سنة بعد أخرى أخذت هويتها الليبية تتحدّد عبر أقلام ليبية عديدة ساهمت في تعزيز وجود قصة طفلية حقيقية⁽¹⁾.

كما يذكر الشريف في مقاله المذكور أنفاً تقييمه الشخصي لهذه المجلة الرائدة التي وجد فيها وغيره من الكتّاب والشعراء فرصتهم للكتابة والإبداع الخاص بالقراء الصغار:
ما للأمل وما عليها⁽²⁾:

1. صارت مدرسة تخرّج منها كتّاب ومخرجون ومصورون.
 2. التزمت بخطابها الأدبي الموجّه للأطفال رغم ضغط التوجيه السياسي.
 3. اعتمدت للقيام بمسئوليتها بالكفاءات الليبية ممّا أعطاهما جدارة بأنّها ليبية المظهر والمحتوى خلاف مجلات الأطفال الأخرى التي لا نجد فيها من جنسيتها إلا اسم الدولة التي تصدرها وتنفق على نشاطها.
 4. تعتبر مؤهلة لتكون موضوعاً لأية أطروحة ماجستير أو دكتوراه.
- وما على الأمل:

1. لم تطور مخرجها ومصوريها في مجال التدريب في مؤسسات صحفية خارجية.

(1) دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث"، مجلة الأمل الريادة في الزمن الصعب"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط 1، 2018، ص 98.

(2) دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث"، مجلة الأمل الريادة في الزمن الصعب"، يوسف الشريف مرجع سابق، ص 98 _ 99.

2. استكانت إلى بنيتها الفنية التي بدأت بها ولم تعمل على تطوير عقليتها حتى بالمتاح لها في الموارد البشرية أو الفنية.

3. لم تخلق جسراً للتواصل مع المؤسسات الشبيهة ولو للتعارف أو الاشتراك في مطبوعاتها والتي كانت على درجة عالية من الرقي.

ومن هنا يتضح لنا أنّ أدب الأطفال في ليبيا بما فيها القصة، بدأ انطلاقته في صحافة الكبار، وإنّ العقود السابقة لظهور أدب الأطفال بشكله الحقيقي، الذي - كما سيتضح لاحقاً - كانت فيه الريادة للقصة على يد (محمد الزكرة)، هي تمهيد تدريجي للوعي بأهمية أدب الأطفال في ليبيا، وهي فترة طويلة وبطيئة، ساهم في بطنها ظروف الاستعمار، وما تعانيه البلاد من مظاهر التخلف والفقر والامية المنتشرة في كل شرائح المجتمع، كذلك التهجير القسري للمتقنين والمصلحين الذين ناكفوا الاستعمار، كذلك الوضع الاقتصادي المتردي الذي تعاني منه الدولة الليبية الفتية آنذاك.

ثانياً: الشعر:

يرجع أول كتاب يتضمّن أناشيد للأطفال إلى سنة 1921 م من تأليف "عبد الله جمال الدين الميلادي، بعنوان (كتاب السعادة الأبدية في الحقائق الدينية والخطب الأدبية والأناشيد الوطنية)، وتشير "أسماء" إلى كتاب آخر بعنوان (سفينة الأفراح) سنة 1922 م، لكنّها لم تتحقّق من كونه للأطفال أم لا⁽¹⁾.

وقد أصدر "عبد المطلوب محمد المقوب" ديواناً بعنوان (أغنيات شعبية) صدر بينغازي، عن مطبعة عبد الله عابد، سنة 1962 م، وله أيضاً (أغاني الأطفال) صدر بينغازي، عن دار الحقيقة، سنة 1975 م⁽²⁾.

إنّ الشعر الموجّه للأطفال في ليبيا على خلاف ريادته وبدايته القويّة في مصر على يدي "جلال وشوقي" بشكل مميّز، وازدهاره في سوريا على يد "سليمان العيسى" وغيرها كان قد تأخّر ظهوره الجدّي

(1) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا " 1921-2005" أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 232.

(2) المرجع السابق، ص 233.

زمنياً، وهذا ما عبّرت عنه (فريدة المصري) في دراستها حين ذكرت: "وفي مجال الشعر يبدو أنّ شعراءنا مقصرون تجاه الطفولة على الرغم من وجود شعراء متميزين في الساحة الأدبية في ليبيا، فلم يصدر غير ديوان واحد فقط للشاعر (حسن السوسي)^(*)، وهو بعنوان: (الزهرة والعصفور) وقد صدر عن الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان سنة 1992 م⁽¹⁾، وظّف "السوسي" في ديوانه أجواء، ومضامين تتناسب أمزجة الأطفال، فجعل المقطوعات والقصائد تجري على ألسنتهم لتخاطب ذواتهم، بحيث تكون لها علاقة مباشرة بحياتهم، أو جعلها على لسان الأم، أو الشاعر نفسه، بحيث تصف البيئة، والتقاليد، والطبيعة، والكون، والمدرسة، والدين، والوطن، والعامل، والفلاح، وغير هذه الموضوعات⁽²⁾، ومن القصائد التي وردت في هذا الديوان، التي اتخذ (السوسي) من عنوانها اسماً لهذا الديوان، قصيدة (الزهرة والعصفور)⁽³⁾:

هذي الزهرة فوق الغصن

شاهد فيها معنى الحسن

لا تقطعها لا تقصفها

وانظر فيها حسن الكون

(*) حسن محمد أحمد السوسي، من مواليد 1924 م، بمنطقة الكفرة جنوب ليبيا، يكتب الشعر عامة، شاعر معاصر، أول من كتب للأطفال في ليبيا ديواناً شعرياً خاصاً بهم، وله العديد من الدواوين الشعرية يرجع تاريخ كتابتها إلى 1963 م، لكن شعر الأطفال لم يحظ منه إلا بهذا الديوان. ينظر: معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، عبد الله سالم مليطان، ج 1، ص 181.

(1) أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 41، كما ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2006، ط 1، ص 127.

(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 127.

(3) "الزهرة والعصفور"، حسن السوسي، الدار الجماهيرية، ط 1، مصراتة، 1992، ص 33.

والعصفور الـ فوق الفنِّ

لما غنى طربت أذني

لا تُفزعهُ بعد الأمن

واسمغ منه ألقى لحن

وما يؤخذ على (السوسي) أنه لم يصدر نتاجات أخر للأطفال، رغم تميُّز أشعاره التي توجَّه بها للأطفال عن غيره من الشعراء، فقد راعى فيها جملة من المعايير تجعلها الأنسب لأبنائنا من حيث الشَّكل والموضوع، فقد كُتبت باللغة الفصحى فضلاً عن الميزات الأخرى، وهذا ما جعل بعض الدراسين يعدُّون ديوان (الزهرة والعصفور) ديواناً يتيماً من بين كل الأعمال التي توجَّه بها منتجوها للأطفال، فجل تلك الأعمال كُتبت باللهجة المحكيَّة أو كانت خليطاً بين الفصحى والمحكيَّة⁽¹⁾.

وفي سنة 1995 م، صدر في بنغازي لـ(عبد اللطيف المسلاتي)^(*) ديوان شعر عنوانه: "20 قصيدة للأطفال" على أنه الجزء الأول؛ فالقصائد منتزعة من ديوان أكبر مخطوط لديه، عنوانه: "100 قصيدة للأطفال"، وقد عززت القصائد العشرون بلوحات تجريدية ملونة⁽²⁾، وقد استبعد الباحثون كونه مناسباً للأطفال، حيث يقول "عبد الحميد": "هذا باستثناء عنوان الديوان الصريح المفصح عن رغبة في مخاطبة أطفال ليبيا فإننا لا نجد في مضامين قصائده ما يناسبهم، بل نجد نزعة فلسفيَّة غامضة، قد تتفاعل أو تستوعب من عقول راشدة مستعدة للخوض في الموضوعات المدركة كالموت، والحياة،

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 127، كما ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 162، 372.

(*) من مواليد 1950/01/10 م، بمنطقة مسلاتة غرب ليبيا، يكتب الشعر، وترجمت أشعاره إلى العديد من اللغات العالمية كالفرنسية، والإسبانية، والأردية، والروسية، والمالطية، وغيرها، وله العديد من الدواوين، ولم يحظ أدب الأطفال منه بغير هذا الديوان فقط "20 قصيدة للأطفال" فقصدنا الإشارة والتنويه إليه، وقد كتب عنه العديد من النقاد من بينهم نجم الدين غالب الكيب في كتابه "جذور القومية في الشعر الليبي الحديث": ينظر: معجم الأدباء والكتَّاب الليبيين المعاصرين، عبد الله سالم مليطان، ج 1، ص 395-396.

(2) أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 129.

والولادة"⁽¹⁾، وهو الرأي نفسه لـ(سالم العواسي) الذي ذكره في دراسته⁽²⁾، كما أنّ "فريدة" لم تذكر هذا الديوان في دراستها، وقد استبعدته (أسماء الأسطى) ولم تذكره في عملها التوثيقي (ببليوغرافيا كتب الأطفال في ليبيا)، قد يكون هؤلاء الباحثون محقّين فيما ذهبوا إليه، ولكن ذلك - كما سبق أن وضحت - يبقى وثيقة تاريخية لمحاولة التوجّه بخطاب للأطفال في ليبيا، بعد عقود من الإهمال، كما أنه دليل على وعي الأدباء بأهمية ذلك، رغم إنّ ذلك الوعي يحتاج لكثير من الثقافة والتدقيق بخصوص مراحل الطفولة ورغباتهم، ليلتقي ما ينتجه الكاتب أو الشاعر مع رغبات الأطفال، ولا يكون مجرد صحيحة في واد!، وتقع على كتابنا مسؤولية مضاعفة في هذا الشأن في مجتمعنا الذي يعاني جهلاً يكاد يكون مطبقاً ليسهموا في أن يكون للطفل مكتبته الخاصة وكتابه المحبب إليه، مقارنةً بالأمم التي سبقتنا لذلك، ونورد هنا قصيدة من هذا الديوان⁽³⁾ وهي في الواقع تؤكد رأي من ذكر من الباحثين بعدم مناسبة هذا الديوان للأطفال شكلاً وموضوعاً:

وفي قصيدة "كيان"، يقول الشاعر⁽⁴⁾:

خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ،
 أَتَيْنَا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ - مِنَّا إِلَى
 حَيْثُ جُنْنَا..
 إِلَى حَيْثُ شَاءَ ..
 فَكَيْفَ جُنْنَا، وَعَلَى آيَةٍ صُورَةٍ مِنَ الْخَلْقِ كُنَّا،
 حِينَ أَتَيْنَا إِلَى هَهُنَا!؟
 أَطْفَالًا جُنْنَا - كَالشَّمْسِ - لَا مَثِيلَ، وَلَا نَظِيرَ ..
 نَكَادُ نُبْهِرَ الْأَبْصَارَ،
 حُسْنًا وَجَمَالًا ..
 رَوْعَةً وَبِهَاءً !!
 فَلَا قُبْحَ، لَا نَقْصَ
 وَلَا عَيْبَ - فِينَا - إِذْ ذَاكَ
 إِلَّا مَا كَانَ (مِنَّا) حُمَقًا،

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 128_129.

(2) ينظر: أدب الطفل في ليبيا 1970-2000، سالم امحمد العواسي، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 30.

(3) "20 قصيدة للأطفال"، عبد اللطيف المسلاتي، دار الحياة للطباعة والنشر، بنغازي، ط 1، الجزء 1، 1995 م.

(4) "20 قصيدة للأطفال"، عبد اللطيف المسلاتي، مصدر سابق، ص 74-76.

وَجَهْلًا مُرَكَّبًا ...
 فَلِنَنْظُرْ، لَا لِنَرَى - هَكَذَا - بَلْ
 لِكَيْ نُبْصِرَ ...
 مَا هُوَ - ظَاهِرٌ - مِمَّا
 هُوَ - بَاطِنٌ - شَكْلًا وَجَوْهَرًا !؟
 فَفِي كُلِّ آنٍ، مَا بَيْنَ
 كُلِّ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى ..
 لَيْسَ أَمَامَنَا سِوَى:
 مَا لَيْسَ لَنَا مِنْهُمَا، مَفْرَأً وَلَا مَهْرِيًّا !!
 حَيَاةً أَوْ مَوْتًا.
 ذَلِكَ هُوَ السُّؤَالُ:
 وَتِلْكَ هِيَ الْمَسْأَلَةُ ...
 وَلَا جَوَابَ - الْبَتَّةَ - لِمَنْ ضَيَّعَ
 فَقَدَ أَوْ أَهْمَلَ عَضْوًا أَوْ طَرْفًا
 فَأَضْحَى كَمَا مَهْمَلًا !؟ ..
 فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ،
 ذَلِكَ "الْكَيَانَ" الْحَيَّ
 مَا بَقِيَ كَامِلًا !!

وَمَا عَدَاهُ فَلَا شَيْءَ، غَيْرَ أَسْمَاءِ
 فُرِنْتُ خَطَأً ..
 كُتِبْتُ ...
 وَضَعْتُ خَطَأً
 عَلَى جُنْثٍ - هَامِدَةٍ،
 لِحَوَانٍ نَاطِقِي.

ومن بين ما صدر من دواوين للأطفال ديوان شعر لـ(عبد المطلوب محمد المقوب) بعنوان (سفينة الأحلام) صدر بينغازي في سنة 1998 م⁽¹⁾، ويُعدُّ الديوان في حكم النافذ من أدراج المكتبات⁽²⁾،

(1) ينظر: بيبليوغرافيا كتب الأطفال، أسماء الأسطى، ج 1، تسلسل 129.

(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 133.

بسبب عدم إعادة طبعه ونشره، وهو عبارة عن كتيب صغير^(*) ويتضمّن ثلاثاً وخمسين أنشودة، نظمها كلها باللهجة الليبية، ويظهر هذا في بعض عناوينها، وهذه الأناشيد هي: مجرودة النجاح _ أزهار الحديقة _ القرصاوية _ طوير الديس _ البحر _ الفار والقط _ النملة والنحلة _ شارعنا القديم _ المراجيح _ جور جبر _ غنوا لرمضان _ عيد ميلادي _ دودش - غنوا يا أطفال - الابتسامة - الدجاجة الحمرا - الأب المثالي - نور على نور - الشمعة والمعلم - ضينا شعل - نور شموعك - يا ربيع ويا ربيع - يا بلاد الخير - يا جدي - هيا نرسم - مثل أجدادك - جانا رمضان - يا مطر يا بشباشا - حلت واتحل - محلى العصفورة - يا مطر رخي رخي - ثمار الأشجار - يا كتابي - أطفال الروضة - نهر الأمل - المصور والأطفال - أم قطمبو - سفينة الأحلام - المثل العليا - حسين وزكية - أجمل تذكّار - أولاد وبنات - أرسم طريقك - هدية الأم - الطفلة والزهرة - المعلم - العصا البيضاء - الحرية - النظافة - ليلة الميلود - أمنية إنسانية - بونا الغايب⁽¹⁾.

وحرص (المقوّب) على صياغة بعض أعماله الشعريّة الموجّهة للأطفال بما يُعرف في الشعر الشعبي بمصطلح المجرودة، حتى إنّه أطلق عليها: (مجرودة النجاح)⁽²⁾ والتي يقول فيها:

مرحبتين أهلاً جيتينا / فرحناك وفرحتينا

/هنيئاك وهنيئينا / نحنا وانت م الناجحين

نجحنا في كل امتحان / تهنى خاطرنا واطمان

/قرايينا وكل الجيران / اليوم فراحا مبسوطين

مبسوطين اللي نجحنا / تعبنا والمولى ريحنا

/جدينا واليوم ارتحنا / بالترتيب لول فايزين

انفوزوا ديمة باستمرار / ما فينا واحد محتار

(*) يبدو أنّ الشاعر كتبه للإذاعة، فقد تمّ إنتاج بعض أناشيد هذا الديوان فنياً في الإذاعة.

(1) ينظر: ديوان (سفينة الأحلام)، عبد المطلوب محمد المقوب، 1998 م.

(2) ديوان (سفينة الأحلام)، عبد المطلوب محمد المقوب، مصدر سابق، ص 4.

دوم عصارى ومتملذين/ بقرائتنا مهتمين

مهتمين بالواجب ديمة / شلنا م خاطر تخمينا

وقد تمّ تقديم بعض هذه الأناشيد في الإذاعة الليبية منذ السبعينيات، مثل أنشودة (حسين وزكية) ولا تزال تقدّم ولها صدى كبير لدى الكبار والصغار، ويقول فيها:

"هات الشنطة تعال وريني إيش خذيت اليوم يا حسين

عارفك شاطر وتهنيني ديمة مذاكر درسك زين

أنا أستاذي معجب بيا دوم يا باتي يهني فيا

وما في حصة تفوت عليا وماني كيف الكسلانين

نا ديمة هكي نبيك بين أصحابي نفخر بيك

يا حسونة ربي يخليك ديمة الأول في الناجحين

شوف يا باتي كراساتي دوم بنكتب واجباتي

وانذاكر فيها ليلاتي حتى نا كيف خويا حسين

ألف براوة يا زكية شاطرة يا بنتي وذكية

ولا راك تعزي عليا إن شاء الله ديمة م الفايزين

بالعلم اهتموا يا أطفالي جدوا واجتهدوا يا عيالي

انتوا يا أملنا الغالي إن شاء الله ديمة منصورين"⁽¹⁾

وفي فترات لاحقة تمّ تقديم بعض الأغاني الأخرى للإذاعة، منها: "شارعنا القديم"، و"هيا نرسم.. وغيرها.

كما أصدر ديوانه (جسر الأحلام)⁽¹⁾، نشر اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، إدارة الكتاب والنشر، سنة 2007 م، ويتضمّن ثمان وستين أنشودة، هي: "رجل الغد - ورقة وقلم - حلوة الشجرة -

(1) ديوان (سفينة الأحلام)، عبد المطلوب محمد المقوب مصدر سابق، ص 43.

إعجابي - شبل وزهرة - الكتاب - حنية بونا - يا حبر - الجواهر - العنوان - كل شيء - حلم الغد - فضل المرّي - النملة - أشبال زهرات - علبة ألوان - الخيمة الكشفية - التعاون - قطي - العلم - يا ريت - يا مطر رَحِّي رَحِّي - رحلة الأرناب - عندي أرناب - تساؤل - بالخط العربي - الجرس - كنتوتي - يا مطر يا عمتنا - الشمسية - الزهرة الرّمز - أم بسيسي - النقيزة - عمي محسن - عمي حمدان - غنّوا للعيد - بشرى - القنديل - أمنية إنسانية - الخصرة - أم طويري - باقة حلوة - جسر الأحلام - يا شمس يا شموسة - خروفي - رسمة أنوار - مجرودة الاحتفال - رسمة هديل - طوير يغني - الحفيد والنخلة".

وكديوانه السابق جل الأناشيد التي تضمنها هذا الديوان كتبها باللهجة المحلية، باستثناء أربعة أناشيد، هي: "رجل الغد - أشبال وزهرات - عندي أرناب - خروفي"، ومثال على ذلك أنشودة "عندي أرناب"⁽²⁾:

عندي أرناب

يقرأ ويكتب

أرناب أصفر

مثل العنبر

حلو المنظر

يجري ويلعب

بشدة حرصه

يكتب درسه

هو بنفسه

يغدّ ويحسب

(1) ينظر: جسر الأحلام، عبد المطلوب امحمد المقوب، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، طرابلس، ط 1، 2007 م.

(2) ينظر: جسر الأحلام، عبد المطلوب امحمد المقوب، مصدر سابق، ص 15.

يرسم صورة

ع السبورة

يلعب كرة

يهز الملعب

كما تضمّن بعض الأناشيد التي سبق نشرها في ديوانه السابق: مثال: أنشودة "يا مطر رحّي رحّي"⁽¹⁾ مع تغيير طفيف وبعض هذه الأناشيد من أغاني الأطفال التراثية مع بعض التحوير، مثل: "القنديل"، و "يا شمس يا شمس" ⁽²⁾، يقول في نشيد "القنديل"⁽³⁾:

هذا قنديل وقنديل

يشعل في ظلمات الليل

قنديل محلاه يقول

فاطمة بنت الرسول

والشمعة تضوي بالحيل

هذا قنديلك يا حوا

نوّارك فتّح من توّا

ع الدنيا من جيل لجيل

يا رب زيدنا إيمان

نورنا بنور القرآن

محمد لنا دليل

(1) ديوان: "سفينة الأحلام"، عبد المطلوب محمد المقوب، 1998 م، ص 34. وديوان "جسر الأحلام"، عبد المطلوب

امحمد المقوب، ص 49.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 92.

(3) المصدر السابق، ص 81.

هذا قنديل وقنديل

يشعل في ظلمات الليل

وكتب (محمد سالم الحاجي) أنشودة (طفلة النور) سنة 2010 م، عن المؤسسة العامة للثقافة، رسوم سمير زيدان، وهي عبارة عن أنشودة قصصية رمزية، حيث رمز للقدس بـ(طفلة النور)، فهي تتخذ بصياغتها كل عناصر القصة الفنية: من شخص وبطولة وسرد وحوار وعقدة وحل، يقول في مطلعها:

مُنذُ قَدِيمِ الزَّمانِ

وسالفِ العُصورِ

كانتْ قُدُسُ طفلةً من نُورِ

تعيشُ مع أُمِّها

آمنةً في حُبورِ ...

تخرجُ من كوخِها كلَّ صباحِ

فتُشرقُ الشَّمْسُ ويُعني الشَّحورُ ... (1).

وتقع صفحات هذا الكتاب المتضمن لهذه الأنشودة القصصية في ثمان وأربعين صفحة من ضمنها خمس عشرة صفحة رسوم ملونة مصاحبة لها(2).

كما أصدر يوسف الشريف ديواناً بعنوان "صباح الخير يا ليبيا"(3) في سنة 2014 م، يتضمن أربعة وعشرين نشيداً، هي: (صباح الخير يا ليبيا، هيا ارفعوا العلم المفدى، أمي، صغير، العلم نور، موعدنا، قالت أمي للأطفال، أقرأ كتاب، يا قمر، حب الناس، ديدش، ضي العين، تبي تعيش بحب الناس، وليد صغير، جديدة، في شارعنا، يا قنديل، هيا تعال نطير، شيشباني، يا كاس، بيك جبر، يا لعنب، اليوم اللي تكبر فيه، لم نكبر)، يغلب عليها اللهجة الليبية الدارجة عدا أربعة أناشيد فقط كتبت بالفصحى،

(1) "طفلة النور" محمد سالم الحاجي، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، 2010 م، ص 5 - 7.

(2) ينظر: المصدر السابق.

(3) ديوان صباح الخير يا ليبيا، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، 2014 م.

هي: (صباح الخير يا ليبيا، هيا ارفعوا العلم المفدى، موعدا، قالت أمي للأطفال) ويلاحظ أنّ بعض الأناشيد كان تأثير الأغاني التراثية فيها واضحاً، مثل: ديدش، وشيشباني، ويا قنديل، يا قمر، وبعضها يمكن اعتباره من أغاني ترقيص الأطفال، مثل: (ضي العين، جديدة، بيك جبر)⁽¹⁾.

ثالثاً: المسرح:

أمّا مسرح الطفل فقد تأسس سنة 1976 م بسوق المشير بطرابلس، وكان يعمل في هذا المسرح نخبة من الأساتذة من فنانيين وكتّاب ومخرجين أدركوا قيمة العمل الذي يقومون به، وآمنوا بمدى فائدته للأطفال وبالتالي للمجتمع، وقد قدم مسرح الطفل خلال مسيرته الفنية مسرحيات جميلة وهادفة، وكان أول عمل يقدم مسرحية بعنوان (ثعلب من غير ذيل) للكاتب (محمد الطاهر)، سنة 1977 م، ثم توالت العروض المسرحية، منها: مسرحية (الكلمات الطيبة)، للكاتب نفسه سنة 1980 م، ومسرحية (قدقود والسر العجيب)، للكاتب "توري علي المكي" لم تذكر السنة، ومسرحية (فرفور وكعبور) للكاتب "زهير التونالي" سنة 1984، ومسرحية (عهد الأبناء) للكاتب "أحمد علي" سنة 1986 م، ومسرحية (بيت القوة) للكاتب "فائق الحكيم" سنة 1995 م، ومسرحية (النهر) للكاتب "إبراهيم الخمسي" سنة 1994 م، ومسرحية (الوردة) للكاتب "أحمد باكير" سنة 1998 م⁽²⁾.

ويحضر المسرحيات المقدمة عدد كبير من الأطفال، وكذلك أطفال المدارس، وأطفال دور الرعاية الاجتماعية، وأحياناً يخرج المسرح إلى المدارس، وينتقل إلى المناطق الأخرى ليقدم عروضه المسرحية، بالإضافة إلى مشاركاته في مهرجانات عربية ودولية أحرز فيها جوائز متقدمة مما يدل على رسوخه وجديته⁽³⁾، غير أن الأعمال التي قدمها هذا المسرح لم تصدر في مطبوعات⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المصدر السابق.

(2) ينظر: حوار مع الأستاذ حسن الكيلاني وهو أحد مؤسسي مسرح الطفل في ليبيا، صحيفة الفجر الجديد، ع 8451، 31 أكتوبر، 1995، ص 5، نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 41.

(3) ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) ينظر: الصراع الأبدي، المهدي أبو قرين، مطبعة المليجي، الإسكندرية، 1970 م.

ولذلك فإن نصيب المسرحية المطبوعة في ليبيا شبيه بنصيب الشعر، فنتاجها قليل مقارنةً بالقصة، حيث أصدر الكاتب المهدي أبو قرين مجموعتين، الأولى صدرت تحت عنوان: (الصراع الأبدي) مع مجموعة من المسرحيات في كتاب يحمل عنوان هذه المسرحية، وذلك في مطبعة المليجي بالإسكندرية سنة 1970م، وصدرت المجموعة الثانية تحت عنوان (مسرحيات تريبوية) تتضمن ثلاث مسرحيات، هي: (الأرض والأقوات) ومسرحية (ليلي والعصفور) ومسرحية (الوحش) عن دار مكتبة الفكر بطرابلس، سنة 1974 وهي مسرحيات مقدّمة للمسرح المدرسي⁽¹⁾.

كما ذكرت "أسماء" في كتابها مسرحيتين شعريتين، هما: مسرحية (غيث أو الفتى الشهيد) للكاتب محمد أحمد وريث، صدرت في طرابلس، عن المنشأة العامة للنشر، سنة 1986 م، والمسرحية الثانية بعنوان (الطوفان) للكاتب "عبد الحميد بطاوي" ويبدو أنها بدون بيانات عن مكان النشر أو جهته، وقد صدرت سنة 1989 م⁽²⁾.

وصدرت سنة 2006 م مجموعة مسرحيات للأطفال بعنوان "رحلة طائر الكناري" للبوصيري عبد الله، عن مجلس الثقافة العام، تتضمن خمس مسرحيات، هي: "ما قبل الرحيل"، و"أحزان طائر السنونو"، و"محنة الأخوين"، و"جوهرة السلطان"، و"حبة القمح الذهبية" وبعض هذه المسرحيات مستوحاة من ألف ليلة وليلة كما ذكر الكاتب في تعليقه في الفهرس، وقال عن مسرحية "حبة القمح الذهبية": "إنَّ ما ورد من أشعار وأغانٍ مأخوذة بتصرف من دواوين الشاعر العربي سليمان العيسى الموسومة بـ"غنوا يا أطفال"⁽³⁾.

ويشير "د.عبد الحميد" في دراسته عن مسرح الأطفال في ليبيا إلى أنَّ الخطاب المسرحي الموجّه إلى الطفل لم يظهر مستقلاً عن مسرح الكبار في ليبيا إلا مع بدايات عقد السبعينيات.

(1) ينظر: مسرحيات تريبوية، المهدي أبو قرين، دار مكتبة الفكر، طرابلس - ليبيا، 1394 هـ/1974 م.

(2) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا "1921-2005" أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 233-234.

(3) ينظر: رحلة طائر الكناري "خمس مسرحيات للأطفال، البوصيري عبد الله، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006 م.

كما بيّنت تلك الدراسة أنّ مرحلة التسعينيات كانت حافلة بمسرح الطفل، متميّزة بحريته واستقلاله عن مسرح الكبار أولاً، ثم المسرح التعليمي ثانياً ببيئته المدرسيّة، كما برزت قدرة الكاتب الليبي على تمثّله بقيم التراث العربي بعامة⁽¹⁾.

إنّ المتنبّع لمسيرة أدب الأطفال في ليبيا إلى هذا اليوم يلاحظ أنّ النتاج القصصي للأطفال في ليبيا كان هو الغالب ترجمة وتأليفاً على غيره مثل المسرح والشعر، كذلك كان هناك شيء من العناية بترجمة بعض القصص والحكايات الخاصة بالأطفال، من مختلف ثقافات العالم، حيث قام "يوسف الشريف" بترجمة وإصدار عدد من الحكايات والقصص، فقد صدرت له (مجموعة القصص المترجمة) عن الدار العربية للكتاب في طبعتها الأولى سنة 1978 م، وتحتوي على خمس عشرة قصة، كما صدرت له مجموعة أخرى بعنوان (من حكايات الشعوب) عن الدار العربية للكتاب، سنة 1988 م، كذلك قصص أخرى في مجموعات قصصية متنوعة بعضها من تأليفه والأخرى مترجمة، مثل: مجموعة (المهر الأسود) سنة 2006 م، إصدار مجلس الثقافة العام وبالتاريخ نفسه صدرت مجموعة (حكايات قبل النوم) إصدار مجلس الثقافة العام.

العوامل المؤثرة في نشأة أدب الأطفال وتطوره في ليبيا:-

1. التأثير بالثقافة العالميّة والعربية التي ظهر فيها الاهتمام الكبير بثقافة الطفل وأدبه والكتب الموجهة إليه، ويظهر ذلك جلياً من خلال الأعمال المترجمة عن ثقافات مختلفة شرقية وغربية، كما هو الحال ببعض المترجمات التي قام بها الكاتب يوسف الشريف.

2. التعليم، وانحسار الأميّة نسبياً، مما شجّع على ضرورة إيجاد مواد موجهة للطفل.

3. تنامي الوعي بأهمية مرحلة الطفولة وضرورة العناية بها وتنقيتها، في ظل الدراسات التربوية والنفسية الحديثة.

4. انتشار دور الطباعة والنشر، بحيث صار أمرهما أسهل من ذي قبل في ليبيا.

(1) ينظر: مسرح الأطفال في ليبيا، عبد الحميد محمد عامر، جامعة اليرموك، الأردن، 2012، ص 322، رسالة دكتوراه (مخطوط).

5. انتشار المكتبات المدرسية التي تحتاج لكثير من الكتب الموجهة للأطفال.

ورغم كل ذلك، لم يكن تطوّر هذا النوع من الفن وانتشاره بالشكل المرجوّ مقارنة بتطوره في بعض الدول العربية على الأقل؛ وذلك لأنّ هذا العمل يحتاج إلى مؤسسات تُعنى به وتضمن جودته واستمراريته، فجل الجهود كانت فردية وهي بذلك اتّسمت بشيء من القصور وعدم الاستمرارية في هذا المشروع الوطني المهم.

كما أنّ الجانب النقدي المواكب لهذا الفن الذي يسهم في تطويره في ليبيا كان غائباً إلى حد كبير، واقتصر الأمر على عدد من الدراسات الأكاديميّة وما نُشر من مقالات في بعض الصحف والمجلات.

المبحث الثالث
نظرة حول أدب الأطفال عالمياً وعربياً

يمكن النظر إلى مراحل نشأة أدب الأطفال من خلال جانبين، هما: (الأدب المحكي، والأدب المكتوب)، وذلك بوصفهما يحملان قاعدة التكوين التاريخي لهذا الأدب، وقد نظر إلى الأفاصيص والحكايات والأساطير التي كانت تحكى للأطفال على أنها البوادر الأولى لأدب الأطفال، ومن هنا شكّلت القصص الموضوعية على السنة الحيوانات، وما كانت الأمهات والجداات تحكيه خصوصاً قبل وقت نوم الأطفال (الهددة) وجوداً حيويّاً دُعي لاحقاً بـ(الأدب المحكي) الذي يمثل باكورة نشأة (أدب الأطفال)، لأن اللغة الشفوية تسبق اللغة المكتوبة، وبالنظر إلى خصائص نشأة (أدب الأطفال) فقد نشأ، وتطور بنشوء المجتمعات البشرية وتطورها⁽¹⁾.

وكان لقدماء المصريين أثرٌ كبير في نشأة أدب الأطفال إذ انفردوا بتدوين مجموعة قصصية باسم (حكايات السحرة) وُجِدَت مكتوبة على جدران المعابد، وظل (أدب الأطفال) ينتقل مشافهةً عدّة قرون، وبذلك تُعد (حكايات السحرة) أول مجموعة معروفة ذات فكرة واحدة تعتمد على التسلية والإمتاع والمؤانسة والمرح⁽²⁾.

ومن بين الآثار الأدبية الشعبية، ذات التأثير الكبير في حياة الناس، والتي حاول بعض الكتّاب صياغة بعض الحكايات على غرارها، حكايات البانجاتترا أو خزائن الحكمة الخمسة، أو الأسفار الخمسة .. وهي حكايات هندية قديمة تُرجمت إلى عديد من لغات العالم، وكانت حكاياتها منثورة أما

(1) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، 21.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص26.

أمثالها وحكمها فقد كانت منظومة، وقد وضعت بين 500 _ 100 ق.م باللغة السنسكريتية ونُقلت لأول مرة إلى اللغة البهلوية⁽¹⁾.

"وقد وضع حكايات البانجاتترا برهمي معروف بالحكمة تلبية لطلب ملك كان له ثلاثة أولاد، وأراد أن يعلمهم فن السياسة، فعهد بالأمر إلى ذلك البرهمي الذي وضع حكايات حيوان ليفصح عن أفكاره في شكل فني واضح"⁽²⁾.

كما تُعد المجموعة الخرافية (خرافات إيسوب) المنسوبة إلى إيسوب اليوناني من أقدم المأثورات الأدبية التي لاقت الشيوخ في أوروبا، وكانت من أوائل الكتب التي لا يستطيع أحد إلا أن يحكم بأن الأطفال قد وجدوا فيها متعة كبيرة، رغم أنها طُبعت للراشدين بين عامي 1475 _ 1480 م، وبسبب إقبال الأطفال على قراءتها عُدت أول كتاب يُطبع للأطفال⁽³⁾.

ورغم تضارب المصادر حول الكاتب الحقيقي لهذه الخرافات^(*)، فإنها كانت معيناً لكُتّاب الأطفال الأوائل، حيث صيغ الكثير منها في أشكال قصصية، ومنها ما أُدخل ضمن مقررات المدرسة، حتى

(1) ينظر: ثقافة الأطفال، د.هادي نعمان الهيتي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 151.

(2) المرجع السابق، ص 151.

(3) ثقافة الأطفال، د.هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 151.

(*) إيسوب: تشير بعض المصادر إلى أن إيسوب حكيم يوناني، ولد سنة 620 ق.م، وعاش فترة من حياته عبداً رقيقاً بين عدة مالكين في مدينة ساموس، واستطاع نيل حريته بفضل ذكائه وحكمته، بل استطاع بهما التحرر من رواسب العبودية ونيل الشهرة والمجد، وتنقل بين أعمال رفيعة منها: انتدابه في سفارات سياسية عديدة، ووضع حكاياته لتهدئة الخواطر وإخماد الفتن في بعض المدن اليونانية، وقد حمّله الملك كمية كبيرة من الذهب ليوزّعها على أبناء مدينة "دلفي"، ولكنه ما إن احتكّ بالناس حتى هاله ما كانوا عليه من جشع، وحين عزم على عدم توزيع الذهب عليهم تأمروا عليه واتهموه بشتى التهم؛ وأباحوا قتله، فقتلوه، ولكن هناك من ينفي وجود شخص باسم إيسوب، وهناك من يعترف بوجوده ولكنه يجزم بأن ما بين أيدينا من خرافات ليست هي خرافات إيسوب نفسها، وأن الكثير منسوب إليه، حيث منها ما يرجع إلى آخرين عاشوا قبل عصره، ومنها ما نسب إليه بعد سنين طويلة من قتله. للمزيد ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، المرجع السابق، ص 159-160.

ذهب البعض إلى تأكيد أهميتها بالقول: إنَّه ليس هناك مثقف في العالم اليوم لم يتأثر في طفولته بخرافات إيسوب⁽¹⁾.

ويعد ظهور حكايات (ألف ليلة وليلة)، أحد المصادر الأساسية لأدب الأطفال، وهي مجموعة تشتمل على حكايات الجن، والسحر، والخرافات، والأساطير، والقصص الشعبية المتعددة من مصر القديمة، والهند، وفارس، وبلاد الجزيرة العربية، وسوريا، وتركيا، وبلاد ما بين النهرين⁽²⁾.

وقد استفاد منها كثيرٌ من مؤلفي قصص الأطفال، لتلبية رغبات الأطفال وميولهم، فاستعان بها أشهر كتاب قصص الأطفال، مثل: (هانز أندرسن)، وقد أستمَدت منها العديد من القصص، مثل قصة (علاء الدين)، وقصة (علي بابا)، و(سندباد)، و(الأميرة الصغيرة) حتى أصبحت جزءاً من ثقافة الأطفال في أوروبا بعد أن تُرجمت إلى عدَّة لغات⁽³⁾.

وكان ظهور (كليلة ودمنة) سبباً مباشراً في نشر القصص على ألسنة الحيوانات بهدف غرس القيم الأخلاقية، والمواعظ، فجمع الكتابُ بين الحكَم، واللُّهُو والتسلية والإثارة، وقد ترجمه (ابن المقفع) إلى العربية حوالي عام (750 م)⁽⁴⁾.

أولاً: نشأة أدب الأطفال في الحضارة الغربية:

تركز الاهتمام بـ(أدب الأطفال) في أوروبا مع نشأة الحضارة الحديثة، فاهتموا بدايةً بتراث الطفل في أغلب دول أوروبا مثل فرنسا، وإنجلترا، وكذلك في أمريكا، حيث كان لهم دور كبير في انتشاره، وإرساء قواعده، وتبلوره بوصفه فناً أدبياً يخدم قضايا الطفل⁽⁵⁾.

في فرنسا: يجمع الباحثون أنَّ لفرنسا الريادة في ظهور أدب الأطفال في العصر الحديث، ومنها انتشر إلى إنجلترا وأمريكا، وسائر دول العالم بما فيها الدول العربية، وقد كان لهذه الدول الثلاث الأثر الكبير في انتشاره ووجوده في صورته الحالية.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 152.

(2) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 26.

(3) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 19.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 19.

(5) أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة"، عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 54.

يذكر الباحثون أنّ أوّل من كتب أدباً خاصاً بالأطفال في العصر الحديث ظهر في فرنسا في أواخر القرن السابع عشر، فقد كانت هذه الفترة فترة استلهاً أوروبا العلوم العربية والشرقيّة وفنونها، فظهر تأثير (ألف ليلة وليلة) التي جاءت فرنسا عن طريق تركيا، فدفع ذلك الأوروبيين إلى البحث والتّقيب في آدابهم عن مثيل لهذا الأدب. وقد كان (تشارلز بيرو)^(*) أوّل من كتب مجموعة من القصص للأطفال بأسلوب سهل سمّاها (حكايات أمي الأوزة)⁽¹⁾ التي نشرها 1697 م ولم ينسبها لنفسه خوفاً على مجده الأدبي، فقد كانت الكتابة للأطفال في ذلك الوقت تحط من شأن الأديب، إلا أنّ الإقبال الشديد والشهرة الواسعة التي نالتها تلك الحكايات من الأطفال شجعت (بيرو) على تأليف مجموعة أخرى سمّاها (أقاصيص وحكايات الزمان الماضي) ونسبها لنفسه هذه المرة⁽²⁾، فكان لذلك أثره في رفع مكانة أدب الأطفال بين الناس، وأصبحت الكتابة للأطفال عملاً يفخر به الكاتب، وامتد أثر حكايات (بيرو) على إنجلترا وألمانيا فترجمت إلى الإنجليزيّة والألمانيّة، وشجعت الأدباء على البحث في الآداب الشعبيّة⁽³⁾.

(*) تشارلز بيرو: ولد سنة 1628 م، وهو من أسرة فنية كان أخوه الرسّام "كلود بيرو" الذي اشترك في بناء متحف "اللوفر" بباريس، اهتم "شارل بيرو" بالشعر، لكن كتابه "قصص وخرافات من الزمن القديم" سنة 1697 م، هو الذي وفرّ شهرة لصاحبه، وهو متعدّد الدلالات أي يحلّل للكبار بتأويل، ويفهم على ظاهره للصغار، ومن قصص هذا الكتاب: "سندريلا"، و"اللحية الزرقاء"، و"الكتكوت"، "الصغير"، "القط الموثوق"، علماً بأنّ أعمال "شارل بيرو" طبعت 204 مرة بـ 28 مليون نسخة. ينظر: دراسة في أدب الأطفال، التهامي الهاني، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط 1، 2004 م، ص 42.

(1) ينظر: أدب الأطفال، حنان عبد الحميد عناني، ط 2، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع 1992، ص 9: نقلاً عن: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 28.

(2) ينظر: استدعاء الموروث الشعبي في الأعمال القصصية، أسامة فوزي، الملتقى الأول للكتابات القصصية والروائية في دولة الإمارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة 27 فبراير، مارس 1985، ص 18: نقلاً عن: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 28. كما ينظر: مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، مفتاح محمد دياب، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر - كندا، 1995 م، ط 1، ص 20.

(3) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، مرجع سابق، ص 29، كما ينظر: أدب الأطفال "فلسفته، فنونه، وسائطه، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 76.

ومن أهم الأسماء التي كان لها دورٌ بارزٌ في نشر أدب الأطفال في فرنسا: (لافونتين) و(فينيلون)، و(الكونتيسة دي سيغور)، و(جول فيرن) الذي أبدع في قصص الخيال العلمي بل كان أول رواده⁽¹⁾.

وقد لاقت حكايات (لافونتين)^(*) إعجاباً كبيراً في فرنسا وخارجها، سواء على المستوى الشعبي أم على مستوى الأدباء والنقاد، وصل صداها إلى عالمنا العربي عن طريق محمد عثمان جلال، والشاعر أحمد شوقي، ويُرجع بعض النقاد سر هذا الإعجاب إلى طريقة تناوله التي اختلفت عن طريقة سابقه، حيث بثَّ في الموضوعات التقليدية الحياة والقوة والجمال، وغمرها بطابعه الفني وذوقه الأدبي، وعاطفته القوية، ونكته الحلوة الرقيقة، وسخريته اللطيفة، وملاحظاته الدقيقة، ومقدرته على الغوص إلى أغوار النفوس والإحساس بالواقع، ولم يقتصر تجديده على تناول فقط، بل شمل تجديده قالب والصياغة، فقد أفرغ كل الموضوعات القديمة في قوالب متنوعة كالقصة أو التمثيلية كما جعل منها موقفاً نقدياً، أو تصويراً للحيوان والإنسان والطبيعة⁽²⁾. وقد لحق بهؤلاء الكبار حالياً (رينيه جوييه) و(جان برن هوف) وروايات (كوليت فيفيميه)⁽³⁾.

وبظهور (جان جاك روسو) في القرن الثامن عشر، وانتشار آرائه التربوية في كتابه (أميل) في تعليم الأطفال ازداد الاهتمام بدراسة الطفل، ولقيت آراء (روسو) قبولاً وتأيداً في فرنسا وغيرها من دول أوروبا، فظهرت مدرسة للكتابة للأطفال في فرنسا تهدف إلى التعليم والإرشاد وشغل الطفل بالنافع والمفيد في حياته.

(1) ينظر: أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، عبد الإله العرداوي، وهاشمية حميد جعفر الحمداني، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط 1، ص 74.

(*) **جان دو لافونتين**: ولد سنة 1621 وتوفي 1695 م، يُعد أشهر كاتب للحكايات الخرافية التي تدور أحداثها على أسنة الحيوانات والطيور، له: "الغراب والثعلب"، "الصرصور والنملة"، "الأرنب والسلحفاة"، "الثعلب والعنكب"، شاعر كبير، تمَّ اختيار الكتاب الذي ضمَّ تلك الأساطير المسمَّى "خرافات مختارة للأطفال" بالإنجليزية. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1986، ط 7، مج 1، ص 234. وللمزيد ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق ص 154.

(2) ينظر: أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، عبد الإله العرداوي، وهاشمية حميد جعفر الحمداني، مرجع سابق، ص 74.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 75.

وتبع ذلك ظهور أول صحيفة للأطفال في فرنسا أنشأها أديب يدعى (صديق الأطفال) وأطلق على الصحيفة الاسم نفسه، وكان ذلك بين عامي 1747-1791 م، وقد امتاز أسلوبه بالرشاقة والسهولة، وساعدت الصحيفة على نقل قصص الأطفال من البلاد الأخرى إلى الأطفال الفرنسيين، فكانت بعثاً لحركة الكتابة للأطفال، تسد فراغاً لديهم وتشبع ميولهم، ثم أخذت هذه الحركة في التقدم والازدهار⁽¹⁾.

ومثلما كانت فرنسا رائدة في مجال أدب الأطفال بشكل عام، كانت رائدة أيضاً فيما يُعرف بقصص (الخيال العلمي)، حيث إنَّ هناك شبه إجماع على أنَّ الفرنسي (جول فيرن) 1860 م، هو أول كاتب متخصص في هذا النوع من الأدب؛ إذ يتجاوز إنتاجه مئة مؤلَّف تدور مضامينها حول رحلات متخيَّلة في البر، والبحر، والجو، وقد تتبَّأ بكثير من المخترعات المعروفة، وفي مقدمتها الطائرة المروحية، والغواصة، والمدفع، والسينما والتلفاز، والقذائف التي توجه من بعيد، والإنسان الآلي، وأصبحت تنبؤاته أمراً واقعاً⁽²⁾.

وهو يُعدُّ مع الكاتب الإنجليزي (هربرت جورج ويلز 1866-1946)^(*)، معجزة قصاصي القرن التاسع عشر في هذا الفن، وقد قاد (جول فيرن) أبطال رواياته في رحلات بالغة الغرابة (إلى أسفل سطح البحر بـ 20 ألف فرسخ)، و(حول العالم في 80 يوماً)، ثم قادهم إلى (سطح القمر)، وهبط بهم إلى (باطن الأرض)، وتسلَّل بهم بواسطة غواصته (نوتيليس) إلى أعماق البحار، كما ابتكر على الورق سيارة برمائية طائرة وغائصة في الوقت نفسه⁽³⁾.

في إنجلترا: إنَّ لبدء حركة (مدارس الأحد) الدينية في إنجلترا وانتشارها في كل أنحاءها قد ساعد على ظهور القصص الدينية للأطفال إلى أن ظهر (تشارلز لامب Charles Lam) فثار على

(1) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 28.
(2) ينظر: قصص الخيال العلمي دعائم الأطفال، نوري جعفر، بغداد، ط 2: نقلاً عن: أدب الأطفال.. فلسفته.. أنواعه.. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، مرجع سابق، ص 155.
(* **هربرت جورج ويلز:** ولد سنة 1866 وتوفي سنة 1946 م، من رواد كتَّاب قصص الخيال العلمي، كتب "يوتيبيا الجديدة" واخترع آلة الزمن، وجعل الإنسان "خفياً"، كما ذهب بدوره "إلى القمر"، ومشى على ثراه، ثم خاض حرباً مريرة ضد "غزة المريخ"، وتصور "نجاة كوكب الأرض بمعجزة الارتطام بجرم سماوي شارده ملتهب".
(3) ينظر: "الخيال العلمي أكثر ألوان الأدب إثارة"، نهاد شريف، مجلة الخيال العلمي، مرجع سابق، ع: 1، ص 10.
كما ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيبي، مرجع سابق، ص 162 - 163.

مدرسة الكتاب التعليمية للأطفال، وبدأ في سنة 1806 م يكتب قصصاً لتسلية الأطفال وإمتاعهم، ويرجع إليه الفضل في إعادة حركة الكتابة للأطفال بهدف التسلية والإمتاع، وانطلق أدب الأطفال إلى عصره الذهبي في إنجلترا في القرن العشرين⁽¹⁾، وظهرت أسماء عديدة تركت بصماتها في مجال أدب الأطفال، خاصةً القصة، ومن بين هذه الأسماء التي لمعت في كتابة القصص الخيالية وقصص الفنتازيا: (ماري موليزورث) التي كتبت قصة (الساعة المجنونة)، و(تشارلز كينجسلي) كاتب قصة (أطفال الماء) التي أصبحت ضمن الأدب الكلاسيكي بما تعكسه من فنتازيا فلسفية واجتماعية، و(جورج ماك دونالد) كاتب قصة (الأميرة والجن)، و(لويس كارول)^(*) كاتب قصتي: (عبر المرأة) و(أليس في بلاد العجائب)، سنة 1872 م، وهي من أكثر القصص شهرة وانتشاراً في تلك الفترة⁽²⁾.

وكان لقيام (روبرت سامبر) بترجمة مجموعة حكايات (أمي الأوزة) من الفرنسية إلى الإنجليزية⁽³⁾ أثر كبير في ظهور حركة تأليف القصص للأطفال بهدف التسلية والإمتاع، فأنشأ (جون نيوبيري) مكتبته

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 52 _ 53.

(*) **لويس كارول**: يرتبط اسم لويس كارول واسمه الحقيقي تشارلز لوتويدج بأشهر الأعمال القصصية التي احتلت الصدارة في التاريخ الأدبي وهي قصة "أليس في بلاد العجائب"، وقد كان منذ صغره ذا موهبة عظيمة في ابتكار الكثير من الألعاب التي كان يسلي بها أخوته وأخواته. ولد لويس كارول في 22 يناير عام 1832 في إحدى القرى الإنجليزية تسمى دير سبيوري وتوفي في 14 يناير 1898، أبوه من علماء الرياضة البارزين، وقد ظهرت مواهب لويس العقلية في سن مبكرة عندما بلغ الحادية عشرة من عمره، واستدعت مواهبه انتباه الآخرين، ثم التحق بكلية "كنيسة المسيح" بأكسفورد في عام 1850 وظل بأكسفورد طيلة حياته، وحصل على بكالوريوس الآداب من نفس الكلية عام 1854، ثم أصبح عضواً منتظماً في هيئة التدريس بالكلية في عام 1856 وظل يشغل منصب محاضر في مادة الرياضيات حتى عام 1881. أمّا أهم أعماله: لعل أشهرها قصة "أليس في بلاد العجائب"، وقد لاقت هذه القصة نجاحاً منقطع النظير، وأعيد طبعها عدة مرات وترجمت إلى العديد من اللغات، وكتب عدداً آخر من القصص بالإضافة إلى بعض المؤلفات العلمية في الرياضيات والمنطق. ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 282-283.

(2) ينظر: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2006، ط 1، ص 79.

(3) ينظر: أدب الأطفال ومكتباتهم، عمّان، 1990 م، ص 18، كما ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 28.

الشهيرة باسمه، والتي خصصها لكتب الأطفال، كما أخرج ما يقرب من مائتي كتاب للأطفال حتى لقب بأب أدب الأطفال في اللغة الإنجليزية⁽¹⁾.

أمّا مسرح الأطفال في أوروبا فقد بدأت إرهاباته منذ بداية القرن السادس عشر حيث قدّم الأطفال مسرحيات خاصة للملك البريطاني الصغير إدوارد السادس، وظهر لون من الدراما الدينية، يعرف باسم: (مسرحيات الخوارق، والأسرار، والمواعظ)، التي نبعت من الدروس الدينية ذات التركيب الدرامي، وازدهرت في الكنيسة المسيحية، لكن الميلاد الحقيقي لمسرح الأطفال في أوروبا، كان على يد الكاتبة والممثلة والموسيقية الفرنسية (مدام دي جينيليس) التي قدّمت أول عرض مسرحي خاص بالأطفال سنة 1784 م⁽²⁾.

وللمكانة المتميّزة التي احتلتها كتابات هؤلاء المؤلفين المبدعين، ولما لاقته من قبول وانتشار في ربوع أوروبا والغرب عموماً، فقد أنتج الكثير منها في شكل أعمال تلفزيونية وسينمائية⁽³⁾.

ويذكر (ليبر): أنّه في أواخر القرن التاسع عشر أدّى ظهور نظرية دارون في التطور، ونشأة الإمبراطورية البريطانية الاستعمارية، إلى إدخال موضوعات جديدة على الأدب الإنجليزي الموجّه للأطفال، وأصبح لأدب الأطفال الإنجليزي مكانة فريدة حين تقارن مع تقاليد أوروبية أخرى⁽⁴⁾.

في ألمانيا: مع مطلع القرن التاسع عشر ظهرت مجموعة من الحكايات الشعبية، أشهرها ما قدمه (الأخوان جريم)^(*) في كتابهما الأول سنة 1812 م بعنوان (حكايات الأطفال والبيوت) ثم ظهر كتابهما الثاني سنة 1814 م، ووجد هذان الكتابان قبولاً كبيراً في أوروبا⁽¹⁾.

(1) ينظر: أدب الأطفال، أ.د. ربحي مصطفى عليان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط 1، 2014 م، ص 88.
(2) ينظر: المسرح نشأته وآدابه.. وأثر النشاط المسرحي في المدارس، عيسى خليل محسن الحسيني، دار جرير، عمان، 2006، ط 1، ص 303.

(3) ينظر: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب، مرجع سابق، ص 79.

(4) ينظر: أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، سيث ليبر، ترجمة ملكة أبيض، مرجع سابق، ص 17.

(*) **الأخوان جريم:** وُلد الأخوان جريم (جاكوب 1785 - 1863 ووليام 1786 - 1859 م) في بلدة (Hanau) بالقرب من مدينة فرانكفورت بألمانيا، وكان أبوهما محامياً، وكان جاكوب ووليام ملازمين بعضهما البعض طوال حياتهما حيث كانا يدرسان في مدرسة واحدة وجامعة واحدة هي جامعة ماربورج التي درسا فيها القانون، وإلى جانب دراستهما للقانون كانت فيهما ميول واهتمامات بالشعر الشعبي الألماني وقاما - إلى جانب ذلك - بجمع القصص الشعبية، حتى

وذاعت شهرته في كل أنحاء العالم، وقد نالت قصصهما إعجاب ملايين الأطفال، وترجمت إلى نحو سبعين لغةً في العالم، ويقال إنَّ في ألمانيا آلاف الكتاب للأطفال، وعددًا كبيراً من دور النشر الخاصة تنشر مئات الكتب للأطفال سنوياً⁽²⁾، كما أنشئت مؤسسات لتشجيع أدب الأطفال قبل مثيلاتها في إنجلترا وأمريكا⁽³⁾.

في البلدان الإسكندنافية: اعتمدت هذه البلدان بدايةً على الترجمة والاقتباس من الألمانية على نحو أساسي وظل أدب الأطفال مغموراً فيها حتى ظهر الكاتب الدنماركي (هانز كريستيان أندرسن)^(*) (1805-1875)، وذاعت شهرته وهو لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، فسرعان ما أصبح معروفاً

ظهرت في مجلدين ما بين عام 1812 إلى عام 1814 تحت عنوان (Kinder Und Hausmerchen) للأطفال والعائلة مما أدى إلى شهرة الأخوين جريم في أوروبا كلها، ثم انتقلا إلى برلين وعاشا بها حتى توفيا. وعلى الرغم من أنَّ الأخوين قد جمعا قصصاً وأساطير قديمة كثيرة ترجع إلى مئات السنين ونشرها؛ فإنَّ كثيراً منها قد ضاع ولم يصل إلينا منها القصة المرعبة، ومنها القصص والأساطير المثيرة، ولعل أهم أعمالهما شهرة بين الأطفال هي قصص "سندريلا"، و"الحساء النائمة"، وذات الرداء الأحمر، وفتاة الثلج". ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 279-280.

(1) ينظر: أدب الأطفال المفاهيم، الأشكال، التطبيق، كمال الدين حسين، دار العالم العربي، القاهرة، 2009، ط 1، ص 44-45.

(2) ينظر: أدب الأطفال، عبد المعطي نمر موسى، ومحمد عبد الحليم الفيصل، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، 2000 م، ص 15.

(3) ينظر: أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، سيث ليرر، ترجمة ملكة أبيض، مرجع سابق، ص 18.

(*) **هانز أندرسون:** ولد أندرسون بمدينة أودنس بالدنمارك في أسرة فقيرة في أبريل عام 1805، وتوفي عام 1875 م، ولما توفي والده انتقل إلى كوبنهاجن وهو آنذاك في الرابعة عشرة من عمره، وساعده أحد أصدقائه ويدعى كولن لإتمام دراسته فالتحق بما يسمى (Grammer School) أو مدارس النحو، ثم التحق بجامعة كوبنهاجن عام 1828، وبعد ذلك بعام واحد كتب أندرسون أول عمل أدبي له عبارة عن يوميات مسافر وهو كتاب "رحلة من قناة هولمن إلى الحد الشرقي لجزيرة أمرجر"، بأسلوب ممتع، مما أدى إلى نجاح هذا العمل نجاحاً كبيراً، ثم اتجه إلى كتابة المسرحية إلا أنَّ محاولته الأولى باءت بالفشل، إلا أنه بعد ذلك استطاع أن ينال بعض الإجاب والتقدير عن مسرحية (The Mulatto) أي "المولد" التي كتبها عام 1840 م، ثم توالى أعماله الناجحة حتى أصبح من ألمع رواد كتابة القصص والحكايات الخيالية للأطفال. أما أهم أعماله فقد ظهر الجزء الأول من حكاياته الخيالية والتي كتبها للأطفال (Fary Tales) عام 1935 وضم هذا الجزء عدداً كبيراً من الحكايات والقصص مثل "الأميرة وحب البازلاء"، "أزهار الصغيرة أيدا"، "القداحة"، "ملكة الثلج"، "البطة القبيحة"، وقد استمد قصصه من قصص التراث الشعبي المنتشرة في ذلك الوقت. ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 281-282، كما ينظر: مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، مفتاح محمد دياب، مرجع سابق، 112 - 115.

في الوسط الأدبي والاجتماعي في كوبنهاجن، كتب العديد من القصائد والأشعار المنثورة تحت عنوان (نزوات وخطوط) وجال في العديد من البلدان الأوروبية مثل فرنسا وإسبانيا وإيطاليا، وتجلت عبقريته في فن الحكايات، وظهر أول كتاب له للأطفال بعنوان "حكايات للأطفال" وذلك سنة 1835 م.

وبعد الحرب العالمية الثانية ازداد الوعي لدى هذه البلدان بحاجة الأطفال إلى أدب يخاطب عقولهم، كما تطورت قاعات المطالعة الخاصة بالأطفال فيها، حتى أصبحت هذه البلدان تمتلك شبكة من مكتبات الأطفال⁽¹⁾.

في أمريكا: تطوّرت الكتابة للأطفال في أمريكا على يد "صمويل جود ريتش" الذي نشر (حكايات بيتر بيلي)⁽²⁾، واتجهت أمريكا إلى أدب الأطفال وذلك لصهر الأطفال وصبغهم بالصبغة الأمريكية في كل نواحيها: الاجتماعية، والسياسية، والتربوية، والنفسية وغيرها، فتتوّعت بذلك أشكاله، ووسائله، من كتب ومجلات وصحف ومكتبات عامة ونواد وأفلام ومسلسلات، ومكتبات خاصة لنشر كتب الأطفال، وقد ساعد على ذلك أيضاً ما تتمتع به أمريكا من قوة ونهضة في جميع المجالات، فوصلت بذلك بأدب الأطفال إلى مكانة مرموقة تفوق بها ما وصل إليه أي بلد آخر في العالم، وزاد عدد الناشرين لكتب الأطفال حتى وصل عددهم إلى 5895، عام 1965 م⁽³⁾.

وبسبب وفرة رؤوس الأموال في أمريكا قامت حركة اقتباس واسعة من اللغات الأخرى وتوظيف الرسامين والفنانين والكتّاب والفنيين، وقد أصبحت "ساعة القصة" جزءاً من العلم الرسمي في المدارس والمكتبات الخاصة، وذلك بتحريض من الكاتبة القصصية (سارا كون بريانت)، وبهذا ينفي بعض الباحثين ألا يكون لأمريكا تقاليد عريقة في أدب الطفولة، وفي إنتاج الكتب المخصصة للأطفال، بعد

(1) ينظر: أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، عبد الإله العرداوي، وهاشمية حميد جعفر الحمداني، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط 1، ص 81-82.

(2) ينظر: المرجع سابق، ص 70.

(3) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 30.

أن كان يميل إنتاج هذا الأدب إلى ما تمّ الحصول عليه من الثقافات الأخرى، وثمة تطور واسع في عمليات الإخراج ثم عملية الإبداع ولحق بذلك انتشار الكثير من أدب الأطفال إلى دول أخرى⁽¹⁾.

وقد ظهرت مجموعة من الكتابات المتنوّعة الموجهة للأطفال، منها (مغامرات توم سوير) 1876 م، و(مغامرات هاكل بري) 1884 م للكاتب (مارك توين)، وهي من أشهر القصص الأمريكيّة وقد أعجب بها الكبار والصغار على السواء⁽²⁾.

ومن أهم الكتب الموجهة للطفل: (سلسلة العم ريموس) للكاتب (شاندر هاريس)، حيث نشرت ما بين (1880-1906 م)، وفيها يعيد سرد الحكايات الشعبيّة الأفريقية التي وصلت إلى أمريكا مع الزنوج الأفارقة⁽³⁾.

كما شهدت هذه الفترة أول ظهور لسلسلة قصص (سوبر مان) الكوميديّة، والقصص الشعريّة التي كتبها (ثيودور جيزل)، ومن القصص التي لاقت شهرة كبيرة في تلك الفترة سلسلة قصص (المنزل الصغير) لكاتبتها (لورا أنجلز وايدر)⁽⁴⁾.

وما يُلفت النّظر فيما يخص أدب الأطفال الأمريكي شيوع ما يُعرف بـ(الأدب الوحشي)، الذي صُدّر إلى العالم العربي مترجماً بصورة جذّابة مشوّقة⁽⁵⁾.

وفي القرن العشرين وصل أدب الأطفال في أوروبا وأمريكا إلى أوج ازدهاره، وأخذ كتاب الطفل مكانته المتميّزة، ومن مظاهر ذلك تعدّد وتنوّع أجناسه، ما بين الفنتازيا كما في (الوزير أوز)، وحكايات

(1) ينظر: أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، عبد الإله العرداوي، وهاشمية حميد جعفر الحمداني، مرجع سابق، ص 73.

(2) ينظر: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط 1، 2006، ص 81.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 82.

(4) ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(5) ينظر: أدب الأطفال في المنظور الإسلامي دراسة وتقديم، محمد أديب الجاجي، دار عمار، عمان، ط 1، 1999، ص 243.

الخيال العلمي، وحكايات المغامرات، والحكايات التي تجمع بين المغامرات والفتنات، أشهرها سلسلة مغامرات هاري بوتر للكاتبة K. Rowling، التي بدأ ظهورها سنة 1997 م⁽¹⁾.

وكان لتزايد الاهتمام بالدراسات النفسية، والاجتماعية، والتربوية حول أدب الأطفال، أثرها على محتوى الإبداعات، وتطور فنية الكتابة للطفل، التي بدأت تعكس القضايا الاجتماعية المعاصرة⁽²⁾.

كما كان الاهتمام بالجوائز العالمية في الكتابة للأطفال، أثره الإيجابي في تطور أدب الأطفال وتميُّزه، وقد بدأت أول جائزة سنة 1922 م وهي: Fredric Melcher، وجائزة هانز كريستيان أندرسون، والتي منحت أول مرة عام 1970 للأمريكي Maurice Sendak الذي كتب "Where the wild thing are living"⁽³⁾.

والحقيقة لا يمكن حصر الأسماء التي لمعت في مجال أدب الأطفال منذ نشأته وحتى الآن، سواء في أوروبا أو أمريكا؛ وذلك لكثرتها، فذلك يحتاج لبحث مستقل، يفصل التنوع والاتجاهات الكثيرة، التي صاحبت تطوره إلى ما وصل إليه اليوم، وما أود تسجيله هنا أن أدب الأطفال لدى هذه الأمم يلاقي منذ نشأته اهتماماً كبيراً على كافة المستويات الحكومية والمؤسسية والشعبية، ولذا لا نستغرب هذا الازدهار الكبير الذي يعيشه هذا الفن عند تلك الأمم.

في روسيا: ظهرت في روسيا مجموعات من الحكايات الشعبية المعبرة عن عاداتهم وتقاليدهم بعنوان "أساطير روسية" وقد شدَّ عالم الأطفال إليه شاعراً عظيماً هو "بوشكين"، ومفكراً إنسانياً كبيراً هو "تولستوي". و"ألكسندر بوشكين" - أمير شعراء روسيا - الذي رغم انشغاله وكثرة تنقله بسبب نشاطه الثوري لم يشغل عن التوجُّه إلى الأطفال بشعره وحكاياته التي تمتعهم مثل: قصيدة (حكاية الصيد والسمة)، التي تعبّر عن الحرية وفساد المجتمع في لغة سهلة ميسورة بعيدة عن الكنايات والرموز، وأماً

(1) ينظر: Ibd, the twentieth cen : نقلاً عن: أدب الأطفال المفاهيم الأشكال التطبيق، كمال الدين حسين، مرجع سابق، ص 45.

(2) ينظر: أدب الأطفال المفاهيم الأشكال التطبيق، كمال الدين حسين، مرجع سابق، ص 45.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 45.

(تولستوي) فإنه انحنى بفكره وفنه وقلمه أمام الطفل ليكتب له أقاصيص مضيئة تعطيه قدرة التوازن والتطبع بالمثل العليا في مجتمع تسوده المتناقضات، وتغذيه بحب الصدق والحرية والمحبة والسلام⁽¹⁾.

أمّا (مكسيم غوركي) فكان يطلق على الأطفال: (القوة الكبرى)، ففي سنة 1917 م _ أي بعد الثورة البلشفية - أرسل هذا الكاتب رسائل إلى أصدقائه يتحدّث فيها عن أهدافه في نشر سلسلة من كتب الأطفال⁽²⁾، وكان أول الملتبّين لهذا النداء الشاعر (مايا كوفسكي) فأخرج ست عشرة مقطوعة شعرية للأطفال، وأشعار (مايا كوفسكي) للأطفال تمتاز بالمرح، والسهولة، والمضمون الثوري لتعليم البطولة والفداء والقيم الجديدة للمجتمع⁽³⁾، ثم ظهر بعد ذلك الشاعر الكبير (إيفان كريلوف) 1768 - 1840 م، الذي تفرّغ للكتابة للأطفال الصغار، حيث كانت أغلب قصصه على لسان الحيوان وهي تمثّل الواقع الروسي في القرن التاسع عشر⁽⁴⁾، وكان الأطفال يجدون متعة بالغة في حكاياته، كما أنّ الكبار يجدون فيه معاني كبيرة، ويفضل هذا يُعدّ (كريلوف) واحداً من الآباء المؤسّسين لأدب الأطفال⁽⁵⁾.

وشهد القرن العشرون زخماً كبيراً في أدب الأطفال في روسيا، على كافة المستويات، حيث صدرت الآلاف من كتب الأطفال في مجالات علمية وأدبية وتربوية مختلفة، تمتاز برخص أثمانها، كما وجدت مؤسسات كثيرة متخصصة في عالم الدراسة والبحث والكتابة للأطفال، وبرز أدباء في عالمي النثر والشعر من أمثال: (آرشوفا)، والشاعرة (آنيا بارتو)، ودفع ذلك الكاتب الفرنسي (مان رولان) 1866 م - 1944 م) عندما زار الاتحاد السوفيتي أن يقول: "إنها السعادة أن تكتب للأطفال السوفيت، فأنا لا أعرف أطفالاً أسعد حالاً منهم"⁽⁶⁾.

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 52.

(2) ينظر: أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائله، هادي نعمان الهيني، مرجع سابق، ص 8 - 9.

(3) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 81.

(4) ينظر: أدب الأطفال، رحي مصطفى عليان، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط 1، ص 91.

(5) ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيني، مرجع سابق، ص 158.

(6) ينظر: أدب الأطفال وثقافة الطفل، عبد الفتاح شحدة أبو معال، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، 2008، القاهرة، ص 10.

وفي اليابان: "في العقود الأخيرة من القرن العشرين، عمل اليابانيون في الرسوم المتحركة وأثروا مخيلة الأطفال، حتى أنه يصعب التفكير حالياً في كتب الأطفال، وأفلامهم، ورسومهم المتحركة، دون رؤية صور من (بوكيمون) أو أعمال لـ(هياو ميازاكي)⁽¹⁾.

ويعد بعض النقاد النصف الثاني من القرن العشرين العصر الذهبي لأدب الأطفال في جميع أنحاء العالم. وقد ساعد على ذلك عدة عوامل نوجزها فيما يلي⁽²⁾:

1. ما أحدثته الحرب العالمية الثانية من دمار وخراب، ورغبة العالم في البدء من جديد، فاهتموا بالأطفال وأدبهم، حتى يعرضوا عليهم عالماً جديداً خالياً من الحرب والدمار والكراهية.
2. التقدم السريع في عالم الطباعة وصناعة الكتب، والسرعة الفائقة في نشرها وتحسينها، وإضافة الصور والألوان، والكتابة الجيدة، هذا بالإضافة إلى إصدار صحف الأطفال ومجلاتهم.
3. افتتاح المكتبات العامة والخاصة، ومكتبات المدارس وتزويدها بأحدث القصص والمسرحيات والأناشيد ووسائل الترفيه.
4. انتشار نوادي للأطفال التي تتوافر فيها وسائل الترفيه، وتزويدها بالمكتبات.
5. انتشار التعليم بين كل قطاعات الشعب، وانحسار نسبة الأمية في مختلف أقطار العالم.
6. ظهور الأجهزة والتقانات الحديثة التي تساعد على نشر أدب الأطفال المرئي والمسموع مثل التلفزيون والمذياع، وشبكة الإنترنت والكمبيوتر.
7. ازدياد الوعي بأهمية الطفولة، وظهور حقوق الطفل.
8. الريح الوفير الذي أصبحت تدره كتب الأطفال على مؤلفيها مما شجعهم على التأليف والنشر.

(1) ينظر: أدب الأطفال من إسبوع إلى هاري بوتر، سيث ليرر، ترجمة ملكة أبيض، مرجع سابق، ص 18.

(2) ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 30 _

ثانياً: نشأة أدب الأطفال في العالم العربي:

سبقت الإشارة إلى أنّ البذرة الأولى لأدب الأطفال في فرنسا كانت في أواخر القرن السابع عشر⁽¹⁾، ثم انتشر في باقي الدول الأوروبية الأخرى، وأمريكا وسائر دول العالم بما فيها الدول العربية التي استفادت كثيراً من حركة الترجمة في العصر الحديث، وكان لها صدى مثمر في مجالات الثقافة العربية بما في ذلك ثقافة الطفل وأدبه، فقد أدرك الأدباء العرب مدى فائدة الترجمة وأثرها على أدب الأطفال الذي ساعد على تربيتهم والرفع من مستوى تفكيرهم، وتقوية مداركهم، وتكوين خبراتهم، وفتح آفاق خيالهم، إضافة إلى تسليتهم وإمتاعهم، وربما يفسّر لنا ذلك ما يقال من أنّ أدب الأطفال قديم جديد في أدبنا العربي؛ قديم بالنظر إلى ما كان موجوداً في الماضي من هدهدات وترنيمات وحكايات، وجديد عندما أصبح شكلاً من أشكال التعبير، له أصوله وأسس، ومبادئه وأنواعه، وغاياته واتجاهاته⁽²⁾.

ويذكر (الهييتي) أنه يمكن العثور في ثنايا الأدب العربي القديم على بعض الأعمال الأدبية التي يمكن أن تتوافق مع قدرات الأطفال رغم أنها في الأساس غير موجهة إليهم، فليست ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وغيرهما من الأدب الشعبي إلا أقاصيص وحكايات خاصة بالكبار تناقلها الناس لما فيها من أخيلة جامحة⁽³⁾.

كما يفسّر سبب عدم وجود أدب للأطفال العرب في فترات مبكرة؛ بأنّ أدب الأطفال كان لا يزال حديث النشأة في جميع البلاد، ويعد الربع الثاني من القرن العشرين هو بدء ظهور بعض النتاج الأدبي الخاص بالأطفال، رغم أنّ هناك آراء تذهب إلى أنّ الأمر يمكن أن يكون أسبق من ذلك ببضعة عقود⁽⁴⁾.

(1) ينظر: في أدب الأطفال، د. علي الحديدي، مرجع سابق، ص 47.

(2) ينظر: ذكاء الحر، الطفل العربي وثقافة المجتمع، ط 1، دار الحداثة، بيروت، ص 35: نقلاً عن: النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية، سعد أبو الرضا، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، 1993، ط 1، ص 70، وكذلك ينظر: محنة أدب الأطفال، علي الحديدي، كتاب العربي، الكويت، العدد 23، أبريل، 1989، ص 169.

(3) ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهييتي، مرجع سابق، ص 206.

(4) ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

والمتنبّع لتاريخ نشأة أدب الأطفال العربي يجد أنه قد بدأ ترجمةً من آداب الطفل العالمية، ثم اقتباساً وتأثراً بالتراث العربي الزاخر بالقصص والحكايات مثل حكايات "ألف ليلة وليلة"، و"كليلة ودمنة"، و"قصص "جحا"، و"أشعب" وغيرها، وانتهى بالإعداد والتأليف والإبداع الخالص من عدد غير قليل من الأدباء والكتّاب العرب.

كما أنّ هذا الأدب على أهميته لم ينشأ نتيجة وعي تربوي أو اجتماعي، لذا كانت المبادرات الفردية هي التي وضعت البدايات الأولى له، عن طريق الصدفة، أو عن طريق محاولة التقليد⁽¹⁾، وذلك بسبب التأثير الثقافي بمن سبقنا إلى ذلك، كما هو الحال مع الشعراء "محمد عثمان جلال" و"شوقي" حيث أعجبا بحكايات لافونتين وقاما بترجمتها لأطفال العرب.

وقبل الوقوف عند جهود الدول العربية التي حظي أدب الأطفال فيها بالاهتمام نذكر جملة من أبرز العوامل ساعدت على ظهور ثم ازدهار أدب الأطفال في العالم العربي، ومنها:

1. بروز الاهتمام بالطفل في الساحة الثقافية العالمية، ومن ضمنها العربية.
2. إسهام الترجمة بنقل ثقافات الأمم الأخرى، فكانت من أهم عوامل ظهور أدب الأطفال العربي.
3. انتشار التعليم وزيادة معدلات الالتحاق به، وانخفاض معدلات الأمية إلى الاهتمام بالطفل وأدبه⁽²⁾.
4. الاعتراف بأدب الأطفال على أنه أحد فنون الآداب الهادفة مما شجع على البدء بدراسته والنهوض به⁽³⁾.
5. ظهور الصحافة وازدهارها وبخاصة صحافة الطفل ودورها المهم في احتضان أدب الأطفال من خلال نشره والعناية والاهتمام به.

(1) ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيبي، مرجع سابق، ص 230.

(2) البنى الحكائيّة في أدب الأطفال العربي الحديث، موفق رياض مقدادي، عالم المعرفة، دولة الكويت، 2012، ص 24.

(3) أدب الأطفال ومكتباتهم، هيفاء شرايحة، عمان، ط 3، 1990، ص 38.

في مصر: كانت مصر الرائدة في هذا المجال، لأنها سبقت بالانفتاح على الثقافة الأوروبية، بعد حملة نابليون على مصر، وكان والي مصر يرغب في أن يحدث في حياة المجتمع المصري، فأرسل البعوث التعليمية إلى فرنسا، كي يتيح للشباب الاطلاع على الحضارة والثقافة الأوروبية، ويطبقوا خبراتهم وكل ما تعلموه في بلادهم⁽¹⁾.

وكان من بين أولئك المبعوثين شاب أزهرى اسمه (رفاعة رافع الطهطاوي) (1801-1873)^(*) أسندت إليه مهمة التواصل مع الوفد، وتقديم الاستشارة الدينية له، وكان قد انبهر بكثير من مظاهر الحضارة والتقدم، وكان من أشد المتحمسين إلى التحديث والتغيير في مصر بعد عودته من فرنسا، وأكثر ما استرعى اهتمامه في شؤون التربية والتعليم التوجُّه نحو الطفولة، فترجم عن اللغات الأوروبية عدداً من كتب الأطفال⁽²⁾، ولم تمضِ سنوات حتى أصبح في أيدي التلاميذ أطالس وكتب في الجغرافيا، وكتب في الأخلاق والحساب والهندسة، وكتب القراءة والتسلية ومنها: (حكايات الأطفال)، و(عقلة الإصبع)⁽³⁾، والتقت جهوده مع رائد آخر من رجال الإصلاح في الفكر العربي هو "علي باشا مبارك"، فأصدرا معاً سنة 1870 م مجلة تُعنى بشؤون الأطفال سميها (روضة المدارس)⁽⁴⁾. كما بادر

(1) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات (دراسة نظرية تطبيقية)، نزار وصفي اللبدي، دار الكتاب الجامعي، عمان، 2001، ط 1، ص 17.

(*) **رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي**: يتصل نسبه بالحسين السبط، عالم مصري، من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث، ولد في طهطا، وقصد القاهرة سنة 1223 هـ فتعلم في الأزهر، وأرسلته الحكومة المصرية إماماً للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان الذين أوفدتهم إلى أوروبا لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية وثقف الجغرافية والتاريخ، ولما عاد إلى مصر وُلي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، وأنشأ جريدة (الوقائع المصرية) وألف وترجم عن الفرنسية كتباً كثيرة، منها: "قلائد المفاخر في غرائب عادات الأوائل والأواخر"، و"المعادن الثمينة"، و"مبادئ الهندسة"، و"المرشد الأمين في تربية البنات والبنين"، و"نهاية الإيجاز"، و"أنوار توفيق الجليل"، و"تعريب القانون المدني الفرنسي"، و"تاريخ قدماء المصريين"، و"بداية القدماء"، و"جغرافية مطبرون"، و"جغرافية الشام"، و"التعريفات الشافية لمريد الجغرافية"، و"تخليص الإبريز"، قال عمر طوسون: هو مؤسس مدرسة الألسن وناظرها، وأحد أركان النهضة العلمية العربية بل إمامها في مصر. توفي بالقاهرة. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 ط 15، مج 3، ص 29.

(2) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات (دراسة نظرية تطبيقية)، نزار وصفي اللبدي، دار الكتاب الجامعي، عمان، 2001، ط 1، ص 17.

(3) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 346.

(4) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات (دراسة نظرية تطبيقية)، نزار وصفي اللبدي، مرجع سابق، ص 17.

الشاعر (محمد عثمان جلال)**) بترجمة نحو مائتي حكاية شعرية للأديب الفرنسي (لافونتين) وأصدرها سنة 1854 م⁽¹⁾ في كتاب سماه: (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ)، وهو كتاب يحتوي على مائتي حكاية منظومة من الحكايات الخرافية على لسان الحيوان، وقد أضاف بتصرفه في الترجمة بعضاً من الحكايات العربية، ومن بين الحكايات التي نظمها (حكاية الثعلب والديك)، التي ترجمها (لافونتين) وهي من خرافات (إيسوب)⁽²⁾.

"ومن بين الحكايات التي نظمها (محمد عثمان جلال) وكانت ضمن حكايات (لافونتين) حكاية (الثعلب والعنب)⁽³⁾، التي جاءت ضمن خرافات إيسوب.

وأجمع مؤرخو أدب الأطفال في الوطن العربي على أن الشاعر (أحمد شوقي) أول من كتب أدباً خاصاً للأطفال، وكان ذلك في القرن التاسع عشر، ولم يكتفِ (شوقي) بالكتابة للأطفال، بل دعا الأدباء والشعراء للكتابة في هذا المجال فحثهم قائلاً: "والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأهمية"⁽⁴⁾.

(**) محمد عثمان جلال (1245 - 1316 هـ / 1829 - 1898 م): محمد بن عثمان بن يوسف الحسيني نسباً، الجليلي لقباً، الونائي بلداً: من واضعي أساس (القصة) الحديثة و(الرواية المسرحية، في مصر. ولد في (ونا القس) من أعمال بني سويف، وتعلم بمدرسة الاسن بالقاهرة، وتثقل في أعمال الترجمة والكتابة في بعض الوزارات. وآخر ما وليه منصب قاض (بمحكمة الاستئناف) بالقاهرة. وتوفي بها. له (العيون اليواقظ) منظومة ترجم بها أمثال لافونتين (1621 - 95، و(أربع روايات من نخب التياترات) من قصص موليير (1673 - 162)، و(الروايات المفيدة في علم التراجيدة) عن راسين (1699 - 1639)، و(الأمني والمنة) قصة عن برناردين ده سان بيير (1814 - 1737)، ومن مترجماته (تطبيق تعليم الاسلحة على الطريقة الجديدة)، و(نصائح عمومية في فن العسكرية)، ورواية (إسكندر الأكبر)، و(بول وفرجين)، وله (السياحة الخديوية في الأقاليم البحرية) أرجوزة، و(التحفة السنوية في لغتي العرب والفرنسوية). وكان من ظرفاء عصره، تروى عنه لطائف. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، 2002، مج 6، ص 262، للمزيد ينظر: أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، محمود الضبع، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2009، ط 1، ص 180 - 184.

- (1) أدب الأطفال فلسفته، فنونه وسائطه، هادي نعمان الهيبي، مرجع سابق، ص 288.
- (2) ينظر: كتب الأطفال في مصر 1955-1980 م، سهير أحمد محفوظ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2001 م، ص 38.
- (3) ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيبي، مرجع سابق، ص 208.
- (4) ديوان الشوقيات، المقدمة، ط 1، مطبعة المؤيد والآداب، 1898، ص 8.

وقد ضمَّ ديوانه (الشوقيَّات) الذي صدر سنة 1898 م مجموعة من المنظومات والحكايات الشعرية التي كتبها للأطفال، فكان له بذلك فضل سبق، وإن كان تأثره بالترجمات واضحاً، قال: "... وجريت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير .. وأنا أستبشر لذلك، وأتمنى لو وفقني الله لأجعل للأطفال المصريين - مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتمدّنة - منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم"⁽¹⁾.

ويذكر النقّاد أنّ حكايات شوقي للأطفال كانت منذ صدورها إرهاباً بميلاد جنس إبداعى يحمل خصوصية الخطاب الأدبي المباشر للأطفال⁽²⁾؛ حتى إنّ الحديدي عدّها نقطة تحوّل في تاريخ أدب الأطفال في لغتنا العربية من المنظور العالمي⁽³⁾.

ويبدو أنّ أذهان الأديباء لم تكن مهياًة لتقبل دعوة شوقي، حتى إنّ شوقي نفسه انصرف عن كتابة الشعر للأطفال والناشئة، بسبب الانتقادات التي كانت توجه لمن يكتب للأطفال⁽⁴⁾، بل إنّ شوقي نفسه قام بنشر بعض أشعاره في جريدة الأهرام سنة 1892 م بإمضاء مستعار⁽⁵⁾، ثم جمعت أشعاره الخاصة بالأطفال في جزء خاص من ديوانه⁽⁶⁾.

ولا يقتصر فضل (شوقي) على أنّه من أوائل من خصّوا الأطفال بشعرهم، أو لأنّه أول من دعا غيره من الأديباء إلى أن يجعلوا للأطفال العرب نصيباً، لكنه أيضاً يرجع إليه فضل استحداث نوعين من فنون أدب الأطفال المكتوب، هما القصة الشعرية، والأغنية. فكتب للأطفال من الفن القصصي أكثر من ثلاثين قصة شعرية، ونظم عشر مقطوعات ما بين أنشودة وأغنية.

(1) المصدر السابق، ص 7 - 8.

(2) ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، 2005، ص 5.

(3) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 349.

(4) أدب الأطفال في الوطن العربي، أحمد فضل شبلول، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 1998، 38-39: نقلاً عن:

البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، موفق رياض مقدادي، عالم المعرفة، دولة الكويت، ص 22.

(5) ينظر: الشوقيات المجهولة، محمد صبري، ج 1، دار الكتب، القاهرة، 1961، ص 13.

(6) ينظر: الشوقيات، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 903.

أما عن الفن الأول: فإنَّ ما نظمته شوقي من قصص وحكايات على لسان الحيوان والطير عامة، يبلغ نحو أربع وخمسين حكاية وقصة، ليست كلها خاصة بالأطفال، فإنَّ هناك من الحكايات التي كتبها ما تخرج برمزياتها، أو بالتعريض بها، أو أسلوب الجنس فيها، أو تعقيدها عن أدب الأطفال⁽¹⁾.

ويذكر (الحديدي) موضحاً أنَّ من الخطأ جمع حكايات شوقي كلها معاً، تحت عنوان (حكايات)^(*)، ويرى أنَّه كان من الأولى أن توضع في بابين منفصلين لاشتمالها على نوعين من الحكايات: نوع كتبه للكبار في شكل نكتة، أو لغز، أو قصة يعرِّض بها، أو يرمز لحدث، أو شخصية أو موقف أو سلوك إنسان، أو لتوضيح فلسفته في الحياة ومع الناس⁽²⁾، إضافةً إلى أنها في مجملها ذات ألفاظ لا يتَّسع لها قاموس الطفل اللغوي، مع العلم أنَّ شوقي أراد بهذه المقطوعات التوجُّه إلى الأطفال⁽³⁾.

والنوع الآخر كتبه للصغار، ويمتاز بسهولة الأسلوب وتسلسل الأحداث، من ذلك: قصة (اليمامة والصيد)، و(الكلب والحمامة)، و(القبرة وابنها)، و(النعجتان)^(*) وكثير ممَّا يمثِّل فيها الحيوان أو

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 351.

(*) وهو هنا يقصد "محمد سعيد العريان" الذي جمع حكايات شوقي تحت عنوان "حكايات" رغم إنَّ جزءاً منها موجَّه للأطفال، والآخر للكبار، غير أنَّ العريان له فضل إعادتها للديوان سنة 1943 م بعد أن كادت تطويها صفحة النسيان بعد أن تمَّ تجاهلها بعد الطبعة الأولى، ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، 2005 م، ص 6.

(2) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 351.

(3) ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 199.

(*) جمعت أغلب هذه المنظومات ونشرت 1949 م في كراس بعنوان "منتخبات من شعر شوقي في الحيوان" وقد بلغ عددها خمسين منظومة، هي: "ضيافة قطة"، "البلابل التي رباها اليوم"، "الديك الهندي والدجاج البلدي"، "قار الغيط وقار البيت"، "ملك الغريان وندور الخادم"، "الظبي والعقد والخنزير"، "ولي عهد الأسد وخطبة الحمار"، "الأسد والثعلب والعجل"، "القرود والفيل"، "النشاة والغراب"، "أمة الأرانب والفيل"، "حكاية الخفاش وليكة الفراش"، "الأسد ووزيره الحمار"، "النملة والمقطم"، "الغزال والكلب"، "الثعلب والديك"، "النعجة وأولادها"، "الكلب والقط والفأر"، "سليمان والهدهد"، "سليمان والطاووس"، "الغصن والخنفساء"، "القبرة وابنها"، "النعجتان"، "السفينة والحيوانات"، "القرود في السفينة"، "نوح عليه السلام والنملة في السفينة"، "الدب في السفينة"، "الثعلب في السفينة"، "الليث والذئب في السفينة"، "الثعلب والأرنب في السفينة"، "الأرنب وبننت عرس في السفينة"، "الحمار في السفينة"، "سليمان عليه السلام والحمامة"، "الأسد والضفدع"، "النملة الزاهدة"، "اليمامة والصيد"، "الكلب والحمامة"، "الكلب والبيغاء"، "الحمار والجمال"، "دودة القز والدودة الوضاعة"، "الجمال والثعلب"، "الغزالة والأثان"، "الثعلب الذي انخدع"، "ثعالة الحمار"، "البغل والحواد"، "الفأرة والقط"، "الغزال والخروف

الطير الشخصية الأساسية، واختيار شوقي قصص الحيوان يدل على أنه يعرف شغف الأطفال بها لبساطتها وسهولة تذكرها، ولأنها تعرض حالات مختلفة من الطبيعة الإنسانية من ناحية، ولأنها تعلم الحقائق الأخلاقية في شكل مشوق جذاب من ناحية أخرى؛ ولذلك نجده يضمن قصصه وحكاياته الدرس التهديبي والموعظة الأخلاقية⁽¹⁾.

والفن الثاني: الذي ابتكره شوقي من فنون أدب الأطفال هو الأغنيات والأناشيد، كتبها لتكون أدباً لهم وثقافة⁽²⁾، وليتغنوا بها فرادى وجماعات، فنظم عشر مقطوعات منها: (الجدّة) وأظهر فيها فضلها وعطفها على الحفيد وحبها له، و(الأم) وأكد فيها دورها في تكوين شخصية الابن، و(الوطن) الذي لا يعدله شيء حتى جنة الخلد، و(المدرسة) مفتاح الذهن، ومصباح الفكر، والباب إلى المجد، ومنها (نشيد الكشافة)، و(نشيد مصر)⁽³⁾.

ويتعجب (الحديدي) بتأثر شوقي بحكايات "لافونتين" رغم أنّ لافونتين^(*) نفسه قد تأثر بكتاب (أنوار سهيلي) كما ذكر في مقدمة الجزء الثاني من حكايته، ويعلّل سبب ذلك التأثر بأنّ (لافونتين) بلغ بحكايات الحيوان أقصى ما قدّر لها من كمال فني، فقد راعى الأسس الفنية العامة التي لحظها النابغون من السابقين، ثم استكمل هذه القواعد الفنية وبرع فيه، حتى صار مثلاً وغاية لمن حاكوه في الآداب جميعاً⁽⁴⁾.

والتييس والذئب"، "الثعلب والأرنب والديك"، "الثعلب وأم الأرنب"، ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 198-199.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 351-352.

(2) مقدمة الجزء الرابع من الشوقيات، محمد سعيد العريان.

(3) ينظر: آداب العصر في شعراء الشام والعراق ومصر، سعيد ميخائيل، مطبعة العمران، (د.ت)، ص 13، نقلاً عن: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 360.

(*) يقول لافونتين في مقدمة الجزء الثاني من أقاصيصه والذي طبع في سنة 1678 م أي بعد نحو خمس وثلاثين سنة من طبع ترجمة "كلييلة ودمنة" إلى الفرنسية سنة 1644 تحت عنوان "كتاب الأنوار" أو "مرشد الملوك": "أنني أقول عرفاناً بالجميل أنني مدين بالجزء الأكبر من هذه الحكايات للحكيم الهندي بيدبا الذي ترجم إلى كل اللغات، والناس في بلادنا يعتقدون أنّ بيدبا شديد القدم، وأنه هو الأصل بالقياس إلى يسوب إن لم يكن يسوب نفسه هو الذي عُرف تحت اسم الحكيم لقمان". ينظر: La Fontaine Fables N. E. classiques Hachette's Paris 1929. P. 223.

(4) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 351.

ويؤكد (حسن إسماعيل) أنّ شوقي تأثر بالضرورة بثلاثة مصادر بشكل مباشر أو غير مباشر، فرغم أنّ المصادر الغربية لها فضل نشأة هذا النوع عند شوقي، وعند غيره من كتّاب حكايات الأطفال الذين تأثروا بإيسوب اليوناني، فإنه لا يمكن إغفال المصادر الأخرى، وهي على الترتيب الآتي:

أولاً: المصادر الغربية: تتمثل في مصدرين رئيسيين هما:

أ. **حكايات إيسوب:** قدّم إيسوب اليوناني مجموعة كبيرة من حكايات الحيوان ترجمت إلى العربية، واتسمت بالقصر والتركيز حتى إنّ بعضها لم يتجاوز الأسطر الثلاثة، وهذا يعني أنّ مؤلفها كان معنياً بالمغزى الحكائي على حساب السرد، فهو في حكاياته يصور الجانب التأثري والرمزي، لذا سعى لتأكيد ما من أقصر الطرق. وكان طبيعياً أن يرى شوقي في بعض حكايات إيسوب مادة خصبة يستقي منها مضمون بعض حكاياته، وخاصة أنّ هذه الحكايات كانت ذائعة الصيت، ملهمةً للتأليف النظمي في هذا الباب.

ويذكر الباحثون أمثلة كثيرة على مظاهر تأثر شوقي بحكايات إيسوب - على سبيل المثال لا الحصر - منها ما نجده في حكاية "الغصن والخنفساء" التي تلتقي في مضمونها مع حكاية إيسوب (جوبتير والقردة) ومضمون الحكايتين يدور حول تفضيل كل منها لوليدها مهما كانت دمامته في عيون الآخرين، والمغزى فطري في العمليين، ومن بين الحكايات التي استقاها شوقي من إيسوب أيضاً حكاية (القرد في السفينة) حيث اتفقت في مضمونها مع حكاية إيسوب (غلام الراعي والذئب) وكلاهما تدور حول آفة الكذب، وما يحدثه من هلاك لصاحبه⁽¹⁾.

ب. **حكايات لافونتين:** كان لرحلة شوقي الباريسيّة أثرها المباشر في وقوفه على حكايات لافونتين للأطفال، وكما ذكرنا سابقاً أعجب شوقي بهذه الحكايات ودفعه هذا الإعجاب إلى أن ينظم على نسقها، وقد كان للافونتين رؤيته الخاصة لهذا النسق حيث يرى أنّ "الحكاية الخلقية على لسان الحيوان ذات جزأين يمكن تسمية أحدهما جسماً، والآخر روحاً، فالجسم هو الحكاية، والروح هو المعنى الخلقية"⁽²⁾.

(1) ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 14-15.

(2) الأدب المقارن، د.محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 3، 1977 م، ص 187.

هذا النص يبيّن لنا تصور لافونتين لبنية الحكاية الخرافيّة من خلال تضافر مضمون الحكاية مع مغزاها الخلقى، والمتأمل في حكايات شوقي للأطفال يجد هذه الخصيصة الأخلاقيّة موجودة عنده، حيث نظمها في عدة قوالب، منها: ضرورة شكر النافع في حكاية (العصفور والغدير المهجور)، وتبصير الطفل بما يورثه عدم الرضا من هلاك في حكاية (الطبي والعقد والخنزير) وغير ذلك⁽¹⁾.

ثانياً: المصادر المعاصرة لشوقي:

إنّ كان لشوقي فضل السبق بما قدّمه للأطفال من شعر منظوم على لسان الحيوان ما بين سنتي 1892-1893 م، فإن الباحثين يذكرون- كما سبق - أنّ محمد عثمان جلال سبق شوقي في إدخال هذا الشكل الأدبي إلى مصر مترجماً، حيث قام بترجمة خرافات لافونتين من الفرنسية في الفترة من 1848-1854 م، أي قبل شوقي بنحو نصف قرن⁽²⁾.

تعجّب عدد من الباحثين من إغفال شوقي لمعاصره محمد عثمان جلال وعدم ذكره لمؤلفه الشهير (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ)^(*)! حيث رأى أولئك الباحثون أنّ شوقي لا يمكن له إلا أن يتأثر بمؤلف محمد عثمان جلال، ولا يمكن تجاهله خاصةً أنه لم يكن نكرة في المجتمع المصري⁽¹⁾.

(1) ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 22-23.

(2) ينظر: أدب الأطفال، أنس داود، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص 45.

(*) إنّ ما يميز "شوقي" عن غيره هو توجّهه بكتاباتّه للأطفال خاصة، وليس مجرد التآثر بلافونتين، رغم أسبقية بعضهم إلى ذلك، وهذا ما يلمح إليه الحديدي في هامش كتابه حين قال: "قبل أن يكتب شوقي حكاياته ترجم محمد عثمان جلال كثيراً من حكايات لافونتين في كتابه "العيون اليواقظ في الحكم والأمثال والمواعظ" في شعر عربي مزدوج القافية، وكانت ترجمته حرة لم يتقيد فيها بالأصل، وحاول تمصير الحكايات العامية في صورة رجل، وبعده ألف إبراهيم العرب نظماً كتاب خرافات على لسان الحيوان سماه "آداب العرب"، وسار فيه على طريقة لافونتين. لكن هذين الأدبيين لم يكتبتا حكاياتهما للأطفال بل كتباهما للكبار؛ ومن ثم تخرج عن مجال أدب الأطفال الذي يكتب ابتداء لهم". في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 249.

وذكر (حسن إسماعيل) أمثلة على تأثر شوقي بجلال، حيث يلحظ تقارباً بين مضمون نصوصهما، فأوردَ أمثلة من العناوين التي تربط بينهما: فحكاية (الديك والثعلب) عند محمد عثمان جلال تقابلها حكاية (الثعلب والديك) عند شوقي، وحكاية (الثعلب والبجعة) عند جلال تقابلها حكاية (الثعلب الذي انخدع) عند شوقي، وحكاية (الحمامة والنملة) عند جلال تقابلها حكاية (الكلب والحمامة) عند شوقي، وحكاية (الفأر والديك والقط) عند جلال تقابلها حكاية (الفأر والقط) عند شوقي⁽²⁾.

غير أنّ بعضهم يُرجع هذا التوافق إلى تأثر الشاعرين بلافونتين، ولا بد أن نعي أن هناك اختلافاً واضحاً في حدود تأثرهما، فجلال لزم ترجمة حرفية لحكايات لافونتين، مع محاولة إلباسها ثوب المصرية كما ذكر العقاد⁽³⁾، في حين أخذ شوقي بالتكنيك الفني لحكايات لافونتين، وابتعد عن مضمونها، لذا كان متاحاً لشوقي أن يأخذ من جلال مضمون بعض الحكايات مضيفاً إليها سماته الشوقية الخاصة⁽⁴⁾.

وهنا لا بدّ أن أذكر أنّ هناك من الباحثين من برأ شوقي من الجحود والتكران لعدة أسباب، أهمها أنّ ما كتبه محمد عثمان جلال لا علاقة له بالأطفال⁽⁵⁾.

ثالثاً: المصادر التراثية: تتمثل في عدّة مصادر، هي:

أ. **التراث الإنساني:** أفاد شوقي من التراث الغربي عبر استرفاده مضمون بعض حكايات إيسوب اليوناني، ثم نظمها على نسق لافونتين الفرنسي، وأفاد أيضاً من التراث الإنساني العام.

(1) ينظر: شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 12، ص 87، كما ينظر: خرافات لافونتين في الأدب العربي، د.نفوسة زكريا، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، د.ت ص 74، نقلاً عن: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 29-30.

(2) ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 30-31.

(3) ينظر: شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة، ص 104.

(4) ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 29-31.

(5) شعر الأطفال التاريخ والفن، إيهاب عبد السلام، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، الجيزة، 2008، ط 1، ص 55.

فأبطال شوقي من الحيوانات صور رمزية معبرة عن شخصيات آدمية تعيش بيننا، غير أنه قدّمها على هيئتها المعروفة في تراث أهل المشرق والمغرب، بحيث خرجت من محليتها المرموز إليها في حكايته، إلى العالمية بصفاتها التي اتفق عليها تراث الإنسانية بعامة والأدبي بخاصة⁽¹⁾.

فالثعلب في حكايات شوقي لا يختلف من حيث الذكاء والاحتيايل عما حيك حوله في التُّراث الإنساني، ومن آيات ذكائه إيقاعه بالعجل في حكايته "الأسد والثعلب والعجل" التي أنهاها شوقي معترفاً بذكاء الثعلب الذي نطق بلسان حال مكره في نهاية الحكاية فرحاً⁽²⁾:

سلم الثعلب بالرأس الصغير ففداه كل ذي رأس كبير

وفي موضع آخر نعتة بالدهاء في حكاية (الثعلب في السفينة) بعدما تتصل من عهوده مع حيواناتها بالتهامه إياهم⁽³⁾:

وقال إذ قالوا عديم الدين لا عجب إن حنثت يميني

فإنما نحن بني الدهاء نعمل في الشدة للرخاء

وملامح الدهاء والذكاء التي نجدها في ثعلب شوقي هي الملامح نفسها نجدها في الآداب المختلفة، فثعلب إيسوب اليوناني يتسم بالذكاء أيضاً في حكاية "الثعلب والفهد" عندما تخاصما في أيهما أحسن منظراً، استدل الفهد بجمال فرائه، غير أنّ الثعلب رأى عكس ذلك فقال: "قد يكون لفرائك أناقة، غير أنّ ذكائي لم يزل أكثر أناقة"⁽⁴⁾، وثعلب إيسوب أيضاً هو الذي أوقع بتحايله وبراعة ذكائه قطعة الجبن من فم الغراب في حكاية "الثعلب والغراب"⁽⁵⁾، وكشف بفطنته كذب القرد في حكاية "الثعلب والقرد"⁽⁶⁾.

(1) ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 41.

(2) ديوان، أحمد شوقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1970، ج 4، ص 139.

(3) ديوان، أحمد شوقي، مصدر سابق، ص 163.

(4) ينظر: خرافات إيسوب، ترجمة عبد الفتاح الجمل، دار الفتى العربي، بيروت، د.ت، ج 2، ص 128.

(5) ينظر: المصدر السابق، ص 27.

(6) ينظر: المصدر السابق، ص 51.

وثعلب لافونتين لا يختلف عن قرينه الإيسوبي ونظيره الشوقي، حيث خدع الذئب في حكاية "الذئب والثعلب"⁽¹⁾، ونجا بحذره ونكائه من يد الأسد في حكاية "الأسد المريض والثعلب"⁽²⁾، وخرج بشدة منطقته ودهائه من البئر بعد أن لعب برأس العنزة مستغلاً سذاجتها في حكاية "الثعلب والعنزة"⁽³⁾.

ب. **التراث الديني:** استعان شوقي بالتراث الديني، حيث قدّم مجموعة من الحكايات استمدت روحها من النص القرآني، من أمثلة ذلك: حكايات السفينة مع نبي الله نوح التي قدمها في قالب ديني عبّر تسع حكايات، هي: "السفينة والحيوانات"، "القرد في السفينة" و"نوح والنملة في السفينة" و"الدب في السفينة" و"الثعلب في السفينة" و"الليث في السفينة" و"الثعلب والأرنب في السفينة" و"الأرنب وبنّت عرس في السفينة" و"الحمار في السفينة"⁽⁴⁾.

كما نظم أربع حكايات أُخر جمعت بين نبي الله سليمان ومجموعة من الطيور، هي: (البلابل التي رباها البوم) و(سليمان والهدهد) و(سليمان والطاووس) و(سليمان والحمامة)⁽⁵⁾.

ومادة هذه الحكايات غير مستقاة بالكامل من النصّ القرآني بصورة مباشرة، إلا أنّها اتخذت منه وعاءً حكائيّاً، في حين جاء المضمون من إبداع شوقي الشعري، وقد استعان بهذا الشكل الديني، ليقدم من خلاله رؤيته لكثير من المساوئ الأخلاقية التي تستشري في المجتمع، ليبصر الناشئة بها⁽⁶⁾.

ج. **التراث الأدبي:** هناك مجموعة من الالتقاءات بين بعض حكايات شوقي وما يقابلها في كتب التراث، ولم يعتمد شوقي كعادته إلى النقل المباشر من هذه المصادر التراثية الأدبية، لكنه وقف عند مضمونها ثم أعاد صياغة ما نهل منه من جديد، وتتمثّل هذه المصادر في تأثره بكليلة ودمنة لابن المقفع، والأمثال العربية التي اتفقت مع مضمون بعض حكاياته⁽⁷⁾.

(1) ينظر: حكايات لافونتين، ترجمة جيهان مصطفى فريجة، المركز القومي لثقافة الطفل، القاهرة، 1987، ص 73.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 81.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 85.

(4) ينظر: مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 45-46.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص 46.

(6) ينظر: المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(7) المرجع السابق، ص 52.

- **كليلة ودمنة:** هناك أمثلة عديدة لتأثر شوقي بها، سأكتفي بمثال على ذلك، فمن الحكايات التي التقى فيها شوقي مع ابن المقفع (حكاية الأسد والثعلب والعجل) التي استقى مضمونها من حكاية (الأسد وابن آوى والحمار) حيث تصور الحكايتين ضراوة البطش بالضعيف الغبي الذي قدمه شوقي ممثلاً في (العجل) وقدمه ابن المقفع في صورة (الحمار) وكلاهما رمز الغباء وعدم اليقظة، والأسد رمز للقوة والبطش عند شوقي وللمريض الضعيف عند ابن المقفع، بينما يرمز الثعلب في الحكايتين إلى الذكاء، وهو أداة طبيعة للإيقاع بالضعفاء طمعاً في نيل رضا الأسد⁽¹⁾.

- **الأمثال العربية:** من الحكايات التي تلتقي عند شوقي بما ورد عند العرب من أمثال حكايات (القبرة وابنها) و(الصيد والعصفورة) و"اليمامة والصيد" ففي الحكاية الأولى يقدم شوقي القبرة وهي تعلم ابنها الطيران، لكن في تودة وأناة، غير أن الصغير تعجل طيرانه، فانكسرت ركبته والحكاية برمتها تلتقي مع حكمة شعبية تناقلتها الأجيال مفادها قولهم "في التأنى السلامة وفي العجلة الندامة" وهذه الحكمة أوردها شوقي في نهاية العمل على لسان القبرة الأم قائلاً⁽²⁾:

ولو تأنى نال ما تمنى وعاش طول عمره مهنا

لكل شيء في الحياة وقته وغاية المستعجلين فوته

وتتفق حكاية شوقي (الصيد والعصفورة) مع ما أورده ابن عبد ربه في كتاب الجوهر في الأمثال تحت عنوان (مثل في الرياء)⁽³⁾، كما أنّ حكاية (اليمامة والصيد) عند شوقي تتفق مع الحكمة البليغة التي أوردها الميداني في مجمعه (مقتل الرجل بين كفيه)⁽⁴⁾.

ونظم الشاعر (إبراهيم العرب) ديوانه (آداب العرب) الذي طبع سنة 1913 م، ويتضمن تسعاً وتسعين قصة شعرية على غرار خرافات لافونتين، وقال في مقدمته: "... فهذا كتاب خدمت به نابطة

(1) المرجع السابق، ص 52-53.

(2) ديوان، أحمد شوقي، مصدر سابق، ص 157.

(3) العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط 3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1971، ج 3 ص 67-68.

(4) مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1978، ج 3، ص 245.

الوطن المحبوب، وأجريت فيه الأمثال والحكم المأثورة ليأخذوا منها ما يربي نفوسهم ويقوم أخلاقهم ويطبعها على أصوب آراء المتقدمين⁽¹⁾.

كما بيّن في تلك المقدّمة أنّه التزم بأن يجعل تلك المواعظ على شكل حكايات قريبة التناول واضحة المعنى إضافة إلى سهولة النظم بحيث لا يشعر القارئ الصغير بالملل⁽²⁾.

وأورد (أحمد زلط) عدّة أدلة استدللّ بها على أنّ (إبراهيم بك) كتب منظوماته الخرافيّة للأطفال، وذلك ردّاً على (الحديدي) الذي ذكر أنّ (إبراهيم العرب) لم يكتب منظوماته للأطفال، وأول تلك الأدلة التي أوردتها في كتابه: أنّ أوّل ما يطالع القارئ من عنوان كتاب (آداب العرب) بعد ذكر اسم مؤلفه: "قرّرت نظارة المعارف العموميّة طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدرّسه في المدارس الابتدائيّة بنين وبنات وفي مدارس المعلمات السنية ومعلمي الكتاتيب"، وثانيها: أنّ هذه المنظومات من حيث البنية والمضمون تلائم مدارك الأطفال من جانب وتتوجّه إليهم كأدب تعليمي وعظي من جانب آخر، وهذا ما ذكره "إبراهيم العرب" في مقدّمة كتابه التي ذكر فيها أنّ نظم هذه الخرافات لنباتة الوطن ليربي نفوسهم ويقوم أخلاقهم...، والمقصود بنباتة الوطن هم الأطفال، وهذا يُعدّ ثالث الأدلة⁽³⁾.

بعد ذلك أصدر الشاعر (محمد الهراوي)^(*) مجموعة من الكتب المتنوّعة بين الشعر والنثر، ومنها ديوانه (سمير الأطفال) الذي صدر سنة 1922 م بجزئيه الأوّل والثاني، وبهذا فهو من رواد شعر

(1) ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 212.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 212.

(3) ينظر: أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، د.أحمد زلط، دار المعارف، القاهرة، 1994 م، ص 31 _ 32.

(* محمد الهراوي: محمد الهراوي (1885-1939 م): من الذين وضعوا علامات مضيئة على طريق الكتابة للأطفال العرب. وُلد في قرية "هريّة رزنة" وتعلم بالقاهرة والإسكندرية، وأصدر "مجلة الرسول" وهو لا يزال طالباً. ثم دخل بعد ذلك سلك الوظيفة كموظف بوزارة المعارف سنة 1902 - 1911، ونقل بعدها رئيساً للحسابات بدار الكتب بالقاهرة، وقد كتب الهراوي للأطفال في وقت كانت فيه الكتابة لهم ينظر إليها نظرة استخفاف واستهانة واستهزاء، في وقت كان فيه أدب الأطفال في دول أخرى يرتفع شأنه وتكون له فنونه ووسائطه، ومن هنا كانت الكتابة للأطفال والتأليف لهم في ذلك الوقت تعدّ تضحية كبيرة لا يقدر عليها إلا من آمن بأنّ الكتابة للأطفال هي فن من الفنون الأدبية، لها دورها الكبير في إعداد وتنشئة الأطفال وتنقيفهم، وتغذية أفكارهم بشتى الحقائق والمعلومات وألوان التسلية والمرح، وكان الهراوي من هؤلاء المؤمنين بالطفولة وبالكتابة لها، فلم يأبه بما كان يسمع من تهكم وسخرية، بل استمر في

الأطفال، كما كان له العديد من القصص والمسرحيات الشعرية والنثرية، ويتسم نتاجه بالتنوع والغزارة والتجويد⁽¹⁾. وصدر ديوانه كاملاً سنة 1985 م عن هيئة الكتاب في مصر⁽²⁾.

ويرجع النقاد الفضل للهاوي في كتابة المسرحيات الشعرية الموجهة للأطفال، حيث كتب مسرحيتين شعريتين للأطفال، الأولى بعنوان (الذئب والغنم) التي طبعت سنة 1926م، والثانية بعنوان (المواساة) وقد طبعت سنة 1932 م⁽³⁾.

قسم بعض الباحثين المرحلة الأولى التي تنتهي بوفاة كامل كيلاني سنة 1959 م، إلى ثلاثة أدوار لتطورها في مجال شعر الأطفال، هي⁽⁴⁾:

1. من التلقين المباشر إلى الصورة الشعرية.

2. الانتقال من الإخبار المجرد إلى الإنشاد الجميل.

3. ظهور المسرحية الشعرية.

الطريق الذي اختاره والهدف الذي وضعه نصب عينيه وهو تربية النشء الصغير وتوجيهه الوجهة السليمة الصالحة وتزويده بما يحتاج إليه من زاد ثقافي يساعده على شق طريقه في المستقبل ويساعده على المشاركة في بناء المجتمع والوطن. أمّا أهم أعماله: في عام 1922 ظهرت أول كتابات الهاوي للأطفال، وهي منظومات قصصية بعنوان "سمير للأطفال للبنين"، وأتبعه في العام التالي بمجموعة أخرى سماها "سمير الأطفال للبنات"، وكان كل منهما في ثلاثة أجزاء، وفيما بين سنوات 1924 - 1928 م، كتب أغاني الأطفال في أربعة أجزاء، وكانت عبارة عن منظومات شعرية سهلة بالصور، وقد كتبها للسنوات الأربعة الأولى من المدرسة الابتدائية بحيث كان الجزء الأول، والجزء الثاني للصف الثاني.. الخ، كذلك من بين ما كتب الهاوي للأطفال هناك "الطفل الجديد"، "مسرحيات الأطفال"، "أبناء الرسل"، ومن أعماله غير المطبوعة "ديوان شعره"، و"قصص الأطفال". ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 287-288. كما ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، مج 6، ص 106.

(1) ينظر: أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهاوي، د. أحمد زلط، دار المعارف، القاهرة، 1994 م، ص 46 - 47، للمزيد ينظر الكتاب من ص 45 - 88، كما ينظر: د. علي الحديدي، في أدب الأطفال، مرجع سابق، ص 259 - 263.

(2) ينظر: موسوعة كُتّاب الأطفال في الوطن العربي، محمود قاسم، الهيئة المصرية للكتاب، 2007 م، ص 273.

(3) ينظر: شعر الأطفال التاريخ والفن، إيهاب عبد السلام، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، الجيزة، 2008، ط1، ص 81.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 74-81.

أمّا في مجال القصة الموجهة للأطفال، فقد كانت بداياتها مع المهندس حامد القصيبي الذي وضع سنة 1929 م كتابه (التربية بالقصص لمطالعات المدرسة والمنزل)، ويذكر الباحثون أنّ هذا الكتاب طُبِعَ عدة طبعات سرعان ما نَفِدَتْ من الأسواق، كما أنه أضاف رسوماً في كتبه بعد الطبعة الرابعة، التي ذكر في مقدمتها: "وها أنذا أقدم هذه الطبعة حالية بالصور والرسوم مستكملاً مزايا الكتب القصصية الموضوعية للصغار"⁽¹⁾.

يتضح من هذا العرض أنّ غرض هؤلاء المبدعين تربويّاً بالدرجة الأولى، كما ذكروا في مقدمات كتبهم، وذلك متأثراً بما وجدوه من اهتمام مجتمعات الغرب بتثقيف أطفالهم، من خلال ما يقومون بنشره من مؤلفات؛ لأنّ بعض الموضوعات عند الغرب لا تتناسب مع قيمنا وتقاليدنا.

أمّا الظهور الحقيقي لقصص الأطفال كان على يد (كامل كيلاني)^(*) الذي يُعَدُّ بحق الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية^(**)، وزعيم مدرسة الكاتبين للناشئة في البلاد العربية كلها، ففي العشرينيات من القرن الماضي ظهرت له أول قصة للأطفال وكانت بعنوان (السندباد البحري)، ونجح

(1) ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 208.

(*) كامل بن كيلاني إبراهيم كيلاني (1315 _ 1379 هـ = 1897 _ 1959 م): أول من كتب قصص الاطفال في الأدب العربي الحديث. مولده ووفاته في القاهرة. تعلم بها. وأجاد الإنكليزية والفرنسية. وألقى محاضرات في الجامعة المصرية القديمة. واشتغل بالتدريس الثانوي. ثم كان من موظفي وزارة الاوقاف (1922 _ 1954)، وتولى أمانة مجلس الاوقاف الأعلى. واستمر زهاء 30 عاماً يقيم في منزله ندوة أسبوعية لأصدقائه من رجالات العرب والإسلام. وألف كتباً، منها: "مصارع الخفاء" و"مصارع الأعيان" و"روائع من قصص الغرب" و"على هامش الغفران"، و"مختارات" في الأدب والاجتماع. وترجم من تأليف دوزي، بتصرف "ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام" وكتب للأطفال "مجموعة قصص فكاوية" ثماني رسائل، و"مجموعة قصص من ألف ليلة وليلة" اثنتا عشرة رسالة، و"مجموعة قصص هندية" سبع رسائل و"مجموعة قصص من شكسبير" أربع رسائل، و"مجموعة من أساطير العالم" ست رسائل، و"مجموعة قصص علمية" عشر رسائل. وكان أول ما نشر من هذه القصص "السندباد البحري" سنة 1922 وأخر قصة له "نعجة الجبل" وله نظم حسن. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ط 15، مج 5، ص 217 - 218.

(**) بعض الباحثين يرجّحون أنّ أولى حكايات الأطفال ظهرت في العالم العربي كانت للأديب العراقي "مصطفى جواد" في سنة 1922 م، ربما لم تعرف النور الذي يؤولها للذبيوع والانتشار، فعاد عود السبق إلى الأديب كامل كيلاني. ينظر: أدب الأطفال في الجزائر دراسة لأشكاله وأنماطه بين الفصحى والعامية (1990 _ 2004)، (أطروحة دكتوراه)، زهراء خواني، 2008 م، ص 11.

في تهذيب أدب الأطفال إلى حد كبير قياساً بمن سبقه من الكتاب والشعراء حين راعى في مؤلفاته القصصية قواعد الفن الأدبي، فقلل من المباشرة والوعظ كما استند إلى التراث في كثير من مصادره⁽¹⁾

واستفاد من خطواته تلك (محمد سعيد العريان)^(*) الذي كان له فضل انتزاع الاعتراف الرسمي بأدب الأطفال بوصفه فناً أدبياً، حيث خصصت له جائزة تشجيعية⁽²⁾، وقد تولّى رئاسة مجلة "سندباد" منذ سنة 1951 م، وألّف مجموعة من القصص التاريخية وقصص الأطفال، فُررت بعضها على المدارس، كما أصدر "أصحاب الكهف عن دار المعارف سنة 1974 م، و(من القصص المدرسية) عن دار المعارف سنة 1976 م، منها (الأخ الشريد)، و(أميرة الواحة)، و(بنت الأمير)، و(الإنسان الوحش)، و(الرجل المجهول)، و(صراع على الكنز)، و(الصيد الساحر)، و(اللقاء الغريب) سنة 1994 م، ثم توالى بعد ذلك الكتابات التي كان بعضها مقتبساً أو مترجماً عن لغات أخرى ولا سيما الإنجليزية والفرنسية⁽³⁾، أمّا الانطلاقة الحقيقية للكتابة للأطفال والاهتمام بأدبهم فكانت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية، وتوفّر حالة الاستقرار بعد نشوب الثورات العربية في الخمسينيات من القرن الماضي،

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 374.

(*) محمد سعيد العريان: ولد عام 1905 م وتوفي عام 1964 م، ويُعد من القمم الشامخة التي ارتفعت بأدب الأطفال في اللغة العربية، ووصل به إلى درجة رفيعة من الكمال الفني بحيث أصبح مثلاً للذين يكتبون للطفولة من بعده، وقد قدم العديد من القصص للأطفال، كلها كانت ذات أسلوب مشرق العبارات محبب إلى نفوس الأطفال، في لغة تتناسب عمرهم العقلي واللغوي. أما أهم أعماله: فقد أصدر العريان مجموعته الأولى للأطفال سنة 1934 م، وكانت هذه المجموعة بعنوان القصص المدرسية، احتوت على 24 قصة بالاشتراك مع "أمين دويدار" و"محمد زهران"، وأصدر بعدها مجموعة أخرى من القصص والحكايات اختار لها عنوان "كان يا ما كان"، اختارت دار المعارف المصرية "محمد سعيد العريان" رئيساً لتحرير مجلة "سندباد"، التي كانت من المجالات التي حرصت على "الابتعاد عن القصص الأجنبي والأدب المترجم واقتصرت على القصص العربي من مسلسلات طويلة من ألف ليلة وليلة أو قصص قصيرة، وقد استمر العريان في رئاسة تحرير "سندباد" مدة تسع سنوات متوالية، وقد توقفت المجلة عن الصدور في عام 1961 م بسبب بعض الظروف المالية، وكان العريان يشارك في المجلة بكتابة حلقات "رحلات سندباد"، التي أخرجها بعد ذلك في أربعة أجزاء ونال عليها جائزة الدولة التشجيعية لسنة 1962 م. ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 290-291.

(2) الأدب وبناء الإنسان، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 240-270.

(3) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 365 - 384.

فكانت الانطلاقة الكبرى في حوض مجال الكتابة للأطفال حيث ظهر العديد من الكتاب والمبدعين الذين أثروا مكتبة الطفل العربي بالعديد من القصص المبتكرة في الوقت الذي لم يتخلوا كلياً عن الاقتباس والترجمة وتبسيط القصص والحكايات العربية المستمدة من التراث الأدبي العربي⁽¹⁾.

وأما مسرح الأطفال فقد تأخر عن الشعر والقصة في مصر، حيث بدأت إرهاباته في الخمسينيات، حيث بدأت بالحركة المسرحية في مدارس مصر، وكانت الإرهابات الأولى على يد يعقوب صنوع سنة 1870 م، فظهرت عدة أعمال مسرحية، مثل: (الوطن - العرب) و(بطرس الأكبر) و(سيدنا عمر مع الأعرابي القاتل)، (ضيافة أبي ذر) وغيرها من المسرحيات⁽²⁾.

ويذكر الباحثون أن مسرح الطفل في مصر بدأ مع ما قدّمه (زكي طليمات)، الذي أنشأ الفرقة القومية عام 1925 م، ثم بما قدّمه في المسرح المدرسي⁽³⁾، وتعد البداية الحقيقية لمسرح الطفل في مصر ضمن مرحلتين مهمتين في تاريخ الأدب المصري، الأولى بدأت سنة 1963 م، برعاية وزارة الإرشاد القومي، والأخرى سنة 1964 م بإشراف (الثقافة الجماهيرية) على مستوى حكومي وشعبي موسعين⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 386، كما ينظر: أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 104.

(2) ينظر: مسرح الطفل في الوطن العربي، حمدي الجابري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2002، ص 38 و ص 42: نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 17.

(3) مسرح الطفل في الوطن العربي، حمدي الجابري، ص 70-88، نقلاً عن: مسرح الأطفال في ليبيا، رسالة دكتوراه (مخطوط)، عبد الحميد محمد عامر، ص 71.

(4) مدخل إلى مسرح الطفل، طارق عطية، محمد السيد حلوة، ص 20، 21: نقلاً عن: مسرح الأطفال في ليبيا، عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 72.

في سوريا: كانت بداية كتابة الشعر للأطفال في سوريا سنة 1937، وذلك مع صدور ديوان (حديقة الأشعار المدرسية) للشاعر (عبد الكريم الحيدري)^(*)، تلاه صدور ديوان (أغاني الطفولة) سنة 1945 م للشاعرة نصرة سعيد⁽¹⁾.

ويؤكد (قرانيا) _ أيضاً _ على أسبقية الشعر على القصة في سوريا، بقوله: "إن ميلاد الشعر كان سبباً للقصة، وذلك لأنَّ الشعر الطفلي نشأ في ظل التربية والتعليم، وكانت المدارس ولا تزال تثبت القصيدة في كتبها بين مواد القراءة والإنشاء والمحادثة، وهي تغري الطفل بإيقاعها الغنائي، وبالحفظ والاستظهار الحرفي أكثر من أيّ مادة تعليمية أخرى، فضلاً عن أن المطبوعات الخاصة بالطفل التي

(*) **عبد الكريم الحيدري**: ولد في مدينة حلب سنة 1910 م، وتوفي فيها سنة 1986 م، عاش في سوريا وفرنسا. وتلقى تعليمه في مدينة حلب، وبعد حصوله على الثانوية العامة قصد فرنسا لدراسة الحقوق، واضطره اشتعال الحرب العالمية الثانية للعودة إلى وطنه. عمل مدرساً في مدارس حلب ومعاهدها حتى أُحيل إلى التقاعد سنة 1978 بعد أربعين سنة في التدريس.

نتاجه الشعري:

- له ديوان: (المحفوظات الطريفة) 1945 م، و(حديقة الأشعار المدرسية) 1958 م، وله قصائد نشرت في مجلتي (الضاد) و(الطفل).

أعماله الأخرى:

- له العديد من قصص الأطفال، منها: (نظارة الشيطان) 1947، و(سعاد وليلى)، و(اللس الشريف)، وله عدد من المسرحيات الغنائية للأطفال قدّمها أطفال روضة البلابل ودوحة الورود على المسرح، ولك كتابان للناشئة: (المنجد في الإملاء)، و(معالم في الإنشاء) صدر في بداية الخمسينيات.

ارتبطت تجربته بالكتابة للطفل، فجاءت أناشيده موزّعة بين موضوعات تصوّر عالم الأطفال والناشئة، وتنتهج نهج الكتابة للطفل: من سهولة الألفاظ وبساطة التراكيب واعتماد أسلوب السرد واستخدام البحور الشعرية البسيطة، مع التنويع في الإيقاع، والاهتمام بالقيم والمبادئ، والحث على الأخلاق الحميدة، وتنويع قوافي القصيدة الواحدة، مع الميل إلى الوصف، وإقامة صور كئيبة تناسب عقلية الصغار.

ينظر: http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=4139

(1) ينظر: أدب الطفل العربي، سعيد بن عمر بن محمد بادواد، الكويت، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 1، 2003، ص 17: نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 14.

تُشر بجهود خاصة، أو في دور نشر تجاريّة، تؤكد أنّ الشعر فنّيّاً سبق القصة في هذا الاتجاه، فقد نشرت المكتبة الهاشمية بدمشق عام 1937 م كتاب "الاستظهار المصور في أدب البنين والبنات" في حلقتين، لـ "جميل سلطان"⁽¹⁾.

ومنذ ذلك التاريخ أخذ النتاج يتوالى، وظهرت أسماء جديدة في ميدان الكتابة للطفل، فأصدر "عادل أبو شنب" مسرحية (الفصل الجميل) سنة 1960 م، وهي مسرحية أسطورية كتبها بأسلوب مسجوع⁽²⁾.

ومن الأدباء الذين عنوا بالطفل الشاعر الكبير (سليمان العيسى)^(*)، الذي كرّس معظم شعره للأطفال، فأصدر سنة 1971 م مسرحية شعرية طويلة بعنوان (النهر)، وأصدر سنة 1973 م ست مسرحيات غنائية منها: (الأطفال يحملون الراية)، و(الأطفال بينون مدرسة المستقبل)، وأصدر سنة 1975 مجموعة من الأناشيد بعنوان (غنوا أيها الصغار)، وأصدر كذلك رحلة غنائية شعرية تتألف من واحد وعشرين نشيداً، بعنوان (القطار الأخضر)⁽³⁾، ثم جمع كل هذه الأعمال في ديوان بعنوان (ديوان

(1) ينظر: بدايات قصة الأطفال في سوريا، محمد قرانيا:

<http://www.arabchildrensliterature.com/ar/resources/ar-1>

(2) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات "دراسة نظرية تطبيقية" نزار وصفي اللبدي"، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ط 1، ص 19.

(*) سليمان العيسى: شاعر سوري مواليد 1921 م – وتوفي سنة 2013 م عن 92 سنة، تلقى تعليمه وثقافته الأولى على يد أبيه أحمد العيسى في القرية، فحفظ القرآن الكريم والمعلقات وديوان المتنبي وآلاف الأبيات من الشعر العربي، ولم يكن في القرية مدرسة غير (مدرسة الكتّاب) التي كانت بيت الشاعر الصغير، والتي كان والده الشيخ أحمد يسكنها، ويعلم فيها، بدأ سليمان العيسى كتابة الشعر في التاسعة أو العاشرة فكتب أول ديوان من شعره في القرية، تحدّث فيه عن هموم الفلاحين ويؤسهم.

له ديوان ضخم مطبوع تغلب عليه أناشيد الأطفال، وقد كُرّم بالعديد من الجوائز والاحتفاليّات في سوريا، وكان من مؤسسي اتحاد الكتّاب العرب في سنة 1969 م.

اتّجه إلى كتابة شعر الأطفال بعد نكسة 1967 م، وشارك مع زوجته الطيبية ملكة أبيض في ترجمة عدد من الآثار الأدبيّة، أهمها آثار الكتاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية، كما شارك مع زوجته وعدد من زملائه في ترجمة قصص ومسرحيات من روائع الأدب العالمي للأطفال، انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق في سنة 1990 م، وحصل على جائزة الإبداع الشعري في سنة 2000 م من مؤسسة البابطين. ينظر: <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

وقد تناوله العديد من النقاد بالدراسة بين مختلف ومتفق معه، وبخاصة في مستويات استخدامه للغة التي رأى البعض أنها فوق المستوى، ورأى البعض أنّ ذلك مهماً للارتقاء بمستوى الأطفال اللغوي. للمزيد ينظر: أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، محمود الضبع، مرجع سابق، ص 204 – 208.

(3) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات "دراسة نظرية تطبيقية" نزار وصفي اللبدي"، مرجع السابق، ص 20.

الأطفال) سنة 1999 م، ثم ديوان "فرح الأطفال" سنة 2006 م، وتتنوع قصائد العيسى في هذه الأعمال بين الأناشيد، والمقطوعات الحوارية، والقصص، أمّا على المستوى الموضوعي فتنوع بين معالجة القيم والتقاليد والعادات والسلوكيات والترغيب في الإيجابي منها، والتنفير من السلبي⁽¹⁾.

ومن إبداعاته المهمة كتابه "شعراؤنا يقدّمون أنفسهم للأطفال" سنة 1978 م، الذي قدّم فيه لسبعة وعشرين شاعراً عربياً من الشعراء القدامى جعلهم يتحدثون عن أنفسهم ويقدمون أنفسهم للأطفال مع بعض مقطوعاتهم الشعرية⁽²⁾.

ومن رواد شعر الأطفال في سوريا - أيضاً - (مصطفى عكرمة)، و(بيان الصفدي)، و(معشوق حمزة)، و(موفق نادر)، و(محمد منذر لطفي)، و(صالح هوارى) وغيرهم⁽³⁾.

وفي مراحل تالية برزت عناصر شعريّة أخرى أثرت مع من سبقهم من الشعراء الرواد الساحة بهذا الفن، وتتنوع نتاجهم بين القصيدة والأنشودة والمسرحية الشعرية، منهم: (خالد الخزرجي) كتب ديوان (الأمل) سنة 1979 م، و(بيان الصفدي) كتب ديوان (الأغاني) سنة 1982 م، و(ممدوح السكاف) كتب ديوان (شواطئ بلادي) سنة 1983 م، و(سليمان العيسى) كتب ديوان (ما زالوا الواحة) سنة 1985 م كما كتب مسرحية شعرية بعنوان (ميسون وقصائد أخرى) سنة 1973 م، و(محمد منذر لطفي) كتب مجموعتين شعريتين ضمن سلسلة كتاب أسامة الشهري، الأولى (من رأي العمال) سنة 1982 م، والثانية (الحقل السعيد) سنة 1984 م، و(وفيق خنسا) كتب ديوان (أغاني الأطفال) سنة 1986 م، و(شوقي بغدادي) كتب ديوان (عصفور الجنة والقمر على السطوح) سنة 1982 م، و(بري عبد ربه) كتب ديوان (الفصول وقصائد أخرى) سنة 1979 م، و(محمد أبو معتوق) كتب ثلاث مسرحيات غنائية للأطفال في سنة 1984 م، و(موفق نادر) كتب مسرحية غنائية بعنوان (الغيمة تمرح) سنة 1984 م، و(صالح هوارى) كتب ديوان (عصافير بلادي) سنة 1981 م كما كتب مسرحية

(1) ينظر: أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، محمود الضبع، مرجع سابق، ص 205.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 207.

(3) ينظر: أدب الأطفال، أ.د. ربحي مصطفى عليان، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط 1 2014 م، ص 369.

غنائية بعنوان (قتلوا الحمام) سنة 1984 م، و(خضر عكاري) كتب ديوان (أناشيد الطفولة) في سنة 1987 م⁽¹⁾.

ويلاحظ أنّ الساحة السوريّة تتميّز عن غيرها من الأقطار العربيّة بغناها بشعراء الأطفال وغزارة نتاجهم وجودته، في حين أنّ عدداً من الأقطار العربيّة يكاد يفتقر لهذا الفن!

أهم أسباب توجّه الشعراء السوريين للأطفال:

1. من بين الأمور التي ألحّت على الشعراء السوريين للتوجّه للطفولة، وجعلت بعضهم يهجر - مؤقتاً - الكتابة للكبار، ويلتفت للصغار، الشعور بالإحباط وفقدان الكثير من الأمل، نتيجة للهزائم التي اجتاحت الأمة العربيّة، فرأى الشاعر لزاماً عليه، أن يتحوّل إلى هذا الجمهور البكر البريء، الذي يمكن أن يزرع فيه بذور الخير والعدل والحب والجمال، ويهيئه إلى مستقبل -بات- الكبار يتوجّسون منه خيفة بسبب ما آل إليه حال الأمة العربيّة خلال القرن العشرين.

2. كان لظهور الصحافة المتخصصة للأطفال - بعد أن كانت محصورة في الكبار - أثرٌ إيجابي في جذب عددٍ من شعراء الأطفال إليها، وقد لعبت مجلة "أسامة" منذ صدورها سنة 1969 م، دوراً بارزاً في هذا المضمار.

3. كان لتخصيص عام دولي للطفل سنة 1979 م، أثرٌ بالغ في لفت الأنظار إلى الطفولة، ودافع لعددٍ من الشعراء للتوجّه إليها، فطبعت مجموعات شعرية لم تكن لتظهر لولا ذلك⁽²⁾.

وفي فن القصّة: كانت بدايات قصة الطفل على شكل نصوص متناثرة في كتب اللغة العربيّة المدرسية، إما مقتبسة عن الآداب العالميّة بتصرّف، وإما من التراث العربي القديم كما في كليلة ودمنة، ونوادر جحا، وبطولات من التاريخ وغيرها، ولم تخرج في ذلك كله عن الإطار التعليمي الذي يقوم على التوجيهات والحكم والمواعظ. وكان يشرف على اختيارها ووضعها مؤلفو الكتب المدرسية دون أن تكون للأدباء والكتاب أية علاقة تذكر في ذلك⁽³⁾.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 369 - 370.

(2) ينظر: قصائد الأطفال في سوريا دراسة تطبيقية، محمد قرانيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003 م، ص 29.

(3) ينظر: القصة الطفلية في سورية، عيسى الشماس، منشورات وزارة الثقافة، سوريا دمشق، 1996، ص 50.

ومع تنامي الاهتمام العالمي بأدب الأطفال من حيث هو عنصر تثقيفي وتربوي فعّال، رديف للمواد التعليمية، اتجه عدد من الكُتّاب السوريين ببعض نتاجاتهم القصصية إلى الأطفال - وإن ظلت قصصهم تدور في الغالب ضمن الإطار التعليمي التهديبي تبعاً للنظرة التربوية التقليدية التي كانت سائدة - ولم ترق إلى المستوى الذي بلغته قصص الأطفال في العالم المتقدّم خلال النصف الأول من القرن العشرين⁽¹⁾.

ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، تزايد اهتمام المعنيين في سوريا بتربية الطفل وثقافته عامة، وأدبه خاصة، فراح الأدباء يكتبون لهم العديد من ألوان الأدب الطفلي التي تتناسب إلى حدٍ ما مع النظرة التربوية الحديثة إلى الطفولة⁽²⁾.

ومع صدور مجلة (أسامة) سنة 1969 م، وهي مجلة متخصصة بأدب الأطفال، أصبح الباب مفتوحاً على مصراعيه أمام قصص الأطفال لتأخذ طريقها إلى الطفل خارج نطاق الكتب المدرسية، ولتفسح المجال واسعاً أمام كُتّاب قصص الأطفال، وهكذا أخذت قصة الطفل تزدهر وتتقدم وتترسّم معالمها على أيدي أربعة من الرواد الأوائل، هم: زكريا تامر وعادل أبو شنب ودلال حاتم وعبد الله عبد، فكان لهم الفضل الكبير في ترسيخ جذورها وتثبيت وجودها⁽³⁾.

ويلاحظ كثرة ما كان ينشر من القصص المترجمة في هذه المجلة في سنواتها الأولى، لقلة الكُتّاب المحليين، لجدّة التجربة في هذا المجال، فبرز نتيجة ذلك عدد من المترجمين أبرزهم ميخائيل عيد وعبد الرزاق جعفر وهاشم حمادي وغيرهم، حيث أجهدوا أنفسهم بنقل الكثير من قصص الأطفال في العالم التي تتناسب مع واقعنا وأهدافنا إلى أطفالنا⁽⁴⁾.

ومع مطلع السبعينيّات دخلت قصص الأطفال في سوريا عهداً جديداً متقدماً، حيث شهدت قفزة نوعية في الكم والكيف، فقد قامت وزارة الثقافة بنشر أول مجموعة قصصية للأطفال بعنوان "لماذا

(1) ينظر: القصة الطفلية في سورية، عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 50.

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها.

(3) ينظر: المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها.

(4) ينظر: المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها.

سكت النهر" للفاصل زكريا تامر، ثم تبعتها مجموعات عدة في السنوات اللاحقة، وظهرت مجموعة أخرى من كتّاب قصص الأطفال الذين انضموا إلى جيل الروّاد الأوائل، منهم: ليلي صايبا سالم وأيوب منصور ونزار نجار وعزيز نصّار وعبد الرزاق جعفر ومقبولة شلق⁽¹⁾.

ويعلّل (قرانيا) تأخّر قصة الأطفال في سوريا عن الشعر بقوله: "إنّ من أسباب تأخّر القصة الطفلية عن الشعر في سورية، أن شعر الأطفال كان بصورة من الصور امتداداً لديون الشعر العربي، بينما دخلت القصة في المنهاج المدرسي من دون جذور تاريخية واضحة، وما جاء مستحدثاً منها، ليس سوى لوحات قصصية، وأنها لم تولد ولادة حقيقية في المكتبة السورية إلاّ بعد أن التفت للاشتغال بها ثلاثة كتّاب، كان لهم باعهم الطويل في الكتابة القصصية والروائية، هم (زكريا تامر) و(عادل أبو شنب) و(عبد الله عبد) وربما كان لـ (تامر) و(أبو شنب) دورٌ كبير في إغناء التجربة الطفلية بصورة عامة، فقد ساعدا بحكم موقعهما الإداري والأدبي في مؤسسات الدولة الثقافية على إصدار مجلات وصفحات في الصحف اليومية، فكان لذلك أبعاد الأثر في تنبيه الرأي العام الثقافي إلى هذا الجنس الأدبي الوليد، وقد توالى الاثنان على رئاسة تحرير مجلة أسامة"⁽²⁾.

أمّا الموضوعات التي تناولتها قصص الأطفال، فهي كثيرة ومتنوعة، ويصعب تصنيفها بشكل دقيق، "إلا أنها شملت الموضوعات الاجتماعية والوطنية والقومية إضافة إلى بعض الموضوعات العلمية والخيالية، والموضوعات المستمدة من التراث العربي القديم، غير أنّ غالبية الموضوعات تعتمد مبدأ ضعف ارتباط الطفل بالواقع"⁽³⁾.

وربما كان لحدائث فن القصة والحاجة إليه الأثر في أنّها "حظيت في سوريا باهتمام النقاد أكثر ممّا حظي به الشعر، فقد توفّر على دراستها عددٌ من النقاد من أمثال (سمر روجي الفيصل) و(عبد الله أبو هيف) و(عبد الرزاق جعفر) ثم (علي حمد الله) و(نزار نجار) و(عيسى الشماس) وسواهم، ممّن تركّزت

(1) ينظر: القصة الطفلية في سورية، عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 50.

(2) ينظر: بدايات قصة الأطفال في سوريا، محمد قرانيا:

<http://www.arabchildrensliterature.com/ar/resources/ar-1>

(3) واقع البنية الفنية لقصص الأطفال في سورية، مجلة المعرفة السورية، سمر روجي الفيصل، العدد (214 - 215)

- ك1، 1979- وك2، 1980، ص 158.

دراساتهم حول ضرورة الاطلاع على ما كُتِب من دراسات وبحوث حول أدب الطفل، ومراعاة الخصائص الموضوعية والفنية له، التي توصل إليها أولئك الدارسون⁽¹⁾، والواقع أنّ هؤلاء النقاد الكبار، قد أفادوا بدراساتهم في أدب الطفل من الباحثين والمبدعين في سائر الأقطار العربيّة.

أمّا مسرح الأطفال: فقد انطلق في العالم العربي في الربع الثاني من القرن العشرين، نتيجة اختلاط الأدباء العرب بأدباء الغرب. وقد كانت انطلاقته متأخرة نسبياً عن كتابة القصة والشعر⁽²⁾.

وكما كان لسوريا دور الريادة في مسرح الكبار، على يد أبي خليل القباني _ في ستينيات القرن التاسع عشر _ كانت _ أيضاً _ من الدول الرائدة في ظهور مسرح عربي موجّه للأطفال؛ إذ بدأت الكتابة المسرحيّة فيها منذ أربعينيات القرن العشرين؛ فجاءت في هيئة بدايات فرديّة، من قبل المربين؛ لتغطية احتياجات المهرجانات المدرسيّة هادفاً لغرس القيم الدينيّة الأخلاقيّة، وتقويم الواقع الاجتماعي في البلاد⁽³⁾.

يقول (الحسيني) إن مسرح الأطفال عند العرب على الرغم من كونه لا يخلو من التركيز على القيم والمواظب الدينيّة، فإنّ ولادته كانت من خلال قصص تراثية، ذات أبعاد أخلاقيّة، مثل: السندباد، والشاطر حسن، وجحا، والوزير سالم، وعلي الزبيق، وعنترة، وغيرها، ويلحظ من خلال قراءة أسماء هذه المسرحيات، أنها تبحث عن البطل المميز، والفاعل، والأخلاقي، لإيصال بعض القيم الأخلاقيّة للأطفال⁽⁴⁾.

(1) ينظر: بدايات قصة الأطفال في سوريا، محمد قرانيا:

<http://www.arabchildrensliterature.com/ar/resources/ar-1>

(2) ينظر: مسرح الطفل في الوطن العربي، حمدي الجابري، مرجع سابق، ص 38: نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 16.

(3) ينظر: مسرح المتفرج الصغير في سوريا، عدنان سلوم، 1994، ص 16: نقلاً عن: مسرح الأطفال في ليبيا، عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 72.

(4) المسرح نشأته وأدابه.. وأثر النشاط المسرحي في المدارس، عيسى خليل محسن الحسيني، دار جرير، عمان، 2006، ط 1، ص 303.

ويذكر النقّاد أنّ بدايات مسرح الأطفال في سوريا كانت ضمن اهتمام حكومي في صورة مسرح تعليمي، مرتبطٍ بمنظومة التربية والتعليم، متأثر بالمد القومي نتيجة الظروف السياسية في ذلك الوقت، وبأهداف الدولة الرسمية وأيدولوجيتها الاشتراكية⁽¹⁾. حيث أصدر (نصرة سعيد) الذي يعد من رواد أدب الأطفال في سوريا ست مسرحيات مدرسية، منها: (مصرع الباغي وخيم) و(أحكام قراقوش) و(فوق الجرح ملح) و(بنت المفتشة)⁽²⁾. وبدأ الإنتاج يتوالى، وظهرت أسماء جديدة في ميدان الكتابة للطفل، فأصدر (عادل أبو شنب) مسرحية (الفصل الجميل) سنة 1960 م⁽³⁾.

ومع بداية السبعينيات تدخلت وزارة التربية وأبدت اهتماماً أكبر في هذا المضمار، فبدأ النشاط المسرحي يأخذ طريقه نحو التقدم والازدهار⁽⁴⁾.

وقد اهتم بكتابة النصوص المسرحية للأطفال أدباء كبار بارزون من مثل: (سليمان العيسى)، و(رضا صافي)، و(نصري الجوزي) وغيرهم كثر. فساعد ذلك على ازدهار هذا النشاط في فترة السبعينيات والثمانينيات وفق الاعتبارات التربوية⁽⁵⁾.

أما المجلات: فهناك مجلتان: مجلة "أسامة" أصدرتها وزارة الثقافة بدءاً من فبراير سنة 1969 م وتخطب الأطفال بين 9 _ 12 سنة، وهي تصدر نصف شهرية ويبلغ عدد نسخها خمسين ألف نسخة، أما مجلة (الطليعي) التي تصدرها منظمة الطلائع فتصدر مرة في الشهر مؤقتاً، ويبلغ عدد

(1) ينظر: مسرح الطفل بين الجمالية والتربوية، محمد عبد المعطي، مجلة المسرح، القاهرة، العددان: 21، 22، آب،

أيلول، 1990 م، ص 25: نقلاً عن: مسرح الأطفال في ليبيا، عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 71.

(2) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات، (دراسة نظرية تطبيقية)، نزار وصفي اللبدي، مرجع سابق، ص 19.

(3) ينظر: المرجع سابق، ص 19.

(4) ينظر: مسرح الطفل في الوطن العربي، حمدي الجابري، ص 99-102: نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في

النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، 2008، ص 16.

(5) ينظر: أدب الطفل العربي، سعيد بن عمر بن محمد بادواد، الكويت، دار سعاد الصباح، ط 1، 2003، ص

133-134: نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، فريدة الأمين المصري، مرجع

سابق، ص 16-17.

نسخها خمسين ألف نسخة أيضاً، بالإضافة إلى مجلة "رافع" التي صدرت في أغسطس 1972 م ولكنها لم تستمر⁽¹⁾، ويعتبر صدور مجلة (أسامة) ولادة حقيقية لأدب الأطفال بمعناه المعاصر⁽²⁾.

والحقيقة أن مسرح الطفل ليس هو المسرح المدرسي، بل إنّه مختلف عنه اختلافاً بيّناً وإن كان متمماً للعملية التعليمية والتربوية للطفل، فهو مثل القصة والرواية والشعر يجب أن يكون قائماً بذاته، ومعتداً على متخصصين من كتّاب مسرحيين وممثلين ومخرجين ومهندسي بناء ومهندسي مناظر؛ ليؤدّي دوره الفعّال، كما تؤدّيه القصة والرواية والنشيد، في فتح آفاق خيال الطفل، وتكوين خبراته الحيوية، وتوسيع معارفه، وتنمية ذوقه وتدوّقه لفن المسرح، في حين أنّ المسرح المدرسي أشبه ما يكون بمختبر تجارب أو معرض لنشاطات التلاميذ، وهو جزء من بقية جوانب المنهج المدرسي، ويهدف إلى أغراض تربوية⁽³⁾.

وقد التفت بعض الباحثين إلى المعوّقات التي تواجه مسرح الطفل في الوطن العربي وأكّدوا أنّه لينهض من واقعه المتعثر ينبغي أن تستلمه أيدٍ متخصصة مدركة للتأثير المباشر لهذا الفن على شخصيّة الطفل ونفسيته واختياراته⁽⁴⁾.

ويسرد (الحسيني) جملة من أبرز الأسباب التي تقف وراء عدم تطوّر مسرح الطفل في الوطن العربي، ومنها⁽⁵⁾:

▪ عدم اهتمام أكثر الحكومات بمسرح الطفل اهتماماً جاداً، وعدم إدراك أهميته.

(1) أدب الأطفال والقيم التربوية، د. أحمد علي كنعان، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط 2، 1999 م، ص 102 - 103.

(2) القصة الطفلية في سورية، دراسة تحليلية للقيم التربوية، د. عيسى الشماس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص 50.

(3) ينظر: أدب الأطفال فلسفته، فنونه وسائطه، هادي نعمان الهيبي، مرجع سابق، ص 300.

(4) أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 18.

(5) المسرح نشأته وآدابه وأثر النشاط المسرحي في المدارس، عيسى خليل محسن الحسيني، دار جرير، عمان، 2006 م، ط 1، ص 304.

- عدم اهتمام كثير من الكتاب بالكتابة لمسرح الطفل.
- عدم توفر التخصص في الجامعات التي تدرّس مسرح الطفل في الدول العربية.
- عدم التبادل بين الدول العربية في مجال مسرح الطفل، سواء في العروض، أو في تبادل الخبرات والمادة المكتوبة.
- عدم إدراج المسرح ضمن مناهج التعليم في الوطن العربي كمادة أساسية، أو كنشاط فهو لا يُدرس بشكل نظامي، باستثناء لبنان، والمغرب.

ومن خلال هذا العرض لواقع مسرح الطفل في العالم العربي، نلاحظ ما يلي:

- تأخر مسرح الطفل في نشأته عن غيره من الفنون كالشعر والقصة عالمياً وعربياً.
- كانت البداية غالباً للمسرح التعليمي ضمن المنظومة التعليمية التربوية.
- حاولت بعض الأنظمة السياسية الاشتراكية بعد الاستقلال التأثير على المسرح بشكل عام ومسرح الطفل بشكل خاص وأدلجته بطابعها الاشتراكي.
- كانت بدايات مسرح الطفل في بعض الدول العربية - وربما لا تزال - فردية ولم تكن به مؤسسات الدولة العناية التي يستحقها في بعض الدول العربية، مقارنة بما هو في الغرب.

ومن سبعينيات القرن العشرين إلى الآن شهد أدب الأطفال في وطننا العربي انتعاشاً وازدهاراً لم يكن قد شهدهما فيما سبق، فانتشر هذا اللون من الأدب في كل الأقطار العربية، وباتت له اتجاهاته الدينية والوطنية والقومية، وتمسك بالقيم التربوية والتثقيفية والتثقيفية، فصار الأطفال أكثر حظاً من سابقهم، وعلى الرغم من كل هذا الانتشار والتوسع فإن نتاج كتب الأطفال في مختلف أنواع المعارف ما زال غير كافٍ إذا ما قارناه بعدد الأطفال العرب، فضلاً عن أنّ هذه الكتب لم تكن في مجملها جيدة ومناسبة للأطفال، فالكتب الجيدة كانت قليلة، بسبب عدم مراعاة النواحي العلمية والفنية لصالح الناحية التجارية، كما أنه لم توجد دور متخصصة في نشر كتب الأطفال إلا في الآونة الأخيرة⁽¹⁾.

يتبين ممّا سبق بالنسبة لظهور أدب الأطفال في العالم العربي أنّ البدايات كانت عبارة عن محاولات فردية ضعيفة في الغالب، وقد تفاوت ظهوره زمنياً بين دولة وأخرى، كما يذكر الباحثون أن

(1) ينظر: مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، مفتاح محمد دياب، مرجع سابق، ص 25.

العقدين السابع والثامن من القرن العشرين يمثلان بداية صحوة حقيقية لتلافي النقص الخطير الذي تعاني منه الدول العربية في مجال الكتابة للأطفال⁽¹⁾.

ومما يؤخذ على ما أنتج من أدب للأطفال في الدول العربية في هذه الفترة، ما يلي⁽²⁾:

1. نتاج كتب الأطفال في مختلف أنواع المعارف ما زال غير كافٍ إذا ما قارناه بعدد الأطفال العرب.
2. لم تكن هذه الكتب في مجملها جيدة ومناسبة للأطفال، فالكتب الجيدة كانت قليلة، بسبب عدم مراعاة النواحي العلمية والفنية والسعي إلى الناحية التجارية.
3. عدم وجود دور متخصصة في نشر كتب الأطفال إلا في الآونة الأخيرة⁽³⁾.
4. عدم تنبؤ الكُتَّاب والشعراء إلى أعمار الأطفال الذين يوجّه إليهم هذا الأدب، فلم يكتبوا أدباً مقصوداً لعمر معين، بل كان أدباً عاماً وعائماً لا يراعي الفروق الفردية، والاختلافات الإدراكية بين مراحل الطفولة المختلفة⁽⁴⁾.

ويذكر بعض الباحثين أنّ كل ما وصل إلى أذهان أطفالنا وأخيلتهم ينبع من مصدرين هما⁽⁵⁾:

1. الترجمة عن بعض اللغات، ولا سيما الإنكليزية والفرنسية.
 2. إعادة بعض الحكايات العربية المستمدة من تراثنا الأدبي على نحو مبسط.
- والواقع أنّ الترجمة مصدر لا اعتراض عليه، لكن ما نراه من أكداًس مترجمة كمّاً غير متجانس، ولا يصلح كثير منه لأطفالنا لأنّه ينشد الربح المادي، ويعبّر عن ثقافة وقيم تخالف أحياناً ما نريده لأطفالنا.

(1) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات (دراسة نظرية تطبيقية)، نزار وصفي اللبدي، مرجع سابق، ص 21.
(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 15.
(3) ينظر: مقدمة في ثقافة الأطفال، مفتاح محمد دياب، القاهرة، مرجع سابق، ص 25.
(4) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 387.
(5) ينظر: أدب الأطفال والقيم التربوية، أحمد علي كنعان، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999 م، ص 74.

وأما الحكايات والأقاصيص فقد قُدمت للأطفال في الغالب على حالها، بمضامينها القديمة أسلوباً ومضموناً دون تطور، وهي حكايات نسجتها أخیلة الناس في عصور مختلفة لم تكتب أساساً للصغار بل ليتداولها الكبار⁽¹⁾.

وفي الوطن العربي هناك حاجة لتطوير أدب الأطفال ليوكب النقد الحضاري، رغم تزايد الاهتمام به عالمياً.

ومع ما تحقق من إنجازات؛ فإنَّ حركة أدب الأطفال في العالم العربي تشوبها بعض السلبيات، نجملها فيما يلي⁽²⁾:

1. قصور في الاهتمام بالتراث الشعبي، وإعادة استلهامه، وتقديمه لصغار الأطفال.
2. الاعتماد على الترجمة، والافتباس من الإبداعات الغربية، دون انتقاء أحياناً لما يناسب أطفالنا من حيث قيم مجتمعاتنا العربية المسلمة.
3. استسهال الكتابة للأطفال دون السعي لمعرفة حقيقية حول احتياجاتهم وميولهم.
4. عدم التدقيق في توجيه الإبداعات الأدبية لمراحل عمرية بعينها.
5. عدم الاهتمام في كثير من الأحوال بشكل كتاب الطفل وإخراجه، بدعوى إخراج كتاب زهيد السعر.
6. ارتفاع سعر الكتاب المقدم للطفل.

ويمكن تحديد أبرز الظواهر المتعلقة بأدب الأطفال العربي فيما يلي⁽³⁾:

1. كان أدب الأطفال، خلال النصف الأول من القرن العشرين يغلب عليه الطابع الوعظي، فلم تظهر الكتابات الأدبية الرفيعة - على قلتها - إلا خلال العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن.

(1) ينظر: أدب الأطفال والقيم التربوية، أحمد علي كنعان، مرجع سابق، ص 74.

(2) ينظر: أدب الأطفال المفاهيم الأشكال التطبيق، كمال الدين حسين، دار العالم العربي، القاهرة، ط 1، 2009، ص 47.

(3) ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 233 - 235.

2. بدأ ظهور أدب الأطفال العرب شعراً، ولم تظهر القصة المنثورة إلا في مطلع الأربعينيات.
3. رغم اتساع حيز الترجمة بالنسبة إلى التأليف، إلا أن أعمالاً أدبية رفيعة حديثة لم تترجم إلى اللغة العربية، كما أن هناك روائع أدبية تعد من كلاسيكيات أدب الأطفال لم تترجم حتى اليوم.
4. سعت بعض دور النشر (الأجنبية والعربية) إلى ترجمة كتب ومجلات للأطفال العرب، ومع أن كثيراً من هذه الآثار له مكانة أدبية عالية، إلا أن جزءاً منه يُعد نوعاً من عملية الغزو الثقافي، لا سيما وأن هذه المواد تقدّم بصورة فيها كثير من الإثارة والجاذبية، ممّا يشكّل حافزاً على تهافت الأطفال عليها.
5. جنحت بعض القصص والصور القصصية، التي اعتمدت على التراث الشعبي العربي إلى أسلوب تقديس الماضي، من خلال المبالغة اللفظية، دون تجسيد الوقائع والأفكار تجسيداً فنياً.
6. احتوت بعض القصص المستمدة من التاريخ والتراث على مواقف قاسية، وكان من الواجب استبعاد مثل هذه المواقف، كما أن أكثر ما قُدّم للأطفال مما استُمدّ من التراث العربي المكتوب احتوى على تعبيرات وألفاظ لا يتسع لها قاموس الطفل العربي اللغوي.
7. ظهرت أساليب عديدة في كتابة القصص والمقالات والشعر للأطفال على المستوى العالمي، تناولت مضامينها جوانب متعددة .. ومع هذا فإنّ أساليب أدب الأطفال العربي ومضامينه بحاجة إلى التنوع والتجدد بما يحقق المتعة والفائدة.

المبحث الرابع

مفهوم قصص الأطفال ونشأتها في ليبيا

يكاد يُجمع النقاد على أنّ القصة تأتي في المقام الأول من الأدب الموجّه للأطفال، فالأطفال يستمتعون بها، ويبهرهم ما بها من شخصيات ورسوم وسرد جميل وحوار ممتع⁽¹⁾.

"وتُعدّ القصة من أقوى عوامل الاستثارة في الطفل، وهي إما أن تكون نوعاً من الأدب المسموع، يجد الطفل فيه لذته واستمتاعه الفنّي، قبل أن يعرف القراءة والكتابة، وإما أن تكون أدباً مقروءاً ومسموعاً معاً عندما يعرف القراءة والكتابة بدرجة جيدة، وهي فضلاً عن ذلك فن أدبي يتفق مع ميول الطفل، ويجد نفسه منجذباً إليه بطبعه ومشغولاً به"⁽²⁾.

ويرى علماء النفس "أنّ الاستمتاع بالقصة يبدأ عند الطفل منذ أن يتمكّن من فهم ما يحيط به من حوادث وما يُذكر أمامه من أخبار، وذلك في أواخر السنة الثالثة من عمره، فهو على صغر سنّه ينصت للقصة التي تتناسبه ويشغف بها ويطلب المزيد منها. ونحن نعرف أنّ للقصة مغزى وأسلوباً وخيالاً ولغةً، وأنّ لكل هذه العوامل أثراً في تكوين الطفل. ومن هنا نشأت ضرورة الاستفادة من القصة في البيت والمدرسة، وضرورة اختيار الصالح منها ومعرفة كيفية عرضه على الطفل"⁽³⁾.

ويفسر علماء النفس سر إعجاب الأطفال في المراحل الأولى بالقصص والحكايات وانشادهم إليها؛ إلى كونها لوناً من ألوان اللعب الإيهامي الذي يحتاج إليه الصغار وتشبّعهم بعنصر الخيال⁽⁴⁾.

في حين يرى آخرون؛ بأنّ القصة إضافةً إلى كونها لوناً من اللعب الإيهامي، فهي تشبه الحلم بالنسبة إلى الصغار، ففيها مجال رحب لإعادة التوازن في حياتهم، فالأطفال من خلال اندماجهم مع أحداث القصة أو الحكاية، يستطيعون أن يكتشفوا أنفسهم، ومن خلال الحلم يدفعون حدود عالمهم المحدود إلى الخلف، وينطلقون إلى عالم آخر، عالم الحلم والخيال⁽⁵⁾.

(1) ينظر: أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 133. كما ينظر: أدب الأطفال، ربحي مصطفى عليان، مرجع سابق، ص 124.

(2) أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، 2006، ط 1، ص 121.

(3) في أدب الأطفال، عبد الرزاق جعفر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979، ص 43-44.

(4) ينظر: سحر القصة والحكاية، محسن ناصر الكناني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 71.

(5) ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

"والقصّة _ باعتبارها من أمتع الفنون الأدبيّة _ حظيت باهتمام بالغ على مر الأزمنة والعصور، فهي تحمل تجارب الإنسان وخبراته، وتنقلها إلى الآخرين مغلفة بالخيال في معظم الأحيان، أو معبّرة عن الحقائق مجردة كما هي، وهي في كلتا الحالتين تُلقِي الضوء على الكثير من صور الحياة ومشكلاتها، بل لعلّها نوع من التّاريخ للأشخاص والحقب، بل "لعلّ التّاريخ نفسه قصة"، ومن هنا كان لأدب القصة دوره التلقائي الذي يستمد وجوده من أحداث الحياة في كل صورة من صورها الإنسانية والاجتماعية والثقافية، بما ينطوي عليه من تجسيد للمدركات العقلية والذهنية لما يجري من الأحداث واستخلاص عبرها، وبهذا المعنى يكون فن القصة أقرب الفنون الأدبية إلى الحياة الإنسانية وأشدّها تأثيراً"⁽¹⁾.

"كما أنّ القصة من الفنون الأدبيّة المؤثّرة على السلوك القيمي للأطفال القراء في المواقف اليوميّة، كما أنّها أكثر حيويّة وتشخيصاً للمواقف الحيّة، وأكثر جاذبية للأطفال ومن أقدراها على إقناعهم؛ فهي تستثير مشاعرهم، وتمتلك عقولهم، وتنمّي القدرة على الابتكار لديهم، وتحلّق بهم في أحايين كثيرة في أجواء الخيال بعيداً عن الواقع"⁽²⁾.

وقصص الأطفال تصنّف عادةً تصنيفاً واضحاً لمستوياتها حسب الفئات العمرية لتلبية حاجاتهم واهتماماتهم، فمنها ما يظهر في كتب مصوّرة^(*) معدّة خصيصاً لتناسب الأطفال الصغار في شكلها ومضمونها، وتتبعها كتب المبتدئين بمستوى أعلى بهدف تنمية المهارات القرائية الأولية للأطفال، ثم تأتي المرحلة الانتقالية التي تشكّل جسراً يعبر عليه الأطفال للوصول إلى مستوى القراء المتمكّنين، والقصص في مستوياتها المختلفة تغطي مجالاً واسعاً من المواضيع، والقيم، والأساليب، وتمثّل أفضل أنواع الكتابة الأدبيّة هذه الأيام⁽³⁾.

-
- (1) أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، مرجع سابق ص 121-122.
- (2) قراءات الأطفال، حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، ط 5، القاهرة، ص 124.
- (*) وهو نوع من القصص، تستخدم الرسوم والصور للتعبير عن حكاية بسيطة، تهدف تنمية الخيال والسلوك السليم والقيم المرغوبة والاستعداد للقراءة لدى الأطفال الصغار الذين لم يلتحقوا بالمدرسة بعد أو الذين في الصفوف الأولى منها، وبعضها يدرّب على استكمال الرسوم والأشكال الناقصة"، ينظر: المرجع السابق، ص 132.
- (3) ينظر: أضواء على أدب الأطفال، إبراهيم أحمد نوفل، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2014، ص 12.

وقد حاول كثير من النقاد والكتاب التَّعْرُضَ لمفهوم القصة بشكل عام، ومنهم "أحمد نجيب" حيث يذكر بأن: "القصة شكل فني من أشكال الأدب الشائق، فيه جمال ومتعة، وله عشاقه الذين يتتقلون في رحابه الشاسعة الفسيحة على جناح الخيال، فيطوفون بعوالم بديعة فاتنة، أو عجيبة مذهلة، أو غامضة تبهر الألباب وتحبس الأنفاس، ويلتقون بألوان من البشر والكائنات والأحداث تجري وتتابع، وتتألف وتتقارب، وتفترق وتتشابك، في اتساق عجيب وبراعة تضيء عليها روعة أسرة وتشويقاً طاعياً.

وهي لهذا من أحب ألوان الأدب إلى القراء، ومن أقربها إلى نفوسهم .. ولها _ كما لكل عمل فني _ قواعد وأصول، ومقومات فنية" (1).

أمَّا القصاص والنَّاد الأمريكي "إدجار آلن بو" فيقول: "تعتبر القصة مجالاً لتدريب القرائح، والرقى والسمو بها، وهي أفضل المجالات النثرية لذلك .. والقصاص الماهر هو الذي يبني قصته وما فيها من فكر وفلسفة من خلال ملاءمة الأحداث مع الشخصيات التي تترك أثراً متميزاً في نفس السامع أو القارئ" (2).

ويرى أدباء آخرون أنَّ القصة "حدث حصل لشخص عادي في ظروف غير عادية أو حدث حصل لشخص غير عادي في ظروف عادية" (3).

وتعرفها "هويدا الحسيني" بقولها هي: "أحد أشكال التعبير الأدبي، الذي يعمل على نقل خبرة من الحياة ومن الواقع، يصيغها الكاتب والأديب من خلال خياله المبدع في صورة جديدة، تعبّر عن وجهة نظر الكاتب تجاه الخبرة الحياتية، التي يريد نقلها إلى القارئ من أجل تحقيق هدف وجداني، ثقافي، معرفي، ووسيلته في ذلك الكلمة المكتوبة" (4).

(1) فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 72 _ 73.

(2) الطفل وأدب الطفل، هدى قناوي، مرجع سابق، ص 166.

(3) المرجع السابق نفسه الصفحة نفسها.

(4) القيم في القصص المترجمة للأطفال دراسة تحليلية تقويمية، هويدا الحسيني، دار فرحة للنشر والتوزيع، 2009، ص 10.

مفهوم قصص الأطفال:

هذا فيما يخص الفن القصصي بشكل عام، أما مفهوم قصص الأطفال وإن كانت لا تختلف من الناحية الفنيّة عن قصص الكبار، فإنّ لها خصوصيّة تفرضها طبيعة المتلقّي - الطفل - فعلى الكاتب أن يوازن بين أهدافه التربويّة وألا ينسى كونه فناناً، حتى يخرج عملاً جميلاً مفيداً ومن ثم مقبولاً من قبل هذا القارئ الحساس.

حاول "الفيصل" التوصل إلى تعريف متكامل لقصة الطفل يجمع بين جوانبها الفنيّة والتربوية، الآخذة في الاعتبار عالم الطفل وخصوصيته، حيث ذكر بأنّها: "جنس أدبي نثري قصصي موجّه إلى الطفل ملائم لعالمه، يضم حكاية شائقة ليس لها موضوع محدد أو طول معيّن، شخصياتها واضحة الأفعال، ولغتها مستمدة من معجم الطفل، تطرح قيمة ضمنية، وتعبّر عن مغزى ذي أساس تربوي مستمد من علم نفس الطفل"⁽¹⁾.

وبعضهم لم يذكر لقصة الطفل أي خصوصيّة سوى من خلال ما تحقّقه من أهداف، من أولئك (الشيخ) فرغم أنّه لم يذكر في تعريفه الطفل، فإنّه من الواضح من خلال ذكره للهدف - أي بناء الشخصية - أنه يقصد القصة الموجّهة إلى الطفل الذي هو في طور بناء شخصيته، حيث يقول: "فن أدبي إنساني تتخذ من النثر أسلوباً لها، تدور حول أحداث معيّنة يقوم بها أشخاص في زمان ما، ومكان ما، في بناء فني متكامل تهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة"⁽²⁾.

كما حاولت "هدى قناوي" أن تضع تعريفاً تُبرز فيه أهميّة القصص للأطفال، حيث ذكرت أنّ قصص الأطفال هي: "فن من فنون الأدب له خصائصه وعناصر بنائه التي من خلالها يتعلّم الطفل فن الحياة. وهكذا تساهم القصة في بناء شخصية الطفل"⁽³⁾.

وبتفصيل أكثر يعرفها (حنورة) بقوله: "القصة فن أدبي يهدف إلى كشف أو غرس مجموعة من الصفات، والقيم والمبادئ، والاتجاهات بوساطة الكلمة المنثورة التي تتناول حادثة او مجموعة من

(1) ثقافة الطفل العربي "دراسة" سمر روجي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1987، ص 134.

(2) أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 112.

(3) الطفل وأدب الطفل، هدى قناوي، مرجع سابق، ص 166.

الحوادث التي تنتظم في إطار فني من التدرج والنماء، وتقوم بها شخصيات بشرية أو غير بشرية وتطور في إطار زمان ومكان محددين، مصاغة بأسلوب أدبي راق يتنوع بين السرد والحوار والوصف، ويعلو ويدنو وفقاً للمرحلة المؤلف لها القصة، وللشخصية التي يدور على لسانها الحوار⁽¹⁾.

ويُجمع الباحثون ومنهم (سعيد) على أهمية هذا الفن وقربه من نفوس الأطفال بما فيها من عناصر التشويق والخيال؛ ليوحي من كلامه ضرورة استغلاله أحسن استغلال لتحقيق المتعة والفائدة لهم، فيقول: "هي شكل فني من أشكال الأدب بوجه عام، ونوع محبب لثقافة الأطفال بوجه خاص، فيه جمال ومتعة، وله عشاقه من الأطفال الذين ينتقلون في رحابه الشاسعة الفسيحة على جناح الخيال، فيطوفون بعوالم بديعة فاتنة، أو عجيبة مذهلة، أو غامضة تبهّر الألباب وتحبس الأنفاس، تتألف وتتقارب، وتفترق وتتشابك، والأحداث تجري وتتابع في اتساق عجيب، وبراعة تصنف عليها روعة أسرة وتشوقاً طاغياً"⁽²⁾.

ويستطرد قائلاً: بأنّ القصة إضافة إلى كونها فناً محبباً إلى قلوب القراء الصغار، فإن لها - كما لكل عمل فني - قواعدها الثابتة وأصولها ومقوماتها الفنية⁽³⁾.

ويعرّفها (محمد حسن عبد الله): بأنّ القصة "مصطلح فني، أساسه التعبير عن تجربة إنسانية، في شكل حكاية، بلغة تصويرية مؤثرة. هذا هو المعنى العام"⁽⁴⁾، ويرى أنّ إضافته إلى الأطفال في مصطلح (قصص الأطفال) لا يعني ذلك إعفاء مفهوم "القصة" من شروطها، أو تفريغها من محتواها، غير أنّ الشرط الإضافي المفهوم من ذكر "الأطفال" هو بمثابة قيد زائد، يلزمنا بالتدقيق والمراجعة، والحرص على تجنب الخطأ أو الإساءة غير المتعمدة؛ لأنّ هذه الفئة "الأطفال" لا تملك وسائل التمييز أو النقد⁽¹⁾.

(1) الإبداع من منظور تكاملي، مصري عبد الحميد حنورة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1997: نقلاً عن: أدب الأطفال فلسفته.. أنواعه.. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، دار زهران، عمان، ط 1، 2009، ص 217.

(2) ثقافة الأطفال واقع وطموح، سعيد أحمد حسن، مؤسسة المعارف، بيروت، ط 1، 1995، ص 121.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 121.

(4) قصص الأطفال ومسرحهم، محمد حسن عبد الله، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001، ص 20.

(1) ينظر: قصص الأطفال ومسرحهم، محمد حسن عبد الله، مرجع سابق، ص 20.

ويتضمن تعريف (إيمان البقاعي) نوعين من الشروط، منها ما يتعلّق بالمتلقّي الصغير ومنها ما يتعلّق بالقصة الموجهة إليه، فتذكر: "قصة الأطفال فن نثري أدبي شائق، مروى أو مكتوب، يقوم على سرد حادثة أو مجموعة من الحوادث مختلفة الموضوعات والأشكال، مستمدة من الخيال أو الواقع أو من كليهما، لها شروطها التربويّة والسيكولوجيّة المتعلّقة بنمو الطفل، وشروطها الفنيّة المتعلّقة كذلك بهذا النمو، ويشترط فيها أن تكون واضحة، سهلة ومشوّقة، وأن تحمل قيماً ضمنية تساهم في نشر الثقافة والمعرفة بين الأطفال، كذلك في تنمية لغتهم وخيالهم وذوقهم، فتجمع بين متعتي المعرفة والفن"⁽¹⁾.

وورد في موسوعة أدب الطفل العربي: أنّ "القصة أو الرواية فن أدبي يتناول حادثة أو مجموعة من الحوادث، تُستمد من الواقع أو الخيال، أو منهما معاً، تنتظم في إطار فنيّ من التدرج والنماء، ويقوم بها شخصيات بشرية أو غير بشرية، وتدور أحداثها في زمان ومكان محددين، وتصاغ بأسلوب أدبي راق يتنوع بين السرد والحوار والوصف، والسهولة والتعقيد، وفقاً للمرحلة العمرية المستهدفة، والشخصية التي يدور على لسانها الحوار. والقصة لا تقدّم معاني وأفكاراً فحسب، بل تقود أيضاً إلى إثارة عواطف وانفعالات معينة لدى الطفل"⁽²⁾.

وتتكوّن القصة من عناصر، هي:

الحدث، والشخصيّات، والعقدة، والحل، وعنصري المكان والزمان، والأسلوب، والهدف، ولقد عرف العرب القصة من قديم الزمان، لكنّها كانت تخلو من بعض عناصر القصة الحديثة، والقصة الحديثة اقتبسها العرب من الأدب الغربي في الفترة ما بين الحربين الأولى والثانية⁽³⁾.

ويمكن التمييز بين أربعة أنواع لقصص الأطفال من حيث حجمها ومدتها الزمنيّة، وهي: الرواية، القصة، القصة القصيرة، والأقصوصة⁽¹⁾:

(1) المتقن في أدب الأطفال والشباب، د.إيمان البقاعي، دار الراتب الجامعيّة، بيروت، لبنان، 117.

(2) موسوعة أدب الطفل العربي: <http://www.merbad.net/vb/showthread.php/16076>

(3) ينظر: أدب الأطفال فلسفته.. أنواعه.. تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، مرجع سابق، ص 220.

(1) ينظر: أدب الأطفال، ربحي مصطفى عليان، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2014، ص 135-138،

كما ينظر: أدب الأطفال، عبد الفتاح أبو معال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 1988، ص 34.

1. **الرواية:** وهي أطول القصص مدة، إنها قصة طويلة وأكبر الأنواع من حيث حجمها تتعدد فيها الشخصيات وتتنوع طباعهم، ويتشعب العمل القصصي فيها إلى حوادث كثيرة تتداخل فيها أحداث الحياة العامة، وتتشابك وتتكشف خلالها علاقات الشخصيات بالناس والحياة والبيئة والعوامل المتحكمة في مصير كل من هذه الشخصيات، ويتيح ذلك للكاتب عرض جوانب متعددة من طباعهم وتحليلها بعمق، ولهذا فإنها تناسب الأطفال ما بعد سن الثانية عشرة⁽¹⁾.

2. **القصة:** وهي وسط بين الرواية والقصة القصيرة، إنها لا تتسع اتساع الرواية، ولا تشمل مساحة واسعة من الحياة ومن الشخصيات ومن الأحداث، وإنما تقوم على محور صغير ومحيط محدود من الشخصيات والأحداث، تتركز عادة حول حادثة أو أحداث قليلة تؤدّيها شخصيّة أو شخصيتان تتداخل علاقاتها في القصة بشخصيات ثانوية قليلة.

3. **القصة القصيرة:** وهي صغيرة في حجمها، وتتكوّن من حدث صغير يشترط فيها أن تكون لغتها بسيطة سلسة وجملها قصيرة وكلماتها سهلة، كما يشترط أن لا يتجاوز سردها عشر دقائق إنها تصور حادثة واحدة أو موقفاً مفرداً أو حالة نفسية اعترت شخصية في لحظة ما، أو جانباً من الشخصية، وفي حيز ضيق، ولا بد أن تكون في مجموعها وحدة أي أن يجمعها غرض واحد، ويجعلها تمتاز بوحدة التأثير وبالتكثيف في الموضوع وفي الحادثة، وفي طريقة سردها، أو في الموقف وطريقة تصويره، ويقبل الأطفال على قراءة القصص القصيرة، ويستمتعون بها ويتعاطفون معها نظراً لأنّ خصائصها تناسب الطفولة.

4. **الأقصوصة:**

وهي أقصر أنواع القصص من حيث المدة الزمنية إذ لا تتجاوز الصفحة، وتصور الأقصوصة مشهداً صغيراً، أو تجلو فكرة جزئية أو لمسة نفسية.

(1) الأدب العربي الحديث، عمر دقاق، ص 242، نقلاً عن: أدب الأطفال، رجي مصطفى عليان، مرجع سابق، ص

ومن حيث الحكمة الفنية، تقسم القصة إلى ثلاثة أنواع⁽¹⁾:

أ. قصة الحادثة أو القصة السردية: وهي التي تُعنى بسرد الأحداث وتوجه الاهتمام الأكبر إلى عنصر الحركة، بينما لا يحظى منها رسم الشخصيات بنفس الاهتمام.

ب. قصة الشخصية: التي توجّه اهتماماً لشخصية معينة في القصة وما تتعرض له من مواقف، ومن خلال هذا يقدم المؤلف ما يريد من أفكار ووقائع وأحداث.

ج. قصة الفكرة: وهي تركّز اهتماماً على الفكرة، ويأتي دور السرد ورسم الشخصية في الدرجة الثانية.

لذا فإن الصياغة الفنية للقصة تبنى وفق أسس وقواعد شغلت أذهان النقاد، ولصوغ القصة الموجهة إلى الأطفال، والفتيان لا بدّ من اتّباع بعض القواعد من أهمها⁽²⁾:

- التوازن بين مراحلها الثلاثة، أي عدم الإسراف في المقدّمة، وعدم المبالغة في عرض العقدة، وعدم تأخير الحل، ومراعاة النسب بينها.
- المحافظة على وحدتها الفنية وترابط عناصرها كي لا يلاحظ القارئ فيها شيئاً من التناقض، أو التعارض في الأفكار أو الاستطراد الطويل الممل.
- أن تكون الشخصيات طبيعيّة، وتطورها كذلك، وأن توضح أفعالها وأقوالها ببعدها المضموني.
- ألا تعرض الحوادث كلها في القصة عرضاً صريحاً بعبارة مباشرة؛ إذ لا بد من التلميح أحياناً؛ فالطفل يجد متعة البحث عن الألفاظ وعن معانيها شريطة عدم الإكثار، لأنه يبعث على الملل.
- أن يكون الحوار القصصي طبيعيّاً لا تناقض فيه، وأن يقبله عقل القارئ.
- أن تتدرج في حوادثها حتى تحتفظ بانتباه السامع من دون سأم على ألا تخلو من بعض المفاجآت الممتعة؛ إذ ليس الهدف من أدب الأطفال والفتيان تربوياً، أو خلقياً، تعليمياً بصفة مطردة إذ لا بد من تخصيص جانب للمتعة، ولملء أوقات الفراغ، ولا بد من إسباغ روح الخفة أحياناً عليه، وذلك يجعل

(1) فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 81-82.

(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000 م)، عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 175.

القصة جذابة؛ فالمتعة والخفة أمران يتابعهما الناشئون بنشوة وسعادة لأنهما يبعدانهم عن الواقع اليومي الرتيب.

■ أن تأخذ القصة في الاعتبار عمر الطفل المقصود مخاطبته، بأن يكتب على ظهرها سن الطفل المفترض أن يقرأها؛ كما هو سائد في العالم المعاصر، لكن العشوائية في الكتابة أو عدم تحديد سن الطفل المكتوب له قد يخلق شيئاً من التناقض في أداء القصة لدورها التربوي الصحيح، ومن ثم فهي تؤثر سلبياً على إشباع الطفل لرغبته أو حاجاته المعرفية.

■ إضافة إلى ذلك يجب الأخذ في الاعتبار الشكل العام للقصة، والرسوم المصاحبة، وأن تكون أيضاً وفق معايير فنية وموضوعية تناسب الموضوع كما تناسب المرحلة العمرية للطفل.

وممّا لا شك فيه، أن القصة الجيدة تشد الطفل وتثير فضوله إلى القراءة، فيعيد قراءتها أكثر من مرة وكأنه يرغب في إثراء خياله بأحداثها المشوقة، بل تحببُه في القراءة والفضول المعرفي بشكل عام، إضافة إلى ضرورة الالتزام بالأسس والقواعد ومعايير القصة الجيدة، لتبقى القصة مستحوذة على اهتمام الأطفال لما فيها من التشويق.

العلاقة بين القصة والحكاية في أدب الأطفال:

نمّة فرق جوهري بين القصة والحكاية. فالقصة تتوجّه بالدرجة الأولى إلى الطفل، وتأخذ في الاعتبار مراحل نموه، وميوله ومداركه، ولها قوانين بناء خاصة: (حدث، شخصية، حبكة، لغة توصيل، نهاية) بينما نرى الحكاية تمتلك هي الأخرى قوانين خاصة (حدث منطقي أو غير منطقي التطور، شخصية أو عدة شخصيات ليست لها ملامح معينة، زمان مطلق، مكان غير محدد غير مشخص، الشخصية تحكمها قوى خارجية قدرية وليست هي ناتج فعلها أو تحركها الأحداث أو تتفاعل معها، صحيح، قد تتوفر على قدر من البساطة، والشاعرية، والحكي أو السرد التقليدي، إلا أنها تختلف بنائياً عن فن القصة.

وصحيح أنّ التجارب الأولى من القصة الأوربية قد اعتمدت على الحكاية: في بساطتها، وتسلسل حدثها، وخيالها، وعوالمها المدهشة، إلا أنّ قصة الأطفال استطاعت أن تقف على قدميها، وتدخل

الساحة بأسماء مبدعة، وتثبت شخصيتها وهويتها، فظهر "هانز إندرسن" الدانماركي، وتولستوي الروسي، وتشارلز ديكنز الإنكليزي، وجول فيرن الفرنسي، وآخرون⁽¹⁾.

و(الموسى) له رأي في ذلك، حيث يقول: "الحكاية في الأصل ذات طابع شفهي مرتبط بالشعبي، وهي في جانب من جوانبها ذات علاقة بالخرافة والأسطورة ... في حين أنّ القصة نتاج فردي يؤلفه كاتب فرد وقد تكون مستمدة في بعض أنواعها من الحكاية والأسطورة، فالقصة يمكن عدّها حكاية مكتوبة، في حين أنّ الحكاية يقصد بها النص المحكي الشفوي الذي يسمعه الطفل"⁽²⁾.

نشأة قصة الأطفال في ليبيا:

يذكر أحد الباحثين أنّ الريادة لأدب الأطفال في ليبيا كانت للشعر، حيث عدّ (عبد الحميد عامر) قصيدة "غيث الصغير"⁽³⁾ للشاعر "أحمد رفيق المهدي" التي صدرت سنة 1962 م، من القصائد التي تمس أدب الأطفال، رغم اعترافه في دراسته بأنّها ضمن ديوانه الصادر في بنغازي الموجّه إلى الكبار⁽⁴⁾، والواقع لا يمكنني في هذه الدراسة عد هذه القصيدة أو غيرها، من الفنون الموجّهة إلى الأطفال إلا إذا كان مؤلفها قد قصد ذلك، فهناك كثير من الأعمال التي تُقدّم للكبار قد تستهوي الأطفال، وهذا الأمر ليس جديداً، فعلى سبيل المثال نعلم جميعاً أنّ حكايات "كليلة ودمنة" مثلاً لم يُقصد تقديمها للأطفال ولكنها استهوت الأطفال في كل الثقافات منذ تأليفها إلى الآن، كذلك خرافات إيسوب وغيرها.

(1) ينظر: سحر القصة والحكاية "البحث عن النسغ الصاعد في نصوص حكاية ونصوص قصصية للأطفال، محسن ناصر الكنانى: <http://www.syrianstory.com/comment29-11.htm>

(2) أدب الأطفال "فن المستقبل"، أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2010 م، ص 351 - 352.

(3) ينظر: المهدي (أحمد رفيق)، الديوان (ديوان شاعر الوطن الكبير الفترة الثالثة 25. 1946 م)، المطبعة الأهلية، ط 1، بنغازي، 1962 م، ص 9-16. وقد ألف المهدي، هذه القصيدة سنة 1934 م، لكنها نشرت ضمن الديوان في سنة 1962 م.

(4) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 121.

ويمكن تقسيم مراحل نشأة قصة الطفل في ليبيا وتطورها إلى ثلاث مراحل، هي:

المرحلة الأولى: تبدأ مع بداية عقد السبعينيات من القرن الماضي، وأبرز من يمثلها (محمد عبد الله الزكرة) و(يوسف الشريف) وآخرون، فقد كتب "محمد عبد الله الزكرة" قصتي (الفلاح السعيد) و(بوبي الظريف) وأصدرهما سنة 1970 م بمطبعة محرم بمصر، ثم أعاد إصدار هاتين القصتين سنة 1973 م في مطبعة تاج كمباني ليمتد بكراتشي⁽¹⁾، ثم أصدر قصة (التفاحة الآثمة) سنة 1972 م بمطبعة الزهراء بالقاهرة⁽²⁾. ثم توالى الإصدارات بعد تأسيس الدار العربية للكتاب سنة 1979 م، والشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان 1974 م⁽³⁾، كما أصدر لاحقاً عدة سلاسل، منها: (حكايات جدتي) (كتاب الطفل)، (البساتين الجميلة)، بالإضافة إلى العديد من كتب الرسم والتلوين والألغاز والفكاهات والتراجم وغيرها، فأثرى بذلك مكتبة الطفل العربي في ليبيا بباقة جميلة بعد أن كانت هذه المكتبة معتمدة على قصص وكتب من دول عربية أخرى⁽⁴⁾.

وإضافةً إلى إسهامه في إنتاج كتب متنوعة في فن القصة وغيرها للأطفال، تحمّل في البداية عبء طباعتها وتوزيعها وعرضها مجاناً على المدارس لتشجيع الطلاب على القراءة إيماناً منه بأهمية المطالعة للأطفال، فقد شعر بالفراغ الحقيقي الذي تعاني منه مكتبة الطفل في ليبيا آنذاك، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهته في البداية، فقد ألزم نفسه بتحمّل هذه المسئولية وعبئها الصعب، وهذا يدل على الوعي المبكر لهذا الكاتب في ضرورة إيجاد مساحة للأطفال في عالم الثقافة والأدب، وحاول جاهداً أن يسد شيئاً من الفراغ الذي كان يتّسم به المناخ الثقافي في ليبيا في مجال الأطفال، رغم أنّ

(1) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005، أسماء مصطفى الأسطى، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006 م، ص 254.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 249.

(3) ينظر: مجلة الفصول الأربعة (مجلة فكرية ثقافية شهرية، تصدر عن رابطة الأدباء والكتاب) ليبيا، ع 100 س 24، 2002، ص 98، قراءة في بليوغرافيا كتب الأطفال في ليبيا أسماء مصطفى الأسطى.

(4) أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 40.

هذا العمل يحتاج للتبني من المؤسسات الثقافية ولا يعتمد على مجرد الجهد الفردي مهما كانت جدّيته وإخلاصه⁽¹⁾.

وترجّح (فريدة المصري) أنّ دراسة (محمد الزكرة) في اليونسكو في المجال التربوي والنفسي ربما أفادته في إثراء مكتبة الطفل، كما أنّ دراسته الجامعيّة في مصر التي خطت خطوات واسعة في مجال أدب الأطفال ونقده قد ساعده على ذلك، إضافةً إلى اهتمامه الشخصي سواء في المجال الأدبي والنقدي بهذا الفن⁽²⁾.

ونستطيع أن نطلق على (محمد الزكرة) بالكاتب الموسوعي في مجال أدب الأطفال وثقافتهم؛ وذلك لتنوّع إنتاجه شكلاً ومضموناً، فمن حيث الشكل كتب القصة والنشيد والسيرة وغيرها، أمّا من ناحية المضمون فقد اشتمل إنتاجه على مضامين دينيّة، وتربويّة، وعلميّة، وطنيّة، وفكاهيّة، وتاريخيّة إلى غير ذلك. واستمر الزكرة في الكتابة للأطفال ما يقارب أربعين سنة، فقد توفي سنة 1998 م، وكان آخر إصدار له في السنة السابقة لوفاته أي 1997 م وهو قصة "الفلاح الأبله"⁽³⁾. لذا يمكن اعتبار "محمد الزكرة" الرائد الحقيقي لأدب الأطفال في ليبيا.

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 40.

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 100.

وفي الفترة ذاتها "صدرت المجموعة القصصية⁽¹⁾ (يا حزاركم)^(*) "لهنرييت سكسك"، وتتضمن عدداً من القصص الشعبي الليبي في الأخلاق، وعالم الحيوان، والفكاهة⁽²⁾.

وقد قامت بصقلها وتبسيط لغتها لتناسب مع طلاب الصفين الخامس والسادس الابتدائيين، لمساعدتهم على تقوية ملكاتهم الإنشائية كما ذكرت في كتابها⁽³⁾، ويضم الكتاب تسع قصص هي: (عطية - جهنم - ذكاء - لا يعرف بالرجل سوى صاحبها - رأس العروس - سباق - مصيبة حمار - وصية الشيخ سالم - جائعان)⁽⁴⁾، وأشارت أن هناك جزءاً ثانياً لهذا الكتاب لكنه لم يطبع⁽⁵⁾.

ربما أعطت هذه الحكايات الشعبية مع غيرها من مطبوعات التراث الشعبي الخاصة بالأطفال زخماً للإنتاج القصصي الموجّه لهم في ليبيا، كما أنّها يمكن أن تكون أحد أسباب الاهتمام بأدب الأطفال في

(1) في دراسة "عبد الحميد" كان تاريخ صدور "يا حزاركم" سنة 1971، في حين أن تاريخ صدور أول قصة لـ "الزكرة" هي التفاحة الآتمة في سنة 1972 في الإسكندرية في مصر ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2006، ط 1، ص 133، أما في دراسة "فريدة المصري" كانت قصتنا (الفلاح السعيد) و(بوبي الظريف) قد صدرتا بتاريخ 1970، ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 40.

(*) يا حزاركم (مجموعة من القصص الشعبي الليبي)، هنرييت سكسك فراج، طرابلس، دار الفرجاني، ط 2، 1991، ص 14، يبدو أن هنرييت جعلت عنوان ما جمعت من الحكايات الشعبية عبارة كان راوي تلك الحكايات يبدأ بها رواية حكاياته وهي: "يا حزاركم يا مزاركم إيش تعشّي حماركم؟" تستخدم هذه العبارة عادةً بعد الانتهاء من الحكاية أو الخرافة الشعبية في بعض المناطق في ليبيا، وهي تساعد المتلقين الصغار على الخروج من جو الحكاية أو الخرافة المفعم بالخيال المليء بالإثارة والدهشة، تمهيداً لإرجاعهم للواقع، عن طريق مشاركتهم في هذه المحاور اللطيفة التي تأتي في شكل سؤال من الراوي فيقوم الصغار بالإجابة ليرد الراوي عليهم بطريقة تبعث على الضحك، غير أنّ الكاتب حسين خليفة حسين مصطفى له رأي آخر في هذه العبارة لفظاً ومعنى: ينظر: الضفة الأخرى، خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 183.

(2) أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 133.

(3) ينظر: يا حزاركم (مجموعة من القصص الشعبي الليبي) هنرييت سكسك فراج، طرابلس، دار الفرجاني، ط 2، 1991، ص 11.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 13.

(5) ينظر: بيليوغرافيا بكتب الأطفال والناشئة، أمانة الإعلام، 1979، ص 22، نقلاً عن: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 40.

ليبيا، ولفت الأنظار إليه، خاصةً أن ظهور هذا الفن في ليبيا قد تأخر ظهوره زمنياً عن بعض الدول العربية، كما أشار لذلك (عبد الحميد عامر) في دراسته⁽¹⁾.

ومما يعزّز هذا الرأي أنه منذ هذه الفترة شهد أدب الأطفال حضوراً كبيراً، وتنوعاً، في جميع النواحي، مقارنةً بالفترة السابقة لهذا التاريخ.

وصدرت في الفترة ذاتها مجموعة قصصية "من قصص الأطفال" للصادق النيهوم^(*) الذي وظّف فيه التراث الشعبي الأسطوري، وقد أهدى كتابه لابنه، وقد وصفها الكاتب "خليفة حسين مصطفى" بأنها أول تجربة محلية للكتابة للأطفال واعتبرها محاولة جادة لاستلهام التراث الشعبي، لكنه في الوقت ذاته نفى أن تكون موضوعاتها، أو لغتها مناسبة للأطفال الذين لن يفهموا هذه القصص⁽²⁾، ويؤكد ذلك (عبد الحميد عامر) حين ذكر: "والواقع يشير إلى أن مضمونها موجّه إلى الكبار لما فيها من سخرية حادة وشذوذ في الطرح والتناول"⁽³⁾، _ وكما ذكرت سابقاً _ إن العبرة بمقصد الكاتب، فالواضح من العنوان أنه قصد بها جمهور الأطفال، والقرينة على ذلك أنه أهداها لابنه، أمّا كون موضوعاتها ولغتها لا تناسب الأطفال فهذا لا ينفي مقصد الكاتب بالتوجّه بها إليهم^(**).

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 118.

(*) الصادق رجب النيهوم، من مواليد 1937 م، بمدينة بنغازي، كتب القصة، والرواية، والنقد، وأغلب دراساته في الأيديولوجيا والفلسفة، وهي تتسم بالسخرية الحادة، وقد نشر أغلب مقالاته بالصحف المحلية الصادرة في تلك الفترة، وهو يجيد عدة لغات، وأصدر موسوعات عالمية منها "تاريخنا"، و"بهجة المعرفة"، وله العديد من المؤلفات في مختلف المجالات الفكرية عدا أدب الأطفال. توفي في 15/11/1994 م، ودفن في بنغازي، ينظر: معجم الأدباء والكتاب الليبيين المعاصرين، عبد الله سالم مليطان، ج 1، ص 444.

(2) ينظر: الضفة الأخرى، خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، سرت، 2998، ص 157.

(3) أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 134.

(**) الباحثة بعد اطلاعها على هذا الكتاب لاحظت أنه من الكتابات الرمزية.. ولم يقصد النيهوم به التوجّه به للأطفال على وجه الحقيقة... وتستغرب من استخدام بعض الكتاب التوجّه للأطفال ستاراً لتوجهاتهم الحقيقية.. في فترة لا يزال كثير من المربين في مجتمعنا يجهلون معايير ما يناسب الأطفال من كتب وكتابات.

وللكاتب (علي فهمي خشيم) مجموعة قصصية توجه بها إلى الأطفال، بعنوان: (قراءات ليبية) تتضمن عدّة قصص، هي: (حصان امحمد بن سلطان وحكايات أخرى) و(زراع الملح) و(شيشنق بن نمرود) كان ذلك سنة 1973 م⁽¹⁾.

كما ظهر في ساحة أدب الأطفال في ليبيا منذ تلك الفترة وإلى الآن عدة كتّاب ما زالوا يعطون الأطفال قصصاً وكتباً قيمة، نذكر منهم: الكاتب يوسف الشريف الذي أسهم إسهاماً كبيراً في مجال أدب الأطفال كتابة وترجمة، في البداية نشر يوسف الشريف قصصه الموجّهة للأطفال في سنة 1974 في مجلة الأمل، حيث نشر فيها عشر قصص، ثم أصدر مجموعات قصصية متنوعة في أشكالها وأحجامها، ومضامينها، منها (قصص ليبية للأطفال) في عشر قصص مدعمة برسوم ملونة، صدرت سنة 1977 م، وقد اعتمد في بعض قصص هذه المجموعة على النص الشعبي المتداول لـ"محمد حقيق" كما ذكر على غلاف بعض تلك القصص.

وأصدر الكاتب (عبد العال أبو عجيلة) قصته (مغامرات الجواد الأدهم) سنة 1977 م، وهي اقتباس من كتاب (آنا سيويل)⁽²⁾. وقد صدرت في بنغازي سنة 1978 م، ست قصص برسوم ملونة، واحدة بعنوان "أم بسيسي" للأديب محمد العارف عبيدة، وأخرى مترجمة لـ"إيلي منير عوض البعباع" بعنوان "انتظروني.. القط الصغير"، وقصة رمزيّة للأديبة "إيلي الجهمي" بعنوان "الجحش الصغير"⁽³⁾.

وقد صدرت قصتان أيضاً للأديبة "خديجة الجهمي" بنغازي، سنة 1978 م، الأولى بعنوان (أمينة) بخط محمود إبراهيم، ومصحوبة برسوم عيد يونس، (عزيزة)، وهي من القصص الشعبي، بخط محمود إبراهيم، ومصحوبة برسوم عمر سعيد⁽⁴⁾.

(1) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا "1921-2005" أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 246.

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000) عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 137.

(4) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 237-238.

وللكاتب "خليفة حسين مصطفى" إسهام كبير في إمداد الطفل في ليبيا بمكتبة متميزة نوعاً وكماً في فترات زمنية مختلفة، حيث أسهم بمجموعتين قصصيتين للأطفال، أولهما: سلسلة الأعياد والمواسم صدرت عن الدار العربية للكتاب سنة 1978 م: وتتضمن مجموعة من القصص، هي: "الفئران تطير أيضاً"، و"السمة والصيد"، و"العصفور والوردة"⁽¹⁾. وتميّزت هذه المرحلة بالاعتماد على الموروث الشعبي من حكايات وخرافات شعبية.

المرحلة الثانية: وتبدأ مع نهاية عقد السبعينيات وتحديداً مع العام الدولي للطفل سنة 1979 م: حيث ازداد الوعي بأهمية وأهمية توفير الكتاب المناسب للطفل في ليبيا، حيث انضم الكثير من الكتاب الليبيين للإسهام بنتائجهم للطفل في ليبيا، وذلك نتيجة طبيعية لتواصل الكتاب الليبيين مع الكتاب غير الليبيين ومشاركاتهم في المحافل والمؤتمرات التي محورها ثقافة الطفل وأدبه، حيث يلحظ المتتبع تداعي الكتاب الليبيين لما يشبه التضامن الضمني لتدارك النقص في الخطاب الموجّه للطفل في ليبيا وخلق الساحة الليبية من وجود حقيقي لكتاب الطفل بشكل عام، كما يُلاحظ في هذه المرحلة اتجاه بعض الكتاب للترجمة علّها تملأ بعض الفراغ في مكتبة الطفل في ليبيا، حيث قام يوسف الشريف بهذا العمل غير المسبوق، فترجم سلسلة (من حكايات الشعوب) سنة 1988 م⁽²⁾، وهي من ثقافات وشعوب مختلفة، وقد أعاد نشرها ضمن مجموعة (المهر الأسود) سنة 2006 م، عن مجلس الثقافة العام، وله أيضاً إسهامات متنوعة، مثل: سلسلة ثقافية علمية باسم (نوافذ) سنة 1998 م.

واستهلَّ (يوسف الشريف) هذه المرحلة بسلسلته (قصص ليبية للأطفال) صدرت سنة 1981 م، واشتملت على اثنتي عشرة قصة، وصدرت سلسلة بالاسم نفسه (قصص ليبية للأطفال) سنة 1985 م، واشتملت على خمسة عناوين، وسلسلة (طفل يقرأ) سنة 1999 م، وهي مكونة من خمس عشرة قصة.

وأصدر (خليفة حسين مصطفى) مجموعة قصصية عن الدار العربية للكتاب سنة 1985 م، وهي مجموعة مصوّرة نفذ رسومها (أحمد الصوابني)، وهي مضبوطة بالشكل، وغير مرقّمة الصفحات، وتتضمّن عدداً من القصص، هي: "القطعة والوردة، وشجرة ووردة، والنملة والأسد".

(1) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 238-241.

(2) من حكايات الشعوب، ترجمة: يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988 م.

وللكاتب "محمد أحمد وريث" قصة بعنوان "الهدهد والحمامة الوفيّة" صدرت 1985 م، يبدو أنه استلهمها من التراث كما يشير هو على الغلاف بقوله "من حكايات التراث للأحفاد"⁽¹⁾.

كما أصدر (خليفة حسين مصطفى) سلسلة (قصص الجهاد)^(*) عن مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، بطبعتها الأولى سنة 1987 م، وهي مصحوبة برسوم عبد السلام النطّاح، ومضبوطة بالشكل، وتتضمّن اثنتي عشرة قصة، هي: الصهيل الأخير، المعركة والغزال، الجرادة، الحزن والغضب، والسوط والجرح، والعرس، ولكنّه لم يعد، والرصاص لا ينتظر، وأمّ السعد في رحلة حرب، والرجل الذي فقد حذاءه. وتضم أيضاً قصتين للكاتب (براهيم الكوني)، هي: الطريق إلى الأوراس، واحة كبيرة تضجّ بالغناء، خطوط محمد شوقي هيكل، وهي مضبوطة بالشكل، ومصحوبة برسوم محمد الزواوي.

وللكاتبة (سكينة إبراهيم بن عامر) أربع قصص هي: أنا الزهرة، وأنيس وهدى في حديقة المنزل، وحديقة بدون حديقة، وطبيبك النبات، تشير (أسماء الأسطى) إلى أنّ تلك القصص كانت ضمن مشروع تخرّج للكاتبة وهي موثقة ضمن الببليوغرافية الوطنية الليبية⁽²⁾، ويبدو أنها صدرت في الثمانينيات دون تحديد دقيق لتاريخها.

(1) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005، أسماء مصطفى الببليوغرافيا ودراسة، مرجع سابق، ص 247.

(*) هذه السلسلة من قصص الأطفال طُبعت لتكون أعمالاً موجهة لتلاميذ المدارس ومساندة للمناهج التعليميّة في ليبيا، حسب الاتفاق الذي تمّ بين بعض الكُتّاب الليبيين وأمانة التعليم في ليبيا، وهي لتحقيق الآتي: تنقيف الطفل في المدارس التعليميّة وأن يتعرّف على حضارة البلاد وتاريخها، وأهم المظاهر التاريخيّة والمعارك التي خاضها الشعب الليبي من أجل تحرير بلاده من الاستعمار الإيطالي. إلا أنّ المشروع لم يتم نظراً للقصور الإداري، وعدم إيفاء أمانة التعليم في ذلك الوقت بحقوق المؤلفين، وعدم الاستمرار بالنشر كما كان الاتفاق... هذه المعلومات صرّح بها الكاتب خليفة حسين مصطفى للدكتور عبد الحميد محمد عامر شخصياً الذي بدوره نقلها للباحثة.

(2) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 244-245.

والكاتب (الطاهر الدويني) أصدر مجموعة بعنوان (قصص أطفال) تتضمن خمس قصص هي: الأسد يحتفل بعيد ميلاده، والعنوان والسمة الذهبية والتمساح والنهر، نشرت في سنة 1990م⁽¹⁾.

أصدر الكاتب (أحمد محمد نصر) قصة (القط الطائر) سنة 1992 م، عن دار المعرفة، بمصراتة، وقصة (عرس الأزهار) سنة 1997 م، عن المكتبة النصرية، بمصراتة، مصحوبة برسوم (مجدي كودي)، ضمن (سلسلة تُحكى وتُقرأ، 2)⁽²⁾.

وأصدر (سالم الهنداوي) مجموعة قصصية بعنوان (الغابة) عن الدار الجماهيرية سنة 1996 م تضمنت القصص الأتية: الفراشة الأنانية - ملك الغابة المخلوع - الوحش الغريب - طارق والعصافير - القرد والقنفذ - الحمار وحقل البرسيم - العصفورة الكسولة⁽³⁾.

كما أصدر (المهدي أبو قرين) مجموعته القصصية (قصص وروايات للأطفال) وتتضمن عدة قصص، هي: فزير الصغير، وعيد الميلاد، وفزير يحب الحليب، صدرت في التسعينيات ولكن دون تاريخ محدد⁽⁴⁾.

والكاتب (يوسف بالريش) له سلسلة (الإخوة الشجعان) وهي سلسلة قصصية للفتيان والفتيات، تذكر (فريدة المصري) بأنها لم تصدر منها سوى قصة واحدة بعنوان: قصة الإطارات الطافية⁽⁵⁾ طبعت بطابع الوحدة العربية بالزاوية بدون تاريخ^(*).

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 245.

(2) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 235.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 244.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 256.

(5) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 161.

(*) هذا ما ذكرته د.فريدة في دراستها، كما أنها نوّهت في الهامش بأن أسماء الأسطى ذكرت بأن المجموعة صدرت سنة 1999، وهذا ما تأكدت منه الباحثة - ونوهت "د.فريدة" بأن أسماء الأسطى ربما اعتمدت على اتصالها بالكاتب أو جهة الطباعة، وهو التاريخ نفسه الذي أشار إليه "د.عبد الحميد" في دراسته، كما أن "د.فريدة" ذكرت أنّ جهة النشر هي: مطابع الوحدة العربية بالزاوية، في حين ذكرت أسماء الأسطى بأن جهة النشر هي: الشركة العامة

المرحلة الثالثة: ويمكن أن نطلق عليها مرحلة النضج وترسُّخ ثقافة الطفل بين الكتّاب المبدعين والباحثين في ليبيا، وذلك منذ سنة 2000 م: وتتميّز هذه المرحلة بزيادة الوعي بثقافة الطفل، يظهر هذا من محورين: هما الجانب الإبداعي الذي ازداد كمّاً ونوعاً، والجانب التّقدي، حيث التفت بعض الدارسين والنقاد لما يقدّم للطفل في ليبيا، وإن اقتصر جانب النقد على بعض الانطباعات من خلال بعض المقالات في مختلف الصحف والمجلات، وتبقى الدراسات الأكاديمية على قلتها أكثر جديةً وتميزاً واهتماماً بما ينتج للطفل في ليبيا من الناحية النقدية.

واستهلّ (سالم أحمد الأوجلي) هذه المرحلة بنتاجه المتميّز، حيث أصدر سلسلتين، الأولى بعنوان (هياً ارسمني) من منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان سنة 2000 م، وهي سلسلة مصوّرة، نفّذ جميع رسومها (علي شمس الدين)، جيدة الطباعة والإخراج مضبوطة بالشكل، وقد كانت كمية الطبع (10.000) نسخة في الطبعة الأولى، وتتضمن اثني عشر كتاباً كل كتاب يشتمل على (ثمان) صفحات، هي: (أنا البقرة، وأنا الشمس، وأنا القمر، وأنا الجمل، وأنا المطر، وأنا النخلة، وأنا البحر، وأنا الحصان، وأنا الخروف، وأنا الزيتون، وأنا الريح، وأنا الدجاجة)، وهي كما هو واضح من العناوين عبارة عن تعريف بهذه المخلوقات والظواهر المحيطة بنا، هذا التعريف جاء على لسان الكائن كالبقرة أو الخروف أو الظاهرة الجوية كالمطر أو الريح، لتنتهي بطلب هذا الكائن أو الظاهرة بعد أن يعرف بنفسه للطفل، ويعدد منافعه للناس، فيطلب من الطفل في نهاية الخطاب أن يرسمه، وذلك في الصفحة الأخيرة التي تُركت للطفل ليتم الرسم غير المكتمل لبطل الكتاب الذي أصبح معروفاً للطفل.

وقد دُوّن على ظهر غلافها الخلفي بأنّ هذه السلسلة تتوجّه "إلى الأطفال من سن 5 إلى 8 سنوات، حيث يكون الطفل قد خطا خطواته الأولى في القراءة. وتعتمد هذه السلسلة على عنصر التشويق البصري لمخيلة الطفل من خلال اللوحات المرسومة لكل قصة"⁽¹⁾.

للورق والطباعة! ولم يتسنّ للباحثة معرفة سبب هذا التضارب، هل هما جهة واحدة مع تغيير المسمّى أم هناك لبس في الموضوع!

(1) ينظر: سلسلة "هيا ارسمني"، سالم أحمد الأوجلي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 2000 م، الغلاف الخلفي لكل كتاب من السلسلة.

أما السلسلة الثانية فهي بعنوان (سلسلة قصص الأطفال) وهي أيضاً من منشورات الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان سنة 2000 م، وهي سلسلة مصوّرة، نفّذ جميع رسوماتها (نبيل قدوح)، جيدة الطباعة والإخراج مضبوطة بالشكل، وقد كانت كميّة الطبع (10.000) نسخة في الطبعة الأولى، وتتضمن إحدى عشرة قصة، كل كتاب يشتمل على (16) صفحة، هي بالترتيب: "جميلة والطائر الأخضر: (جزءان) مَنْ خَلَفَ السور؟، وأحمد يصنع نهراً، وسلحفاة وليد، وسر المعلم فرحان، وقنديل المولد، وقطعة حلوى كبيرة، ومرآة العبقري حسن، وصندوق الألعاب".

وقد دُوّن على ظهر غلافها الخلفي بأنّ هذه السلسلة تتوجّه: "إلى الأطفال من سن 7 إلى 13 سنة، حيث يكون النمو العقلي والقدرة على الانتباه الإرادي قد نمت بشكل كبير، يستطيع معه الطفل قراءة قصص قصيرة مصوّرة، وإدراك ما خلف الكلمات من مفاهيم وقيم تربويّة وإنسانيّة مصاغة بشكل درامي مشوّق"⁽¹⁾.

ومع إشادة بعض الباحثين وترحيبهم بهاتين السلسلتين فإنّها أثارت استفهاماً منطقيّاً، حيث يذكر (عبد الحميد عامر): والاستفهام الكامن يدور حول إصدار هاتين السلسلتين بهذا العدد دفعةً واحدة في السنة نفسها، فليس من السهولة الوقوف على تطوّر أداة الكاتب الفنيّة في كل الأعمال، بحيث يمكن تحديد البدايات ومن ثمّ التعرف على المدى الذي وصل إليه الكاتب وإن دلّت إشارته إلى أنّ بدايات الكتابة فيهما بين سنتي 1996 م - 1997 م، وقد يرجع ذلك إلى عاملين هما⁽²⁾:

1. أنّ عملية النشر جاءت دفعة واحدة وفق الإمكانيات المتوفرة للكاتب.
2. أنّ كتابتها كانت منذ أواخر عقد السبعينيّات^(*)، وعلى سنوات متعدّدة، وهذا ما جعلها تمثّل بداية مرحلة زمنيّة في تاريخ أدب الأطفال في ليبيا.

(1) سلسلة "قصص الأطفال"، سالم أحمد الأوجلي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 2000 م، الغلاف الخلفي لكل كتاب من السلسلة.

(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في المضمون"، عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 238.
(* ما ذكره د. عبد الحميد هو (أواخر عقد التسعينيات) وهذا لا يستقيم مع ما قصده، فربما قصد (أواخر عقد السبعينيّات) وهو الأنسب لما قصده.

ويؤكد (عبد الحميد عامر) أنّ هاتين السلسلتين هما باكورة أعمال (الأوجلي) الذي لم يصدر له خطاب موجّه إلى الطفل قبلهما⁽¹⁾.

وقد يعود سبب عدم نشرها في تاريخ سابق إلى صعوبة النشر في ذلك الوقت، حيث اختفت أعمال أغلب الكتاب في ليبيا، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الأمر.

وأصدر (يوسف الشريف) أيضاً في هذه المرحلة مجموعته القصصية (من حكايات الحروف) وهي تتضمن اثنتي عشرة حكاية، صدرت سنة 2003 م⁽²⁾، وصدرت له مجموعة أخرى من القصص المفردة في سنة 2005 م، كما صدرت له مجموعة باسم (المهر الأسود) سنة 2006 م، وتشتمل على قصص من عشرين قصة مترجمة وسبع وخمسين قصة من تأليفه، وفي السنة ذاتها صدرت له مجموعة قصصية باسم (حكايات قبل النوم) وتشتمل على تسع قصص مترجمة وأربع وعشرين من تأليفه، كما صدرت له مجموعة قصصية بعنوان: (حكايات العصافير) سنة 2008 م، وتشتمل على عشر قصص، وصدرت مجموعة (يا زهر القرنفل) سنة 2010 م، وتشتمل على إحدى عشرة قصة، وصدرت له مجموعة (المطر يسقط في الصحراء) سنة 2010 م، وتضم ست قصص.

وأصدر (إبراهيم علي بيوض) سلسلة عبرة وحكمة من منشورات اللجنة الشعبية للثقافة والإعلام سنة 2006 م، وهي سلسلة قصصية مصوّرة جيدة الطباعة والإخراج، وتتضمّن خمس قصص، هي: (الذبابة المتكبرة، والزرافة العبوسة، والسلحفاة والحرباء الماكرة، والفراشة المغرورة، والنسر والقنفذ المغفل)، وكُتِب تحت هذه العناوين بأنّها "مستوحاة من التراث الليبي"⁽³⁾، وكما هو واضح من عناوين السلسلة جميعها من قصص الحيوان.

(1) ينظر: المرجع السابق، ص 238.

(2) ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا "1921-2005" أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 257-269.

(3) ينظر: سلسلة عبرة وحكمة، الذبابة المتكبرة، علي بيوض، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2006 م، الغلاف الخلفي للسلسلة.

كما أصدر (خليفة حسين مصطفى) (سلسلة سنابل) من منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى سنة 2006 م، وهي سلسلة مصوّرة كلماتها مضبوطة بالشكل، تتضمن عشر قصص، هي: "أحلام القطّة، والأعداء، والحمار الكسول، والعصفور والزهرة البيضاء، والعصفور يغرس شجرة، والغراب والفأر، والوردة والمطر، وحكاية عصفور اسمه مسعود، وفرح الأرض، وهذه الشجرة وطني"، وتشتمل كل قصة على ست عشرة صفحة.

ودوّن على غلافها الخلفي: "تهدف هذه القصص من خلال أحداثها وسياقها الحكائي إلى زرع القيم النبيلة في نفوس الأطفال، وهي القيم التي اكتسبتها الأمة العربية على مدى عصور متعاقبة، وهي التسامح والتعاون والعمل والتفاني فيه، ومد يد المساعدة إلى الآخرين، والتمسك بالصدق والأمانة والاستعداد دوماً للتضحية من أجل المثل السامية وسعادة وكرامة البشر"⁽¹⁾.

وأصدر (محمد الطاهر امحمد) مجموعته القصصية (الكوكب الأخضر) سنة 2006 م، عن مجلس الثقافة العام، تشتمل على (123) صفحة، وهي مدعّمة برسوم: عاطف الأطرش ونجلاء المنقوش، وكما يتضح من عناوينها يغلب عليها قصص الحيوان، وتتضمّن سبعة وعشرين قصة مدعّمة بالرسوم، مضبوطة بالشكل، وهي (أجمل حذاء في العالم، النملة الشجاعة، حارس المياه، العُش، القَط الجائع، الكوكب الأخضر، خلية النحل، الخروف الأبيض، الحمامة، سهرة تحت القمر، العطش، براقش، خمسة سهام، جملون الشجاع، الأصابع الخمسة، السنبلّة، الحمار يكلم صاحبة، النمل السعيد، الفراشات الملوّنة، العصفوران، الفأر الصغير، ديك المنزل، الليل المغرّد، الحصان القوي، سلحوف الطماع، الأسد يصلح الحيوانات، الجمل الأبيض)⁽²⁾.

إضافة إلى إسهاماته الشعريّة للأطفال أسهم (عبد المطلوب امحمد المقوب) _ أيضاً _ بمجموعة قصصية بعنوان: (عجائب الدنيا وحكايات أخرى) سنة 2007 م، صدرت عن اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام "إدارة الكتاب والنشر"، تتضمن تسع عشرة قصة مدعّمة بالرسوم، وهي: (الأرنب والقنفذ، كأس العسل والطفلة أمل، السباق المدهش، ما هو الجوع، الطاووس المغرور والكلب الجسور،

(1) ينظر: سلسلة "سنابل"، خليفة حسين مصطفى، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2006 م، ظهر الغلاف الخلفي لكل قصة.

(2) ينظر: الكوكب الأخضر، محمد الطاهر امحمد، مجلس الثقافة العام، 2006 م.

هديل والقط الجميل، الصبي والنحلة والزهرة، آخر العقنود، القمر وقطعة الخبز، عجائب الدنيا، الأسد ضرغام، كبش الجنة، نجاة والبطات الثلاث، فأر الأقرام، النحلة والزهرة والنملة، الوفاء، الدجاجة دج دج والديك كيكى كوكو، خيرات أحلى البنات، غابة الأحلام⁽¹⁾.

وأصدرت (نعيمة العجيلي) مجموعة قصصية باسم إحدى حكايات المجموعة، وهي: (الفلوس والقطوس) سنة 2008 م، عن مجلس الثقافة العام، وهي تتكون من ست حكايات، هي: حواء وعامر، وقارئ البخت، وصنعة اليدين ولا مال الجدين، وما يأتي به الماء يذهب للماء، لص الدجاجة، وكل هذه القصص مستوحاة من التراث الليبي كما نوّهت الكاتبة على الغلاف، وهي مدعومة ببعض الرسوم⁽²⁾.

وللكاتب (الجيلاني حسن الحامدي) مجموعة قصصية للأطفال بعنوان (صابر)، صدرت عن المؤسسة العامة للثقافة، سنة 2010 م، وتتكون من أربع قصص، هي: (صابر، الجرادة، الصبي والطائر، والفلاح البسيط)، رسوم (رضوان الرياحي)، دُيِّلت هذه المجموعة بسيرة مختصرة للكاتب، من بين ما ورد فيها: أنه بدأ كتابة القصص القصيرة للأطفال منذ سنة 1975 م، كما ورد فيها أن هذه القصص كانت تنشر في مجلة (الأمل) برعاية خديجة الجهمي، وأن أول مجموعة قصصية صدرت له كانت سنة 1981 م، وهي من جزأين بعنوان: (وادي زوزام)، عن الدار العربية للكتاب، وورد أيضاً من إنتاجه الأدبي "جاهز للطباعة": مخطوطان لأدب الأطفال: (صابر، والمحراث)، ومخطوطان آخران لأدب الأطفال: (الشهيد، والجار قبل الدار)⁽³⁾.

وكتبت (ناديا الجابي) مجموعة قصصية جعلت إحدى عناوين قصصها عنواناً لها، وهي: (مشكلة القطة بسببسة) سنة 2010 م، عن المؤسسة العامة للثقافة، والقصص هي: (ما هو مهم يأتي أولاً،

(1) ينظر: "عجائب الدنيا وحكايات أخرى"، عبد المطلب محمد المقوب، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، 2007.

(2) ينظر: مجموعة "الفلوس والقطوس" قصص مستوحاة من التراث الليبي، نعيمة العجيلي، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008.

(3) ينظر: مجموعة قصصية للأطفال "صابر وقصص أخرى"، الجيلاني حسن الحامدي، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، الطبعة الأولى، 2010 م.

والكلب الحارس، ومشكلة القطة بسبسة⁽¹⁾، وهي مصحوبة برسوم الفنان سمير زيدان، وتُعد هذه المجموعة ضمن سلسلة كتاب الطفل إشراف نعيمة العجيلي.

ووقع بين يدي سلسلة قصصية باسم (حب الرمان) للكاتب (عبد القادر عبد السلام الناجم)، صدرت عن دار حب الرمان للنشر والتوزيع سبها، سنة 2010 م، وتتضمّن ثلاث قصص، هي: (فرحة لم تكتمل) وتقع في "ثمان" صفحات، و(الراعي) وتقع في اثنتي عشرة صفحة، و(الأرنب الصغير) وتقع في عشرين صفحة، جميعها مدعومة برسوم: حبيب علي حبيب⁽²⁾.

كذلك صدر للكاتب (خليفة حسين مصطفى) مجموعته القصصية (العصفور والسمة)، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، سنة 2010 م، والكتاب كبير الحجم، يقع في (101) صفحة ويتميّز بالورق الفاخر، كما أنّ القصص مدعومة برسوم (رضوان الرياحي)، ويتضمّن عشر قصص، هي: العصفور والسمة، وأول الفرح، وهذه البقرة، وقالت الأرض، والسمة والصيد، وعرس الأرض، والعصفور والفلاح، ومنزل للقطة الرمادية، ويائع الماء، والعدو⁽³⁾. وجميعها صيغت بالفصحى، كما أنّ جل مفرداتها ضُبّطت بالشكل، وتتوّعت قصص هذه المجموعة بين قصص الحيوان والقصص الخياليّة والاجتماعية، ويبدو أنّ هذه المجموعة قُدمت للنشر ضمن كثير من المنشورات التي صدرت في سنة 2010 م للإعداد لاحتفاليّة (سرت عاصمة الثقافة العربيّة) التي كانت الحكومة تعترّم تنظيمها في سنة 2011 م، لأنّ المجموعة تحمل شعار الاحتفاليّة.

كما أصدر (يوسف الشريف) أربع مجموعات، هي: (قصص لأطفال الثورة، حكايات للأطفال من حياة الحيوان، زهرة المطر وحكايات أخرى، مجموعة طائر القمر، The Moon Bird قصص بالعربية والإنجليزية) جميعها في سنة 2014 م، عن مكتبة طرابلس العلميّة العالميّة. وبهذا الإصدار يُعد "الشريف" أب أدب الأطفال في ليبيا، وإن لم يكن السبّاق لذلك، فهو أكثرهم خطاباً للقارئ الصغير، بل إنّه خاطب كل المحيطين بالأطفال نقداً وتوجيهاً حاثاً الجميع أفراداً ومؤسسات تعليميّة وتربويّة للاهتمام بالنشء فهم نواة المجتمع ومستقبله.

(1) ينظر: مجموعة "مشكلة القطة بسبسة"، ناديا الجابي، المؤسسة العامة للثقافة، ط 1، 2010 م.

(2) ينظر: سلسلة "حب الرمان"، عبد القادر عبد السلام الناجم، دار حب الرمان للنشر والتوزيع، سبها، 2010 م.

(3) ينظر: العصفور والسمة، خليفة حسين مصطفى، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010 م.

ويعلّل (يوسف الشريف) أنه كتب القصص للأطفال الليبيين بسبب وعيه بتخلّف تربية الطفل في المجتمع، وكذلك لرغبته في المساهمة في دعم مكتبة الطفل في ليبيا، وتقديم المعرفة ومساعدة الطفل على عملية تجاوز المفاهيم الخاطئة، وإقناع الطفل بالقيم الاجتماعية الراقية⁽¹⁾. وسنصدّي للإنتاج القصصي لهذا الكاتب بالدراسة المستفيضة في متن هذا البحث.

ولم تقتصر جهود كتّاب الأطفال في ليبيا على التأليف فقط، بل أسهموا _ أيضاً _ في مجال الإعداد عن التراث الحكائي الليبي، حيث أصدر الدكتور عيسى عبد الله مجموعتي "الخرفاء.. قصص الأطفال في التراث الليبي" وتتضمّن المجموعة الأولى أو القسم الأول⁽²⁾: مقدّمة طويلة نوعاً ما كتبها محمد تركي التاجوري، كما تتضمّن سبع حكايات، هي: (بنت الحوّات، جميل وجميلة، اهلالة، غولة، الذويل، العنزة المعتنزة، جميل)، أما المجموعة الثانية فتتضمن ثماني حكايات، هي: (حليمة بنت النجار، سبع صبايا، انفيص، أم السعد، أوديعة، حن أم، الطوير لخضر، بقرة القزازين).

ويلاحظ أنّ الكاتب قد كتب سرد الحكايات باللغة الفصحى، في حين حرص في بعض حكاياته على كتابة الحوار باللّجة المحكيّة الليبيّة، وبذلك لا يقتصر الرابط بين هذه الحكايات على الفكرة وغيرها من عناصر الحكاية، وإنّما - أيضاً - اعتمد على الأسلوب الذي تتحدّث به شخوص الحكاية.

وتميّز الكتاب بحجمه الكبير وورقه الفاخر، ويضم (158) صفحة، وصحبت الحكايات رسوم (رضوان الرياحي)، ودوّن على غلاف كتاب المجموعة الأولى: (القسم الأول)، وغلاف كتاب المجموعة الثانية: (القسم الثاني).

يلاحظ أنّ عدداً كبيراً من القصص تمّ إصدارها سنة 2010 م، ويرجعّ الدافع لذلك هو سعي الحكومة _ في ذلك الوقت _ لتنظيم احتفالية (سرت عاصمة للثقافة العربية سنة 2011 م) خاصة أنّ تلك المجموعات تحمل شعار ذلك المهرجان.

(1) ينظر: مجلة الثقافة العربية(مجلة ثقافية عربية، تصدرها المؤسسة العامة للصحافة)، ليبيا، ع: 10، السنة: 5، 1978 م، لقاء مع يوسف الشريف، أجراه جمعة عبد الصبور.

(2) الخراف "قصص الأطفال في التراث الليبي"، د. عيسى عبد الله، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، 2010 م.

والواقع أنَّ هناك العديد من الكُتَّاب الليبيين الذين أسهموا قليلاً أو كثيراً بنتائجهم القصصي للأطفال في ليبيا، وهناك عدد ممَّن كتبوا ولا يزالون يكتبون للأطفال، لم يتسنَّ لي ذكرهم في هذه الدراسة، كما أنَّ منهم من توجَّه للأطفال بأكثر من لون، كما ظهر العديد منهم في فترات متلاحقة.

إنَّ المتنبَّع لحركة الكتابة للأطفال في ليبيا يلحظ أنَّ هناك كُتَّاباً لهم غزارة في الإنتاج _ كما هو الحال مع الكاتبتين "محمد الزكرة" و"يوسف الشريف" _ قياساً إلى كُتَّاب آخرين ليس لهم سوى قصة أو اثنتين أو كتيب صغير يحوي بين طياته عدداً يسيراً من القصص، وينقسم الكُتَّاب إلى ثلاثة أقسام، منهم من كتب القصة ومنهم من كتب المسرحية، ومنهم من أَلَّف شعراً⁽¹⁾.

وجل هؤلاء الكُتَّاب لهم إبداعات متعدِّدة، ومنهم من بدأ حياته كاتباً للكبار بقصصه ومقالاته كيوسف الشريف، وبعضهم كتب في أكثر من فن من الفنون المقدَّمة للأطفال كالكاتبتين المهدي أبو قرين والأمين شائب العين وغيرهم، حيث أسهما في الفن القصصي، إضافة إلى إسهامهم الأساسي في مجال مسرح الطفل.

كما نلحظ من خلال هذا العرض أنَّ السَّاحة الليبية _ ورغم المسيرة الطويلة لهذا الفن _ تفتقر لوجود واسع لكُتَّاب متخصصين في الكتابة للأطفال، فبعض هؤلاء الكُتَّاب إما أنه توقَّاه الأجل، كما هو الحال مع (الزكرة) و(خديجة الجهمي) وغيرهما، أو أنه غير متفرِّغ أصلاً للتوجُّه بإبداعه للأطفال، أو أنَّه قليل الإنتاج، ومنهم من اكتفي بعمل أو عمليتين وتوقف، وهذا ما يجعل الساحة الليبية تفتقر إلى الزخم الكبير الذي تتمتع به بعض الدول العربية.

كما نلحظ أنَّ تأسيس دور النشر المحليَّة كان له الأثر الإيجابي على كتاب الطفل، ممَّا شجع كثير من الكُتَّاب على إصدار نتاجهم الموجَّه للقراء الصغار في ليبيا.

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 97.

الفصل الثَّاني

يوسف الشريف الإنسان والكاتب والمبدع

المبحث الأول
العوامل المؤثرة في إبداعه وفكره

تنوّعت العوامل المؤثرة في إبداع الشريف وفكره، منها ما يتعلّق بالظروف والبيئة الزمانيّة والمكانيّة التي عاش فيها، ومنها ما كان بوعي منه وفق إرادته ورغبته.

ولا يخفى أنّه كان محظوظاً بنشأته في المدينة الأكثر تحضُّراً في بلد كان يعاني الأميّة والتخلّف والفقر، فكانت طرابلس في ذلك الوقت من المدن القليلة التي تمتّعت ببعض مظاهر الثقافة، كدور النشر وما تنشره من صحف ومجلات وكتب، إضافة إلى المسرح وغيره.

إنّ قُرب الشريف في فترة مبكّرة من حياته من أهم مظاهر الثقافة ومصادرها المتمثّلة بالكتاب والجريدة في ذلك الوقت، كان عاملاً محورياً في ربطه عقلياً ووجدانياً بالشأن الثقافي، ليرسم مسار حياته الذي ارتبط بالكتاب قراءةً وكتابةً إلى يومنا هذا، كما عبّر عن ذلك في مواضع مختلفة من سيرته في كتابه (الأيام الجنوبية).

كما أنّ تنوّع البيئة المكانيّة الذي تمتّع به في مطلع حياته، كان له دور أساسي في تنوّع ثقافته، فقد ساعده ذلك على التعرف على الميراث الشعبي في مناطق مختلفة من ليبيا، حيث تنقّل في أكثر من مكان، فهو من مواليد ودّان لكنه انتقل مع أسرته صغيراً إلى طرابلس التي استقرت فيها أسرته، وسافر في صباه ليقوم بتعليم الصغار في قرية "ونزريك" النائبة في أقصى الجنوب، ثم انتقله إلى بنغازي حيث أكمل فيها دراسته الجامعية سنة 1962 م⁽¹⁾.

ويستذكر (الشريف) في أحد مقالاته، كيف كان مولعاً بخوض تجربة التوجّه بإبداعه القصصي للقرّاء الصغار، غير أنّ خشبته من صعوبة الأمر جعله يتردّد، وما شجّعته على خوض هذه التجربة

(1) ينظر: معجم القصاصين الليبيين، عبد الله سالم مليطان، ج 1، مداد، طرابلس، ط1، 2001، ص 521.

إحساسه بالمسئولية تجاه الأطفال، حيث كانت المكتبات تكاد تخلو من المساهمات الليبية الموجهة للأطفال في ليبيا⁽¹⁾.

ويذكر _ أيضاً _ أن شعوره بالمسئولية كان يزداد وألمه يتضاعف فيقول: "كلما سمعتُ عن عناوين (سوبر مان وميكي ماوس) تتردد على شفاه الأطفال وأتساءل هل عجز كل هذا الزخم الثقافي في الوطن العربي عن إيجاد بديل لهذه الشخصيات التي تكاد أن تصبح هي الهوية الثقافية للطفل العربي"⁽²⁾.

ويتساءل مستنكراً "كيف يحدث أن نتجاهل أثمن ثروة نملكها حاضراً ومستقبلاً، كان لهذا الأمر علاقة بالحضارة هل هو انعكاس لفشلنا في خلق نظرية تربوية أم إن أزمة المثقف العربي لم تترك له فرصة الالتفات نحو هذه القضية رغم خطورتها؟"⁽³⁾.

وفي هذا المقام يمكن ذكر أبرز العوامل التي كان لها تأثير مباشر أو غير مباشر، في إبداعه وفكره، وذلك على الوجه الآتي:-

■ القراءة والاطلاع على القصص والروايات العربية والأجنبية المترجمة: إنَّ المنتبِع لسيرة يوسف الشريف يجد أنه كان مولعاً بالقراءة منذ نعومة أظفاره، فيذكر قائلاً: "أعيد قراءة عناوين كتبي التي اشتريتها من محمود في باب الحرية وأنقلها من مكان إلى مكان، كتبي التي شكَّلت وعيي في عمر مبكّر وفتحت أمامي نوافذ العقل والسؤال، كيف يمكن لقلبي أن يفارقها وكيف يمكن لعيني ألا تراها، الكتب هي اسمي الآخر"⁽⁴⁾.

(1) دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث، نحو مستقبل مشترك للطفولة"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط 1، 2018، ص 86.

(2) دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث، نحو مستقبل مشترك للطفولة"، يوسف الشريف مصدر سابق، ص 86.

(3) المصدر سابق، ص 86.

(4) الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط 1، 2012، ص 11-12.

وعندما شبَّ كانت القراءة سلوئته الوحيدة، فيذكر قائلاً: "ذهبتُ إلى الحاج "محمد" (*) في دكانه، كان يحبُّني لأنني أقرأ كثيراً، وكنتُ أحبُّه لأنه يتكلَّم في السياسة ويقرأ الجرائد".

ويذكر في موضع آخر "قرأتُ الكتب حتى صارت القراءة أنفاسي.. كنتُ أقرأ.. لا يراني جبراني وأصدقائي إلا ومعني كتاب.. ولأنني كنتُ أبحث عن أجوبة لأسئلتني صرت كثير الجدل.. لامين (***) كان يأتيني بالكتب .. كتب .. كتب.. يأتيني بكتاب لا أنام الليل.. فيحزن لحزني.. في مربوعتي علمتني الكتب أن كل شيء ينشأ من نقيضه، كل ساكن لا بد وأن يزول بحتمية النقيض الكامن فيه.. كنت صغيراً لكنني كنتُ أفهم.. الكتب غيرت مجرى حياتي وجعلتني أشكل حزياً وأوزع المنشورات قبل أن يظهر شعر الرجولة على صفحة وجهي، الكتب التي وشمّت على عقلي سؤالاً لن يموت إلا بغياب النفس الأخير، كيف نغير العالم.."(1).

وعند سفره من طرابلس إلى الجنوب وتحديداً إلى تلك القرية النائية في أقصى الجنوب "ونزريك" التي تبعد عن مدينة سبها مسافة مائتي كيلو متر، ليقوم بتعليم التلاميذ فيها وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، كان ينتظر ما يرسله له أخوه الأكبر "لامين" من صحف ومجلات وكتب بفارغ الصبر، ومن ضمن تلك الكتب القصص والروايات التي كان يتعايش معها ويرسم صور شخصها بخياله لتزيدها ثراء، وقد ذكر ذلك أكثر من مرة في سيرته الجنوبية حيث قال: "في الروايات قرأت عن خوف الأولاد الذين يأخذونهم للحرب قسراً، أنا أيضاً أخذتني الظروف قسراً وأنا لم أر من الدنيا سوى زقاق ضيق أعرفه خطوة خطوة وأعرف كل الوجوه فيه وجهاً وجهاً، ولم أعرف سماء غير سماه، من الكتب عرفت بشراً وأراض وسماوات وعرفت الحروب والجوع والأوبئة وبكيت مع المعذبين، لكنها ظلت صوراً تنير خيالي وأراها في أحلامي أحياناً، أتقمّص شخصيات رواياتها وملاحها، أنتقل من شخصية إلى أخرى كلما تركت كتاباً وذهبت إلى كتاب آخر، أضيف أو أزيل أحداثاً ووقائع، لعل من هم في عمري في

(*) محمد الشريف، مفتش في التعليم آنذاك، ينظر: المصدر السابق، ص 10.

(**) لامين: أخوه الأكبر، ينظر: المصدر السابق، ص 105.

(1) الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 105-106.

بلاد أخرى كانت لهم تجاربهم خارج الكتب، أما أنا فإن تجربتي خارج الكتب لم تولد إلا قبل ثلاثة أيام ودون وعي بأسرارها⁽¹⁾.

ويصف شدة اشتياقه لكتبه وهو في تلك البقعة النائبة في الجنوب قرية (ونزريك) قائلاً: " لم أغفر لنفسي نسياني أعز ما عندي الكتاب، كنت قد اخترت كتباً لأحملها معي لكن اضطراب أمي ودموعها أنسياني الكتب"⁽²⁾.

■ البيئة الثقافية التي ترعرع فيها: عمل الشريف في سن مبكرة موزعاً لجريدة (طرابلس الغرب)، كما كان أحد معلميه وهو محمد الفرجاني صاحب مكتبة الفرجاني القائمة إلى اليوم، كان يبيع الكتب ثم تفرغ بعد ذلك لطباعة الكتب ونشرها، الذي يبدو أن له اهتمامات سياسية فقد كان من مؤسسي الحركة العمالية سنة 1951م⁽³⁾، وكان أخوه لامين يشتري معظم كتبه من هذه المكتبة، لا بد أن يكون لذلك تأثير مباشر أو غير مباشر على اقترابه من عالم الكتب والقراءة في سن مبكرة، وهذا ما أكده في موضع آخر بقوله: "بدأت قراءاتي في سن مبكرة لا تتجاوز العاشرة، كان ذلك بحكم اتصالي بالكتاب والجريدة والمجلة في هذه السن، كنت بائعاً للجريدة والمجلة وقارئاً للكتب التي كان أخي الأكبر قد عرفها قبلي"⁽⁴⁾.

وكانت قراءاته كما يذكر "في معظمها روايات لكتّاب عرب ولغيرهم ممن كانت أعمالهم تترجم للغة العربية، ازداد شغفي بالروايات إلى حد إهمالي لواجباتي المدرسية، أنام وفي حضني رواية، أذهب للمدرسة وفي محفظتي رواية، ليلي ونهاري قراءة متواصلة للروايات والقصص، ومن شدة شغفي بما كنت أقرأ، قررت أن أكتب قصة، لم أفكر في كتابة رواية لأنها تستهلك زمناً طويلاً وأنا كنت متعجلاً.."⁽⁵⁾.

(1) المصدر السابق، ص 64.

(2) المصدر السابق، ص 97.

(3) ينظر: الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 88.

(4) "دراسات في الطفولة" الكتاب الثاني: "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مرجع سابق، ص 162 - 163.

(5) المصدر السابق، ص 163.

■ مرض الجدري الذي ترك أثراً مزعجاً على صفحة وجهه وهو صبي: كان هذا سبباً لانطوائه فكانت كتبه خير ملاذ يلجأ إليه هروباً من نظرات رفاقه القاسية، وفي ذلك يقول: "أوقاتى مع الكتب، توحدت معها زاد من عزلي وانطوائي، بدأ الأمر هروباً من أولاد الشارع الذين لم يتقبلوا وجهي بعد مرضي، فوجدتُ ملاذي في القراءة، قرأتُ الكتب ثم رافق الكتاب قلم، إذا أردتَ قتلي يكفي أن تحرمني من كتاب أو قلم، ستكون أمنيته الأخيرة في حياتي أن يكون الكتاب آخر ما تراه عيني أو قلم آخر ما تمسك به أصابعي"⁽¹⁾.

■ مزاوله الشريف لمهنة التعليم وتعلقه بالأطفال وإحساسه المبكر بالمسؤولية الأدبية تجاههم: أجبرته الظروف على الذهاب لأقصى الجنوب الليبي لتدريس الأطفال في تلك المنطقة النائية؛ وهو لم يكمل دراسته الثانوية، واحتكاكه بأولئك الأطفال جعله يستشعر المسؤولية تجاههم ليتخذ هذا الشعور لاحقاً منحى آخر حيث تصدّى للكتابة للأطفال، وفي ذلك يقول: "أرى في وجوه التلاميذ طفولة أحبها ومسئولية تناديني، لن أهرب منها، سأكون معلماً حقيقياً ودون مرشد، سأستعين بما رأيته وسمعتُه من المعلمين في مدرستي، كان لكل منهم طريقته ولغته وكنت متفوقاً في مادة التعبير والإنشاء، وفي ما سيأتي من سنين سيبقى هذا اليوم الأول موشوماً في الذاكرة لأنه كان بداية لمرحلة أخرى في تفكيري ووعبي، كان فائض الزمن يسمح لي بالقراءة معظم أوقات الليل والنهار"⁽²⁾.

وقد تحقّق ما كان يأمله، فأصبح معلماً غير تقليدي للأطفال من خلال توجهه بالكتابة لهم في جوانب مختلفة، أدبية ومعرفية، إضافة لكتاباته ونصائحه المباشرة وغير المباشرة لكل من يتصدّى لتربية الأطفال وتعليمهم من مربين ومؤسسات عامة وخاصة، تلك الكتابات التي جمعها في ثلاثة كتب، واختار لها عنوان واحد هو: "دراسات في الطفولة" الكتاب الأول والثاني والثالث، وذلك ليسهل على المهتمين الاستفادة من آرائه وتجاربه في هذا المجال.

■ قراءاته المبكرة للقصاص والروايات والأثر الذي تتركه تلك القصص والروايات عند سماع الأطفال لها: يقول الشريف: "أجد نفسي أحكي لهم عن شارعنا وعن أصدقائي ومدرستي، يتابعون بدهشة واضحة، ومن شدة شوقهم لحكاياتي كانوا يطلبون منها المزيد، وعندما استنفدت كل ما عندي من حكايات بدأت

(1) الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق ص 45.

(2) الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 88.

أروي لهم ما أقرأ من روايات وكانوا يسألون عن واقعية أحداثها وشخصياتها حتى أن بعضهم بكى من فواجعها"⁽¹⁾، ومن المؤكّد أنّه اكتشف تأثير ذلك في نفسه قبل اكتشافه تأثيره على غيره، فقراءته المبكرة للقصص والروايات أسهمت في تشكيل وعيه بآلام الإنسانيّة، حتى ارتبط عقلاً ووجداناً بأضعف حلقات الإنسانيّة المتمثلة في الأطفال، فانشغل بهم ولهم ثقافةً وأدباً في أغلب مسيرته الطويلة.

تشبه فكرة تحوّل (يوسف الشريف) من راوٍ يعيد رواية بعض القصص والروايات التي قرأها لمن حوله في أوقات الفراغ التي لا نهاية لها في تلك القرية النائية، ببدايات الشعراء الذين بدأوا حياتهم رواةً لقصائد غيرهم تمهيداً وتدريجياً لقرائهم، وأظن أنّ كل مبدع في فن ما بدأ حياته الإبداعية مطلعاً وهادياً له، ثم ممارساً له مبتكراً فيه.

■ السّفر والاطلاع على الآداب الغربيّة بلغاتها الأصليّة: إنّ أكثر ما شدّ انتباه الشريف هو اهتمام كتّاب الغرب بالكتابة للأطفال، وساعده على ذلك إجادته للغة الإنجليزيّة، حيث قام بترجمة عدد كبير من القصص والمؤلفات العلميّة الموجهة للأطفال، منها: من حكايات الشعوب، وسلسلة علمية بعنوان نوافذ، ومجموعتي المهر الأسود، وحكايات قبل النوم ومجموعة الساحر العجيب، فهذه المؤلفات تحتوي على بعض القصص المترجمة إضافة إلى القصص التي قام بتأليفها، كما قام بترجمة الموسوعة العلميّة الميسرة للفتيان والفتيات، التي يذكر في مقدمتها أنه تردّد كثيراً قبل اختيار مادة هذه الموسوعة، غير أنّ تردّده لم يستمر طويلاً عندما تيقّن من افتقار أولادنا من تلاميذ مرحلة التعليم الأساسي لأية أربيّة علميّة خارج المناهج التعليميّة، ورأى أنّ أفضل طريقة لمواجهة هذا التخلف هو التقدّم إلى الأمام خطوة واسعة فأنجز هذه الموسوعة العلميّة المصوّرة مستهدفاً منها بالدرجة الأولى إثارة السؤال والتفكير العلمي والبحث عند هذا الجيل، وأن نتيج لعقله أن يفكر ويجتهد ويتساءل ويجرّب ويبحث ويستقصي بل ويخطئ دون أن تعيقه أيّة موانع ماديّة أو معنويّة⁽²⁾.

■ تأثره ببعض كتّاب الفكر الاشتراكي: ردّد يوسف الشريف أكثر من مرة أسماء بعض الكتّاب الذين أعجب بكتاباتهم الإبداعية، بل إنّه كان يستعيد صور أبطال تلك الروايات في خياله، يذكر ذلك في كتابه

(1) المصدر السابق، ص 80.

(2) ينظر: مقدّمة، الموسوعة العلميّة الميسرة للفتيان والفتيات، ترجمة يوسف الشريف، منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، ليبيا، ط1، 2003، ص 7.

الأيام الجنوبية بقوله: "قرأت لكتاب مصريين وكتاب آخرين قرأتهم بترجمات عربية من دار اليقظة العربية، جوركي، تشيخوف، تورجنيف، جوجول، تولستوي، وجدت فيهم بشراً يعيشون في مكان بعيد عني لكنه قريب مني وكأنهم معي في كل بيت من بيوت زنقة الباز، كانت فواجعها تبكيني فأعيد قراءتها مرة ومرتين، أفضي الليالي قارئاً لها أو مفكراً فيها وكنت أتعذب بأسئلة عصية على تفكيري، الأحباب يفترون ولا يلتقون ويموتون بلا سبب وهم في قلب المعاناة، الوداع والأيدي الملوحة والقطار المسافر آخر الليل، المشردون يموتون في الطرقات والجنود يدافعون عن أوطانهم، كل ما كنت أقرأ يمزق وجداني ويطوق عقلي وتفكيري، أسأل نفسي من يصنع كل هذا العذاب؟ ولا من جواب، ذات مرة فاجأتني أمي غارقاً في بكاء أخرس، رأيت دموعي، صرخت.. ستقتلك هذه الكتب توقّف عن قراءتها، الآن أعدّ الأيام أنتظر عمي علي وأسأل كل من أراه عن يوم وصوله لكن لا أحد يعرف⁽¹⁾.

وفي موضع آخر يذكر أيضاً: "الآن وأنا مع الكتب تذكرني داري الصغيرة بالمربوعة في بيتنا، فيها عرفت طه حسين وسلامة موسى وفولتير وعرفت أم جوركي وحوزي تشيكوف ومفتش جوجول والعقب الحديدية والاشتراكية، فيها صدمتني الأسئلة الكبيرة فحيرتني وعذبتني وغيرتني ثم قذفت بي إلى موج عاصف لا أقدر على السباحة فيه لكنني لم أفكر في العودة إلى شط الأمان، كان السؤال عندي أن أعرف، لكن كلما انفتح باب انغلق أبواب أخرى أمامي.. اليقين مستحيل، في تلك السنين كنت أرى أن الإجابة على أسئلتي ممكنة وكانت الكتب هي طريقي لمعرفة الإجابة"⁽²⁾.

ويؤكد ذلك في قوله: "إن معظم ما قرأت من روايات يحكي عن بشرٍ فقراء ومشردين وتمردين، قلت لنفسي لماذا لا أكتب عن البشر الذين أراهم وأعيش معهم في شارعنا فهم أيضاً فقراء ومشردون ومرضى، كتبت عنهم واستهلكت كل أوراق دفاتري المدرسية..."⁽³⁾.

لقد ظهر هذا الاهتمام بشكل واضح عندما قام بتشكيل حزب وتوزيع المنشورات، كل ذلك محاولة منه لمساعدة الفقراء والمشردين الذين تعج بهم زنقة الباز، وفي هذا يقول: "الكتب غيرت مجرى حياتي وجعلتني أشكل حزياً وأوزع المنشورات قبل أن يظهر شعر الرجولة على صفحة وجهي، الكتب

(1) الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 97-98.

(2) الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 105-106.

(3) دراسات في الطفولة، الكتاب الثاني: "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 163.

التي وشمّت على عقلي سؤالاً لن يموت إلا بغياب النفس الأخير، كيف نغير العالم... لم أفهم كيف نغير العالم .. لكنني أدركتُ أنّ العالم يجب أن يتغير، في زنقة الباز.. ناس يموتون .. يجوعون.. يقتلهم مرض مجهول.. من جوعهم يأكلون الجراد.. يتناسلون كثيراً، يعيشون كأنما هم راضون بنصيبهم من الدنيا. لماذا هم راضون بفقرهم؟⁽¹⁾، فالكتب هي التي جعلته مختلفاً عن غيره فهو لم يستسلم للواقع المرير ولم يكن راضٍ عنه، بل إنَّ وعيَه ألحَّ عليه للبحث عن مخرج يخرج به بني جنسه مما هم فيه من ضنك، وهذا ما عبّر عنه بقوله: "هكذا بدأ الوعي بضرورة النقيض، نقيض غامض أحسُّ به ولا بد أن يقع، كيف يمكن أن يقع ومتى..؟ لم أكن أملك جواباً على السؤال لكنني كنت مسكوناً بالبحث عن جواب للسؤال"⁽²⁾.

كان هذا في بداية ولوجه لعالم الكتب، أما فيما تلى ذلك فقد تنوّعت قراءاته واتّسعت خاصة عندما تصدّى للكتابة، وفي ذلك يذكر "... وصرتُ أقرأ في الشعر والنقد وتاريخ الأدب وسير من كتبوا أدباً، إلى جانب السيرة الهلالية وكليّة ودمنة، قرأتُ بوعي من يبحث عن أسرار الكتابة خاصةً في الأعمال التي أدهشتني"⁽³⁾.

■ تمرّسه على كتابة القصة القصيرة الموجهة للكبار، جعله أكثر استعداداً لولوج عالم الصغار: يعد يوسف الشريف من أعلام القصة في ليبيا، بدأ الكتابة في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، وازدهرت كتاباته في الستينيات والسبعينيات، حيث اعتبر من رواد القصة القصيرة في ليبيا، فحصل على شهادة تقدير في عيد العلم الأول بطرابلس سنة 1970 م⁽⁴⁾، له العديد من الأعمال، منها: (الجدار) التي صدرت سنة 1965 م⁽⁵⁾ عن اللجنة العليا لرعاية الفنون، وفازت هذه المجموعة بالجائزة الثالثة في مسابقة القصة القصيرة لسنة 1965 م، ومن أعماله أيضاً: (الأقدام العارية) التي صدرت

(1) الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 105-106.

(2) المصدر السابق، ص 105-106.

(3) دراسات في الطفولة، الكتاب الثاني: "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مرجع سابق، ص 164.

(4) ينظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين، دار الكتب، أمانة الإعلام والثقافة، طرابلس، 1977 م، ص 504.

(5) ينظر: المرجع السابق، ص 504.

سنة 1975 م عن الدار العربية للكتاب بطرابلس تونس، و(ضمير الغائب) الصادرة سنة 1986 م عن الدار الجماهيرية⁽¹⁾.

ويذكر (رجب رستم) في دراسته: "أنَّ يوسف الشريف أحد الثالوث الفائز في أكبر مسابقة قصصية في تاريخ ليبيا الحديث، التي كانت تحت إشراف اللجنة العليا لرعاية الفنون والآداب، وكان ترتيبه الثالث بعد الفقيه الفائز بالترتيب الأول والتكالي الفائز بالترتيب الثاني"⁽²⁾.

كما ذكر أنَّه كان أحد المحظوظين الثلاثة الذين عرفتهم القصة القصيرة الليبية وهم يوسف الشريف وخليفة حسين مصطفى وسالم العبار⁽³⁾.

■ قراءات الشريف لكل ما يخص الطفولة من أدب ونقد وعلوم إنسانية: رغم أنَّ هذه القراءات كانت في بدايتها لمجرد الاطلاع فلم يكن يقصد منها محاولة الكتابة للأطفال، فإنَّها قادته بعد ذلك إلى التوجُّه بخطابه الإبداعي للأطفال، وفي هذا يذكر قائلاً: "... ومع كل قراءاتي قرأت ما هو موجَّه للأطفال من قصص وروايات ومسرحيات ودراسات عن الطفولة في العلوم الإنسانية، ولم أكن أعلم أنَّ هذه القراءات ستأخذني إلى تجربة أدبية جديدة يقول من خاضها أنها صعبة ولا يقدر عليها إلا من عندهم صبر على احتمالها، كانت كذلك لكني وجدتُ فيها كل ما هو رائع ومشرق"⁽⁴⁾.

■ تأثره بالزخم الإبداعي في مجال الطفولة في ليبيا في السبعينيات وصدور مجلة الأمل: كان لبروز كتاب متميزين يأتي على رأسهم رائد قصص الأطفال في ليبيا "محمد عبد الله الزكرة"، وكذلك صدور مجلة "الأمل" وعمله مستشاراً بها الأثر الواضح في إبداعه، فقد نشر أولى إبداعاته فيها (حوالي عشر قصص)، وذلك قبل أن يتمكَّن من النشر بشكل مستقل، وبهذا الخصوص ذكر الشريف في أحد

(1) ينظر: معجم القصاصين الليبيين، عبد الله سالم مليطان، مداد، طرابلس، ط1، 2001، ج 1، ص 521.

(2) القصة القصيرة في ليبيا منذ الاستقلال حتى أواخر الثمانينيات، (رسالة دكتوراه غير منشورة، درأفت حسن أحمد رستم، كلية الدراسات العربية/ قسم الدراسات الأدبية، القاهرة، 1999 م، ص 166.

(3) المرجع السابق، ص 166.

(4) دراسات في الطفولة، الكتاب الثاني: "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مرجع سابق، ص 164.

مقالته: "مجلة الأمل أراها تمثل زاوية ليس بالضيقة في رحلتي مع الأطفال فقد أكدت انشغالي بمشروعي في الطفولة الذي باشرته في نفس سنة صدورها وبعشرة عناوين قصصية للأطفال.."(1).

ويعي يوسف الشريف معنى الكتابة للأطفال وما يتطلبه ذلك من تقنيات تختلف اختلافاً بيناً شكلاً وموضوعاً، لذا أخذ منه هذا الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يشرع في الكتابة لهم، وهذا يدل دلالة أكيدة على جدّيته وإحساسه بالمسئولية الكبيرة تجاه هذه الشريحة، لذا تعمّقت قراءاته في هذا المجال، وأصبحت أكثر تحديداً، وفي هذا يقول: "قرأت عن شروط الكتابة للطفل، عن اللغة والصورة وحجم الحروف وعدد الكلمات في الجملة الواحدة، عن العناوين وكيف نختارها والمعاني وكيف نشرحها والشخصيات وكيف نقدّمها، عن الحيوانات وكيف تتطوّر بلغة البشر، عن أهداف الحكاية ومضمونها، عن قصص الخيال والخرافات"(2).

وقد امتدحه أحد الكتّاب الليبيين قائلاً: "... أمّا يوسف الشريف فهو أحد أهم كتّاب القصة القصيرة في الستينيات، ويحظى باحترام والتفاف الكتّاب المستقلين وبالذات جيل السبعينيات لأنّه كان شريفاً وصلباً في دفاعه عن قضايا الحرية وشجب القمع والإقصاء، وتحلّى بالشجاعة في سلوكه العملي برغم وجوده داخل ليبيا، ورغم أنّه بلغ السبعين من العمر"(3).

ولم يكتفِ الشريف بالكتابة الأدبية للأطفال إنّما قدّم العديد من الدراسات والمقالات النقدية التي وضّحت رؤيته تجاه الطفل وتجاه ما يقدم له من مواد أدبية كانت أم علمية.

وتنوّعت نشاطات الشريف التي توجّه بها إلى الأطفال أو عنهم، حيث يقول: "كتبْتُ لهم واتصلتُ بهم في مدارسهم وعبر الإذاعة في برامجهم، كتبْتُ قصصاً ومسرحيات ومعاجم لغوية وعلمية وموسوعات

(1) دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث"، مجلة الأمل الريادة في الزمن الصعب، يوسف الشريف، مرجع سابق، 97.

(2) دراسات في الطفولة، الكتاب الثاني: "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 165.

(3) ليبيا التي لا نعرفها "دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع الأهلي 1830 _ 2011"، د.علي عبد اللطيف حميده،

ص 7، عين على فزان، الموقع الإلكتروني: [http://fezzan24.blogspot.com/2015/09/blog-](http://fezzan24.blogspot.com/2015/09/blog-post_34.html)

post_34.html

وترجمتُ من الأدب العالمي للأطفال، أنشأتُ مكتبة للأطفال، شاركت في ملتقيات وندوات تناقش أبعاد الكتابة للطفل⁽¹⁾.

المبحث الثاني

إبداعه القصصي للأطفال

(1) دراسات في الطفولة، الكتاب الثاني: "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 165.

بدأ يوسف الشريف حياته الأدبية متوجّهاً بكتاباتة للكبار منذ منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، فهو يُعدّ من رواد القصة القصيرة في ليبيا⁽¹⁾ - كما سبق ذكر ذلك - ولكن بمجرد اطلاعه على اهتمام الغرب بأدب الأطفال وثقافتهم من خلال سفره واطلاعه عن قرب على الواقع الثقافي لديهم، وجد نفسه تميل إلى هذا المجال، ساعده على ذلك إجادته للغة الإنجليزية، إضافةً إلى أنّ هاجس الكتابة للأطفال بدأ يشغله في وقت مبكّر، غير أنّه استشعر خطورة هذا الأمر فلم يفتحمه إلا بعد امتلاكه لأدوات الكتابة للأطفال، وفي ذلك يقول: "الاهتمام بالكتابة للأطفال كهّم، بدأت بهاجس ملحّ لدي: متى يأتي يوم أكتب فيه للأطفال؟ لكن ضعف الإمكانية على مستوى الإشباع الذاتي من الثقافة الطفوليّة، وربما ضعف الاطلاع وضعف المتابعة، تأجّل ذلك الهاجس وذلك الهَمُّ إلى منتصف

(1) ينظر: معجم الأدباء والكتّاب الليبيين المعاصرين، ج 1، عبد الله سالم مليطان، مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، طرابلس، ص 198.

السبعينيات ولا أخفيكم كنتُ خائفاً من ممارسة الكتابة للصغار، فعندي هي مسئولية بل مسئولية مضاعفة⁽¹⁾.

ويذكر الشريف أنه بدأ فعلياً بنشر قصصه الموجهة للأطفال في سنة 1974 م، وذلك في أول صدور لمجلة الأمل، حيث نشر فيها عشر قصص⁽²⁾، في حين قام بنشر أول عمل قصصي مستقل في سنة 1977 م، وبهذا يزول اللبس عن بداية توجُّهه بالكتابة للأطفال.

وقد قام إضافةً إلى إبداعه بترجمة بعض القصص والكتب العلمية الخاصة بالأطفال، وعكف بشكل يكاد يكون كاملاً بالكتابة لجمهوره من الصغار وعندهم، وهذا التأثر بالغرب ليس جديداً، فقد تأثر من قبله رفاة الطهطاوي وأحمد شوقي وغيرهما بالغرب في هذا المجال وهما يُعدَّان من أهم رواد أدب الأطفال في مصر بل في العالم العربي.

التفت يوسف الشريف إلى أدب الأطفال وحاول الغوص فيه كاتباً وناقداً، فقد كتب ما لا يقل عن مائة قصة للأطفال، ولم تقتصر كتاباته على المجال الإبداعي فحسب بل إنَّه كتب العديد من المؤلفات والدراسات والمقالات التي محورها الطفل وثقافته بشكل عام.

كما أنَّه عزا توجُّهه في الكتابة القصصية للأطفال إلى ما وصفه بتخلف المجتمع، والحاجة إلى النهوض بتربية الأطفال فيه، وإلى الفقر الشديد في مكتبة الطفل في ليبيا بحيث تولد لديه هدف تزويد الطفل في ليبيا بالمعرفة، ومساعدته على تجاوز المفاهيم الخاطئة، وإقناعه بالقيم الاجتماعية النبيلة⁽³⁾.

أصدر الكاتب يوسف الشريف عدَّة سلاسل ومجموعات قصصية، هي:-

1. سلسلة قصص ليبية للأطفال: وهي من منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان سنة 1977 م، وقد احتوت هذه المجموعة على عشر قصص، هي: ليس كل كبير غالباً - السمكة الذهبية

(1) مجلة الفصول الأربعة، ع 100، يوليو 2002 م مرجع سابق، حوار مع يوسف الشريف، كاتب الأطفال في ليبيا، فاطمة غندور، ص 213.

(2) دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث، "مجلة الأمل الريادة في الزمن الصعب"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ط 1، ص 97.

(3) ينظر: مجلة الثقافة العربية، ع: 10، السنة: 5: 1978 م، مرجع سابق، ص 61، يوسف الشريف، لقاء أجراه معه جمعة عبد الصبور.

- الراعي الشجاع - عيون نعيمة - الغراب والعصفور - التاجر الجوال - عاشور لا يذهب إلى المدرسة - سعد وسعيد ومسعود - ابنة الراعي - القوي بمفرده ضعيف، وقد اعتمد في كتابة بعض هذه القصص على: النص الشعبي المتداول للأستاذ الراحل محمد حقيق⁽¹⁾.

2. سلسلة قصص لبيبة للأطفال: من منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع سنة 1981 م، واشتملت هذه المجموعة على اثني عشر كتاباً الأول والثاني قصيدتان، الأول بعنوان: الدرس الأول، والثاني بعنوان رسالة أم إلى ولدها. أما باقي الكتب العشرة فهي قصص: الفأر يصبح أسداً، عنتر ينهض من نومه - أم السعد وولدها الكذاب - حاكم بلا رعية - فأر الحقل وفأر المدينة - لا وجود للعفاريت - عاشور يذهب إلى الحرب - الليبية الشجاعة - الثعلب والأرنب - البتشة.

3. سلسلة قصص لبيبة للأطفال: وهي من إصدارات الدار العربية للكتاب سنة 1985 م، وتضم خمسة عناوين، هي: الولد والحمامة - العصفور والشجرة - سنابل الثلج - الرجل والمزرعة - العودة إلى الفردوس.

4. سلسلة نوافذ: صدرت عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية سنة 1998 م^(*)، تتضمن ثمان وعشرين قصة، أغلبها ذات طابع علمي، وهي خليط من القصص التي قام الشريف بترجمة بعضها وأخرى من تأليفه، وهي: المجتهدة - الحمامة تزرع شجرة - ثمن المعرفة - قلب شجاع - الجبان والكرة - الأبيض والأسود - الأرنب - الفيل والقبرة - صديقان - الرجل والشجرة - هدية عيد الميلاد.

5. سلسلة طفل يقرأ: وهي أيضاً صدرت عن الدار العربية للكتاب سنة 1999 م، وتضم خمسة عشر عنواناً، منها قصيدة واحدة بعنوان: أغنية لبلادي، والباقي مجموعة قصص قصيرة، هي: عيون النار - طائرة فوق بيتنا - عندما هزمتُ الخوف - زهرة الشتاء - ندى وشمس الربيع - عندما اختفت ليلى -

(1) ينظر: سلسلة "قصص لبيبة للأطفال"، قصة "ابنة الراعي"، رقم 5، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان سنة 1977، كما ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا "1921-2005"، ببليو جرافيا ودراسة، أسماء الأسطى، مرجع سابق، ص 257.

(*) لم يدون التاريخ على السلسلة، وقد أخذت الباحثة التاريخ من كتاب: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا "1921-2005"، ببليو جرافيا ودراسة، أسماء الأسطى، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 208.

قصة غريبة - انتقام العصافير - لماذا تبكي العصافير - درس كل يوم - الجمل الذي تنزه في الغابة - نار في البيت المهجور - صياد يدخل الغابة، النخلة وزهرة الياسمين.

6. مجموعة من حكايات الحروف(**): من منشورات مجلة المؤتمر سنة 2003 م، وتضم اثنتي عشرة حكاية معنونة بأرقامها: من الحكاية الأولى إلى الحكاية الثانية عشرة.

7. قصص مفردة ومجموعات صغيرة(***) : صدرت في سنة 2005 م، عن مكتبة علاء الدين، صفاقس، تحمل عناوين: أمي - صديقان - (السماء بيت العصافير، الرجل والمظلة): مجموعة واحدة - (الشمس تأتي بالصباح، حديقة الورد): مجموعة واحدة.

8. مجموعة المهر الأسود: من منشورات مجلس الثقافة العام سنة 2006 م، وهي أضخم مجموعات الشريف على الإطلاق حيث تضم سبعة وسبعين قصة منها عشرون قصة مترجمة، وسبع وخمسون من تأليفه، وهي: حبة الفراولة - أبي لا يعرف أين يذهب الحمام - البيضة العجيبة - من يصل أولاً؟ - الحجر والعصا - حورية البحر الصغيرة - حكاية شجرة الزيتون - البطل الصغير - حكاية العصفور الأخضر - عاشور لا يذهب إلى المدرسة - لا وجود للعفاريت - العصفور الحكيم - الخطة المحكمة - الغابة البيضاء - ابنة الراعي - الكذاب - طائرة الورق تجمع الأصدقاء - الفأر يصبح أسداً - خالتي سالمة وقطتها العجيبة - صباح جميل - هكذا .. طار الحمام - العصفور الأبيض - أنا لا أعتذر - الأم الشجاعة - من يزرع شجرة؟ - الأرنب الزرقاء - عصفور القمر - سنابل الثلج - العودة إلى الفردوس - الشجرة والبستان - سميرة وسمية - زهرة الشتاء - درس كل يوم - صياد يدخل الغابة - زهرة الياسمين - أين اختفت ليلي؟ - عيون النار - قصة غريبة - ندى وشمس الربيع - نار في البيت المهجور - طائرة فوق بيتنا - الصبي والحمامة - العصفور والشجرة - الرجل والمزرعة - الحمامة تزرع شجرة - الأبيض والأسود - الفيل والقبرة - الأرنب يحكم بينهم - ثمن المعرفة - الجبان والكرة - صديقان - قلب شجاع - المهر الأسود - أولاد عاشور - كيس اللؤلؤ - فرقة عمر - عصفور اللون الأبيض.

(**) يلاحظ أنّ يوسف الشريف يخلط في أحيان كثيرة بين مصطلحي الحكاية والقصة، فهو يطلق مصطلح (حكاية) على بعض قصصه ومجموعاته وهي في الواقع قصص.

(***) تتكون كل مجموعة من قصتين فقط.

9. مجموعة حكايات قبل النوم: من منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م، وتضم ثلاثاً وثلاثين حكاية، منها تسع حكايات مترجمة وأربع وعشرون من تأليف الكاتب، وهي: العصافير الثلاثة - القطة ميو - الغزال الأبيض - الديك وأصدقاؤه الثلاثة - السنجاب والبستان - فصل الربيع - الحمل الصغير - شجرة التوت - عصفور اللون الأبيض - هدية عيد الميلاد - عبد الله الصغير - دامبي والمدرسة - القطة بسبس - الديك والبيغاء - الأرنب والفيل ووحيد القرن - حسن وشجرة العنب - الثعلب والدجاجة والديك - الولد الذي لا يشبع أبداً - طيور العنب - الملعقة العجيبة - العصفور الأصفر - شجيرة بكت - البتشة - ورد ووردة.

10. مجموعة حكايات العصافير: من منشورات مجلس الثقافة العام سنة 2008، وتضم عشر حكايات، هي: حكاية عصفور سافر مع الشمس - حكاية تاجر العصافير - حكاية عصفور على زجاج نافذتي - حكاية فيل وعصفور - حكاية عصفور مغرور - حكاية عصفور أحب عصفورة - حكاية عصفور غير لونه - حكاية عصفور شجاع - حكاية عصفور ووردة - حكاية عصفور وحمامة.

11. مجموعة يا زهرة القرنفل: من منشورات المؤسسة العامة للثقافة سنة 2010، وتضم إحدى عشرة قصة، هي: يوسف الصغير - لينة الصغيرة - طائر القمر - عيون العسل - العصافير الأربعة - زهرة القرنفل - الطائر الصغير والطائر الكبير - المهر الأبيض - أحمد الراجل وذئب البراري - الزرافة والسلحفاة - جميل النشيط.

12. مجموعة المطر يسقط في الصحراء: منشورات المؤسسة العامة للثقافة سنة 2010، وتضم ست قصص، هي: المطر يسقط في الصحراء - رحلة الربيع - حكاية زهرة القرنفل - عند الرحيل لا تغني الطيور - الحمامة تزرع شجرة - عاشور يقطع الأشجار.

13. مجموعة قصص لأطفال الثورة: منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، سنة 2014 م، وتضم سبع قصص، هي: المراسل الحربي، ليس مع الثائر سلاح، الحمام يخرج من قفصه، عند مدخل الشارع، مفاجأة سميرة الصغيرة، البيت الصغير، البيغاء.

14. **مجموعة حكايات للأطفال من حياة الحيوان**: منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، سنة 2014، وتضم ست حكايات، من الحكاية الأولى إلى الحكاية السادسة، بدون عناوين.

15. **مجموعة زهرة المطر وحكايات أخرى**: منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، سنة 2014، وتنقسم إلى مجموعتين، الأولى تضم ثلاثاً وثلاثين قصة، هي: ولد وعصفور، رجل وولد وبنت صغيرة، بيضة نعامة وبيضة عصفور، سحابة صيف وسحابة شتاء، غصن صغير وطير كبير، كرة وأطفال وعسل، طفل وحديقة طيور، أذن وعين، طفل وطائرة من ورق، نملة وفيل، دب وخلية نحل، قفص وعصفور، رجل وطفل، طير وحبّة قمح، رجل وبقاة ورد، سلحفاة ونملة، رجل وأطفال وكتاب، أسد وعرين، عصفور وجناح صغير، ولد وحمّامة، طير صغير وحبّة عنب، قطرة ماء وزهرة، قلم وكتاب، عصفور في البيت، شمس وعصفور، بنت صغيرة ووردة، ولد صغير وفخ، نحلة وزهرة، طير كبير وطير صغير، حبة زيتون وقطرة ماء، نسر وعصفور، أسد وعصفور، حبة قمح وقطرة ماء، أما الثانية فتضم تسع قصص، هي: الديك والدجاجة والثعلب، الصقر والنسر، أكرم وكريم، بستان مسعود، لكل سؤال جواب، رحلة ورحالة، حكاية شجرة العنب، الخطة الذكية، عصفور الشجرة وعصفور القفص.

16. **مجموعة طائر القمر، The Moon Bird قصص بالعربيّة والإنجليزيّة**: منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، سنة 2014، وتنقسم هذه المجموعة إلى قسمين، القسم الأول باللغة العربية، ويتضمن تسع قصص سبق نشرها في سلاسل ومجموعات سابقة، وهي: عصفور اللون الأبيض، عندما اختفت ليلي، ندى وشمس الربيع، نار في البيت المهجور، الأرنب يحكم بينهم، طائر القمر، فتاة العسل، زهرة القرنفل، القطّة ميو، والقسم الثاني باللغة الإنجليزية، وتتضمن أيضاً تسع قصص، وهي: Spring beauty, Aghost in the old house, The Window, The little white bird, What story is this?, The Moon Bird, Kitten called Meow, Where pink has gone, Honey Girl

من خلال العرض السابق لمؤلفات الشريف القصصية، يُلاحظ تكرار بعض القصص مما شكّل لديّ جملة من الإشكالات التي يتم عرضها بالتفصيل في الجانب التالي:

إشكالات في القصة عند يوسف الشريف:

عند محاولة دراسة قصص يوسف الشريف للأطفال تواجه الباحث جملة من الإشكالات التي تتعلّق بنشر هذه القصص، فبعض هذه الإشكالات: تتمثّل في إعادة نشر بعض القصص من مجموعة لتدخل في مجموعة أخرى وربما مجموعة ثالثة وهذه الإشكاليّة هي الغالبة، والإشكاليّة الثانية: بعض هذه القصص وردت في بعض المجموعات مع المترجمات، وفي أخرى وردت مع المؤلفات، ووردت بعض القصص بالعناوين ذاتها ولكن بمضامين مختلفة، كما وردت بعض القصص بالعناوين ذاتها ولكن بمضامين مختلفة إحداها مترجمة والأخرى من تأليف الكاتب، ولا شك أنّ هذه الإشكاليات تجعل عملية البحث أكثر صعوبة، وسأحاول توضيح هذا الأمر بشكل أكثر تفصيلاً فيما يلي:

1. إشكاليّة تكرار القصص في سلاسل ومجموعات مختلفة:

- تكررت قصة "لا وجود للفقاريت" في سلسلة (قصص ليبيّة للأطفال)، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سنة 1981 م، كما وردت القصة نفسها في سلسلة (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام - سنة 2006 م.

- تكررت قصة "البتشة" في سلسلة (قصص ليبيّة للأطفال)، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سنة 1981 م، كما وردت القصة نفسها في مجموعة (حكايات قبل النوم) منشورات مجلس الثقافة العام، الطبعة الأولى، 2006 م .

- تكررت قصة "الفأر يصبح أسداً" في سلسلة (قصص ليبيّة للأطفال)، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان _ سنة 1981 م، الطبعة الأولى، كما وردت القصة نفسها في سلسلة (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

- وسلسلة (قصص ليبيّة للأطفال) _ الدار العربية للكتاب - 1985 م، التي تضم خمس قصص، وهي: "الولد والحمامة" و"العصفور والشجرة" و"سنابل الثلج" و"العودة إلى الفردوس" و"الرجل والمزرعة"، تكررت بالكامل في مجموعة (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

- كما تكررت قصة "عاشور لا يذهب إلى المدرسة" في سلسلة (قصص ليبيية للأطفال) _ الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا - سنة 1977 م، وفي مجموعة (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

- وتكررت قصة "ابنة الراعي" في سلسلة (قصص ليبيية للأطفال) _ الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا - سنة 1977 م، وفي مجموعة (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام سنة 2006 م.

- تكررت قصة "الحمامة تزرع شجرة" في سلسلة (نوافذ) قصة رقم (19) مكتبة طرابلس العلمية العالمية سنة 1998م، وفي سلسلة (المهر الأسود) صفحة 331، منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م، كما وردت القصة نفسها في مجموعة (المطر يسقط في الصحراء) المؤسسة العامة للثقافة - الطبعة الأولى، سنة 2010 م.

- تكررت قصة "قلب شجاع" سلسلة نوافذ، الصادرة عن مكتبة طرابلس العلمية العالمية سنة 1998 م، كما وردت القصة نفسها في سلسلة (المهر الأسود) باسم "قلب شجاع" مع تعديلات، منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

- تكرر ورود القصص: "عيون النار"، " طائرة فوق بيتنا"، " زهرة الشتاء"، " ندى وشمس الربيع"، "عندما اختفت ليلى"، "قصة غريبة"، "درس كل يوم"، "نار في البيت المهجور"، "صياد يدخل الغابة"، " النخلة وزهرة الياسمين"، في سلسلة (طفل يقرأ) الدار العربية للكتاب سنة 1999 م، كما وردت في مجموعة (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

- كما وردت قصة: "عصفور اللون الأبيض" وقصة "نار في البيت المهجور" وقصة ندى وشمس الربيع" وقصة "الأرنب يحكم بينهم" في مجموعة المهر الأسود، وتكررت القصص نفسها في مجموعات أخرى، ومثلها قصص "طائر القمر" و"فتاة العسل" و"زهرة القرنفل" وردت في مجموعة (طائر القمر وحكايات أخرى) منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية سنة 2014 م مع أنها نُشرت في مجموعات أخرى.

- ووردت قصص: "الحمامة تزرع شجرة"، "ثمن المعرفة"، " قلب شجاع"، "الجبان والكرة"، "الفيل والقبرة"، "صديقان"، "هدية عيد الميلاد"، في سلسلة (نوافذ) مكتبة طرابلس العلمية العالمية سنة 1998 م، كما وردت في مجموعة (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

2. إشكالية ورود بعض القصص بين الترجمة والتأليف:

- وردت قصة: "عندما هزمتُ الخوف"، وقصة "الجمال الذي تنزه في الغابة" في سلسلة (طفل يقرأ) من خمس عشرة قصة _ منشورات الدار العربية للكتاب، سنة 1999 م، دُونتا على أساس أنهما من تأليف يوسف الشريف، كما وردت القصتان في المجموعة القصصية: (المهر الأسود) منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م، ضمن العشرين قصة المترجمة.

- وردت قصة "السمكة الذهبية" في مجموعة (قصص ليبيية للأطفال) الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا - سنة 1977 م، وهي من تأليف الكاتب ووردت بالاسم نفسه في مجموعة (المهر الأسود) وهي مترجمة وبمضمون مختلف.

3. إشكالية تكرار العناوين بمضامين مختلفة:

- وردت قصة "صديقان" في سلسلة (المهر الأسود) صفحة 331 _ كما وردت في سلسلة (نوافذ) قصة رقم (26) منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية سنة 1998 م، كما وردت قصة أخرى ولكن بالعنوان نفسه "صديقان" مفردة - منشورات مكتبة علاء الدين _ صفاقس - الطبعة الأولى، سنة 2005 م.

- وردت قصة "زهرة القرنفل" الاسم نفسه في مجموعتين: الأولى: مجموعة (المطر يسقط في الصحراء) المؤسسة العامة للثقافة سنة 2010 م، ص 35، والثانية: في مجموعة (يا زهرة القرنفل) المؤسسة العامة للثقافة سنة 2010 م، ص 63، ولكن بمضامين مختلفة.

4. إشكالية المضامين المتطابقة مع اختلاف العناوين:

- وردت قصة ليس كل كبير غالباً في (سلسلة قصص ليبية للأطفال)، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، سنة 1977 م، كما وردت القصة نفسها في مجموعة (المهر الأسود) باسم "العصفور الأخضر"، منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

- وردت قصة "القوي بمفرده ضعيف" في (سلسلة قصص ليبية للأطفال)، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، سنة 1977 م، كما وردت القصة نفسها في مجموعة (المهر الأسود) باسم "الخطة المحكمة"، منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م.

- وردت قصة "الليبية الشجاعة" في سلسلة (قصص ليبية للأطفال)، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان _ سنة 1981 م، الطبعة الأولى، كما وردت القصة نفسها في مجموعة (المهر الأسود) باسم "الأم الشجاعة" مع تعديلات.

- وردت قصة "السمة الذهبية" في سلسلة (قصص ليبية للأطفال)، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان _ سنة 1981 م، الطبعة الأولى، كما وردت القصة نفسها في مجموعة (المهر الأسود) باسم "حورية البحر الصغيرة" مع تعديلات.

- تكررت قصة "عاشور يذهب إلى الحرب" في سلسلة قصص ليبية للأطفال، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع سنة 1981 م، الطبعة الأولى، كما وردت القصة نفسها في مجموعة (المهر الأسود) باسم "البطل الصغير" مع تعديلات.

- وردت قصة "أم السعد وولدها الكذاب" في سلسلة (قصص ليبية للأطفال) منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981 م _ ووردت باسم "الكذاب"، في مجموعة (المهر الأسود) ص 331، مع تعديلات، وتغيير اسم بطل القصة من بلعيد إلى مفتاح.

- وردت قصة "حاكم بلا رعية" في سلسلة (قصص ليبية للأطفال) منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981 م - ووردت باسم "الغابة البيضاء" في مجموعة (المهر الأسود) ص 81.

- وردت قصة "الولد والحمامة" في سلسلة (قصص ليبية للأطفال) الدار العربية للكتاب - 1985 م، كما وردت باسم "الصبي والحمامة" في مجموعة (المهر الأسود).

- وردت قصة (النخلة وزهرة الياسمين) في سلسلة (طفل يقرأ) الدار العربية للكتاب سنة 1999 م، القصة رقم (15)، كما وردت باسم "زهرة القرنفل" في مجموعة (المطر يسقط في الصحراء) منشورات المؤسسة العامة للثقافة سنة 2010 م، كما وردت باسم "زهرة الياسمين"، في مجموعة (المهر الأسود) في صفحة 221.

- وردت قصة "عندما اختفت ليلي" في سلسلة (طفل يقرأ) الدار العربية للكتاب سنة 1999 م، القصة رقم (6)، كما وردت باسم "أين اختفت ليلي" في مجموعة (المهر الأسود) في صفحة 227، كما وردت باسم "رحلة الربيع" في مجموعة (المطر يسقط في الصحراء) سنة 2010 م، كما وردت في مجموعة (حكاية طائر القمر) سنة 2014 م.

- وردت قصة "أمي" (مفردة) عن مكتبة علاء الدين، صفاقس، كما وردت باسم "العصفور والشجرة" في مجموعة (المهر الأسود) سنة 2006 م _ مجلس الثقافة العام، في صفحة 265.

- وردت قصة "شجرة التوت" في مجموعة حكايات قبل النوم، منشورات مجلس الثقافة العام، سنة 2006 م، صفحة 57، كما وردت باسم "من يزرع شجرة" في مجموعة (المهر الأسود) في صفحة 149.

- وردت قصة "لماذا تبكي العصافير" في مجموعة (طفل يقرأ) الدار العربية للكتاب سنة 1999 م، القصة رقم (9)، كما وردت باسم "سميرة وسمية" في مجموعة (المهر الأسود) في صفحة 199.

- وردت قصة "انتقام العصافير" في مجموعة (طفل يقرأ) الدار العربية للكتاب سنة 1999 م، القصة رقم (8)، كما وردت باسم "عشور يقتل الأشجار" في مجموعة (المطر يسقط في الصحراء) المؤسسة العامة للثقافة سنة 2010 م، ص 77.

- وردت حكاية "شجرة الزيتون الصغيرة" في مجموعة (المهر الأسود) في صفحة 47، كما وردت باسم "المطر يسقط في الصحراء" في مجموعة (المطر يسقط في الصحراء) المؤسسة العامة للثقافة سنة 2010 م، ص 7.

- وردت قصة "العصفور الأبيض" في مجموعة (المهر الأسود) في صفحة 131، كما وردت باسم "عصفور على زجاج نافذتي" مع تعديل في مجموعة من حكايات العصافير: من منشورات مجلس الثقافة العام سنة 2008 م، صفحة 16.

5. صعوبة الحصول على بعض القصص:

إنَّ بعض القصص مرَّ على نشرها فترة طويلة، وعدم نشرها مرة أخرى يجعل الحصول عليها أمراً في منتهى الصعوبة^(*)، وهي: قصة "الغراب والعصفور"، "عيون نعيمة"، "التاجر الجوال"، وردت هذه القصص في سلسلة (قصص ليبيية للأطفال) من منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان سنة 1977 م، وتضم عشر قصص _ كما سبق التوضيح _ وقد أُعيد نشر بعضها، باستثناء ما ذكرته سابقاً.

كذلك لم يُعد الكاتب نشر بعض القصص، وهي: "رسالة أم إلى ولدها"، "عنتر ينهض من نومه"، "فأر الحقل وفأر المدينة"، من ضمن سلسلته الثانية "قصص ليبيية للأطفال" من منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، سنة 1981 م.

والقصص التي أُعيد نشرها تختلف _ في حقيقة الأمر - عن النسخة الأولى شكلاً وأحياناً في بعض المضامين.

موضوعات قصص الأطفال عند يوسف الشريف:

1. **قصص الحيوان:** كتب يوسف الشريف الكثير من قصص الحيوان، بل إنَّ هناك مجموعات قصصية بالكامل تدخل تحت قصص الحيوان، ومن هذه القصص: "الغراب والعصفور"، "القوي بمفرده

(*) اتصلت الباحثة بالكاتب طالبة مساعدته في توفير بعض القصص التي لم تعد موجودة في المكتبات بشكلها الذي صدرت به أول مرة، ولكن للأسف بعضها لم يعد متوفراً حتى لدى الكاتب نفسه!

ضعيف"، "الفأر يصبح أسداً"، "حاكم بلا رعية"، "لا وجود للعفاريت"، "الثعلب والأرنب"، "العصفور والحمامة"، "الأرنب"، "الفيل والقبْرة"، "الحمامة تزرع شجرة"، "الأبيض والأسود"، "انتقام العصافير"، "لماذا تبكي العصافير"، "الجمل الذي تنزه في الغابة"، "صياد يدخل الغابة"، "حكاية العصافير الثلاثة"، "حكاية القطة ميو"، "حكاية الغزال الأبيض"، "حكاية الديك وأصدقائه الثلاثة"، "حكاية السنجاب والبستان"، "حكاية الحمل الصغير"، "حكاية القطة بسبس"، "حكاية الديك والبيغاء"، "حكاية الأرنب والفيل ووحيد القرن"، "حكاية الثعلب والدجاجة والديك"، "حكاية الملعقة العجيبة"، "حكاية العصفور الأصفر"، "حكاية العصفور الأخضر"، "العصفور الحكيم"، "الخطة المحكمة"، "الغابة البيضاء"، "الفأر يصبح أسداً"، "الأرنب الزرقاء"، "الشجرة والبستان"، "صياد يدخل الغابة"، "العصفور والشجرة"، "الأرنب يحكم بينهم"، "حكاية فيل وعصفور"، "حكاية عصفور مغرور"، "حكاية عصفور غير لونه"، "حكاية عصفور شجاع"، "حكاية عصفور وحمامة"، "عند الرحيل لا تغني العصافير"، "العصافير الأربعة"، "المهر الأبيض"، "الزرافة والسحفاة"، "العصفور والشجرة".

2. القصص التربويّة: تبرز النّزعة التربويّة عند يوسف الشريف في الكثير من قصص الأطفال، ومنها: "لا وجود للعفاريت"، "عاشور لا يذهب إلى المدرسة"، "أم السعد وولدها الكذاب"، "الجبان والكرة"، "صديقان"، "هدية العيد"، "عيون النار"، "حكاية ورد ووردة"، "طائرة الورق تجمع الأصدقاء"، "أنا لا أعتذر"، "زهرة الشتاء"، "درس كل يوم"، "الصبي والحمامة"، "أولاد عاشور"، "عندما اختفت ليلي"، "زهرة الشتاء"، "درس كل يوم"، "رحلة الربيع"، "عاشور يقتل الأشجار"، "يوسف الصغير"، "لينة الصغيرة"، "أحمد الراجل وذئب البراري"، "جميل النشيط".

3. القصص الخياليّة: غلب الجانب الخيالي على قصص كثيرة كتبها الشريف، ومنها: "الرجل والشجرة"، "سنابل الثلج"، "ندى .. وشمس الربيع"، "النخلة وزهرة الياسمين"، "حكاية دامبي والمدرسة"، "حكاية حسن وشجرة العنب"، "حكاية طيور العنب"، "حكاية شجيرة بكت"، "البيضة العجيبة"، "حورية البحر الصغيرة"، "حكاية شجرة الزيتون"، "خالتي سالمة وقطتها العجيبة"، "صباح جميل"، "هكذا .. طار الحمام"، "العصفور الأبيض"، "عصفور القمر"، "سميرة وسمية"، "الرجل والمزرعة"، "المهر الأسود"، "حكاية عصفور على زجاج نافذتي"، "حكاية عصفور ووردة"، "المطر يسقط في الصحراء"، "حكاية زهرة القرنفل"، "طائر القمر"، "زهرة القرنفل"، "الطائر الصغير والطائر الكبير".

4. **القصص العلميّة والمعرفيّة:** كتب الشريف العديد من القصص العلميّة، وهي: "المجتهدة"، "نار في البيت المهجور"، "مجموعة من حكايات الحروف"، "قلب شجاع"، "حكاية فصل الربيع"، "حكاية شجرة التوت"، "من يصل أولاً"، "من يزرع شجرة"، "حكاية عصفور سافر مع الشمس"، "حكاية عصفور أحب عصفورة"، "مجموعة حكايات للأطفال من حياة الحيوان".

5. **الحكايات الشعبيّة:** "سعد وسعيد ومسعود" "ابنة الراعي"، "السمكة الذهبية"، "العودة إلى الفردوس"، "الرجل والمزرعة"، "كيس اللؤلؤ"، "عصفور اللون الأبيض"، "عيون العسل".

6. **القصص الوطنيّة:** "الراعي الشجاع"، "الليبيّة الشجاعة"، "طائرة فوق بيتنا"، "البطل الصغير"، "فرقة عمر".

7. **القصص الواقعيّة:** "البتشة"، "الولد والحمامة"، "حكاية عبد الله الصغير"، "حكاية الولد الذي لا يشبع أبداً"، "أبي لا يعرف أين يذهب الحمام".

8. **قصص الفكاهة والتسلية:** "حبة الفراولة"، "الحجر والعصا"، "حكاية تاجر العصافير".

9. **قصص المغامرة:** "ثمن المعرفة"، "عندما هزمتُ الخوف".

جاء هذا التّصنيف لقصص الشريف للأطفال حسب الموضوعات التي تناولتها تلك القصص، وتبيّن من خلال ذلك أنّ أكثر القصص تناولاً هي: قصص الحيوان، وكانت القصص التي أبطالها العصافير هي الغالبة في قصص الحيوان، كما هو واضح من عناوين تلك القصص، حيث إنّ هناك مجموعات بالكامل أبطالها من العصافير مثل مجموعة "حكايات العصافير"، ويأتي في المرتبة الثانية القصص الخيالية، ولا يعني أنها من قصص الجنيات والسحرة، وإنما هي شخصيات وأشياء طبيعيّة غير أنّ الكاتب وضعها في سياق خيالي فانتازي غريب، ولا أنكر أنني وجدتُ صعوبة في تصنيف قصص يوسف الشريف، وذلك أنّ بعض تلك القصص يمكن وضعها في أكثر من نوع، كما هو الحال في قصة "سنابل الثلج" فهي من حيث الشكل قصة خياليّة بامتياز ولكنها في الوقت ذاته تحمل مضموناً اجتماعياً أو وطنياً وذلك من حيث المعنى، وهذا ليس غريباً فكثير من قصص الأطفال قد

تتزاوج فيها الموضوعات، بحيث تكون مثلاً اجتماعية في سياق خيالي، أو تربوية أبطالها من الحيوانات وهو كثير جداً، وسيتم لاحقاً تناول نماذج من تلك القصص بالتفصيل.

ويلي القصص الخيالية من حيث العدد القصص التربوية، ويندرج تحتها كل قصص البيئة الاجتماعية للإنسان سواء كان البيت أو المدرسة وغيرها، وتحمل تلك القصص مضامين اجتماعية وقيم أخلاقية.

ثم تأتي القصص العلمية والمعرفية، التي قصد بها الشريف إيصال معلومة أو فكرة ما، ويليهما الحكايات الشعبية، التي اعتمد فيها الشريف على الموروث الشعبي الليبي، يلي ذلك القصص الوطنية، ثم القصص الواقعية، وأقصد بها تلك القصص التي يكون فيها المضمون واقعياً، ولا يعني أنها حدثت بالفعل.

ويليهما قصص الفكاهة، والتي غرضها الأساسي التسلية والإضحاك، ثم تأتي قصص المغامرة، وهي - كما يتضح من العرض - أقل القصص تناولاً عند الشريف.

ورغم أن الشريف طرق بقصصه أغلب المضامين التي يمكن لكاتب أن يطرقها، فإنّ هناك مضامين لم يتطرق إليها الكاتب مطلقاً، مثل: القصص الدينية، وقصص التاريخ الإسلامي، رغم ما فيها من ثراء وأهمية كبرى في تكوين الهوية التي هي هدف من الأهداف النبيلة التي يرجى من أدب الأطفال في مجتمعنا أن يسهم في تكوينها في نفوس الناشء.

إبداعه القصصي للأطفال وعلاقته بمجالات إبداعه للكبار:

إنّ توجّه الشريف بالكتابة للأطفال كان في منتصف السبعينيات، أي بعد عشرين سنة من رحلته الأدبية للكبار، ولم يتوقّف إلى يومنا هذا عن العطاء في هذا المجال.

وقد استمر الشريف في إبداعه هذا الفن الذي يمثّل اهتمامه الأول، غير أنّ توجّهه إلى الجمهور الصغير - بطبيعة الحال - يحتاج لخطاب يختلف شكلاً ومضموناً عن خطابه القصصي الموجّه للكبار، فرغم أنّ القصة من الناحية الفنية هي القصة للكبار والصغار، فإنّ للنص الموجّه للأطفال خصائص ومعايير حسب مراحل الطفولة يؤكّد عليها النقاد والباحثون، وكذلك علماء النفس والتربويون،

ويجب أن يعيها الكاتب ويلتزم بها ويأخذها بعين الاعتبار، ولا يظن أنّ الكاتب يمكنه أن يخرج نصاً يجذب الأطفال ويفيدهم دون التسلح بثقافة ووعي بعالم الطفولة وما يقدّم له، والكتابة للأطفال أمرٌ ليس باليسير، ولا يكفي الكاتب أن يكون لامعاً في مجال الكتابة للكبار حتى يكون كاتب أطفال ناجح؛ لأنّ الكتابة للأطفال تحتاج، بالإضافة إلى الموهبة الحقيقيّة الصادقة، إلى تخصص وممارسة ومعاناة، وإلى دراسات متعمقة في اللغة من زوايا معينة، وإلى دراسات أخرى في أصول التربية وعلم النفس ومراحل نمو الأطفال وخصائصها المميزة، وإلى معرفة بالقواعد السليمة للكتابة الأدبية الفنية في القصة والدراما والشعر، مع خبرات عمليّة في دنيا الأطفال، وإحساس فني تربوي مرهف بما يمكن أن تتركه الكتابة في نفوسهم من انطباعات دقيقة ربما كانت رغم ما قد يبدو من ضآلتها، ذات أثر باق فعّال في تكوين شخصياتهم، والتأثير عليها⁽¹⁾، وربما هذا ما جعل الشريف يتردّد في التوجّه لهذا الجمهور، ولم يطاوعه قلمه إلا بعد سنوات من القراءة والمران، حيث أطلّ على هذا الجمهور أولاً من خلال ترجماته لبعض القصص، مثل: "من حكايات الشعوب"، وتردّده في الكتابة للأطفال الذي عبّر عنه في بعض حواراته، دليل على وعيه بحساسية هذا الجمهور الرائع⁽²⁾.

وقد امتلك الشريف موهبة خصبة وثريّة وواسعة في عالم الكتابة للطفولة حتى أصبح ناقداً لما يسمّى بثقافة الطفل، من خلال الكثير من الدراسات والمقالات النقديّة في بعض الصحف والمجلات، مثل مجلة المؤتمر، ومجلة الثقافة العربية، وغيرهما.

وفي هذا السياق لا مناص من إلقاء نظرة مجملة على إسهامات يوسف الشريف غير الأدبيّة التي تتعلّق بالطفل وثقافته سواء تلك التي توجّه بها للطفل مباشرة أو لمن هم مهتمون بالطفل وثقافته:

مؤلّفات يوسف الشريف وتراجمه غير الأدبيّة:

أولاً: مؤلّفات تعليميّة:

(1) فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 12.

(2) دراسات في الطفولة، "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ط 1، 2014، ص 164.

1. كتاب "الحروف والكلمات" دليل لغوي مصوّر للأطفال(1):

هذا كتاب تعليمي(*) توجّه به الكاتب لتلاميذ المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي، وليكون مساعداً للمعلّم في الفصل، وللأب والأم في البيت - كما أوضح ذلك في مقدّمة الكتاب - كما شرح في المقدّمة(2) وبشيء من التفصيل غرضه من ترتيب مادة الكتاب، وطريقة تقديمها للتلميذ، كما ذكر الهدف الأساسي من هذا الكتاب، ولخصّها في النقاط الآتية:

1. تنمية مهارة الطفل بواسطة التعبير كتابة.
 2. تمكينه من فهم ما يراه مكتوباً أمامه.
 3. إدراك التغير الذي يطرأ على الحروف من خلال ارتباطها واتصالها ببعضها في كلمة أو جملة.
 4. تزويده بالمعرفة عن طريق فهم العلاقة بين الموضوع والبيئة.
 5. إعداد الطفل لمستوى متقدّم من التفكير وهو يتدرج نحو المرحلة التالية من طفولته.
- كما بيّن الكاتب بالشرح الأسلوب العملي لتحقيق الأهداف السابقة، ولخصّها في النقاط الآتية:

1. نطق الحرف نطقاً صحيحاً ثم كتابته.
2. نطق الكلمة وشرحها بمعاونة الصورة المرافقة لها، ومن ثم كتابتها والانتباه إلى التغيير الذي طرأ على الحرف عندما أصبح في كلمة.
3. قراءة الجملة قراءة صحيحة وإعادة كتابتها والانتباه إلى تشكيل الكلمات.

(1) الحروف والكلمات دليل لغوي مصوّر للأطفال، يوسف الشريف، رسوم: نبيل ودونا قدوح، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط1، 2010 م.

(*) نوّه الكاتب في بداية الكتاب بأنه قدّم الكتاب للنشر منذ سنة 1986 م، وتفاجأ بنشره في سنة 2010 م، وترجّح الباحثة: أنّ طباعة الكتاب ونشره جاء في خضم الإعداد لاحتفالية "سرت عاصمة للثقافة العربية 2011"، ويؤكد هذا - أيضاً - وجود شعار الاحتفالية على غلاف هذا الكتاب.

(2) ينظر: المصدر السابق (المقدمة).

4. فهم المعنى العام للجملة وشرح ما يرتبط بها من عناصر البيئة، مع إبراز التغير الذي يطرأ على الموضوع نتيجة لارتباطه بهذه العناصر.

2. المختار في اللغة والعلوم لتلاميذ مرحلة التعليم الأساسي⁽¹⁾:

وهو معجم لغوي ضخم يحوي (671) صفحة، استهدف به المؤلف شريحة تلاميذ التعليم الأساسي، وقد تمت تنقيته ممّا لا حاجة لتلاميذ هذه المرحلة به من مفردات كما هو الحال في عموم المعاجم، وما ينفرد به هذا الكتاب أيضاً هو استيعابه للمفردات والمصطلحات العلميّة إضافة للمفردات اللغويّة، وفي مقدمته يستنكر المؤلف الإصرار على الفصل بين اللغة وعلومها⁽²⁾، فهذا المعجم _ كما ذكر في مقدمته _ تأكيد لارتباط الاثنين معاً⁽³⁾، وذكر بعد ذلك أمثلة على الطريقة التي اتبعها غيره وعمل هو بعكسها في هذا المؤلف: "ففي حرف الهاء مثلاً يقول المعجم: هذا وهؤلاء وهذه وهاهم وهاهي وهأنتم، لكنه لا يقول هيدرودجين أو هيرترز. وفي حرف الذال يشرح الذرة بأنها أصغر الأشياء ولا يتوقّف عند مكوناتها وانفجارها بالاندماج أو الانشطار"⁽⁴⁾. وبعد ذكره للعديد من الأمثلة التي تتجاوز فيها المعاجم التقليديّة المفردات والمصطلحات العلميّة الحديثة، يذكر: وهذا ما حاولنا تجاوزه في هذا "المختار" تأكيداً لعلميّة اللغة وانتمائها لإنجازات العقل الذي ينتمي إليها. فالبيورانيوم في حرف الياء، والكروموسومات في حرف الكاف، والنظام الشمسي في حرف النون ..."⁽⁵⁾.

كما يذكر في مقدمته أنّ معظم المادّة العلميّة التي احتواها هذا المعجم موجّه في أصله الإنجليزي للأطفال، وفي هذا السياق يختم مقدمته منتقداً الأساليب التعليميّة الجامدة المتّبعة في ليبيا والعالم العربي، فكانت نتائجها مخيبيّة، ولم تنعكس إيجاباً على الأجيال ومجتمعاتهم التي ينتمون إليها⁽⁶⁾.

3. المعجم الميسر للأطفال⁽¹⁾:

(1) المختار في اللغة والعلوم لتلاميذ مرحلة التعلم الأساسي، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2010 م، ص 5.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 5.

(3) المصدر السابق، ص 5.

(4) المختار في اللغة والعلوم لتلاميذ مرحلة التعلم الأساسي، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 5.

(5) المصدر السابق، ص 5 _ 6.

(6) ينظر: المصدر السابق، ص 6.

وهو كتاب معجمي مرتَّب كغيره من المعاجم حسب الحروف الهجائية، يضم 479 صفحة، وما يميّزه ويجعله مفيداً وسهلاً لتناول الأطفال، أنّ شرح المفردة جاء من خلال وضعها في أكثر من جملة، والمفردة المعنّية كُتبت بلون مغاير لباقي كلمات الجملة، ودعّم المؤلف كتابه ببعض الصور والرسوم، إضافةً إلى الفائدة المتمثّلة في التعرّف على معاني المفردات ومدلولها، يكتسب التلميذ أو الطفل التعرّف على طريقة استخدام المعاجم اللغويّة التي يحتاج إليها معظم طلاب العلم والباحثين.

ثانياً: كتب ثقافية تتعلّق بالطفل وثقافته:

كتب يوسف الشريف الكثير من المقالات في مختلف الصحف والمجلات، ثم قام بجمعها في ثلاثة كتب ليستفيد منها المهتمون بالطفولة وثقافتها، والكتب الثلاثة جاءت تحت عنوان واحد، هو:

1. دراسات في الطفولة⁽²⁾:

الكتاب الأول ويضم (211) صفحة، وجاء متضمناً للعديد من الموضوعات التي تُعنى بالطفل وثقافته، وهي:

الطفل العربي والمعلوماتية _ الرسم في كتب الأطفال _ عناصر تكوين ثقافة الطفل والبعد المفقود _ ماذا نكتب للأطفال _ معايير الكتابة للأطفال _ كيف يتعلّم الأطفال الرياضيات _ الثقافة العلميّة للأطفال _ دراسة تطبيقية: كيف يتعلّم الأطفال القراءة _ المكتبة المدرسية _ الطفولة في عالم متغيّر _ ماذا نريد لطفل المستقبل _ ملاحق إحصائية وقراءة فيها.

2. دراسات في الطفولة (الكتاب الثاني)⁽³⁾:

(1) ينظر: المعجم الميسر للأطفال، يوسف الشريف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس _ ليبيا، ط 1، 1369 و.ر.

(2) ينظر: دراسات في الطفولة، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط 1، 2010.

(3) "دراسات في الطفولة" الكتاب الثاني، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ط 1، 2014.

الكتاب الثاني ويضم (177) صفحة، ويتضمّن العديد من الموضوعات التي تتعلّق بالطفل وثقافته، وهي: (الطبيعة المدرسية، الثقافة الممنوعة، حدائق أطفال المستقبل، فنانون صغار، أسئلة الطفل المخرجة، معلمة رياض الأطفال، قراءة في قانون، طفل يقرأ، التاريخ في مناهج التعليم الأساسي، طفل يلعب .. طفل يتعلم، الطفل والألوان، كيف أكتب للأطفال).

2. دراسات في الطفولة (الكتاب الثالث)⁽¹⁾:

الكتاب الثالث يضم (180) صفحة، كما تضمّن العديد من الموضوعات التي تتعلّق بالطفل وثقافته، وهي: (الطبيعة المدرسية 1، الطبيعة المدرسية 2، مستقبل الكتابة للأطفال، ترغيب الطفل مبكر السن المطالعة، سلوك الطفل ما قبل المدرسة، كيف يتعلم الطفل القراءة، مكتبات الأطفال في ليبيا، المدرسة والبيت العلاقة المفقودة، مجلة الأمل الريادة في الزمن الصعب، الطفل الليبي والإنترنت، الأطفال والمعاجم، الأطفال وبرامجهم التلفزيونية، الطفل الليبي في الدستور الليبي، واقع رياض الأطفال، لماذا يكذب الأطفال .. هل يكذب الأطفال).

ثالثاً: ترجمات تعليمية للأطفال:

1. الموسوعة العلمية الميسرة للفتيان والفتيات⁽²⁾:

يشتمل هذا الكتاب على الكثير من المفردات والمصطلحات العلمية وهو يقع في (422) صفحة، سواء كانت ظاهرة مكتشفة أو منجز علمي، معزراً ذلك بالصور والرسوم، وتمّ ترتيب تلك المفردات والمصطلحات وفقاً لحروف الهجاء.

2. سلسلة نوافذ⁽³⁾:

وهي سلسلة علمية تتضمن ثمانية عشر كتاباً معرفياً، ويضم كل كتاب حوالي خمس عشرة صفحة، في جوانب المعارف المختلفة، وهي: (البرق، شجرة في شجرة، الشمس، سحر الطبيعة، الحيوان الذي

(1) "دراسات في الطفولة" الكتاب الثالث، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ط 1، 2018.

(2) ينظر: الموسوعة العلمية الميسرة للفتيان والفتيات، ترجمة يوسف الشريف، مجلس تنمية الإبداع الثقافي، ليبيا، 2003 م، ط 1.

(3) "نوافذ" سلسلة علمية ثقافية للأطفال، ترجمة: يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، د.ت.

ذهب إلى البحر، أصغر الأشياء، حيوان عجيب، القمر، المجتهدة، المناخ والطقس، هذه الكرة، النجوم، أشجار بلا بذور، الأشجار، الهواء، أرقام، الأجنحة، لماذا لا نسقط)، ومن خلال عناوين هذه السلسلة نلاحظ اشتغالها على مختلف العلوم والمعارف التي تتعلق بالفلك وعالم الحيوان والنبات والظواهر الطبيعية وغيرها، وتضمنت السلسلة صوراً ورسوماً توضيحية مصاحبة في كل كتاب.

وعمل "يوسف الشريف" في عدة وظائف متعلّقة بالطفل، ومنها مستشار مجلة (الأمل) في ليبيا، وعضو اللجنة الدائمة لكتابة الطفل باتحاد الكتّاب العرب، إلى جانب عضويته في هذا الاتحاد، وعضويته في رابطة الأدباء والكتاب بليبيا، وقد كلف مديراً لمكتب الطفولة من قبل اتحاد الكتّاب العرب⁽¹⁾، من واقع هذه الوظائف يصب كاتبنا خلاصة تجربته وممارسته العمل مع ثقافة الطفل في مجموعة من الدراسات والمقالات التي نشرت في بعض الصحف والمجلات، وقد احتوت هذه الدراسات والمقالات على آرائه حول أدب الأطفال وثقافتهم.

المبحث الثالث

مصادر الإبداع القصصي عند يوسف الشريف

(1) ينظر: دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 176.

ذكر "يوسف الشريف" ما يرى "أنه مصادر أساسية لمواضيع الكتابة في أدب الأطفال⁽¹⁾ وأجملها في الآتي:

1. الواقع بإنسانه وحيوانه ونباته وجماده هو المصدر الأول لما يكتب الكاتب، باعتباره البيئة الأكثر فعلاً وتأثيراً على شخصية الطفل وتحديد ملامحها الاجتماعية والنفسية والسيولوجية.
2. توظيف التاريخ العلمي ممثلاً في شخصياته من العلماء باعتبارهم الأبعد عن الشك والتحريف والأوضح دلالةً على الهوية الحضارية والثقافية.
3. توظيف تاريخ الجهاد ممثلاً في شخصياته المعاصرة والابتعاد عن بطولات الماضي الموغلة في القدم، لأنَّ الطفل يعجز عن التواصل معها نظراً لغريبتها عن بيئته، ولأنَّ مدلول البطولة فيها يبقى مدلولاً تجريدياً عارياً من ملامحه الاجتماعية التي يألفها وتمكُّنه من تجسيدها في خياله، فشخصية محمد بن القاسم أو طارق بن زياد لن يكون في مقدور الطفل تجسيد أي منهما في مخيلته، لكن

(1) دراسات في الطفولة، مقالة: "ماذا نكتب للأطفال"، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، 2010 م، ص 88-90.

شخصية مثل شخصية عمر المختار يحس بها قريبة منه يراها تتكلم وتتفلس وتأكل وتحارب وتتنصر(*) .

4. توظيف التراث الديني واعتبار القرآن الكريم مصدراً وحيداً لأنه هو الجامع الشامل لكل القيم الدينية والأخلاقية، ونبذ ما عداه من قصص حول بعض الشخصيات والأحداث نظراً لما أضيف إليها من مبالغات ابتعدت بها عن حقيقتها(**).

5. الخيال العلمي، وهو نوعان:

الأول: وهو الأكثر انتشاراً ويعتمد على الإدهاش والإبهار بتصوير عوالم خيالية وهو الأقرب إلى الأدب البوليسي.

الثاني: وهو ما يُسمى بأدب المستقبل وهو يرصد الواقع ويتأمل جذور التقدم ويتابع ذلك بالبحث الخيالي الطموح ويدرس مؤثرات التطور العلمي على الحياة الإنسانية، وهذا النوع من الأدب لا يكتبه كاتب عادي لأنه يستلزم شروطاً ليس آخرها ثقافة علمية عميقة ودقيقة وخيالاً بلا حدود وثقافة أدبية شاملة وإطلاعاً دائماً على مختلف العلوم. وهذا النوع من الأدب يكاد يكون مؤجلاً في موضوعات الكتابة لسببين: أولهما: عجز الواقع العلمي العربي عن إنتاج هذا الخيال، فنحن ما زلنا أمة مستهلكة ولم نتحوّل بعد إلى أمة منتجة تصنع مفردات خيالها من منجزها. وثانيهما: وهو نتيجة للأول، وهو عجز

(*) الباحثة تستغرب هذا الرأي، خصوصاً أنّ أغلب أبطال قصص الشريف هي شخصيات وهمية، مع استثناءات نادرة!، فكيف يكون بمقدور الطفل أن يستحضر شخصية وهمية، ولا يكون بمقدوره استحضار شخصية حقيقية لها مكانها المحترم في التاريخ؟! وكأني بالكاتب يضرب جداراً حديدياً بين أطفال هذا العصر وماضي الأمة العريق، من خلال أبطاله الذين نشروا الإسلام وجابوا الآفاق، حتى بنوا الحضارة الإسلامية العظيمة، التي تتلمذ على يد علمائها العالم الغربي، فكانوا أسوة لكل أبطال الأمة الذين أتوا من بعدهم.

(**) لا يمكن إنكار السنة النبوية المصدر الثاني للشريعة والحياة والقيم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - : "تركْتُ فيكم أمرين لن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُم بهما: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّه". الموطأ، مالك بن أنس بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، باب النهي عن القول بالقدر، 1323/0، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2004 م.

كثابنا عن خوض التجربة في قصص الخيال العلمي، ممّا حدا ببعضهم إلى الهروب للروايات البوليسيّة المعتمدة على المغامرة الفارقة لأرضيتها الحقيقيّة، وهذه الروايات هي التي نراها الآن أكثر شيوعاً^(*).
لقد اعتمد يوسف الشريف في كتابة قصصه للأطفال على عدة مصادر، منها ما استقاها من المصادر الغربية، مثل حكايات إيسوب، والبعض الآخر من المصادر التراثيّة: متمثلة في التراث الديني، والتراث الأدبي العربي، مثل حكايات كليلة ودمنة، والحكايات والأمثال الشعبية المحلية، ومنها مصادر معاصرة: مثل التراث العلمي، والبيئة، وغيرها، وسأتناول هذه المصادر بالتفصيل في العرض الآتي:

أولاً: المصادر الغربية:

عرفت الآداب الغربية حكايات الحيوان منذ عهد اليونان، ثم انتقلت من الأدب اليوناني إلى الأدب اللاتيني، واستمرت في مسيرتها العالميّة حتى وصلت إلى الأدب الفرنسي⁽¹⁾.

وتبقى حكايات إيسوب اليوناني عالقة بالأذهان رغم كثرة الأسماء التي تعاقبت على تأليف الحكايات الحيوانية في الغرب، حيث تركت بصماتها الواضحة على كتّاب الحكاية الخرافية فيما بعد، كما حقّق لافونتين الفرنسي لحكايات الحيوان نسقاً فنياً بنائياً له سماته الخاصة ورمزيته المعبرة التي تخطّت كتابات السابقين عليه⁽²⁾.

(*) من المجحف إلغاء كل الجهود والتميز الذي يتّسم به بعض كتّاب الخيال العلمي في العالم العربي، فهناك عدد لا بأس به من الكتّاب الذين برعوا في هذا الفن، أشهرهم نهاد شريف من مصر، ود.طالب عمران من سوريا فقد كتب خمس مجموعات قصصية للأطفال في هذا الفن، وعبد السلام البقالي من المغرب وكتب مجموعتين قصصيتين للأطفال، فضلاً عمّا كتبه هؤلاء وغيرهم للكبار في هذا الفن، وقد اتفق مع الكاتب في عدم وجود صدق واسع عند القراء والمتتبعين في العالم العربي كما هو الحال عند الغرب، حيث الاهتمام به على كل المستويات الإبداعية، من كتب وسينما، إضافة إلى المؤسسات العلميّة الضخمة، مثل وكالة ناسا الفضائية، للمزيد ينظر: مجلة الخيال العلمي، العدد الثاني عشر، تموز 2009 م، مرجع سابق، العطاء العربي لأدب الخيال العلمي، نهاد شريف، ص 6 - 11، كما ينظر: في العدد نفسه: أدب الخيال العلمي في المغرب العربي، د.كوثر عياد.

(1) مصادر شعر شوقي للأطفال، حسن إسماعيل، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، 2005، ص 13.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 13.

سبقت الإشارة إلى أنّ يوسف الشريف قد اطلع - من خلال سفرياته إلى دول الغرب - على إنتاج الكتاب الغربيين للأطفال، وأخذ بذلك حتى أنه قام بترجمة بعض هذه الأعمال، وجُل قصص يوسف الشريف للأطفال أبطالها الحيوانات، ربما شجعه على ذلك توجُّهه للمراحل العمرية الأولى التي تفضّل قصص الحيوان أكثر من غيرها - كما يذكر الخبراء والباحثون في هذا المجال، وكما لمستّه أنا شخصياً.

1. تأثر الشريف بحكايات إيسوب:

"قدم إيسوب اليوناني مجموعة كبيرة من حكايات الحيوان تُرجمت إلى العربية، واتسمت بالقصر والتركيز حتى أنّ بعضها لم يتجاوز الأسطر الثلاثة، وهذا يعني أنّ مؤلفها كان معنياً بالمغزى الحكائي على حساب السرد، ولأنّ حكاياته الحيوانية تصوّر الجانب التأثيري والرّمزي، فإنّه سعى لتأكيدّها داخل مؤلفه من أقصر الطرق"⁽¹⁾.

سبقت الإشارة إلى أنّ "أحمد شوقي" رائد أدب الأطفال في مصر والعالم العربي قد تأثر بحكايات إيسوب، حيث أخذ منه مضمون بعض حكاياته، كما أخذ من لافونتين قواعده الفنية في نسج حكاياته الأدبية الحيوانية⁽²⁾.

لذلك ليس مستغرباً أن يرى "الشريف" في بعض حكايات إيسوب مادة خصبة يستقي منها مضمون بعض حكاياته، خاصة أنّ هذه الحكايات الإيسوبية كانت دائماً ذائعة الصيت، أذكر شخصياً عندما كنت على مقاعد الدراسة الابتدائية قصة "عاقبة الكذب"، التي كانت إحدى دروس منهج القراءة في تلك الفترة، وهذا يدل على أنّ حكايات إيسوب متجذّرة في الثقافة العالمية.

- ومن أمثلة هذه التأثيرات عند الشريف ما نجده في حكاية "أم السعد وولدها الكذاب"⁽³⁾ التي تلتقي في مضمونها مع حكاية إيسوب "غلام الراعي والذئب"، ومضمون الحكايتين يدور حول آفة الكذب، وما يحدثه من هلاك لصاحبه فضلاً عن افتقاده لثقة الناس به.

(1) المرجع السابق، ص 13-14.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 13.

(3) سلسلة قصص ليبية للأطفال، أم السعد وولدها الكذاب، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، 1981 م.

وحكاية إيسوب شهيرة ذائعة الصيت، تناقلتها الأجيال، وحفظتها الذاكرة الجمعية الإنسانية، ممّا أحالها إلى تراث إنساني خالد يكشف عن الكذب وما يخلفه من ويلات⁽¹⁾، يقول إيسوب في هذا المضمون: "كان الراعي الغلام يرعى قطيعه بالقرب من قرية، وظنّها تسليّة كبرى أن يسخر من الفلاحين، بادّعاء أنّ ذنباً يهاجم الغنم، فأخذ يصيح: الذّنب! الذّنب! جاءه الناس يجرون، ضحك عليهم جزاء لهم. كرر هذا أكثر من مرة، وفي كل مرة يكتشف الفلاحون أنه يسخر منهم وأن لا وجود للذّنب بتاتاً. وأخيراً جاءه ذنبٌ حق، وصاح الفتى بأعلى ما وسعه: الذّنب! الذّنب! إلا أنّ الناس كانوا قد تعودوا سماعه ينادي بها، فلم يلقوا بالاً إلى صاحبه في طلب النجدة. وهكذا استفرد الذّنب بالقطيع، وقتل الغنم واحدة واحدة على مهل"⁽²⁾.

أخذ الشريف مضمون الحكاية الإيسوبية، الذي يتلخّص في أنّ الكذب يعود على صاحبه بالندم، فهو يضر بصاحبه قبل أن يضر بالآخرين.

غير أنّ الشريف اكتفى بالمضمون فقط أمّا الشخصيات والبيئة فهي مختلفة تماماً، فبطل الحكاية عند الشريف هو تلميذ اسمه "بلعيد" غالباً ما يرجع من مدرسته مبكراً، وعندما تسأله والدته "أم السعد" عن سبب عودته من مدرسته مبكراً، يتحجّج في كل مرة بحجة جديدة.

يتضحّ هذا من حوار "الوالدة وابنها "بلعيد": سألته "لماذا عدت مبكراً من المدرسة؟ فأجابها: غابت مدرّستنا، فقالت المديرية عودوا إلى بيوتكم.

وعند عودته من مدرسته مبكراً مرة أخرى سألته: أنت تعود اليوم مبكراً مرة أخرى. ماذا حدث؟ هل غابت مدرّستكم؟ أجاب بلعيد ضاحكاً: مدرّستنا جاءت، لكن المديرية لم تأت"⁽³⁾.

ويتكرّر كذب "بلعيد" على أمّه: "بعد أسبوع عاد بلعيد مبكراً جداً، سألته أمّه: ماذا قالت المديرية؟ وماذا قالت المعلمة؟ أجاب: لا، عريف الفصل قال يا أولاد عودوا إلى بيوتكم، لأنّ غدأ يوم الجمعة.

لكن هذه المرّة لم تصدقه وردّت عليه قائلة: "أنا لا أصدقك، إنك ولد سيئ، لماذا أولاد الجيران لا يعودون مبكرين مثلك؟"⁽¹⁾.

(1) مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 15.

(2) مختارات من حكايات إيسوب، ص 70.

(3) سلسلة قصص ليبية للأطفال، قصة أم السعد وولدها الكذاب، يوسف الشريف، مصدر سابق، (د.ترقيم).

تلتقي الحكايتان في تكرار الكذب عند الولدين، كما تلتقيان في النتيجة المخزية والوخيمة لكليهما.

ففي حكاية الشريف عاد بلعيد في نهاية العام من مدرسته متأخراً مع مغيب الشمس حزيناً باكياً، فلم ينجح كسائر زملائه في المدرسة، وهذا ما عبّرت عنه العبارة الآتية: "عند مغيب الشمس، عاد بلعيد حزيناً باكياً، فهو لم يكن من بين الناجحين، حزنت أمه وبكت وقالت: أنت ولدٌ سيء وكذاب، وأنت منذ اليوم بلعيد الكذاب"⁽²⁾.

ربما كان اختيار الشريف لشخصية الولد الكذاب تلميذاً كان أقرب للواقع المعاصر، فكثير من الأولاد منتظمون في المدارس، وهناك بعض التلاميذ يستمرؤون الكذب للتهرب من مدارسهم أو من واجباتهم المدرسية وغيرها من السلوكيات السيئة، في حين عبّرت حكاية إيسوب واختياره لشخصية حكايته وبيئتها عن الواقع الغالب في ذلك العصر الغابر.

ويأتي المغزى ليضع حداً فاصلاً لهذا الكذب، الذي لقي الكاذبان مصيراً متشابهاً في الحكايتين، حيث التهم الذئب قطيع الغنم فخر الراعي الإيسوبي أغنامه، على حين رجع تلميذ الشريف نهاية العام من مدرسته خائباً راسباً على عكس أقرانه.

- ومن الحكايات التي استقاها يوسف الشريف من إيسوب - أيضاً - ما نلمسه في حكاية "الرجل والشجرة"⁽³⁾ حيث اتفقت في مضمونها مع حكاية إيسوب "المزارع وشجرة التفاح" وكتاهما تدور حول أهمية الأشجار وعدم الاعتداء عليها بأي شكل من الأشكال، فكل ما يأتي من الأشجار هو خير للإنسان وللحياة بشكل عام، يقول إيسوب في هذا المضمون: "كان لمزارع شجرة تفاح تنمو في حديقته، ولم تكن تثمر فاكهة، بل كانت فقط ملاذاً للعصافير والجراد، تحتمي بها من الحر، وتجلس بين فروعها تزفّزق، ولخيبة أمله، لعقمها، قرر أن يقطعها، وأحضر فأسه، ولكن حين رأت العصافير والجراد ما سيحل بها، توسّلت إليه أن يبقي عليها، قالت له: إنك إن قضيت على الشجرة أوبنا إلى مكان آخر، وحُرمت من سماع غنائنا الشجي، الذي يسعدك.

(1) المصدر السابق، (د.ترقيم).

(2) المصدر السابق، (د.ترقيم).

(3) سلسلة نوافذ، الرجل والشجرة، يوسف الشريف، منشورات مصدر سابق، ص 6 - 7.

غير أنه رفض أن يستمع إليها، وبحماسة بدأ يقطع الساق، وبعد عدة ضربات، اكتشف أن الشجرة جوفاء، وبالجوف سرب من النحل، ومخزن كبير من العسل، ألقى بالفأس فرحاً بما وجد، وهو يقول: الشجرة العجوز تستحق البقاء بالفعل⁽¹⁾.

نقل الشريف مضمون هذه الحكاية الإيسوبية، غير أن البطل في حكاية الشريف هو رجل شرير لأنه يكره الأشجار، فهو يذهب إلى الغابة الجميلة لقطع أشجارها بفأسه ذي الشفرة الحادة، فبمجرد سماعه بأم الأشجار في الغابة وهي الشجرة الأولى التي تفرّعت عنها أشجار الغابة، ذهب حاملاً فأسه عازماً على قطعها، يقول الشريف: "ويحكى أن الرجل الشرير سمع بأم الأشجار فاستشاط غضباً وأقسم أن يجتثها من جذورها، ويشنت عسافيرها"⁽²⁾.

لكنه عندما وصل إلى أم الأشجار "كان متعباً ويلهث من طول رحلته ومن شدة الحر"⁽³⁾، كلمته هذه الشجرة دون أن يعرف مصدر الصوت ودعته بأن يشرب من النبع القريب، ثم يذهب إلى ابنتها الشجيرة ليأكل من ثمارها، ثم دعت لينام تحت ظلها فهو متعب.

عندما استيقظ أخذ فأسه وقبل أن يهوي به على أم الأشجار هبّت عاصفة قذفت بالفأس بعيداً، أما الرجل فاصطدم بجذعها حتى شج رأسه، عند ذلك قالت له الشجرة بصوتها الرقيق إن لديها دواءً لجرحه وسقطت على رأسه قطرات من رحيقها فاخفى الجرح والألم⁽⁴⁾.

لكنه أعاد الكرة مرة أخرى وهبّت العاصفة وقذفت بفأسه بعيداً، في هذه اللحظة سمع صوتاً دون أن يعرف مصدره يدعوه إلى الدخول في كهف في جذع أم الأشجار، دخل إلى الجذع ليجد المكان فسيحاً منعشاً، بقي هناك إلى أن هدأت العاصفة⁽⁵⁾.

(1) مختارات من حكايات إيسوب، ص 95:

file:///C:/Users/4G/Downloads/Documents/%D8%A5%D9%8A%D8%B3%D9%88%D8%A

(2) سلسلة نوافذ، الرجل والشجرة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 6.

(3) سلسلة نوافذ، الرجل والشجرة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 6-7.

(4) المصدر السابق، ص 12.

(5) المصدر السابق، ص 12-14.

تصوّر نهاية الحكاية التغيير الكبير الذي حدث للرجل، فهو لم يعد عدواً للأشجار، ولم يعد يفكر في قطعها، ليس هذا فحسب بل إنه كرّس حياته لزراعة الأشجار، هذا ما تصوّره الأسطر الأخيرة من هذه الحكاية: "خرج الرجل من جسد الشجرة واختفى عن الأنظار .. ماذا فعل الرجل ..؟ .. صنع من الفأس محراثاً وبدأ يطوف أركان الأرض الأربعة وأينما وجد فراغاً .. زرع شجرة.." (1).

صوّرت هذه النهاية في حكاية الشريف تغيير قناعة ذلك الرجل، فخروجه من جسد الشجرة الأم كأنّه ميلاد لشخص جديد لا علاقة له بالشخص القديم! ذلك الرجل الذي يكره الأشجار ويعمل على قطعها ما وسعه الجهد، فقد أصبح شخصاً جديداً، وصنع من فأسه محراثاً ليزرع الأشجار أينما وجد مساحة خالية من الأرض.

كما تغيّرت قناعة مزارع إيسوب الذي قام بقطع شجرة التفاح التي لا تثمر ظناً منه أنّها بلا فائدة، ليكتشف بعد قطعها أنها كانت مخزناً لعسل النحل.

ربما كان مزارع إيسوب معذوراً فلم يعرف الناس في ذلك العصر غير الفوائد المحسوسة للأشجار، أمّا البطل في قصة الشريف فهو يعيش في عصر الثورة العلميّة والخبرة البشريّة المتراكمة، فقد عرف أنّ للغابات والغطاء النباتي بشكل عام فوائد غير مباشرة، فهي تعد رئة الأرض، واختفائها يشكّل وبالأعلى على الحياة على الأرض التي توصف بالكوكب الأخضر، وهو بذلك غير معذور، وكراهيته الأشجار التي دفعته إلى قطعها هو دليل حمق.

لكن الذي وحدّ بينهما أنّ "مزارع" إيسوب و"رجل" الشريف اقتنعا في نهاية الحكايتين بأنّ للأشجار فوائد ظاهرة وأخرى غير ظاهرة للعيان.

- ومن الحكايات التي يظهر فيها تأثر الشريف بإيسوب حكاية "زهرة القرنفل" (2) التي يقابلها حكاية "السلفاة والنسر" لإيسوب.

(1) المصدر السابق، ص 14.

(2) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، حكاية زهرة القرنفل، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010.

رغم أنّ أبطال حكاية إيسوب من عالم الحيوان، وأبطال حكاية الشريف من عالم النبات فإنّ مضمونهما واحد، وهو الاعتاض بعد فوات الأوان.

يقول إيسوب في هذا المضمون: "ضاقت سلحفاة بحياتها على الأرض، وراحت تحسد الطيور وهي في الجو، وطلبت إلى النسر أن يعلمها الطيران، فاعترض النسر على طلبها واعتبره مضيعة للوقت، لأنّ الطبيعة لم تزودها بأجنحة، لكن السلحفاة ألحّت، ووعدته بكنز، وأصرّت على أن الأمر لا يتجاوز مسألة تعلّم حرفة الطيران في الهواء.

وأخيراً وافق النسر، وحملها بين مخالبه، وطار بها محلقاً إلى ارتفاع شاهق. ثم أخلى سبيلها، فسقطت المسكينة فوق صخرة وتحطمت"⁽¹⁾.

نقل الشريف مضمون هذه الحكاية الإيسوبية التي بطلتها سلحفاة ضاقت بحياتها لعدم قدرتها على الطيران فألحّت على النسر أن يعلمها الطيران في الهواء، فكان مصيرها السقوط والتحطم على إحدى الصخور.

أمّا بطلّة الشريف فهي زهرة قرنفل ضاقت هي -أيضاً- بحياتها لضعفها وقصرها مقارنة بالنخلة القويّة الباسقة، اشتكت لجارتها زهرة الفلّ ذلك، فهي تتطلّع إلى أن تكون مثل شجرة النخيل، فهي كما تقول: "تقف شامخة باسقة تنفذ جذورها عميقة في الأرض، قويّة جبّارة لا تنتهيها رياح ولا عواصف.. انظري إلى عراجينها المتألّثة كالذهب، إنها ترقص عالية ولا تسقط"⁽²⁾.

سمعت النخلة شكوى زهرة القرنفل لجارتها زهرة الفلّ، ووعدتها بأنّ بإمكانها أن تسقيها بقطرات من رحيقها لتصبح أكثر قوة وارتفاعاً، ولكن حذرته من أنها قد تندم! لكن زهرة القرنفل أصرّت وأكدت أنها لن تندم، فسكبت النخلة قطرات من رحيقها على زهرة القرنفل، فأصبحت أطول زهرة في البستان، وأكثر قوة، لذا شعرت بالفرح والنشوى، ولكن ما إن أشرقت الشمس شعرت بأنها تحترق جراء أشعة الشمس، صرخت لكن ليس في وسع أحد مساعدتها، إضافة إلى ذلك أصبحت وحيدة فلم يكن بوسعها أن تتحدث مع أزهار البستان.

(1) مختارات من حكايات إيسوب، ص 22:

file:///C:/Users/4G/Downloads/Documents/%D8%A5%D9%8A%D8%B3%D9%88%D8%A.

(2) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، حكاية زهرة القرنفل، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 39.

ندمت زهرة القرنفل ولكن فات الأوان، وزاد من ندمها بعد أن سمعت طفل وطفلة يقطفان بعض أزهار البستان ليصنعا منها عقوداً جميلة في حين تجاهلها فلم تعد تلفت النظر بجمالها كما كانت! لذا "بكت زهرة القرنفل، فقد رحلت زهور البستان إلى أفراح الناس وأعيادهم، وبقيت هي وحيدة تنتظر حارس البستان"⁽¹⁾.

- ومن الحكايات التي يظهر فيها تأثير الشريف بحكايات إيسوب واضحاً حكاية "الصقر والنسر"⁽²⁾ التي يقابلها حكاية "الأسد والدب والثعلب"⁽³⁾ لإيسوب.

أبطال كلتا الحكايتين من عالم الحيوان، وتحملان المغزى ذاته، وهو أن التنافس والافتتال غير المدروس قد يؤدي إلى خسارة الاثنين معاً.

يقول إيسوب في هذا المضمون: "تقاتل الأسد والدب للظفر بجدي اقتنصه كل منهما في اللحظة عينها، وكانت المعركة طويلة شرسة، خارت لها قواهما فرقدا يلهتان مثخنان بالجراح.

وكان أحد الثعالب يراقب المعركة. رأى المتصارعين راغدين لا يتحركان من شدة الإعياء، تسلل وأمسك بالجدي، وفرّ به.

حدقا ببعضهما في يأس، وقال أحدهما لصاحبه: أنقتل كل هذا الوقت، ولا يظفر بالجدي إلا الثعلب؟".

نقل يوسف الشريف مضمون هذه الحكاية الإيسوبية في حكايته "الصقر والنسر" وهما بطلا الحكاية الرئيسيّان، حيث التقيا صدفةً أثناء بحثهما عن غذاء لصغارهما، وعند معرفة كل واحد منهما هدف صاحبه، اتفقا على التعاون للبحث عن مرادهما، وبعد بحث طويل رأى الصقر أرنباً، فدار بينهما جدال

(1) المصدر السابق، ص 48.

(2) مجموعة حكاية زهرة المطر وحكايات أخرى، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ط 1، 2014 م، ص 50.

(3) مختارات من حكايات إيسوب، ص 42:

طويل في اقتسامها ونصيب كل واحد منها، "واختلف النسر والصقر وتعاركا"⁽¹⁾، "أما الأرنب فقد أكلت من العشب الأخضر حتى شبعت ثم اختفت في بيتها تحت الأرض وتركت النسر والصقر يتعاركان"⁽²⁾.

ويلاحظ في حكاية إيسوب أنّ هناك طرفاً ثالثاً يمثّل تحدياً لهما، يجني ثمرة جهدهما ليس بسبب ذكائه فقط بل بسبب حماقتهما واستمرارهما في العراك حتى أنهكا، هذا التحديّ تمثّل في الثعلب الذي تدخل في الوقت المناسب وفاز بصيدهما. أمّا في حكاية الشريف فلم يكن هناك طرف ثالث حيث كان الصيد نفسه وهو الأرنب يمثّل التحديّ، حيث اختفى عنهما ونجا من مخالبيهما بسبب استمرار جدالهما.

2. تأثيره بالترجمة:

أشار الشريف في أحد مقالاته بأنّ هناك واقعاً آخر يجب أن يتعرّف عليه الطفل ليعرف أنّ العالم لا ينتهي عند بيته ومدرسته وبلاده، من أجل أن يستجيب لخلق علاقة معه، مثل⁽³⁾:

1. الترجمة من الآداب الإنسانية يمكن أن تؤدّي هذا الغرض، مثل قصة روبنسون كروزو، ورحلات جلفر، والأمير الصغير، والوردة الحمراء، والبلبل .. وهذا على سبيل المثال فقط.

2. ترجمة ما أنجزه العلم من اكتشافات في الفضاء وتعريف الطفل بمفردات الكون من نجوم وكواكب ومجرات.

3. في الجغرافية البشريّة يمكن تعريف الطفل ببلدان العالم وشعوبها بعاداتها وتقاليدها وفنونها".

قام الشريف بترجمة بعض القصص التي حازت على إعجابه شكلاً ومضموناً، وما رأى فيه فائدة للطفل في ليبيا، وما يسد فراغاً ونقصاً فيما يقدم له، وقد تنوعت ترجماته بين ما هو علمي وأدبي، فكان من الطبيعي أن يتأثر بما ترجمه في فترات مختلفة من حياته الإبداعية، وربما هناك أعمال أخرى اطلع عليها ولم يتم ترجمتها.

(1) مجموعة حكاية زهرة المطر وحكايات أخرى، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 51.

(2) المصدر السابق، ص 52.

(3) دراسات في الطفولة، "ماذا نكتب للأطفال" الكتاب الأول، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، 2010، ص

92-91.

وقد تأثر الشريف ببعض ما قرأه وترجمه من قصص الأطفال، وكمثال على ذلك قصة "عصفور القمر"⁽¹⁾، التي تتفق في مضمونها وبعض عناصرها مع قصة "السمة الذهبية"⁽²⁾، المترجمة عن اللغة الإنجليزية.

خلاصة حكاية "السمة الذهبية": خرج الصياد الفقير ذات يوم إلى البحر في قاربه الصغير، في هذا اليوم اصطاد سمكة ذهبية اللون، وتفاعلاً بأنها تكلمه وتطلب منه أن يعيدها للبحر وستعطيه ما يتمنى، تذكر الصياد أن مجدافه سقط في البحر، فطلب منها مجدافاً جديداً، وألقى بها في البحر، وفي لحظة وجد أمامه مجدافاً جديداً بين قدميه.

وعندما عاد إلى كوخه أخبر زوجته بما حدث له، فوبخته واتهمته بالغباء لأنه أعاد السمكة الذهبية فهي كذبت عليه ولن تعود إليه مرة أخرى، لكن الصياد أكد لها العكس، فطلبت منه ان يطلب لها شريحة من لحم البقر فقد ملئت أكل السمك.

وفي صباح اليوم التالي ذهب إلى الشاطئ ونادى السمكة الذهبية وطلب منها ما أرادتته زوجته، ثم عاد إلى كوخه ليجد غداءً ساخناً من لحم البقر، ولم تصدق زوجته ما رأت، فأمرته أن يطلب من السمكة أن تكون أغنى النساء تملك قصرًا به عشرات الغرف وعشرات الخدم.

أعاد الصياد طلب زوجته للسمكة الذهبية، وعندما رجع لم يجد كوخه الصغير وإنما وجد قصرًا عظيمًا، وعند دخوله للقصر وجد زوجته التي أمرت الخدم أن يضعوه في الحظيرة مع الحيوانات، ليبقى هناك فترة من الزمن.

في يوم من الأيام أخذه الخدم إلى زوجته التي أمرته بأن يذهب إلى السمكة الذهبية ويطلب منها أن تكون حاكمة على كل شيء حتى الطيور في السماء والحيوانات على الأرض والأسماك في البحار والمحيطات.

(1) مجموعة المهر الأسود، "عصفور القمر"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 163.
(2) مجموعة حكايات قبل النوم، "السمة الذهبية"، يوسف الشرف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 87.

أطاع الصياد زوجه وذهب إلى السمكة الذهبية، وطلب منها رغبة زوجه، سمعت السمكة الذهبية كلامه ثم اختفت، عندما عاد إلى القصر لم يجده، وإنما وجد كوخه الصغير وزوجه حزينة شاحبة، وما إن رآته حتى صرخت في وجهه غاضبة؛ لأنه لم تحقق أمنياتها.

حاول الصياد إقناعها بأن السمكة الذهبية وفّت بما وعدت، لكنها أي الزوجة أرادت أن تتحكّم في كل شيء وأن تكون إلهاً، لهذا لا تستحق شيئاً، فأمرته بأن يعيد طلبها إلى السمكة الذهبية، فذهب إلى الشاطئ وناداهما لكن السمكة الذهبية لم تظهر فلا مجيب لندائه.

وخلاصة حكاية "عصفور القمر": ذهب الصياد الفقير ذات يوم إلى أحد السهول ليصاد ما يقتات به هو وزجه، لكنه لم يكن موفقاً في هذا اليوم، فجلس في ظل إحدى الأشجار، ليرتاح قليلاً ثم يواصل البحث عن صيد، وفي هذه الأثناء سقط عصفور إلى جانبه، وكان مجروح الجناح، فحمله وذهب به إلى زوجه، التي اعتنت به حتى تعافى، فأخذ الصياد وحمله عند الغروب إلى الشجرة التي سقط منها، طار العصفور إلى أحد أغصان الشجرة، ثم عاد وحط على كتف الصياد، وكلمه فاندش الصياد، فقال العصفور: إنّه لا يظهر إلا عندما يكون القمر بدرًا، كما ذكره بأنه أنقذ حياته، وله سبع أمنيات بإمكانه أن يأتي كلما يظهر القمر ليطلب أمنيته.

لم يصدق الصياد ما سمع، ثم طلب من العصفور مأدبة فاخرة، غرد العصفور ورأسه نحو القمر، وفي لحظات وجد الصياد أمامه مأدبة لم يحلم بها في حياته، أكل ما طاب له وحمل ما بقي إلى زوجه، وأخبرها بما حدث له مع العصفور.

وبعد فترة وعندما أمسى القمر بدرًا، ذهب الصياد إلى العصفور وطلب منه قصرًا فهو فقير وكوخه صغير، فكان له ما أراد، وتكررت طلباته كلما كان القمر بدرًا، حيث طلب بستاناً فيه مختلف أشجار الفاكهة، كما طلب يختاً ليزور البلدان البعيدة، ثم طلب حصاناً عليه سرج مرصع بالجواهر، وكان العصفور يلبي طلبات الصياد دون تأخير.

وكانت زوجه سعيدة فقد أصبح لديها أكثر مما كانت تحلم به، أما زوجها فهو دائم التفكير في باقي الأمنيات، ذهب ذات يوم إلى العصفور وطلب منه أن يعود شاباً قوياً، فكان له ما أراد، وعندما عاد إلى قصره تنكر لزوجه الطيبة، وقرر الزواج من ابنة الأمير، وذهب في اليوم التالي ليخطبها لكن الأمير رفض تزويجه ابنته وأمر بطرده.

أصبح هذا الصياد وحيداً في قصره البارد، حيث انطفأت المدفأة، كما هرب الحصان بسرجه الثمين، وذبلت أشجار بستانه، ويخته الفاخر حطمته الأمواج، وهرب الخدم بعدما لم يجدوا ما يأكلونه.

ندم الصياد على ما فعله بحق زوجه الطيبة المخلصة، وفي إحدى الليالي التي كان فيها القمر بدرًا ذهب إلى العصفور فقد تذكر أن له أمنية أخيره عنده، لكنه لم يجد العصفور وإنما وجد وحشاً مخيفاً، سأله الصياد: أين عصفور القمر؟ فقال الوحش: أنا عصفور القمر. وعندما سأله لماذا تحولت إلى وحش؟ أجابه: أنا عصفور للناس الطيبين، ووحش على الناس الأشرار، وأنت رجل شرير.

أوجه الاتفاق بين القصتين: تتفق هاتان الحكايتان في كثير من العناصر، فالفكرة واحدة، وهي أن الجشع والطمع يؤدي بصاحبه إلى الهلاك.

والشخصيات تكاد تكون واحدة في كليهما، فكانت في الحكاية المترجمة: تتمثل في الصياد وزوجه والسمة الذهبية، وفي حكاية الشريف: الصياد وزوجه وعصفور القمر.

وكانت السمكة الذهبية وعصفور القمر شخصيتين خياليتين، فهما يتكلمان ويأتیان بأشياء خارقة. وفي كلتا الحكايتين كان أحد الزوجين طيباً والآخر شريراً، حيث كان الصياد في قصة السمكة الذهبية طيباً، بينما كانت الزوجة تمثل الجانب السلبي فهي شديدة الجشع، بينما كان الصياد في قصة عصفور القمر جشعاً أما الزوجة فكانت طيبة مخلصة، وفي القصتين كان الزوجان يمتهان الصيد، فأحدهما يصطاد السمك ولآخر يصطاد الحيوانات البرية.

وفي كلتا الحكايتين، تغيرت حياة الصياد وزوجه إلى الأفضل، حيث أصبح لديهما ما كانوا يتمنونهم وأصبحت حياتهم رغبة، وذلك نتيجة ما قام به الزوجان أو أحدهما من عمل معروف للسمكة الذهبية أو للعصفور.

وفي كلتا الحكايتين كانت النهاية واحدة، حيث رجع الصيادان وزوجاهما إلى سابق عهدهم من الفقر والعوز بعدما نعموا لفترة بالقصور والحياة الناعمة، وذلك جزاء الجشع.

كما كان تأثر الشريف بالقصص المترجمة واضحاً في اختياره لبعض موضوعات تلك القصص، مثل موضوع الرفق بالحيوان، الذي كان موضوعاً لعدد من القصص، رغم إن ذلك من القيم التي أكد عليها ديننا الإسلامي، فإن أسلوب معالجة الشريف لهذا الموضوع تنمهي مع قيم الغرب وعاداته،

كثيرة الكلاب ومعايشتها للناس داخل بيوتهم، وهو ما لا يتفق مع قيمنا، ومثال ذلك، قصة (البتشة)⁽¹⁾ وهو كلب صغير كان يعيش هو والقطة نوسة في بيت "عمران" قبل أن يغضب عليه عمران ويطرده من البيت بسبب عضه للقطة في ذيلها، وحكاية "الحكاية الأولى"⁽²⁾، وكان بطلها جرو صغير أهده أحمد لصديقه الذي أخذه لبيته ليعتني به أولاده الصغار.

ثانياً: المصادر التراثية:

1. التراث الديني: إنَّ القصص الديني، سواء القصص التي وردت في القرآن الكريم، أو سيرة الرسول - وما ورد عنه - ﷺ - وصحابته، ليس لها نصيب في إبداع الشريف للأطفال.

غير أنَّ الشريف كان واعياً بأهمية الموروث الديني في غرس القيم لدى الأطفال، وهذا ما يؤكده بقوله: "يمثل الموروث الديني الركيزة الأساسية في بناء شخصية الطفل وتكوين ثقافته بما يحمل من قيم ومثل تتسم بالرفعة والسمو مما يجعلها مؤهلة أن تخلق من الطفل مواطناً مكتمل الصحة عقلياً وجسدياً ونفسياً واجتماعياً وينجز الموروث الديني رسالته عبر عدة وسائل لعل أبرزها في رأيي المدرسة والكتاب والمسجد فالمدرسة تعطي نصوصاً قرآنية في مرحلة ثم تعززها بتربية إسلامية في مرحلة لاحقة، والمسجد فيه الكتاب، والكتاب تتركز مهمته في تحفيظ القرآن الكريم، وكتاب أدب الأطفال يكتبون عن شخصيات إسلامية وعن مواقف وحوادث تعزز مفهوم التربية الإسلامية بما تحمل من قيم إنسانية سامية، لأنَّ "التربية الإسلامية في مفهومها الشامل هي تربية تكاملية متوازنة موجهة نحو الخير وهي تربية سلوكية عملية فردية واجتماعية كما أنها تربية لضمير الإنسان وفطرته وإعلاء غرائزه والسمو بها" فالصدق والأمانة وحب الآخر والاحترام والتسامح والتواضع والوفاء والمساواة في المعاملة على سبيل المثال هي من جوهر التربية الإسلامية والتي هي في النهاية مدرسة تشكل الروح في تربية الطفل وتنقيفه وتأديبه"⁽³⁾.

(1) ينظر: سلسلة قصص ليلية للأطفال، "البتشة"، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981.

(2) ينظر: مجموعة حكايات للأطفال من حياة الحيوان، "الحكاية الأولى"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، 2014، ص 5-6.

(3) دراسات في الطفولة الكتاب الأول، "ماذا نكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 50-51.

ونتيجة لهذا الوعي اهتم الشريف بهذا المصدر من الجانب القيمي، فكثير من القيم التي تناولها في حكاياته وقصصه كان غرضه إيصالها إلى الأطفال، ليتخلفوا بخلق الإسلام قولاً وعملاً، ومن القيم الإسلامية التي تناولها الشريف في حكاياته وقصصه: الدفاع عن المقدسات، والصدق وبر الوالدين، والمعاملة الحسنة للآخرين، والرفق بالحيوان، وحب العمل، ووحدة المجتمع وتضامنه، وعدم الإسراف، وعدم الغرور وغير ذلك.

وفي هذا المقام أحاول عرض بعضاً من تلك القيم الإسلامية التي تناولها يوسف الشريف في قصصه للأطفال:

أ. الجهاد: يحث الإسلام أتباعه على الدفاع عن المقدسات والحرمان، وذلك في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾⁽¹⁾، كما أكد على ذلك رسوله الكريم - ﷺ - في قوله: «عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله - ﷺ - مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. قالوا ثم من؟ قال مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره»⁽²⁾.

وقد تناول الكاتب هذه القيمة في عددٍ من قصصه، بل كانت من أهم القيم التي تناولها في بداياته، ففي سلسلته الأولى:

(1) التوبة: 20.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: (3/ 1026)، رقم الحديث: (2634)، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير. وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: (3/ 1503)، رقم الحديث: (1888)، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط. ينظر: الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت. لبنان، ط: 3، 1407 - 1987. صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان.

- قصة "الراعي الشجاع"⁽¹⁾: التي كان بطلها صبياً ليبياً أسهم في محاربة الاستعمار الإيطالي، وذلك بإخبار المجاهدين في معسكرهم عن مكان الجيش الإيطالي القادم لمحاربة المجاهدين المعسكرين في الجانب الآخر للجبل.

- قصة "عاشور يذهب إلى الحرب": التي كان بطلها - أيضاً- صبياً ليبياً شارك المجاهدين في محاربة الغزاة الإيطاليين.

- قصة "الليبية الشجاعة": صوّرت شجاعة الجدات في الدفاع عن أنفسهن، وإسهامهن في الجهاد ضد الغزاة الإيطاليين.

- قصة "فرقة عمر": التي بدأها الكاتب بقوله: "حوادث هذه القصة ليس فيها من الخيال شيء"⁽²⁾، يسرد الكاتب فيها على لسان أحد أبطال هذه الفرقة العسكرية أحداث إحدى معارك الجهاد ضد الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وما حققته هذه الفرقة من نصر كبير على جيش الاستعمار فقتل منهم من قتل وفرّ من فر، ومثّل عمر ذروة التضحية والفداء في القصة.

ب. الصدق: كان الصدق أحد أهم الموضوعات التي تناولها يوسف الشريف في قصصه، ولا شك أنّ هذه القيمة شدد عليها الإسلام كثيراً، حيث ينبغي أن تسود المجتمع المسلم الأخلاق الحميدة وعلى رأسها الصدق قولاً وعملاً، وقد حث الإسلام أتباعه إلى ذلك، وذلك في قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽³⁾، كما قال: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾⁽⁴⁾.

كما كان الرسول - ﷺ - أسوةً للمؤمنين فقد كان خلقه القرآن كما وصفته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وقد عُرف بالصدق والأمانة حتى قبل نزول الوحي وتكليفه برسالة الإسلام، وقد حثّ

(1) ينظر: سلسلة قصص ليلية للأطفال، "الراعي الشجاع"، يوسف الشريف، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1977.

(2) مجموعة المهر الأسود، "فرقة عمر"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 355.

(3) الأحزاب: 24.

(4) المائدة: 119.

على الصدق، بل عدَّ الكذب صفة من صفات الكفر ولا ينبغي للمسلم إلا أن يكون صادقاً أميناً، وورد عنه - ﷺ - : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة»⁽¹⁾، كما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»⁽²⁾.

وقد تناول الشريف قيمة الصدق في قصص كثيرة منها: قصة "أم السعد وولدها الكذاب": حيث تكررت أكاذيب بطل القصة وهو تلميذ على والدته ليجد مبرراً لغيابه المتكرر عن المدرسة، والذي كانت نتيجته فقدانه لثقة والدته له وغضبها عليه، ناهيك عن رسوبه في دراسته على عكس أقرانه الذين نجحوا فرجعوا لأهلهم فريحين.

ج. التَّعَاوُنُ وَالْإِتِّحَادُ: يدعو الإسلام اتباعه إلى التعاون والوحدة، ونبذ الفرقة والاختلاف ليكون المجتمع قوياً متماسكاً، ووردت كثير من الآيات التي تدعو المسلمين إلى ذلك، حيث قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽⁵⁾، ﴿رَحِمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾⁽⁶⁾.

(1) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح (معلقاً): (723/2)، كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات. والترمذي في السنن: (433/9)، الحديث رقم: (2708)، كتاب صفة القيامة، من حديث الحسن بن علي قال: حفظت من رسول الله - ﷺ - : «دع ما يريبك...» الحديث، وعقب عليه بقوله: "وهذا حديث حسن صحيح".

(2) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود: (2261/5)، الحديث رقم: (5743)، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ / التوبة 119 / . وما ينهى عن الكذب. وأخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (2012/4)، الحديث رقم: (2607)، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. وأخرجه الترمذي في سننه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (463/7)، الحديث رقم: (2099)، البر والصلة، باب مَا جَاءَ فِي الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ.

(3) المائدة: 2.

(4) آل عمران: 103.

(5) الحجرات من الآية: (10).

(6) الفتح من الآية: 29.

كما ورد عن الرسول - ﷺ - : الدعوة إلى التعاون والإخاء والمحبة: «عن أنس رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"⁽¹⁾، وقال: "المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه"⁽²⁾، قال - ﷺ - : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. ثم شبك بين أصابعه"⁽³⁾.

تكرّرت هذه القيمة كثيراً في قصص يوسف الشريف منذ بداية كتاباته للأطفال في سلسلته الأولى، وقد ترجمت إحدى قصصه في هذه السلسلة أهمية التكافل والوحدة لصد العدوان والعيش بسعادة، وهي قصة: "القوي بمفرده ضعيف": حيث تعاونت الأرناب الضعيفة وتوحّدت للقضاء على عدوها اللدود "الثعلب" مع مساعدة العصفور، وكذلك الأسد، حتى وقع ذلك الثعلب الذي يهدد حياتها في الحفرة، وجاء الأسد ليجهز عليه.

وعبّرت العبارة التي قالتها الأرناب الصغيرة التي دعت فيها الأرناب الكبير بضرورة القيام بعمل جماعي تتخلّص فيه الأرناب من الثعلب، فذكرت قائلة: "الثعلب معروف بدهائه وحيلته، فأينما تكن يدرك الثعلب، لكن إذا تعاونت معنا، استطعنا أن نتغلب على الثعلب، ونجعله أضحوكة الحيوانات والطيور"⁽⁴⁾.

وفي سلسلة "قصص ليبيّة للأطفال" التي صدرت 1985 م، ورد في إحدى قصصها وهي قصة "العودة إلى الفردوس" ما يحمل قيم المحبة والتعاون والاتحاد، حيث صورت هذه القصة في البداية ما يعيش فيه الإخوة من نعيم وسعادة في ظل تعاونهم واتحادهم، ولكن بعد أن توفي والدهم الذي ترك لهم

(1) أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس: (14/1)، الحديث رقم: (13)، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وأخرجه مسلم في صحيحه عن أنس: (67/1)، الحديث رقم: (45)، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(2) أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة: (432/4)، حديث رقم: (4920)، باب النصيحة والحيطة. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى: (2242/5)، الحديث رقم: (5680)، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً. وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى رضي الله عنه: (1999/4)، الحديث رقم: (2585)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(4) قصص ليبيّة للأطفال، قصة القوي بمفرده ضعيف، يوسف الشريف، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1977، ص 4.

إرثاً متمثلاً في بستان مليء بالأشجار المثمرة وبئر وبقرة، دخل بينهم التنازع والشقاق، وانفقوا على أن ينفرد كل واحد منهم بإحدى هذه الممتلكات، فأصبحوا فقراء بائسين، وأخيراً ندموا وعادوا لسابق عهدهم من الألفة والتعاون فعاد بستانهم جنة وعاشوا بعد ذلك في سعادة وهناء، وهذا ما عبرت عنه العبارة في نهاية هذه الحكاية: "ولأول مرة منذ رحيل أبيهم يقضون ليلتهم معاً يسترجعون أيام الألم والفرح ويتذكرون وصية أبيهم وهو يودع الحياة: الأرض لا تقبل التقسيم، فلتكونوا وأولادكم من بعدكم معاً"⁽¹⁾.

د. الرفق بالحيوان: يظن بعض الناس أنّ هذه القيمة هي وليدة الحضارة الحديثة، في حين أنّ ديننا الإسلامي كان السبّاق لذلك، فقد نهى أتباعه عن تعذيب الحيوانات، فكان الرسول - ﷺ - قدوة حسنة لنا في أفعاله وأقواله، ومعلماً ومرشداً لسائر البشرية، وفي هذا الجانب ورد عن الرسول - ﷺ - : «عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله - ﷺ - قال: بينا رجل يمشي فاشتدّ عليه العطش فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فمأخف ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا يا رسول الله وإنّ لنا في البهائم أجراً؟ قال «في كل كبد رطبة أجر»⁽²⁾.

وكلنا يعلم حكاية المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، «عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي - ﷺ - قال: "دَخَلَتْ امرأة النَّارِ فِي هِرَّةٍ رَبَطْتَهَا، فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ"⁽³⁾.

(1) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال"، العودة إلى الفردوس، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، 1985 م، ص 10.
(2) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: (2238/5)، رقم الحديث: (5663)، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم. وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي صالح السمان: (1761/4)، رقم الحديث: (2244)، كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم وإطعامها. ينظر: الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عمر: (834/2)، الحديث رقم: (2236)، كتاب المساقاة - الشرب، باب فضل سقي الماء. وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة: (1760/4)، رقم الحديث: (2234)، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة. ينظر: الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت - لبنان، ط:3، 1407 - 1987. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري.

ويقول النبي - ﷺ - : " من ذبح عصفورا أو قتله في غير شيء، سأله الله عنه يوم القيامة"⁽¹⁾، و"عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: أَرَدْتَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسْرَرْتُ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ. قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ - ﷺ - - حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ - ﷺ - - فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ فَقَالَ: " مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ". فَجَاءَ قَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: "أَفَلَا تَتَّقَى اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجْبِعُهُ وَتُدْنِيهِ"⁽²⁾. و"عن عبد الله عن أبيه قال كنا مع رسول الله - ﷺ - في سفرٍ فأنطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيهما فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فجاء النبي - ﷺ - فقال "من فجع هذه بولدها زدوا ولدها إليها". ورأى قزينة نملٍ قد حرقتاها فقال "من حرقت هذه". فلنا نحن. قال "إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار"⁽³⁾.

والرفق بالحيوان من أهم القيم التي تناولها يوسف الشريف في قصصه، التي منها على سبيل المثال:

- قصة "عبد الله الصغير": حيث قام بطل القصة "عبد الله" بإنقاذ حياة كلب صغير وهو في طريقه إلى مدرسته لأداء امتحانه، فغير طريقه وحمل الكلب إلى مستشفى الهلال الأزرق، مما أدى إلى تأخره عن الامتحان⁽⁴⁾.

(1) أخرجه النسائي في سننه عن عبد الله بن عمرو: (206/7)، حديث رقم: (4349)، باب إباحة أكل العصافير. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عبد الله بن عمرو: (1085/11)، الحديث رقم: (6550). وضعفه الشيخ الألباني. ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ن: مؤسسة الرسالة، ط: 2، 1420هـ. 1999 م. المجتبي من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ن: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. سوريا، ط: 2، 1406 - 1986.

(2) أخرجه أبو داود في سننه عن عبد الله بن جعفر: (328/2)، رقم الحديث: (2551)، باب ما يؤمر به من القيام على الدوابِّ والبهائم. قال الألباني: صحيح.

(3) أخرجه أبو داود في سننه عن عبد الله عن أبيه: (539/5)، رقم الحديث: (5270)، باب في قتل الذر. قال الألباني: صحيح.

(4) مجموعة حكايات قبل النوم، "عبد الله الصغير"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006 م، ص 93.

- قصة "الولد والحمامة": في هذه القصة كان البطل -أيضاً - صبيّاً اشترى حمامة صغيرة ليربيها، وألفته الحمامة حتى أصبحت تأكل من يده، وتقف على كتفه، لكنه كان منزعجاً من أنّ والده كان يمتلك بندقية يصطاد بها الحمام⁽¹⁾.

ذات ليلة صمم الصبي على التخلص من تلك البندقية، فهو لا يطيق قتل والده للحمام الجميل، أخذ البندقية وذهب بها إلى بيت مهجور فيه بئر رمى فيه البندقية وقفل راجعاً وهو سعيد بما فعل.

- حكاية "عصفور على زجاج نافذتي": اعتاد الأطفال اللعب تحت شجرة التوت الكبيرة التي تعشش فيها الكثير من العصافير، التي يستمتع الأطفال بمراقبتها ولا يؤذونها، وفي أحد الأيام وجد بطل الحكاية وهو أحد هؤلاء الأطفال عصفوراً مرمياً على الأرض يعاني من جرح في أحد جناحيه، حمله إلى والده الذي سارع بحمله إلى الهلال الأزرق الخاص بالعيادة الصحية للحيوانات فعولج العصفور، وأعطى الوالد دواءً له ليستعمل في البيت، وقام الصبي برعاية العصفور والاعتناء به حتى شفي، فنصح والده بأن يطلق سراحه ليذهب إلى أسرته الموجودة على الشجرة، عمل الصبي بنصيحة والده لكنه في اليوم الثاني لم يجد العصفور على الشجرة فحزن وانقبض قلبه⁽²⁾.

ووردت قصة تتضمن عدم إيذاء الحيوانات، فهو سلوك منحرف وغير إنساني، ورغم ذلك هناك بعض المنحرفين الذين يسلكون هذا السلوك، هذا ما تعالجه قصة:

- قصة "قصة غريبة": في هذه القصة ينفذ بطل القصة "خالد" وهو في طريقه إلى المدرسة كلباً يتعرّض للإيذاء من بعض الأولاد، ويأخذ الكلب إلى مستشفى الهلال الأزرق الخاص بالحيوانات، ثم يرجع به إلى البيت ويوصي عليه والدته، ثم يذهب إلى مدرسته التي تأخر عنها، لكن المعلم غفر له تأخره عندما عرف سبب ذلك، بل كان سعيداً بما فعل خالد⁽³⁾.

هـ. حب العمل والاعتماد على النفس:

-
- (1) سلسلة قصص ليبيبة للأطفال، الولد والحمامة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985 م.
(2) مجموعة حكايات العصافير، حكاية "عصفور على زجاج نافذتي"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008 م.
(3) مجموعة المهر السود، "قصة غريبة"، مصدر سابق، ص 237.

من القيم التي يحث عليها الإسلام العمل الصالح، وعدم الاتكال على الآخرين، آيات كثيرة تحتنا على ذلك، منها: قوله - تعالى - : ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ اِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽¹⁾، كما حث الرسول ﷺ - أتباعه على العمل وعدم التواكل على الغير، فقال: " ونبي الله داوود كان يأكل من عمل يده"، تناول يوسف الشريف هذه القيمة في بعض قصصه، التي منها:

- قصة "ابنة الراعي": رغم أنّ هذه الحكاية تصنّف من ضمن الحكايات التي اعتمدت على الموروث الشعبي، فإنّ فكرتها تدور حول أهمية العمل حتى لمن كان أميراً غنياً، فابنة الراعي الفقير التي يبدو أنّها تتميز بالحكمة وبعد النظر، اشترطت على الأمير عندما تقدم لخطبتها أن يجيد صناعة ما ولا يكتفي بكونه ابن السلطان، ورغم اعتراض السلطان على هذا الشرط الغريب، فإنّ ابن الأمير تعلّم صناعة الشيلان، ومع مرور الأيام وموت السلطان وانقلاب الحال، لم ينقذ ابنة الراعي وزوجها الذي كان أميراً من الفقر والجوع إلا تلك الصناعة التي تعلّمها وهي صناعة الشيلان وبيعها، ليعيل أسرته ويحيا حياةً كريمة⁽²⁾.

- وحكاية "السنجاب والبستان": وهي من الحكايات التي تحمل قيمة العمل وعدم الاتكال على الآخرين، حيث نجد السنجاب الذي ليس له بستان خاص به، يحاول التعدي على بساتين جيرانه كالأرنب والفيل والزرافة، الذين كانوا غاضبين من دخوله لبساتينهم، فنصحته الغراب الذي كان يراقب الأمر بأن يكون لديه بستانه الخاص به ليأكل منه، فعمل بنصيحته وأصبح هو الآخر يمنع المعتدين من دخول بستانه لأنه عرف أنّ العمل في البستان يحتاج لجهد كبير⁽³⁾.

2. التراث الأدبي:

أ. **كليّة ودمنة:** تأثر الشريف بحكايات كليّة ودمنة، ومن الحكايات التي يظهر فيها تأثره بها حكاية "العودة إلى الفردوس"⁽⁴⁾، التي يقابلها في كليّة ودمنة حكاية "الأخوة الثلاثة"⁽¹⁾، حملت الحكايتان

(1) سورة التوبة/ الآية 105.

(2) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال، "ابنة الراعي"، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

(3) مجموعة حكايات قبل النوم، "السنجاب والبستان"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، 2006 م، ص 29.

(4) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال، العودة إلى الفردوس، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

الشخصيات نفسها، فأبطال الحكايتين هم ثلاثة أخوة، وفي الحكايتين ترك لهم أبوهم إرثاً، لكن هذا الإرث كان في حكاية كليلة ودمنة مالا، أما في حكاية الشريف كان بستاناً، وفي كلتا الحكايتين حدث تنازع بين الإخوة على هذا الإرث، فلم يعمل الأبناء في حكاية الشريف بوصية والدهم بأن يكونوا يداً واحدة، والاستمرار في العمل معاً ليعيشوا دائماً في سعادة ورجد، وتتفق الحكايتان في أنّ الابن الأصغر كان دائماً هو الأكثر تعقلاً - كان ذلك في حكاية الأخوة الثلاثة بشكل أوضح - وهو دائماً من أنقذ نفسه كما أنقذ أخويه من سوء الحال والفقير.

ونجد المغزى ذاته عند الشريف في حكايته "العودة إلى الفردوس" حيث قصد بهذا العنوان عودة الأبناء إلى ما كانوا عليه من محبة وألفة وتعاون، يعملون في بستان أبيهم الكبير في السن، ويتنعمون بخيره، هذا ما عبرت عنه العبارة الآتية: "مع كل فجر جديد يتوجه الإخوة إلى الحقل معاً، وعندما تختفي الشمس خلف التلال البعيدة، يعودون معاً يتحدثون عن بهجة الحياة وفرحتها وأمنيات الأيام ويحلمون بالعائلة والأولاد والأحفاد"⁽²⁾.

وعندما أحس الأب أنه مفارق للحياة سألهم: ماذا ستفعلون بعد رحيلي؟ أجابوا بصوت واحد، نبقى مثلما كنا⁽³⁾.

لكن بعد فترة نسي الأبناء وعدّهم لأبيهم بالبقاء كما كانوا يداً واحدة، فدبّت بينهم الخصومة والفرقة على الميراث، فاقسموه بينهم، أحدهم أخذ الأرض، والثاني أخذ البقرة، والثالث أخذ البئر. لكن حياتهم ساءت، وخيم على حياتهم الهم والحزن: "فمن يملك البئر لا يجد طعاماً ومن يملك الحقل لا يملك البئر، ومالك البقرة لا يجد المرعى، وأيقن كل منهم أن سبيل الحياة يضيق به مع كل يوم يمر"⁽⁴⁾.

بعد هذه التجربة المريرة، تيقن الأخوة الثلاثة إنّ بقاءهم معاً هو الحل الأفضل للعودة لحياتهم الرغدة السعيدة، وهذا ما عبرت عنه العبارة الآتية: "ولأول مرة منذ رحيل أبيهم يقضون ليلتهم معاً يسترجعون

(1) حكايات كليلة ودمنة، بيدبا الفيلسوف الهندي، ترجمه ونقله عبد الله بن المقفع، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1992.

(2) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال، العودة إلى الفردوس، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

(3) المصدر السابق، د.ترقيم.

(4) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال، العودة إلى الفردوس، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

أيام الألم والفرح ويزكرون وصية أبيهم وهو يودع الحياة: الأرض لا تقبل التقسيم، فلنكونوا وأولادكم من بعدكم معاً⁽¹⁾.

وفي قصة "هكذا .. طار الحمام"⁽²⁾، يوجد بعض التطابق مع قصة "الحمامة المطوّقة"⁽³⁾ في عدد من العناصر، ففي قصة الشريف نجد البطل الحقيقي فيها هو مجموعة من طيور الحمام، كما هو الحال في قصة "الحمامة المطوّقة"، وفي قصة "هكذا .. طار الحمام" وقع الحمام في مأزق وهو عدم قدرته على الطيران، وكذلك الحال في حمام ابن المقفع، حيث وقع في الشبكة، ومن كان وراء هذا المأزق لحمام الشريف هو طفل يقوم بنتف ريش أجنحتها، وكذلك الحال بحمام ابن المقفع الذي كان وراء ورطتها صياد نصب لها شركاً وقعت فيه، وكان الحل لحمام الشريف باتفاقها جميعاً على خطة لم يعرف أحد كنهها؛ لأنّ الشريف تعمّد أن يكون حوار الحمامة الكبيرة مع حمامها سرياً مبهماً، وكانت أكبرهن حجماً هي من تولّت قيادة المجموعة والتخطيط للخلاص، كما كانت الحمامة المطوّقة في قصة المقفع هي قائدة المجموعة، ونجحت خطة حمام الشريف غير المنطقية في الخلاص، كذلك نجحت خطة حمام ابن المقفع في الطيران معاً بالشرك لتذهب إلى صديقها الجرذ صديق الحمامة المطوّقة الذي ساعدها بقرض الشبكة حتى تمكّنت المطوّقة وحمامها من الخروج.

ب. تأثر الشريف بحكايات شوقي: من الحكايات التي برز فيها تأثر الشريف بشوقي حكاية "فأر الحقل وفأر المدينة"⁽⁴⁾ والتي يقابلها "فأر الغيط وفأر المدينة" عند شوقي، مع العلم أنّ الحكاية نفسها قدمها إيسوب بعنوان "فأر المدينة وفأر القرية" كما قدّمها لافونتين بعنوان "فأر المدينة وفأر الريف"⁽⁵⁾، ويبدو أنّ لافونتين قد تأثر بالتراث العربي الذي جاء فيه حكاية بعنوان: "مثل فأرة البيت وفأرة الصحراء" التي جاء فيها: "قيل إنّ فأرة البيت رأت فأرة الصحراء في شدة ومحنة فقالت لها: ما تصنعين هنا؟ اذهبي معي إلى

(1) المصدر السابق.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "هكذا .. طار الحمام"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 125.

(3) ينظر: كليلة ودمنة، ترجمة عبد الله بن المقفع، تحقيق وتعليق محمد سليم إبراهيم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1992، ص 112.

(4) سلسلة قصص ليلية للأطفال، "فأر الحقل وفأر المدينة"، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981.

(5) مصادر شعر شوقي للأطفال، د.حسن إسماعيل، مرجع سابق، ص 17-21.

البيوت التي فيها أنواع النعيم والخصب. فذهبت معها وإذا صاحب البيت الذي كانت تسكنه قد هيا لها الرصد: لبنة تحتها شحمة. فاقتمحت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها. فهربت الفأرة البرية وهزّت رأسها متعجبة وقالت: أرى نعمة كثيرة وبلاء شديداً. إنَّ العاقبة والفقير أحب إليّ من غنى يكون فيه الموت. ثم فرّت إلى البرية^(*).

إنَّ فأر شوقي الذي كان يطمح لخوض تجربة حياتية جديدة، أشفقت عليه أمه من عواقب طموحه المتنامي غير المدروس، وحذّرت من ذلك، وأوصته بالرجوع عن قرار الرحيل، مذكرة إيّاه بوصية والده قائلة في حنو الأم العطوف⁽¹⁾:

فعطفت على الصغير أمه وأقبلت من وجدها تضمه
تقول إني يا قتيل القوت أخشى عليك ظلمة البيوت
كان أبوك قد رأى فلاحاً في أن تكون مثله فلاحاً
فأعمل بما أوصى ترح جنابي أو لا فسر في ذمة الرحمن
فاستضحك الفأر وهزّ الكتفا وقال من قال بذا قد خرفا
ثم مضى لما عليه صمما وعاهد الأم على أن تكتما

ونجد المغزى نفسه الذي يحمل معنى التكيف أو التأقلم في قصة "فأر الحقل وفار المدينة" ليوسف الشريف، هذان الفأران اللذان أراد الكاتب أن يوصل من خلالهما فكرته إلى الطفل، حيث إنَّ الذي يتعوّد على بيئة ما، من الصعب عليه أن يتعوّد على نقيضها، فأر المدينة في هذه القصة لم يستطع أن يعيش في الحقل، على الرغم من المخاطر التي يتعرّض لها في المدينة، وبالمقابل فإنَّ فأر الحقل أيضاً لم يستطع العيش في المدينة على الرغم من الظروف الصعبة التي تمر به، فكل منهما ظروفه وطريقة حياته وأسلوب معيشته حتى في مقاومة الصعاب والمخاطر.

* كما تأثّر الشريف في حكايته "الثعلب والدجاجة والديك"⁽²⁾، بحكاية شوقي "الثعلب والديك"⁽³⁾ الشهيرة، حيث تتوافق الحكايتان على مستوى المضمون والأبطال، وحتى على مستوى العنوان هناك تقارب، غير

(*) وقفت الباحثة على هذه القصة في كتاب "الطفل والتراث"، محمد إبراهيم حور، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1993، ط 1، ص 57، وأشار المؤلف إلى أنّ مصدر هذه القصة كتاب "المستطرف" وعند رجوع الباحثة إليه لتأصيل النص لم تجده في المصدر الذي أحال إليه المؤلف!

(1) ديوان أحمد شوقي: 133/4.

(2) مجموعة حكايات قبل النوم، "الثعلب والدجاجة والديك"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 135.

(3) الديوان، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، 1988، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ص 150.

أنَّ الشريف أقحم الدجاجة في العنوان، فليس لها دور في هذه الحكاية سوى كونها رفيقة الديك، فهما يعيشان معاً في الحظيرة، حتى فاجأهما الثعلب بطرقاته على بابها.

يقول شوقي في حكايته "الثعلب والديك"⁽¹⁾:

برز الثعلب يوماً في شعار الواعظينا
فمشى في الأرض يهذي ويسب الماكرينا
ويقول: الحمد لله إله العالمينا
يا عباد الله، توبوا فهو كهف التائبينا
وازهدوا في الطير، إنَّ العيش عيش الزاهدينا
واطلبوا الديك يؤذن لصلاة الصبح فينا
فأتى الديك رسولاً من إمام الناسكينا
عرض الأمر عليه وهو يرجو أن يلينا
فأجاب الديك: عذراً يا أضل المهتدينا
بلَّغ الثعلب عني عن جدودي الصالحينا
عن ذوي التيجان ممن دخل البطن اللعينا
أنهم قالوا وخير القول قول العارفين!
"مخطئ من ظنَّ يوماً أن للثعلب ديناً"

إنَّ مضمون الحكايتين واحد - كما أشرت - فكلاهما يهدف إلى تبصير الناشئة بأهميَّة توحّي الحيطة والحذر من غدر العدو، وهو استشراف مستقبلي يصادف الأطفال في مستقبل حياتهم، والمضمون في مجمله رسالة تعليميَّة في المقام الأول، إلا أنها جاءت تقريرية عند الشريف رمزيَّة عميقة عند شوقي.

وإضافةً إلى اختلاف الحكايتين كون أحدهما تنتمي لجنس النثر والأخرى لجنس الشعر، فبنيتهما الحكائيَّة - أيضاً - تختلفان، حيث توزعت حكاية شوقي إلى أقسام ثلاثة تصدَّرها حديث الثعلب في الأبيات الستة الأولى، التي ظهر فيها ثعلب شوقي متسرِّبلاً بلباس الحيلة، متقناً دوره المرسوم ببراعة، فلباسه النسك وديدهن الورع، وذلك ليصل إلى بغيته، ثم ردَّ الديك في القسم الثاني، ثم المغزى في النهاية.

(1) المصدر السابق، ص 150.

أمّا عند الشريف فقد قدّم لحكايته بتصوير جو الألفة والطمأنينة التي تجمع بين الدجاجة والديك في حظيرتهما الجميلة، لتحدث الأزمة أو العقدة بطرقات الباب التي تبيّن فيما بعد أنه الثعلب، ويستمر التعقيد بالحوار والجدال بين الثعلب الواقف خلف الباب الذي يظهر فيه الثعلب مجادلاً مخادعاً، في حين يظهر الديك من خلال ردوده عليه فطناً متيقظاً لنوايا الثعلب الخبيثة، ويأتي حل العقدة بصياح الديك، ليأتي الأهالي إلى الحظيرة غاضبين من الديك الذي أيقظهم قبل موعد الفجر ليجدوا الثعلب فيوسعوه ضرباً فيفر مسرعاً صائحاً بأنّ الديك قد خدعه رغم إنه له صديق! وينهي الشريف حكايته بسؤال القارئ الصغير: "هل صحيح أنّ الثعلب صديق الديك؟!"⁽¹⁾، ربما ليطمئن على وصول مغزى حكايته لهم.

ج. الحكايات الشعبيّة: عرف المجتمع الليبي في الحقب التاريخيّة التي شاعت فيها الأميّة، وانعدام وسائل الثقافة والتسلية الكثير من الحكايات التي اصطلح على تسميتها شعبيّاً "الخراريف"، هذه الخرافات تختلف في بعض مفرداتها وتفاصيلها من منطقة إلى أخرى، بل إنها قد تختلف من راوٍ إلى آخر، وهذا الاختلاف يعتبر أمراً طبيعياً لأي نص يعتمد في نقله على الرواية والمشافهة، غير أنّها تتفق في العناصر الأساسيّة والإطار العام لها.

وممّا ساعد على هذا التنوع المساحة الشاسعة لليبيا، وتنوع التضاريس بين الجبلي والسهلي والصحراوي، فتتوعدت تبعاً لذلك أنشطة الناس وظروف حياتهم كما أصبح لكل منطقة خصوصيتها الثقافية، ولكن كان هناك دائماً القاسم المشترك لهذا التراث والتنوع.

عاش الناس في المجتمع الليبي عصوراً طويلة، معتمدين على الرواية والمشافهة في نقل الموروثات الشعبيّة، فكانت الأمية منتشرة، ومن ثمّ لم يكن للكتاب حضور في هذا المجتمع بين عوام الناس، ولم تكن التكنولوجيا الحديثة متوقّرة، فكانت الأسرة الليبية تقضي وقتها متحلقة حول النار يتبادلون أطراف الحديث، وإذا كان بين الجلوس أطفال فحتماً سيكون للخرافات والحكايات مجال كبير في هذا المجلس.

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "الثعلب والدجاجة والديك"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 137.

وكان طبيعياً أن يستقي الشريف بعض حكاياته ممن حوله، مما احتفظ به في ذاكرته مذ كان طفلاً أو حتى عندما كان شاباً يافعاً، خصوصاً أنه عاش طفولته في فترة لم تفقد فيه هذه الخرافات والحكايات الشعبيّة مكانها كما هو الحال اليوم.

ومن أشهر الحكايات الشعبيّة التي شاعت في ليبيا ما يعرف بخرافتي "أم بسيسي" و"الدجاجة المداجة"، كانت هاتان الحكايتان ترويهما الجدات والكبار عموماً لتسلية الأطفال.

استقى الشريف إحدى حكاياته، وهي حكاية "عصفور اللون الأبيض"⁽¹⁾ من حكاية "أم بسيسي"، فالبطل في القصتين "عصفور" كما اتبع الأسلوب ذاته في هذه الحكاية حيث فيها كل شيء يؤدي إلى آخر، كذلك تلتقي حكاية "عند الرحيل لا تغني العصافير" مع الحكاية الشعبيّة "الدجاجة المداجة"، وسيتم تفصيل ذلك في أحد المباحث اللاحقة.

ومن القصص التي اعتمد فيها الكاتب على الموروث الشعبي، قصة "كيس اللؤلؤ"⁽²⁾، التي ابتدأها بقوله: "تقول جدتي: إنها سمعت القصة من جدتها .. ويقول جدي: إنه سمع القصة من جده، وها أنا أرويها لكم، ولن أضيف كلمة على ما سمعت"⁽³⁾، ثم شرع يقص حكايته بقوله: "تقول جدتي"⁽⁴⁾.

د. الأمثال الشعبيّة:

شاعت في المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات، الكثير من الأمثال الشعبيّة التي تختصر قصة ما، تحمل مغزى معيّن ويتّرجم واقعاً وظروفاً خاصة، هذا المثل هو ثمرة لتجربة ما، قد يصلح لأزمان وأماكن وثقافات أخرى، بدليل وجود مرادف له في تلك الثقافات، وقد يكون العكس.

كان للأمثال الشعبيّة حضور واضح في قصص الشريف؛ لأنّه أدرك قيمتها في زرع القيم لدى الأطفال، ومن الأمثال التي وردت في بعض قصصه على سبيل التمثيل لا الحصر المثل القائل:

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، حكاية عصفور اللون الأبيض، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 65.

(2) مجموعة المهر الأسود، "كيس اللؤلؤ"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 343.

(3) المصدر السابق، ص 345.

(4) المصدر السابق، ص 345.

"صنعة اليبدين ولا مال الجدين"⁽¹⁾، يلخص هذا المثل الشعبي قيمة العمل وتجسد ذلك في حكاية "ابنة الراعي"⁽²⁾ فبالإضافة إلى طابع هذه الحكاية التراثي من حيث الشكل واللغة المستخدمة، فإنها تتناول مضموناً تقليدياً يترجم قيمة من قيم المجتمع الليبي، حيث تناولت قيمة العمل وأهمية أن يكون للإنسان صنعة يجيدها حتى ولو كان أميراً غنياً.

أمّا المثل الشعبي القائل: "الكثرة تغلب القوة"⁽³⁾، فقد نقل الشريف فكرته في أكثر من حكاية، منها: حكاية "القوي بمفرده ضعيف"⁽⁴⁾: تناولت هذه الحكاية مفهوم التضامن والاتحاد، فإذا كان عدوك قوياً فأنت باتحادك مع إخوانك ستكون الأقوى، وهناك مثل ليبي آخر يقول: "حمل الجماعة ريش" فالثعلب القوي استطاعت الأرناب باتحادها أن تتغلب عليه وتهزمه، كما وردت هذه الفكرة كثيراً في التراث المحلي والعربي والعالمية.

وفي حكاية "ليس كل كبير غالباً"⁽⁵⁾: يقرر الكاتب من خلال عنوان حكايته أن الكبير القوي ليس دائماً هو الغالب، ولكن متى يكون ذلك؟ تجيب الحكاية على هذا التساؤل الذي يفرض نفسه على قارئ هذا العنوان، وإجابته يلخصها المثل السابق، فعند الاتحاد والتماسك يمكن هزيمة القوة الظالمة.

أمّا المثل القائل: كل طير يقول وكري وكري⁽⁶⁾: فإنه يلخص ارتباط الإنسان بوطنه، حيث نقل الشريف مغزى هذا المثل في حكايته: "حكاية العصفور والشجرة"⁽⁷⁾: وهي تتحدث عن العصفور الصغير الذي سافر في غفلة من أمه، في رحلة استكشافية إلى إحدى الغابات البعيدة، وفي رحلته تلك تعرّف على الكثير من الأشجار والطيور بمختلف الأشكال والألوان، ولكن استولى عليه الرعب في تلك الغابات البعيدة، فكان كلما حاول الوقوف على غصن تهاجمه طيور سوداء، وتقوم بطرده وتهديده بالقتل.

(1) ينظر: المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراطي، طرابلس، يوليو، 1962 م، ص 119.

(2) سلسلة قصص ليبية للأطفال، ابنة الراعي، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(3) مثل شعبي متداول في ليبيا.

(4) سلسلة قصص ليبية للأطفال، القوي بمفرده ضعيف، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(5) سلسلة قصص ليبية للأطفال، ليس كل كبير غالباً، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(6) ينظر: المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراطي، مرجع سابق، ص 141.

(7) مجموعة المهر الأسود، العصفور والشجرة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 265.

قفل العصفور راجعاً إلى غابته ولم يتوقف حتى وصل إلى الشجرة التي يعيش عليها مع أمه، واستولى عليه شعور بالسعادة والأمان، فهو على شجرته بالقرب من أمه، التي سألته: هل رأيت الغابات البعيدة؟ أجابها: نعم ولكن غابتنا أكبر وعصافيرها أجمل!.

هـ. الأغنية الزجلية الشعبية:

في قصة "السمكة الذهبية"⁽¹⁾، تظهر معالم تأثر الشريف بالموروث الشعبي في ليبيا واضحة جلية، فرغم محاولة الكاتب جعلها أكثر توافقاً مع روح العصر شكلاً ومضموناً، فإن أجزاء كبيرة منها حملت رائحة هذا الموروث، كالأغاني الزجلية الشعبية التي نقلها الكاتب - كما هي - بلهجتها الشعبية الموروثة.

فعندما استلم إبراهيم السمكة الذهبية من والده ودخل بها إلى غرفته، تساءل: "هل تتكلم السمكة" أجابته السمكة قائلة: "أنا نتكلم ليك أنت بس، وغيرك ما يسمع لي حس".

ويحدث حوار طويل بينهما، فبينما كان إبراهيم بين اليقظة والنوم سمع السمكة الذهبية تقول: "إبراهيم! يا إبراهيم! أنا عندي يا وحي بنات، فاتوني تحت الموجات، عددهم خمس أخيات".

وفي مكان آخر طلب إبراهيم من السمكة الغناء قائلاً: "غنّ معاي شوية، في ليلة الشتوية"، وعندما رفضت السمكة طلبه مالم يطلق سراحها، الحّ عليها قائلاً: "غنّ لي وقولي كلمات، أنا ما عندي أخيات، يغنّوا لي زيك غنوات"، فردت السمكة: "خلّيني نمشي لموجاتي، يستنوني فيها بنياتي، في البحر أنا - غادي - حياتي"، فقال إبراهيم: "أنا ولد كيّس وقنّين، وأصحابي يسموني حنّين، لكن فراقك مش هيّن"، فقالت السمكة: "رجّعني للبحر الثاني، وتعال دور من ثاني"، فقال إبراهيم: "أنا صغير على البحر المالح"، فردت السمكة: "أبوك مسمّيك الفالح؟".

وعندما استجاب إبراهيم لطلب السمكة الذهبية حمل الإناء الزجاجي الذي به السمكة وذهب إلى شاطئ البحر، وعندما وصل قالت له السمكة: "يا إبراهيم! يا زين البنين! ما أنسى جميلك يا زين"، فرد إبراهيم: "يا سمكة يا حبيبة! حكايتك عجيبة"، فقالت: "في كل مغيب شمس، تسمع على البحر همس"، فسألها: "همس؟"، أجابته: "في الليل تسمع غنواتي، وتغني معاي بنياتي"، قال إبراهيم: "بعدك، لا غنوة

(1) ينظر: سلسلة قصص ليبية للأطفال: "السمكة الذهبية"، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

ولا كلمة نسمعها ولا همسة"، قالت السمكة: "فراقك لصعيب علي، والبحر واسع علي"، ثم ودّع إبراهيم سمكته وألقى بها في البحر.

ثالثاً: المصادر المعاصرة:

عكست قصص الشريف وحكاياته للأطفال، روح العصر الذي يعيشه، والذي يوصف دائماً بأنه عصر الثورة العلميّة، على مختلف الأصعدة، حاول الشريف ربط الأطفال في ليبيا بعصرهم، فعلى صعيد الثقافة العلميّة، كثير من القصص حاول الكاتب من خلالها إيصال بعض الحقائق العلميّة بطريقة جذابة للطفل، تتنوّع فيها الموضوعات العلميّة بين الفلك، والبيئة، كما استمدّ بعض قصصه من الواقع الاجتماعي والعلاقات الاجتماعيّة، بين أفراد الأسرة، أو بين الأصدقاء، أما على الصعيد الثقافي فكان التعليم والمعرفة اللغويّة، والقيم التربويّة، والتسلية، كل ذلك من المصادر التي استقى منها الشريف حكاياته وقصصه للأطفال.

1. الثقافة العلميّة:

يعترف الشريف بمرارة عند حديثه عن الثقافة العلميّة للأطفال العرب، قائلاً: "أنا نحن الذين نكتب للأطفال لم نفلح بعد حتى في كتابة قصة علميّة أو رواية في الخيال العلمي، إذ ارتضينا لأنفسنا أن نبقى سجناء إبداعنا الأدبي ولم نحاول إضافة تراكم معرفي علمي إلى مخزوننا الأدبي ولم نحاول إضافة تراكم معرفي علمي إلى مخزوننا الأدبي يمكننا من الاقتراب من أدب الخيال العلمي، بل إننا سجلنا عجزاً حتى عن تطوير الحكاية فلم نزل ننسخ أساليب الجدات في القص ولم نزل سجناء في حديقة الحيوان، في الوقت الذي نرى فيه الكاتب الغربي يتفنن ويغامر في أساليبه وأفكاره، ولعلي أدعي بأنني أملك معرفة علمية بعلوم كثيرة إلا أنني عجزت عن توظيفها في أدب الخيال العلمي، إذ لم تسعني قدراتي إلا على ترجمة سلسلة في الثقافة العلمية للأطفال وموسوعة علمية للفتيان والفتيات، وكان هذا أقصى ما استطعت أن أساهم به في ثقافة الطفل العلمية وهي مساهمة خجولة لا تحقق ما أطمح إليه، وما أطمح إليه تحول دونه ثقافة صوتية شكلت عقلي وتفكيري وموغلّة في القدم ولا علاقة لها بالمعمل والتجربة ولا أستطيع الخلاص منها، ولعلي هنا أعتبر نفسي نموذجاً للذين يكتبون

للأطفال، فعلى مدى أكثر من نصف قرن لم نفلح نحن كتّاب أدب الأطفال في الخروج من معطف حكايات الأولين وأساطيرهم، ولنا في كل ما أنتجته المكتبة العربية للأطفال خير دليل⁽¹⁾.

رغم ما قاله الشريف فإنّ مجموعاته وسلسله الأدبية لا تخلو من القصص والحكايات التي يمكن أن تدخل في إطار القصص العلمية، حيث حاول من خلال هذه القصص إيصال بعض الحقائق العلمية للأطفال.

أ. القصص العلميّة:

تتوّعت قصص الشريف التي يمكن أن يطلق عليها علميّة، رغم أنّ عناوين هذه القصص لا تدل على ما يريد الكاتب إيصاله من حقائق ومصطلحات علمية إلى مستوى الشريحة العمريّة التي يخاطبها، وهي لا تتخطّى مرحلة الطفولة المتوسطة.

من هذه القصص ما اهتمّ بتعريف الأطفال ببعض مظاهر الطبيعة وبعض الحيوانات، مثل: قصة "صباح جميل"⁽²⁾، فالقصة تدور أحداثها في فصل الربيع، الذي بيّن الكاتب فيه بعض مظاهر التغيّر الذي يعتري الطبيعة، وانعكاس ذلك على الناس والحيوانات، التي فصلّ الكاتب في ذكر بعضها مقرونةً بأسماء أصواتها وبيوتها.

أمّا في قصة "زهرة الشتاء"⁽³⁾، فقد تناول الشريف بيئةً زمانيةً تختلف عن سابقتها - كما يدل على ذلك العنوان - وهو فصل الشتاء، مفصلاً بعض ما يتميز به هذا الفصل من ظروف وظواهر مناخية تتمثّل في سقوط الأمطار وبرودة الجو، وانعكاس ذلك على الطبيعة والناس والحيوانات، كما يتعرّف الأطفال من خلالها على حاجة النباتات لظروف خاصة لنموها واستمرارها.

أمّا قصة "من يزرع شجرة"⁽⁴⁾، فهي تحمل المغزى ذاته الذي حملته القصة السابقة، حيث فصلّ فيها الكاتب طريقة زراعة الأشجار، وما تحتاجه من عناية بعد زراعتها، تتمثّل في ريها وحمايتها.

(1) دراسات في الطفولة، "ماذا نكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مرجع سابق، ص 148.

(2) مجموعة المهر الأسود، "صباح جميل"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، 2006، ص 121.

(3) مجموعة المهر الأسود "زهرة الشتاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 207.

(4) مجموعة المهر الأسود "من يزرع شجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 149.

أما في قصة "عصفور اللون الأبيض"⁽¹⁾، فقد أشرت في موضع آخر إلى ما تحمله هذه القصة من حقائق حاول الكاتب إيصالها للأطفال بأسلوب شائق، هذه الحقائق تتمثل في العلاقة بين بعض الكائنات والظواهر الطبيعيّة.

وفي قصة "نار في البيت المهجور"⁽²⁾، دحض الكاتب فيها عن طريق إحدى الحقائق العلميّة ما يتوهّمه البعض كباراً وصغاراً عن وجود ما يسمّى بالعفاريت.

فالولد الذي هرب إلى والدته مرعوباً، بعد أن رأى وهو يلعب مع أقرانه مساءً ناراً في أحد البيوت المهجورة، أخذته والدته إلى ذلك البيت لتثبت له عملياً أنّ تلك النار تنبعث من مادة معدنية تعرف بالفسفور، وهي مادة معدنية تتوهّج في الظلام، وهو "ثلاثة أنواع، منها: الأبيض والأحمر والأسود، والأبيض سام ويشتعل بلهب إذا تعرّض للهواء"⁽³⁾.

أما قصة "سنابل الثلج"⁽⁴⁾، فهي تصوّر تفاعل بطل القصة وهو طفل صغير مع معاناة أهل قريته بسبب احتباس الأمطار.

رغم ما في هذه القصة من "فنتازيا" تتجاوز الواقع، فإنها تضمنت الكثير من الحقائق العلميّة التي قد يجعلها بعض الأطفال، منها أنّ الماء أساس الحياة على الأرض، وأهم مصادرها الأمطار، التي بسببها تنمو النباتات والأشجار، ويحرث الناس أرضهم لزراعتها بما يحتاجونه من حبوب وأشجار، كما تضمنت بعض المصطلحات العلميّة، مثل: "المركبة الفضائية" التي هي وسيلة للرحلة إلى الفضاء، كما عدّد بعض ما يوجد في الفضاء، مثل القمر والشمس والنجوم.

وفي حكاية "عصفور سافر مع الشمس"⁽⁵⁾ تضمّنت كثيراً من الحقائق الفلكية، كانت بدايتها وصفاً للشمس من أول شروق لها إلى غروبها كما تراءت للعصفور، وكونها مصدراً للضوء والحرارة، وذلك

(1) مجموعة المهر الأسود، "عصفور اللون الأبيض"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 361.

(2) سلسلة "طفل يقرأ"، "نار في البيت المهجور"، يوسف الشريف، الدار العربيّة للكتاب، 1999.

(3) المصدر السابق، ص 14.

(4) سلسلة "قصص ليبيّة للأطفال"، "سنابل الثلج"، يوسف الشريف، الدار العربيّة للكتاب، 1985.

(5) مجموعة حكايات العصافير، حكاية عصفور سافر مع الشمس، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 4.

عندما خاطبت الشمس العصفور قائلة: "لأنَّ حرارتي عالية جداً، أنا أعطي الضوء والحرارة للأرض والقمر، أنا الأم الكبيرة"⁽¹⁾.

كذلك دوران الأرض حول نفسها فينتج عنه ظاهرة الليل والنهار، ودورانها حول الشمس وما تحدثه من ظاهرة الفصول الأربعة، وذلك عندما قالت الشمس: "لكن الأرض تدور في نصفها نهار وفي نصفها الآخر ليل.. الأرض تدور حول نفسها ليأتي الليل والنهار، وتدور حولي لتأتي فصول الربيع والصيف والخريف والشتاء"⁽²⁾.

كذلك تضمنت بعض الحقائق المتعلقة بالحياة البرية في الغابات، وما تضح به من أنواع مختلفة من الحيوانات والطيور، حرص الشريف - على لسان العصفور - على ذكرها مقرونة بأسماء أصواتها، حيث قال: "ذهبتُ مع الشمس إلى غابات بعيدة، رأيت فيها نموراً وأسوداً وأبقاراً وخرافاً ونسوراً وصقوراً، رأيت نعاجاً ترضع حملانها، وذئباً تطارد غزلاناً، وطيوراً تطعم صغارها، سمعت فيها نهيق الحمار، وحوار الثور، وهديل الحمام، وشدو العصافير، وفحيح الأفعى، وثغاء النعجة، وزئير الأسد، وعواء الذئب، ومأمأة الخروف.."⁽³⁾.

أمّا حكاية "عصفور أحبَّ عصفورة"⁽⁴⁾، فقد تضمّنت - أيضاً - بعض الحقائق العلميّة، وتحديدًا الفلكيّة.

ومن هذه الحقائق الفلكيّة: "الآن هو في السماء العالية إنّه لا يراها زرقاء كما يراها وهو على الأرض، وجدها فضاء بلا لون وبلا حدود.."⁽⁵⁾.

كذلك ما ورد على لسان القمر: "أنا أصل لكن ضوء الشمس أقوى وأنا آخذ نوري من ضوءها"⁽⁶⁾، كذلك ما ورد - أيضاً - على لسان القمر: "المنظومة الشمسية هي مجموعة أجرام سماوية تدور حول

(1) المصدر السابق، ص 4.

(2) المصدر السابق، ص 6.

(3) المصدر السابق، ص 8.

(4) حكاية عصفور أحبَّ عصفورة، مصدر سابق، ص 32.

(5) المصدر السابق، ص 34.

(6) حكاية عصفور أحبَّ عصفورة، مصدر السابق، ص 36.

الشمس، وعددها تسعة .. بلوتو أصغرها والشمس أكبرها، والأرض واحدة منها⁽¹⁾، ويستطرد قائلاً:
"الكواكب الأخرى هي: بلوتو وزحل وعطارد والمريخ وأورانوس ولبتون والزهرة والمشتري"⁽²⁾.

كما ذكر القمر حقائق أخرى من خلال خطابه للعصفور، حيث قال: "أنا لا أنصحك بالذهاب إلى بلوتو لأنه بعيد جداً ولا أنصحك بالذهاب إلى الزهرة لأنَّ حرارته عالية جداً، ولا تفكر في الذهاب إلى النجوم لأنها بمئات الملايين، المريخ هو الأقرب"⁽³⁾.

كما قال المريخ إنَّ بلوتو: "هو أبعد كوكب في المنظومة الشمسية، والعلماء يقيسون المسافة بين النجوم والكواكب بالسنوات الضوئية لأنها بعيدة أبعد مما تتخيَّل"⁽⁴⁾، و"تبلغ سرعة الضوء 300 ألف كيلو متر في الثانية"⁽⁵⁾.

كما تضمنت بعض المصطلحات العلمية الفلكية، مثل: المركبة الفضائية، والنيزك، والمذنب، والمجرات.

■ **البيئة النباتية:** اعتنى الشريف من خلال قصصه بالبيئة النباتية، محاولاً خلق جيل واعٍ بأهمية هذه البيئة على الحياة بشكل عام، ومسئولية الجميع في تحسينها والمحافظة عليها، ولا تكاد تخلو سلسلة أو مجموعة قصصية من قصة أو أكثر موضوعها الحفاظ على البيئة النباتية، ففي سلسلة "نوافذ" نجد قصتي: "الحمامة تزرع شجرة"، و"الرجل والشجرة"، وفي سلسلة "طفل يقرأ" نجد قصة: انتقام العصافير"، وفي مجموعة "حكايات قبل النوم" نجد حكايتي: "شجرة التوت"، و"شجيرة بكت"، وفي مجموعة "المهر الأسود" نجد حكاية: "شجرة الزيتون"، و"من يزرع شجرة؟"، و"الشجرة والبستان"، و"زهرة الشتاء"، وفي مجموعة المطر يسقط في الصحراء" نجد قصة: "المطر يسقط في الصحراء"، و"عاشور يقطع الأشجار"، ولم تكن عناية الشريف بالبيئة النباتية من خلال إبداعه فقط بل كانت -

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق، ص 36-37.

(4) المصدر السابق، ص 38.

(5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

أيضاً - من خلال بعض قصصه المترجمة^(*)، ومن القصص التي تضمّنت عنايته بالبيئة النباتية: حكاية "شجرة الزيتون"⁽¹⁾: بطله هذه الحكاية - كما هو واضح من العنوان - هي شجرة الزيتون التي لها مكانة كبيرة خاصة في منطقة حوض البحر المتوسط، وليبيا جزء من هذا الحوض، لكن هذه الشجرة كغيرها من الأشجار تتعرّض لمشاكل كثيرة؛ بسبب ظاهرة التصحرّ أو ما يُعرف بالزحف الصحراوي.

صوّر الشريف صراع شجرة الزيتون مع هذه البيئة القاسية وصمودها في وجه كل التحديات خاصة تلك الرياح الجنوبية العاصفة، حتى انتصرت ببقائها شامخة في قلب الصحراء التي سرعان ما تحولت إلى أرض خضراء، واختفت الكثبان الرملية وولت رياح الجنوب القاسية هاربة، وبسقوط الأمطار اختفت كل مظاهر التصحر.

أمّا حكاية "الشجرة والبستان"⁽²⁾، فإنّها تصوّر أهميّة الأشجار بشكل عام، فهي ملاذ للطيور والعصافير، هذا ما عبّرت عنه هذه العبارة: "الشجرة الكبيرة تسكنها العصافير الصغيرة فهي بيتها تحميها من البرد شتاءً وتحميها من الحر صيفاً..⁽³⁾، كما أنّ هذه الشجرة "يحبها كل من في القرية يحبها الكبار ويستظلون بظلها في أيام الصيف الحارقة، يحبها الصغار ويلعبون فيها ويلعبون عصافيرها، ويعلقون على فروعها أراجيحهم، لكنهم لم يهدموا عشاً أو يجرحوا عصفوراً"⁽⁴⁾، لكن صاحب البستان حرم تلك العصافير كما حرم أهل القرية من تلك الشجرة الكبيرة، حيث قام بقطعها ليعمل من أغصانها سياجاً لبستانه، لكن تلك العصافير انتقمت منه وهجمت على بستانه وأكلت كل ثماره.

(*) في "حكاية رجل يكره الأشجار" وهي إحدى الحكايات المترجمة في مجموعة حكايات قبل النوم، تضمنت صمود الأشجار التي حاول أحد الأشرار أن يقضي عليها بشتى الطرق، لكنه في النهاية سقط ميتاً وبقيت الأشجار شامخة، ينظر: ص 85-86.

(1) مجموعة المهر الأسود، حكاية شجرة الزيتون، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 47.

(2) مجموعة المهر الأسود، حكاية الشجرة والبستان، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 193.

(3) المصدر السابق، ص 195.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

يبين الشريف من خلال حكايته أنّ التعدي على الأشجار إنما هو تعدي على العصافير كما هو تعدي على الناس.

أمّا حكاية "حمامة تزرع شجرة"⁽¹⁾، فهي تجيب على بعض التساؤلات التي يستثيرها الكاتب من خلال هذا العنوان، فهي تجيب القارئ الصغير على سؤال مؤداه: لماذا تزرع الحمامة شجرة؟ وبهذا الجواب يعرف أهمية البيئة النباتية المتمثلة في الأشجار وتأثيرها على البيئة الحيوانية وخصوصاً الطيور.

كما تجيب هذه الحكاية على سؤال آخر مؤداه: كيف تتم زراعة الأشجار؟ والإجابة - هنا - تدخل في الجانب المعرفي أو العلمي للحكاية.

ربما أراد الكاتب استثارة همم القراء الصغار ليسهموا بزراعة الأشجار صغاراً أو عندما يكبرون، بعد أن تكون ثقافة الحفاظ على البيئة النباتية والإسهام بتحسينها قد عُرس فيهم منذ الصغر.

أمّا حكاية "شجرة التوت"⁽²⁾، فقد تحقق ما أراد الكاتب من حكايته السابقة، فبطل الحكاية الصغير، أحبّ الأشجار بعد أن قرأ كتاباً عن الأشجار أهداه له والده، وأراد أن يزرع شجرة توت، حتى يأكلوا ثمارها ويستظلون بظلها، لكنه لم يجد مكاناً لأنّ ليس لبيتهم فناء، فأشار عليه والده بأن يقوم بزراعتها في فناء مدرسته، وقد شجعه معلمه على ذلك، واشترى له والده مجرفة وشتلة توت صغيرة فزرعها في فناء المدرسة، وتعهدها بالعناية والري حتى كبرت، واحتذى به سائر زملائه فعزموا على أن يزرع كل منهم شجرة في فناء المدرسة.

هدف الكاتب من هذه الحكاية هو الهدف ذاته في الحكاية السابقة، وهو خلق جيل واعٍ بأهمية البيئة النباتية، والمساهمة في الحفاظ عليها وتحسينها بزراعة الأشجار التي تتلاءم مع الظروف المناخية لليبيا.

أمّا حكاية "شجيرة بكت"، فهي تتضمن كيفية العناية بالشجيرات الصغيرة إذا تعرّضت للكسر، فبطلة القصة شجيرة صغيرة هبت عليها رياح قويّة فكسرت ساقها، ومن خلال الحوار المتخيّل بين الشجيرة الباكية والرياح ثم بين الشجيرة الصغيرة والولد، الذي هبّ لمساعدة الشجيرة ومحاولة مساعدتها حتى ترجع كما كانت، فذهب ليحضر ما يحتاجه من مواد يجبر بها كسر الشجيرة، فعندما

(1) سلسلة نوافذ، قصة الحمامة تزرع شجرة، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) مجموعة حكايات قبل النوم، حكاية شجرة التوت، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 57.

ذهب إلى النجار لجلب قطعة خشب طويلة سارع النجار بإعطائه قطعة الخشب بمجرد معرفته السبب، كذلك فعل الخياط عندما طلب منه خيطاً ليربط به الشجيرة المكسورة، واستجاب بائع الشبائك عندما طلب منه شباك معدني ليسيج به الشجيرة ليحميها من الكسر عندما تهب الرياح ثانية، وأخيراً عاد الولد الصغير إلى الشجيرة الصغيرة وعرس قطعة الخشب جنبها ولف الخيط حول الشجيرة الصغيرة وقطعة الخشب، ثم حفر حفرة حول الشجيرة ووضع فيها الشباك المعدني حيث صنع سياجاً يحمي الشجيرة من الرياح عندما تهب.

نلاحظ أنّ الشريف ذكر كيفية الاعتناء بالشجيرات الصغيرة عندما تتعرض للكسر بالتفصيل وكأنّه يهدف إلى تحفيز القراء الصغار بأن يبادروا بالعناية بالأشجار ولا يكتفوا بعدم قطعها والإضرار بها فقط.

■ **البيئة الحيوانية:** وعى الشريف مبكراً أهمية البيئة الحيوانية، وعدم التعدي عليها دون سبب مقنع، هذا ما ذكره في أيامه الجنوبية، فقد استغرب ما فعله السائق عندما أوقف سيارته في وسط الصحراء ليقتل ثعلباً ويرمي جثته في الصحراء وكأنّه حقّق انتصاراً باهراً!⁽¹⁾.

ويمكن القول إنّ أكثر قصص الشريف التي اشتركت الشخصيات الإنسانية والحيوانية في بطولتها كانت تتضمن فكرة الرفق بالحيوان.

وقد تناول الشريف هذا الموضوع في عدد لا بأس به من قصصه، ففي مجموعة "حكايات قبل النوم نجد حكاية "الغزال الأبيض"، وحكاية "عبد الله الصغير"، وفي مجموعة "المهر الأسود" نجد قصة "أبي لا يعرف أين يذهب الحمام"، و"وهكذا طار الحمام"، و"العصفور الأبيض"، و"سميرة وسمية"، وقصة غريبة، و"الصبي والحمامة"، و"المهر الأسود"، وفي مجموعة "حكايات العصافير" نجد حكاية "عصفور على زجاج نافذتي"، ومن القصص المفردة نجد قصة "صديقان"، أمّا مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان" فهي تجمع بين التعرّف على بعض طبائع بعض الحيوانات المستأنسة وبين الرفق بها.

ولا شك أنّ الحياة البرية مهمة لما يُعرف بالتوازن البيئي، وكل الدول المتقدمة تسعى إلى الحفاظ عليها من الانقراض، فهي شريكة الإنسان على هذا الكوكب وينبغي علينا احترام وجودها، فهي خلقت لتسخر لفائدة الإنسان ووجودها يدعم حياته بشكل أو بآخر، وتمثّل قصة "المهر الأسود" نموذجاً للتعاطف مع الحيوانات المفترسة.

(1) ينظر: الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 18-19.

تناول الشريف هذه القصة بأسلوب خيالي، فأبطال القصة هم: ولد اسمه "أسامة" ومهره الأسود وذئب، كان الأصدقاء الثلاثة يلتقون على أطراف إحدى الغابات، فيقضون أوقاتاً ممتعة باللعب والمرح، حتى أوشى بهم أحد الصيادين حيث ذهب إلى والد أسامة مدعياً أنّ الذئب قد هاجم ابنه أسامة، وفي أحد الأيام ذهب أسامة ومهره الأسود إلى إحدى المسابقات، جاء الذئب إلى المكان الذي تعود الالتقاء فيه بصديقيه، لكن الصياد ووالد أسامة كانا له بالمرصاد، حاول الذئب الهرب لكن والد أسامة عاجله برصاصة فأرداه قتيلاً، وحمل جثته معه إلى القرية.

عاد أسامة ومهره إلى القرية، فوجدا صديقيهما الذئب جثة هامدة، وعرفا أنّ الصياد الذي كان واقفاً غير بعيد هو السبب، بكيا بحرقة، وأخذت المهر حالة من الهياج والصراخ، وحاول مهاجمة الصياد، حمل أسامة جثة الذئب ووضعها على ظهر المهر، وذهبا إلى الغابة البعيدة إلى حيث أهله وأصدقائه، عبّر الشريف عن امتعاضه واستهجانته ممن يقومون بقتل هذه الحيوانات، وذلك على لسان أسامة عندما قال لمهره الأسود: "هؤلاء هم أصدقاؤك الحقيقيون يا صديقي؟ ستبقى معهم، لأنّ الحيوانات المفترسة تعيش في القرية، ولا تعيش في الغابات البعيدة .. سأزورك كل يوم .. وداعاً يا أوفى صديق"⁽¹⁾.

وفي مجموعته حكايات للأطفال من حياة الحيوان⁽²⁾، حكايات واقعية قصد بها الكاتب التعرف من خلالها على بعض الحيوانات وطبائعها وحياتها، التي تدل على تمتعها بشيء من الذكاء والفهم.

2. الواقع الاجتماعي:

■ الأسرة: حكاية "هدية عيد الميلاد"⁽³⁾ تقدّم من خلال بطلها نموذجاً، لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الأبناء وأمهاتهم من السمو والمحبة والعتاء، فبطل القصة كان حريصاً على تقديم هدية صغيرة لأمه في عيد ميلادها، لكنه لا يملك المال لشرائها، واستولى عليه الحزن والتفكير حتى لاحظت معلمته ذلك، بعد رجوعه من المدرسة ذهب إلى دكان يبيع المصوغات الفضية، أعجبه قرطٌ فضي صغيرٌ على شكل عصفورين! تمنى لو كان عنده مال ليشتريه لأمه، عرض عليه التاجر أن يساعده في ترتيب بعض الأشياء نظير هذا القرط الفضي، فرح الولد وقام بعمل ما طلبه منه التاجر، بعدما انتهى أعطاه التاجر

(1) مجموعة المهر الأسود، قصة "المهر الأسود"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 327.

(2) ينظر: مجموعة حكايات للأطفال من حياة الحيوان، يوسف الشريف، مصدر سابق، 2014.

(3) سلسلة نوافذ، قصة "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

القرط، انطلق الولد يعدو والسعادة تغمره، وتمنى أن لو كان له جناحان حتى يصل إلى أمه بسرعة ليقدم لها الهدية.

■ **الأصدقاء:** في قصة "طائرة الورق تجمع الأصدقاء"⁽¹⁾ تصوير لما يحدث بين الأصدقاء - في كثير من الأحيان - من خلافات، كما تصوّر الدور الإيجابي للأهل في نصح أبنائهم لاحترام بعضهم وعدم الإمعان في الخصومة والخلاف.

هذا ما كانت عليه أمهات أبطال هذه الحكاية، وهم مجموعة من الأصدقاء الصغار، الذين حدث بينهم ذات يوم اختلاف، فقامت كل أم بنصح ابنها وتوجيهه لمحبة زملائه واللعب معاً. ذات يوم كان هناك سباق للطائرات الورقية، ذهب الأصدقاء الثلاثة إلى الساحة منفردين، وكل واحد معه طائرته، أطلق كل واحد منهم طائرته، لكن طائرات الأصدقاء الثلاثة تشابكت مع بعضها وارتفعت عالياً، وكانت أكثر الطائرات علواً، أعلن الحكم فوز طائرات الأصدقاء الثلاثة، وهلل الأطفال، سحب كل واحد منهم طائرته واجتمعوا وتعانقوا بسعادة.

3. الواقع الثقافي:

■ **العناية التربوية:** تتضمن أغلب قصص الشريف قيماً أخلاقية، يهدف إلى غرسها في نفوس النشء، لأنّ تخلّق المجتمع بالقيم الأخلاقية الحميدة هو ضمان لرفي أي مجتمع وصلاحه.

وفي هذا المقام سأتناول بعض النماذج القصصية التي تضمّنت بعضاً من القيم التي حرص الشريف على نشرها: قصة "أم السعد وولدها الكذاب"⁽²⁾، تصوّر للقارئ الصغير الذي قد يستهويه عدم ذكر الحقيقة، بأنّه سيكون أول المتضررين جرّاء الكذب، وبأنّ الكذب خلق مذموم ليس فقط في الديانات السماوية بل في كل الثقافات والمجتمعات الإنسانية.

وفي قصة "أنا لا أعتذر"⁽³⁾، حاول الشريف من خلال هذه القصة غرس ثقافة الاعتذار عند النشء، فالجميع يخطئ ولكن ينبغي للمخطئ أن يعتذر، وتغيير الفكرة السائدة عند بعض الناس بأن الاعتذار ضعف ومهانة.

(1) مجموعة المهر الأسود، "طائرة الورق تجمع الأصدقاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 99.

(2) سلسلة قصص ليبيبة للأطفال، أم السعد وولدها الكذاب، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(3) مجموعة المهر الأسود، "أنا لا أعتذر"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 137.

ربما لهذا السبب امتنع بطل القصة "أيمن" عن الاعتذار عندما ارتكب بعض الأخطاء التي حذرتة أمه من ارتكابها.

لم يفتن أيمن لأهمية الاعتذار عند الخطأ، إلا عندما أخطأ زميله أنس في حقه بتمزيق كتابه، حيث طلبت المعلمة من أنس الاعتذار من زميله أيمن.

في هذا الموقف تذكر أيمن خطأه في حق أمه، بإصراره على عدم الاعتذار لها، فأخذ يبكي ندماً دون أن يعرف الجميع سبب بكائه.

وقصة "درس كل يوم"⁽¹⁾، تحمل المعنى ذاته، ففي الفصل أخطأت أسماء بضحكها ساخرة من قراءة حمزة، الذي ردّ على سخريتها منه بضربها، لكن تدخل المعلمة أنهى هذا الخلاف باعتذارهما لبعضهما أمام الجميع.

■ **التَّعليم:** في مجموعة من حكايات الحروف⁽²⁾، هدفَ الشريف إلى المعرفة اللغوية، من خلال هذه المجموعة التي أبطالها – كما يتضح من عنوانها – الحروف العربيَّة الهجائيَّة، ففي كل حكاية يعرف القارئ الصغير كيف أنَّ خروج حرف معيَّن من الكلمة يؤدِّي إلى اختلالها وفقدانها لمعناها.

كل ذلك حاول الشريف إيصاله للقارئ الصغير بأسلوب محبَّب، بعيداً عن الملل، الذي يصاحب عادةً النصوص العلميَّة والمعرفيَّة الصرفة.

كما تضمَّنت هذه الحكايات الكثير من المعلومات، ففي الحكاية الأولى ذكر الكاتب أسماء بعض الحيوانات وأسماء أصواتها، إضافة إلى ذكره لعدد كبير من الكلمات التي تبدأ بالحرف البطل في كل حكاية، كما تضمَّنت بعض الحكايات مرادفات للكلمات التي تبدأ بالحرف البطل، لكنها لا تبدأ بالحرف نفسه، كما أوضح في إحدى حكاياته الحروف القمريَّة والحروف الشمسيَّة، كما ذكر مصطلحات لغويَّة أخرى، مثل: حروف الجر والحروف الأبجديَّة.

ختم الشريف معظم هذه الحكايات بمعجم للكلمات، يتضمَّن الكلمات التي وردت في الحكاية ويبدأ بها الحرف البطل مقرونة بمعناها.

■ **الفكاهة والتَّسلية:** لا يمكن لأي قصة أو حكاية أن تجذب القارئ الصغير ما لم يجد فيها ما يمتعته ويثيره، كما قد لا تخلو بعض قصص الفكاهة والتَّسلية من قيمة ما.

(1) سلسلة طفل يقرأ، درس كل يوم، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) مجموعة من حكايات الحروف، يوسف الشريف، منشورات مجلة المؤتمر، ط 1، 2003.

على الأقل ينبغي ألا تكون الفكاهة والتسلية من مدخل غير تربوي أو أخلاقي، كما هو الحال في قصة "الحجر والعصا"⁽¹⁾، التي صوّر فيها الشريف مشرف المدرسة في صورة مزرية، فهو محل سخريّة التلاميذ واعتدائهم، كما أنّ المشرف واجه كل ذلك بأساليب غير تربويّة كالضرب مثلاً.

أمّا قصة "الملعقة العجيبة"⁽²⁾، فهي تجمع بين الفكاهة والتسلية ونقل قيمة أراد الشريف إيصالها إلى القارئ الصغير. فالقطة الصغيرة "بوسي" كانت تخفي الملاعق في تراب الحديقة لأنّها كانت ترفض استخدام الملاعقة عند الأكل.

ذات يوم ذهبت بوسي مع والدتها إلى حفل قُدّم فيه طعام كثير وشهي، أخرج الجميع ملاعقهم وأكلوا وهم سعداء بالطعام اللذيذ، أما بوسي فلم يكن معها ملعقة، فأكلت بيدها فسقط الطعام على ملابسها وضحك الجميع منها.

فغادرت الحفل وهي جائعة وحزينة، كما كانت أمها - أيضاً - لأنّ ابنتها لم تستخدم الملاعق التي اشترتها لها.

عندما دخلت بوسي إلى غرفتها وجدت جميع الملاعق التي أخفتها في تراب الحديقة ترقص على سريرها، من ذلك اليوم صارت هواية بوسي جمع الملاعق من كل الأحجام، حتى أطلق عليها الناس "الآنسة ملعقة".

(1) مجموعة المهر الأسود، "الحجر والعصا"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 33.

(2) مجموعة حكايات قبل النوم، الملعقة العجيبة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 149.

المبحث الرابع

مراحل إبداع القصة وتطوره عند يوسف الشريف

لا تختلف مراحل إبداع القصة وتطوره عند الشريف عن تطوره في ليبيا بشكل عام، وذلك لامتداد ابداعه القصصي للأطفال لسنوات مديدة، فبداية إصداره لأول نتاج قصصي للأطفال في مجلة الأمل ليست ببعيدة عن أول نتاج قصصي في ليبيا الذي كان بتوقيع "الزكرة" متمثلاً في قصتيه (الفلاح السعيد)، و(بوبي الظريف) وذلك في سنة 1970 م، وبهذا فقد واكب الإرهاصات الأولى للكتابة للطفل، كما أنّ الشريف عاصر المراحل التالية إلى يومنا هذا، حيث أصدر خلال هذه المراحل عدداً كبيراً من القصص؛ لذا يمكن اعتباره نموذجاً لنشأة الفن القصصي الموجّه للأطفال وتطوره في ليبيا، وتنقسم مراحل إبداع قصص الأطفال لدى يوسف الشريف إلى ثلاث مراحل، كل مرحلة لها ما يميّزها عن غيرها، ومع هذا ليس من السهل أن نجد حدّاً فاصلاً بين كل مرحلة وأخرى، فكل مرحلة تشبه بداياتها المرحلة السابقة لها، مع وجود إضافات جديدة سواء في الشكل أو في المضمون، كما أنّ هذا التطور ليس نتيجة لخبرة الكاتب فحسب وإنما هناك عوامل خارجية أخرى سواء كانت إيجابية فتسمح بالتطور الطبيعي لنتاج كاتب ما، كوجود المؤسسات الثقافية المشجعة مادياً ومعنوياً لمثل هذا الإبداع، أو عوامل سلبية تكبح هذا التطور، كافتقار المجتمع للمؤسسات الواعية لضرورة رعاية الأطفال ثقافياً، وعند التأمل في واقع الحال في ليبيا نجد أنّ هذا الأمر مرهون بوعي بعض الأشخاص ولا وجود لمؤسسات عريقة تتحمّل عبء هذا الجانب الخطير الخاص بثقافة شريحة حساسة من شرائح المجتمع هي شريحة الأطفال.

أولاً: مرحلة البدايات: من سنة 1974 م – 1978 م:

إنّ باكورة نتاج الشريف القصصي للأطفال كانت مع نشره عشر قصص في مجلة الأمل سنة 1974 م⁽¹⁾، أمّا أول إصدار مستقل له فكان سلسلة "قصص لبيبة للأطفال"، وذلك سنة 1977 م^(*)، وقد دُعمت جميع قصص السلسلة بالرسوم المصاحبة الملونة التي قام بتنفيذها أكثر من فنّان.

ظهرت هذه السلسلة بلونها الأزرق وورقها الصقيل، وحجمها الكبير، تتكوّن كل قصة من ست عشرة صفحة، غير مرقّمة الصفحات، وقد دُوّن عليها دار النشر دون ذكر لتاريخه، أو رقم الطبعة، كما لم

(1) ينظر: دراسات في الطفولة، "الكتاب الثالث"، يوسف الشريف، مرجع سابق، ص 97.
(* سبق ذكر السلاسل والمجموعات القصصية بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الثاني.

تدوّن عليها المرحلة العمرية الموجهة إليها، وهي تمثّل واحدة من ثلاث سلاسل صدرت بالعنوان ذاته، وهذه السلسلة تمثل المرحلة الأولى لقصص الشريف للأطفال.

ورغم أنّها ظهرت في بدايات النشر الرسمي في ليبيا، فإنّ طباعتها راقية مقارنة بالموجود في فترة السبعينيات⁽¹⁾. وحمل شكل القصة نموذجاً خاصاً، يجسد جزءاً من التفكير التربوي الموجه إلى الطفل في ليبيا في تلك الفترة، وقد صاحبت القصة رسومات معبرة بصورة جذابة تروق لذوق الطفل، وهذا مظهر من مظاهر التقنية في إعداد القصة إعداداً تربوياً. وإن كان الخط قد كُتب باليد فإنّه قد روعي فيه تناسب الكلمات مع بعضها، ورسم الأسطر والفواصل وعلامات التنصيص للحوار، وعلامات التأثير كالتعجب والسؤال وغيرها، كما ضُبّطت الكلمات بالشكل. ويمكن تصنيف قصص هذه السلسلة وسائر قصص الشريف الموجهة للأطفال إلى نوع القصة القصيرة محدودة الأحداث. أما على مستوى مضامينها، فهي متنوّعة منها ما ينتمي إلى قصص الحيوان، ومنها ما هو اجتماعي، ومنها ما هو تربوي، ومنها الوطني.. وقد أخذت شكلاً موحداً في كافة عناوينها، حتى تشكّل في ذهن الطفل تناسباً بين الشكل والمضمون، وحظيت بتجليد فاخر مقوّى، به صورة غلاف تصف جزءاً من واقع أحداثها الدرامية، الأمر الذي يبعث لدى الطفل رغبة اقتناء كل أجزاءها.

أما أهم ما اتّسمت به قصص هذه المرحلة:

- اعتمد الكاتب في هذه المرحلة على عدّة مصادر، منها:

1. اعتماده في بعض قصصه وحكاياته على الموروث الشعبي من خلال كتاب محمد حقيق، كما وثّق الكاتب ذلك على بعض تلك القصص، وذكره بعض الباحثين⁽²⁾.

2. تأثره بالكاتبة خديجة الجهمي، حيث كانت تقترح عليه بعض الموضوعات ليحوّلها لقصص وحكايات للأطفال، وساعد على ذلك وجودهما معاً في هيئة تحرير "مجلة الأمل"⁽³⁾.

- ظهرت الشخصيات بالأزياء التقليدية في المجتمع الليبي كقصة "الراعي الشجاع"، أو الأزياء التراثية القديمة كما في قصة "ابنة الراعي"، وقصة "سعد وسعيد ومسعود".

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة"، د. عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 225.
(2) ينظر: سلسلة "قصص ليبية للأطفال" قصة: "ابنة الراعي" يوسف الشريف، د. ترقيم، كما ينظر: النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا (1921 - 2005)، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 258.
(3) ذكر ذلك د. عبد الحميد محمد عامر في برنامج حوار في إذاعة مصراتة المحلية سنة 2016 م.

- كما أنّ نتاجه في هذه المرحلة قليل مقارنة بالمراحل اللاحقة.

ثانياً: مرحلة الترجمة والمحاكاة: من سنة 1979 م - 1999 م:

تمثّل هذه المرحلة بداية تحرره من ظاهرة التقليد، من خلال توجهه إلى ترجمة بعض القصص والحكايات العالمية، لكنّه لم يغفل الجانب العلمي، حيث قدّم بعض المواد العلميّة في شكل سلسلة بعضها علمي مترجم وأدبي من تأليفه.

غير أنّ بدايات هذه المرحلة لا تختلف عن سابقتها شكلاً ومضموناً حيث أصدر سلسلتين بالاسم نفسه هما سلسلة "قصص لبيبة للأطفال" في سنة 1981 م (*).

ظهرت هذه السلسلة بلونها الأخضر بحجم السلسلة السابقة، ولا تتجاوز عدد صفحات كل قصة العشر صفحات، وهي أيضاً غير مرقّمة الصفحات، وقد دُوّن عليها دار النشر وتاريخه، دون ذكر لرقم الطبعة، أو المرحلة العمريّة الموجهة إليها.

أمّا الرسوم المصاحبة فكانت أكثر دقّة وإتقاناً، معبرة عن هوية أبطالها، حيث ظهرت الشخصيات في القصص الوطنية بالزي التقليدي الليبي، كما كانت معبرة عن مواقف القصة وأحداثها، والملاحظ أنّ من قام بالرسوم في جميع قصص هذه السلسلة هو فنان واحد، وهو ما جعلها في المستوى نفسه، في حين تعدّد الرسامون في السلسلة السابقة - كما هو مبين على أغلفة القصص.

أمّا الخط فقد روعي فيه التناسب والتناسق بين الكلمات والأسطر، كما روعيت فيه علامات الترقيم: الدالة على التنصيص، والاستفهام، والتعجب، كما ضُبّطت الكلمات بالشكل.

أمّا مضامين هذه السلسلة فقد كانت أكثر تنوعاً من سابقتها، فبالإضافة إلى قصص الحيوان، والقصص الاجتماعية، والتربوية، والوطنية، أضاف الشريف مضموناً جديداً وهو الرفق بالحيوان، وهو من بوادر التطور على مستوى المضامين.

وقد حظيت - أيضاً - بتجليد فاخر، كما عبّرت صور الغلاف عن جزء من واقع أحداثها الدرامية، أو أبطالها.

(* سبق ذكر السلاسل والمجموعات القصصية بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الثاني).

أمّا السلسلة التالية لما سبق فهي - أيضاً - بعنوان "قصص ليبيّة للأطفال" في سنة 1985 م، صدرت عن الدار العربية للكتاب^(*)، لا تختلف هذه السلسلة عن سابقتها من الناحية الفنية، من حيث الخط، الذي يتسم بالتناسب والتناسق، كما ضبّطت الكلمات بالشكل، كذلك الرسوم المصاحبة التي غطت الصفحات نفسها مع نصوص عن أحداث السلسلة وشخصياتها.

أمّا على مستوى المضامين، فرغم أنها أقلّ السلاسل عدداً من حيث عدد القصص، التي لا تتجاوز الخمس، فإنها تنوّعت بين الاجتماعي، والوطني، والرفق بالحيوان.

وقام الشريف بترجمة سلسلة "من حكايات الشعوب" سنة 1988 م، وهي من ثقافات وشعوب مختلفة، ويذكر (عبد الحميد عامر) أنّه لم يسبقه إلى هذا العمل كاتب آخر⁽¹⁾، ربما رأى الشريف أن يطلع الطفل في ليبيا على ثقافات وعادات بعض الشعوب من حولنا، وتضمّنت هذه السلسلة أربع عشرة قصة من مجموعة من الدول، فمن روسيا ثلاث حكايات هي: "سيرة أيجور إيفانوف"، التي تضمّنت فكرة رئيسة وهي أنّ الغباء والجهل سبب الفقر وضياع فرص النجاح، في حين أنّ التعلّم والاستفادة من التجارب هما الوسيلة لتحسين ظروف الحياة، و"السمة الذهبية"، التي تضمّنت أنّ الجشع يعود على صاحبه بعكس ما كان يتمناه، و"المزارع والأفعى"، تحمل في مضمونها مغزى ضرورة أن يتسلّح الإنسان بالتعلّل والحكمة، التي مثلتها في هذه الحكاية الأفعى، ومن لاوس قصة "رجل كسول جداً"⁽²⁾، سخرت هذه الحكاية بطابعها الفكاهي ممن ينامون حالمين بالغنى دون القيام بعمل يذكر، ومن إنجلترا قصة "الفراس الأخضر"، تتضمن جملة من القيم النبيلة التي يتخلق بها الفرسان، فبالإضافة إلى الشجاعة هناك الوفاء بالعهد، والشرف الذي هو أعلى من الحياة.

ومن أمريكا قصة "الرجل الأزرق من الشمال" تعبّر هذه الحكاية برمزيّتها المتمثلة بالرجل الأزرق الذي كان قبل بضع شهور رجلاً قوياً ولكن الآن هو عجوز ضعيف فهو يمثل الشتاء الذي أوشك على الرحيل، أما الشاب القوي البهي الطلعة فهو يرمز إلى قدوم فصل الربيع بدفته وزهوره، ومن أفريقيا قصة "السيد هنجر والأسد"، يرمز السيد هنجر إلى الجوع، الذي هو أقوى الأقوياء، فهو الوحيد الذي

(*) سبق ذكر السلاسل والمجموعات القصصية بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الثاني.

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة"، د.عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 219.

(2) لم تنشر هذه الحكاية في مجموعة المهر الأسود، إنما وردت في السنة نفسها في مجموعة حكايات قبل النوم.

استطاع أن يقتل الأسد، وكذلك حكاية "المعلم جوزو" تضمّنت فكرة كما هناك أشرار على الأرض هناك أيضاً بشر طيبون منهم المعلم "جوزو"، تشبه هذه الحكاية في صياغتها حكاية "أم بيسي" ، فعندما قتل المعلم جوزو بحثوا عنه، فكان كل شيء يدلُّهم على آخر، حتى توصلوا إلى القاتل، وهو القرد الذي تسلَّق شجرة الجوز الهندي، ليسرق حبة الجوز الكبيرة، فانزلت من بين يديه لنقتل المعلم جوزو الذي كان يجلس تحتها يقرأ، ومن اليابان حكاية "تاما.. تريد زوجاً" تاما وهي فأرة صغيرة وجميلة من عائلة غنيّة وعريقة، كما أنها وحيدة والديها اللذين أرادا تزويجها ممن هو في مستواها، أشار عليهما العجوز الحكيم أن تتجوز من الشمس لأنها قوية، لكن الشمس صرحت بأن السحاب أقوى منها، وهكذا .. وعندما رجعا إلى القصر وجدا تاما تغازل فأراً فاقتنعا أنه هو من يصلح زوجاً لها لأنّه من بني جنسها.

ومن هنود أمريكا حكاية "ابنة النجوم" تضمّنت بطريقة خيالية فكرة الارتباط بالوطن، والاحساس بالغربة خارجه، حتى لو ارتبطت بعلاقات حب في الوطن الجديد، هذا ما حدث لأبنة النجوم التي تزوجت من نسر الذي احبها وتزوجها وانجبا طفلا، لكنها هربت به إلى النجوم، لكن ابنها أيضاً كان شديد التعلق بوالده ووطنه، فذهبت به إلى الأرض، وعندما وافق نسر على الذهاب مع زوجته وابنه إلى النجوم سرعان ما شده الحنين إلى الأرض، فحولها ملك النجوم إلى نسرين حقيقيين، ليعودا إلى الأرض ثانية، ومن أوغندا "كنتو وقانون الحب" وهي حكاية فلسفية تقوم على فكرة أن الحب هو أساس حياة البشر وبه تستقيم ليعم السلام والخير، فلا يبقى بينهم جائع ولا مظلوم لارتباطهم بالحب، فهو القانون الحقيقي الذي بوجوده يختفي الظلم والقتل وكل الشرور.

ومن الصين "جرس الصين العظيم" تقوم على فكرة أنّ الصبر والمثابرة وأيضاً التضحية، هي السبيل للوصول إلى المبتغى، و(تشانج فو- ين والقاضي الحكيم) تحكي القاضي الذي تميّز بالحكمة والدهاء فتوصّل إلى التعرّف على سارق الثوم من المزارع دون أن يكون هناك أي دليل يدل عليه، ومن بولندا (عين الشر)، رغم بعدها عن الواقع فإنها تركز على فكرة مؤدّاه أنّ التسبب في إيذاء الآخرين حتى دون قصد يسبب التعاسة والشقاء لصاحبه، في حين أنّ المحبة وإدخال السعادة على الآخرين هو أيضاً مصدر راحة وسلام على النفس؛ لذا ضحّى بطل الحكاية بعينيه فقلعهما ودفنهما في تراب الحديقة، حتى لا تتسبب بإيذاء من يحبهم خاصة ابنه الذي ولد حديثاً، وعندما اشتد به الشوق لرؤية ابنه، عاد يبحث عنهما ليرى ابنه وعندما وجدتهما كان ضحية عينه الشريرة فمات.

لم يدوّن الشريف الكاتب الأصلي لهذه الحكايات، في مجموعة المهر الأسود، كما يبدو أنه لم يدوّنه على سلسلة "من حكايات الشعوب"؛ لأنّها حكايات شعبية ليس لها كاتب محدّد⁽¹⁾.

وقد سخرت هذه الحكايات من بعض الصفات والعادات السيئة في الإنسان، مثل: الكسل والطمع والغباء والجهل وغير ذلك، كما صورت القيم الإنسانية الرفيعة تصويراً جميلاً.

ووصف (عبد الحميد عامر) شكل هذه السلسلة قائلاً: "فصدرت في شكلها الحديث الذي يهتم بقيمة الكتاب المنشور، وكانت هذه القصص مصحوبة برسومات، وخطوط تتناسب مستوى الخطاب الموجّه إلى الطفل على الرغم من أنّه لم يحدّد سن الطفل الموجّه إليه"⁽²⁾، وقد قام بتنفيذ رسوم هذه السلسلة "حسين غابة"⁽³⁾.

كما ينبغي التنويه _ هنا _ أنني لم أتحصّل على هذه السلسلة بطبعتها الأولى، غير أنني قد أطلّعت عليها كاملة مع قصص مترجمة أخرى، ضمن مجموعة "المهر الأسود"⁽⁴⁾ - كما ذكرت سابقاً - ولم يتوقف الشريف عن الترجمة، فقد ضمّن مجموعته "حكايات قبل النوم" التي أصدرها سنة 2006 م بعض الحكايات والقصص المترجمة، منها ما نشر لأول مرة، ومنها ما سبق نشره في سلسلة "من حكايات الشعوب"، مثل حكاية "رجل كسول جداً"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين، د. فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 142.

(2) أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة"، د. عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 219 - 220.

(3) ينظر: النتاج الفكري للأطفال في ليبيا (1921 - 2005)، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 260.

(4) ينظر: مجموعة "المهر الأسود"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 365 - 511.

(5) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، حكاية رجل كسول جداً، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 79.

وظهرت المحاكاة جليّة في المزوجة بين ما هو مترجم ومؤلف في بعض سلسله كما في سلسلة "توافذ" سنة 1998 م^(*)، التي صدرت عن مكتبة طرابلس العلميّة العالميّة^(**)، وتتضمّن ثمان وعشرين قصة، أغلبها ذات طابع علمي، وهي خليط من القصص التي قام الشريف بترجمة بعضها وأخرى من تأليفه، والنصوص المترجمة، منها ما كان موضوعها بعض الظواهر العلميّة، مثل: البرق، والمناخ والطقس، والهواء، ولماذا لا نسقط، ومنها ما كان موضوعها عالم الفلك والطبيعة، مثل: الشمس، وسحر الطبيعة، وأصغر الأشياء، والقمر، وهذه الكرة، والنجوم، وأرقام، ومنها ما كان موضوعها عالم النبات، مثل: شجرة في شجرة، وأشجار بلا بذور، والأشجار، ومنها ما كان موضوعها عالم الحيوان، مثل: الحيوان الذي ذهب إلى البحر، وحيوان عجيب، والأجنحة.

إنّ النصوص المترجمة في هذه السلسلة لا يمكن أن نطلق عليها قصصاً علميّة، فهي لا تمتلك الخصائص الفنيّة التي يميّز بها فن القص، فهي عبارة عن مادة علميّة صرفة كُتبت بأسلوب واضح يناسب الأطفال في مرحلة الطفولة المتوسطة لتعرّفهم ببعض الظواهر والكائنات الحيوانيّة والنباتيّة من حولهم.

وسأتناول بالتحليل نماذج من تلك المرحلة التي تشتمل على بعض الظواهر الطبيعيّة، وعالم الحيوان، وعالم النبات:

(*) هناك تضارب واضح في تحديد تاريخ نشر هذه السلسلة، فقد أشارت أسماء الأسطى إلى أنها نُشرت سنة 1998 م، ينظر: النتاج الفكري للأطفال في ليبيا (1921 - 2005)، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، ص 208 - 213، في حين رجّح د. عبد الحميد محمد عامر إلى أنها نُشرت خلال عامي 1996 - 1997 م، بناء على ما تشير إليه قائمة النشر الخاصة بمنشورات الدار التي تولّت إصدارها، ينظر: أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة"، د. عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 220.

(**) سبق ذكر السلسل والمجموعات القصصية بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الثاني.

نموذج من بعض الظواهر الطبيعية:

■ كتاب "البرق"⁽¹⁾: بدأ الكاتب كتابه هذا متسائلاً: "ماذا تعرف عن البرق؟ وماذا تعرف عن الرعد؟"، ليلفت نظر القارئ الصغير، ثم استطرده في الإجابة على هذا السؤال بقوله: "إنَّ البرق يشبه ضوءَ المصباح الكهربائي فالومضة الواحدة تعادل عشرين مرةً قوةَ الكهرباء التي نعرفها. فعندما تتكثَّف الرطوبة في الجو على ذرَّة صغيرة من الغبار وتتحوَّل إلى ماءٍ. فإنَّ القطرة الواحدة تُشحن بالكهرباء نتيجة الاحتكاك.. وهذه القطرات هي التي تتجمَّع وتصبح مطراً. إذا ما برد الهواء. إلا أنَّ كمية من الكهرباء لا تبقى في قطرات الماء وذلك لعدم وجود مكان لها. وعندما تتخلَّص ملايين القطرات من هذه الكمية الزائدة فإنَّ الكهرباء المنطلقة من ملايين القطرات تتجمَّع مع بعضها في ومضة كبيرة واحدة. نشاهدها، وهذا هو البرق، هذه الومضة ما هي إلا تجمُّع ملايين وملايين من الومضات التي لا نراها.."⁽²⁾.

ويستمر الكاتب ذاكراً الكثير من الأمور المتعلقة بهذه الظاهرة، مثل ما يسبِّبه البرق من أخطار على الأرض إذا ما انتقلت الصواعق إليها، وأكثر الأماكن أماناً عند حدوث العواصف الرعدية، وارتباط البرق بظاهرة أخرى هي الرعد وكيفية حدوثه، وكيفية حساب بعد البرق عنَّا، ولون السحب الرعدية وبعدها عن الأرض، وقدرة رجال الفضاء على الطيران فوق هذه السحب ومشاهدة البرق أيضاً، وقبل معرفة الإنسان لحقيقة هذه الظواهر كانت الخرافات هي السائدة لعجز الإنسان قديماً عن حل ألغازها، ولكن بفضل التقدم العلمي تمَّ حل تلك الألغاز فلا حاجة للإنسان اليوم لتلك الخرافات⁽³⁾، وتصاحب كل هذه المعلومات رسوم إيضاحية.

(1) سلسلة نوافذ، البرق، ترجمة يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص 2، 4.

(3) المصدر السابق، ص 4-15.

نموذج ممّا ترجمه عن عالم الحيوان:

■ كتاب "حيوان عجيب"⁽¹⁾: ويقصد به الديناصور، وصف الكاتب هذا الحيوان المنقرض بأنّه عجيب وأنّه أغرب حيوان عاش على الأرض، وأنّ هذا الحيوان انقرض منذ زمن بعيد، ولم يُعرَف السبب الحقيقي لانقراضه.

شرح الكاتب حديثه عن هذا الحيوان بقوله: "الديناصور.. أغرب حيوان عاش على الأرض.. وفي زمنٍ ما كان يحكم الأرض كلها.. وهو من الحيوانات ذات الدم البارد مثل التماسيح والأفاعي، بعضها عملاق أكبر من اثني عشر فيلاً، طوله ثلاثون قدماً ورقبته طويلة مثل أفعى وله ذيل طوله عشرون قدماً، ورؤوسها صغيرة".

ثم استنرد الكاتب في ذكر أنواعها وأشكالها، وبين أنّ كل المعلومات التي ذكرها عن هذا الحيوان حقيقة، فقد وجد العلماء هياكلها العظمية كما وجدوا آثار أقدامها المتحجرة، التي استنتجوا من خلالها مواصفاتها الشكلية وسرعتها وطعامها، كما ذكر الكاتب أنّ الديناصورات عاشت في عصر يسمّى عصر الزواحف، قدّر العلماء بنحو مائتي مليون سنة، وانتهت هذه الحقبة منذ ستين مليون سنة.

وينتهي الكاتب إلى أنّ مناخ الأرض في الزمن الذي عاش فيه الديناصور كان دافئاً ورطباً في كل مكان، كما أنّ الجبال والغابات لم تكن موجودة؛ ممّا سهّل انتقالها من مكان إلى آخر، ولهذا السبب تمّ اكتشاف بقايا الديناصورات في أكثر من مكان في العالم.

نموذج ممّا ترجمه عن عالم النبات:

* كتاب "أشجار بلا بذور"⁽²⁾: بدأ الكاتب بقوله: "يسود الاعتقاد أنّ النباتات كانت في الأصل بذوراً، ثم أِينعت ونمت وأصبحت نباتاً، لكن في الواقع هناك طرق كثيرة غير هذه الطريقة فأنت تستطيع أن تستخرج نباتاً من الجذور ومن الجذع والساق بل من الأوراق أيضاً".

(1) سلسلة نوافذ، "حيوان عجيب"، ترجمة يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) ينظر: سلسلة نوافذ، "أشجار بلا بذور"، رقم 13، ترجمة يوسف الشريف، مصدر سابق.

ثم يستطرد الكاتب في شرح طرق استخراج النباتات، فإذا أردت أن تنبت نباتاً جديداً من الجذر لا بد أن يتوفر على كمية الطعام اللازمة لأنَّ النبتة الجديدة تحتاج إلى طعام لتنمو، فمن حبة البطاطا يمكن استخراج نبات أخضر متعرّش يمتدُّ إلى ما لا نهاية ..

كذلك وضَّح الكاتب طريقة استنبات بعض النباتات عن طريق السوق واستنباتها عن طريق الأوراق، ويسهب الكاتب فشرح الطرق الثلاثة موضحاً ذلك بالرسوم التوضيحية.

وينتهي إلى دعوة القارئ الصغير إذا كان مهتماً باستخراج نباتات جديدة من نبات قديم، وذلك بقوله: "اقرأ عن النباتات وأنواعها وقم بالتجارب في البيت أو المدرسة، وستكتشف طرقاً جديدة تجعل النبات ينمو من ورقة أو من ساق نبات آخر، حاول إنَّ المحاولة نصف النجاح".

وفي السنة التي تليها أصدر سلسلة "طفل يقرأ"، صدرت عن الدار العربية للكتاب سنة 1999 م، وتضم خمسة عشر عنواناً، منها قصيدة واحدة بعنوان: أغنية لبلادي، والباقي مجموعة قصص قصيرة(*) .

أمّا أهم ما اتّسمت به قصص هذه المرحلة:

- صدرت السلسلتان الأولى والثانية في هذه المرحلة وكأنتهما امتداد للمرحلة السابقة لها، فقد ظهرت بالاسم نفسه وبالشكل نفسه وبالمضامين التقليديّة نفسها.
- تنوّع المضامين والأفكار في هذه المرحلة، فمنها التربوي والمعرفي، والبيئي، والرفق بالحيوان.
- ظهرت شخصيات بعض القصص في هذه المرحلة بأزياء مخالفة لتقاليد المجتمع الليبي وقيمه.
- غزارة الإنتاج وتنوعه مقارنةً بالمرحلة السابقة لها.
- إصداره لأوّل عمل قصصي مترجم.
- صدور جميع قصص هذه المرحلة في شكل سلاسل؛ ممّا كان له الأثر الإيجابي على الرسوم المصاحبة، حيث وفرّ لها المساحة الكافية.

(*) سبق ذكر السلاسل والمجموعات القصصية بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الثاني.

- مزج الشريف في بعض مجموعاته وسلاسله بين الهدف التعليمي والتربوي، ليضيف عليها الهدف اللُّغوي وهي بداية ابتكاره في تثقيف الطفل لغوياً بمجموعة من المفردات التي جاءت على أنماط ثلاثة أسماها الرصيد اللغوي في نهاية كل قصة من سلسلة "طفل يقرأ"، فالنمط الأول، يأتي على نحو يشرح فيه معاني الكلمات الجديدة التي وردت في القصة، أمّا النمط الثاني، فهو يجمع فيه الكلمات الجديدة فيأتي بمفرد الكلمة وجمعها، وأمّا النمط الثالث، فيحتوي على الكلمة وضدها، كل ذلك لإثراء ذهن الطفل لغوياً، كما في الجدول التالي:

نموذج من الرصيد اللغوي

الكلمة	معناها	الإفراد	الجمع	الكلمة	الضد
يتحاشى	يبتعد	عمود	أعمدة	طويلاً	قصيراً
ينصت	يستمع	مجلس	مجالس	قوية	ضعيفة
العرجاء	اصابها شيء في رجلها	بيت	بيوت	اقتربنا	ابتعدنا
حذرين	منتبهين	الطريق	الطرق	بعيد	قريب
أنيباً	تأوهاً	ليلة	ليالي	يهبط	يرتفع
خافتاً	ساكناً	صرخة	صرخات	تقترب	تبتعد
ترجع	انصرف	الرجل	الرجال	حي	ميت

ثالثاً: مرحلة التجديد والإبداع: منذ سنة 2000 م/

استهلَّ الشريف هذه المرحلة بإصداره مجموعة "من حكايات الحروف" من منشورات المؤتمر سنة 2003 م، وتضم اثنتي عشرة حكاية، من الحكاية الأولى إلى الحكاية الثالثة عشرة، دون عناوين حيث اكتفى بإعطائها أرقاماً متسلسلة، وتتفرد هذه المجموعة عن سائر قصص الشريف بأبطالها الذين هم من عالم الحروف الهجائية العربية.

تختلف هذه المجموعة عن سائر قصص الشريف، فهي من القصص المعرفية التي تتقّف الأطفال في مرحلة الطفولة المتوسطة في الجانب اللغوي، فأبطال هذه المجموعة من الحروف، وكان الكاتب في كل هذه الحكايات راوياً وهو في الوقت نفسه صديقاً ومعلماً، في حين كان أحد الحروف أو أكثر هو البطل، وجعل عقدة كل حكاية هي اختفاء هذا الحرف من الكلمات التي هو أحد حروفها، فيحدث بذلك الخلل ولا تعود الأمور إلى طبيعتها إلا بعودة الحرف (الغائب) إلى تلك الكلمات، وهو الحل ونهاية

الحكاية، كما جعل البيئة المكانية لأحداث هذه الحكايات بيئة افتراضية أطلق عليها الكاتب "حديقة الحروف".

وعلق "خليفة حسين مصطفى" على هذه المجموعة قائلاً: "فهذه الحكايات ليست مجرد كتابة على الورق لتعليم الحروف وتحديد موقع كل حرف في الكلمة، والدور الذي يؤديه في سياق الكلمات وكيفية رسمها لكي تكون ذات معنى، وإنما هي من ناحية أخرى تقودهم على مهل لإدراك العالم من حولهم، وهو يبرز من خلال سطور الحكاية، وهناك أيضاً القيم التربوية التي تعلن عن نفسها في مغامرة السرد الحكائي والأفكار الاجتماعية والسلوكية التي تنبثق عنها، والمعلومات التي تعرض لهم في ظل الحكايات"⁽¹⁾.

وتنتهي أغلب هذه الحكايات بمعجم ذكر فيه بعض المفردات التي وردت في الحكاية مقابل معناها، والتي غالباً ما تبدأ بالحرف بطل الحكاية، لمساعدة القارئ الصغير على فهم معاني الكلمات الجديدة وإثراء حصيلته اللغوية، وكمثال على ذلك الجدول التالي الذي ختم به قصة بطلها حرف الحاء:

نموذج من

معجم الكلمات

الكلمة	معناها
الحب	المودة
الحبق	نبات طيب
الحبيب	المحبيب
الحبر	سائل نستعمله للكتابة أو الطباعة
الحبل	خيوط مقتولة بعضها مع بعض
الحجة	الدليل والبرهان
الحجرة	الغرفة
الحدقة	السواد المستدير وسط العين
الحرية	آلة قصيرة من حديد رأسها محدد
الحرية	أن تفعل ما تريد بكامل إرادتك

(1) الضفة الأخرى قراءات في الأدب الليبي الحديث، خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، طرابلس، ص 7.

- وأصدر سنة 2005 م قصص مفردة أو مجموعات صغيرة تتكون من قصتين فقط: عن مكتبة علاء الدين، صفاقس.

- وفي سنة 2006 م أصدر مجموعة "المهر الأسود"، من منشورات مجلس الثقافة العام، وهي أضخم مجموعات الشريف على الإطلاق.

- وفي السنة نفسها 2006 م أصدر مجموعة "حكايات قبل النوم"، من منشورات مجلس الثقافة العام.

ويغلب على هذه المجموعة القصص والحكايات ذات الطابع التربوي، يليها قصص التسلية والفكاهة، ثم القصص التعليمية والمعرفية، ثم قصص الرفق بالحيوان وأخيراً قصص البيئة والقصص الاجتماعية. - وفي سنة 2008 م أصدر مجموعة "حكايات العصافير"، من منشورات مجلس الثقافة العام.

وقد تنوّعت موضوعات هذه المجموعة بين تعليمية، وفكاهية، وبيئية، وتربوية، واجتماعية، ورغم إنّ أبطال هذه المجموعة من العصافير - كما يدل على ذلك عنوانها - فإنّ ذلك لم يمنع تنوّع موضوعاتها.

- وأصدر سنة 2010 م مجموعتين قصصيتين، من منشورات المؤسسة العامة للثقافة، هما:

- مجموعة "يا زهرة القرنفل"، ومجموعة "المطر يسقط في الصحراء"، والأخيرة يغلب عليها عناية الكاتب بالبيئة النباتية تحديداً، وما تتعرّض له من أخطار، سواء أكانت هذه الأخطار نتيجة عوامل طبيعية كالصحّر، أو بفعل الإنسان كقطع الأشجار.

وفي سنة 2014 م أصدر أربع مجموعات قصصية جميعها من منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، وبهذا يمكن اعتبارها أكثر السنوات غزارة، والمجموعات هي:

- مجموعة "قصص لأطفال الثورة:

ويلاحظ أنّ جميع قصص هذه المجموعة تناول فيها مضامين سياسية، حيث تناول فيها أحداث ثورة السابع عشر من فبراير، وهو مضمون جديد لم يسبق له تناوله فرضته عليه الأحداث الكبيرة التي حدثت في هذه المرحلة.

- مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، وتضم ست حكايات، من الحكاية الأولى إلى الحكاية السادسة، بدون عناوين.

- مجموعة "زهرة المطر وحكايات أخرى": وهي نصوص بسيطة بلا عُقد، ويلاحظ أنّ الكاتب اعتمد في أغلبها على التثائيّة، بعضها علاقة تكامل وبعضها الآخر علاقة تضاد ومقابلة.

- مجموعة "طائر القمر The Moon Bird" باللغتين العربية والإنجليزية^(*).

ورغم تمرّسه وخبرته الطويلة في الكتابة للأطفال، فإنّه استمر بترجمة وإصدار بعض النتاج القصصي الأجنبي، حيث قام بإعادة نشر (من حكايات الشعوب) ضمن مجموعة "المهر الأسود" سنة 2006 م، كما أصدر مجموعة قصصية أخرى مترجمة بعنوان (حكاية الساحر العجيب) سنة 2014 م عن المكتبة العلمية العالمية بطرابلس؛ لأنّه لا يهدف من ذلك مجرد سد الفراغ الذي يحدثه نقص النتاج المحلي بل حرصه على اطلاع الأطفال في ليبيا على ما يقدّم في الشرق والغرب من نتاج مميّز.

أمّا أهم ما اتّسمت به قصص هذه المرحلة:

- عدم الاعتماد على الموروث الشعبي كالسابق.

- إعادة نشر ما سبق نشره في المراحل السابقة مع تغيير طفيف خصوصاً في العناوين ضمن مجموعات وسلاسل جديدة.

- بعض المجموعات كان أبطالها من النوع ذاته، كما هو الحال في مجموعة من حكايات الحروف، التي جميع أبطالها من الحروف، ومن حكايات العصافير التي كان جميع أبطالها من العصافير.

- تنوع الموضوعات، منها: التربويّة والاجتماعيّة، والتعليميّة، والبيئيّة، إضافة لموضوعات أخرى كالفكاهة والتسلية.

- تناول الكثير من المضامين الجديدة كالمضامين السياسيّة من خلال الكتابة عن ثورة السابع عشر من فبراير.

- غير أنّ هذا التنوّع في الموضوعات، كان على حساب الرسوم المصاحبة، حيث أثار وجود القصة أو الحكاية في مجموعة كبيرة سلباً على ما ينبغي أن يصاحبها من رسوم، كما أن بعض المجموعات كانت خالية تماماً من الرسوم، كما هو الحال في مجموعة "من حكايات الحروف"، خصوصاً أنّ

(*) سبق ذكر السلاسل والمجموعات القصصية بالتفصيل في الفصل الثاني المبحث الثاني.

المرحلة التي أراد الكاتب مخاطبتها هي مرحلة الطفولة المتوسطة وما قبلها، يظهر هذا من خلال الموضوعات وأسلوب التناول.

- كان للبيئة النباتية واحترامها، والبيئة الحيوانية خصوصاً المتعلقة بالرفق بالحيوان، حضور كبير في هذه المرحلة.

- قيامه بإصدار نصوص قصصية بسيطة بلا عُدّ كمجموعة (زهرة المطر وحكايات أخرى).

- كان الشريف سبأفاً بإصداره لأول مجموعة قصصية باللغة الإنجليزية في هذه المرحلة.

الفصل الثالث

قصص يوسف الشريف للأطفال

دراسة موضوعية وفنية

المبحث الأول:

المضامين والقيم التّربويّة والوطنية والإنسانيّة والمعرفيّة:

تتوّعت المضامين والقيم في قصص يوسف الشريف ولعلّه من المفيد بدايةً أن أتطرّق إلى مفهومي المضمون والقيم.

المضمون هو: "كل ما يشتمل عليه العمل الأدبي من معنى أو فكر، أو فلسفة، أو وصف، أو أخلاق، أو دين ... إنّه الفكرة التي تجول في ذهن الأديب وتسبق الألفاظ ثم تتصهر في عملية نفسية فتحملها ألفاظ النصّ في غلالة من الصور الكثيفة أو الواضحة القريبة حسب الموضوع"⁽¹⁾.

ولفيلسوف الإيطالي "كروتشه" قول يحدّد فيه المضمون، فهو عنده: "يكون تارةً بما يلذ، وتارةً بما يتفق مع الأخلاق، وتارةً بما يسمو بالإنسان إلى سماوات الفلسفة والدين، وتارةً بما هو صادق من الناحية الواقعية، وتارةً بما هو جميل من الناحية الطبيعية المادية"⁽²⁾.

وذكر "الهييتي" أنّه: "ليس في الوسع تحديد مضامين أدب الأطفال، ولكننا نستطيع أن نحدد إطاراً فضفاضاً كأن نقول: إنّنا نصوّر للطفل الحياة الإنسانية، ونعبّر عنها بما يتلاءم وقدراته، بحيث نساعد على النمو السوي"⁽³⁾.

واختلف الباحثون في هذا الجانب، فمنهم مع تقديم كل شيء للأطفال، وأبرزهم الكاتب الروسي الشهير "مكسيم غوركي"، ومنهم من خالف ذلك، بل وفسّر عبارة "كل شيء" بأنّها ليست التي في أذهاننا نحن الكبار، وإنّما التي في أذهان الأطفال"⁽⁴⁾.

(1) مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د. عبد القادر أبو شريفة، أحسين لافي قزق، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط 4، 2008 م، ص 51.

(2) المجلد في فلسفة الفن، كروتشه، ترجمة: سامي الدروبي، دار الآداب، القاهرة، 1947 م، ص 51.

(3) أدب الأطفال: فلسفته، فنونه، وسائطه، هادي نعمان الهييتي، مرجع سابق، ص 86.

(4) المرجع السابق، ص 86، 87.

أما القيم فهي: مجموعة من المعايير التي تحقق الاطمئنان للحاجات الإنسانية، ويحكم عليها الناس بأنها حسنة، ويكافحون لتقديمها إلى الأجيال القادمة، ويحرصون على الإبقاء عليها⁽¹⁾، أو هي: دوافع محرّكة لسلوك الفرد، ومحدّدة له، ولها دور فعّال في تكامل شخصيّته⁽²⁾.

ويذكر "محمود الماجري" أنّ مسألة القيم باعتبارها معايير يكتسبها الطفل وتوجّه سلوكه وشخصيته وتحدّد تعامله مع الآخر والمحيط تكتسي أهمية كبرى في كل النصوص الموجّهة للقارئ الطفل وخاصةً السردية نظراً لتعلّقه بها لما توقّر له من متعة وتنمية لخياله، فهي بذلك تتيح له الشروع في فهم ذاته وفهم العالم من حوله⁽³⁾.

ويذكر بعض الباحثين أنّ القيمة الخلقية تختلف في المجتمع نفسه، والعصر نفسه، ومن طبقة إلى أخرى. ورغم وجود هذه الفروق الثقافية في مفهوم الأخلاق، إلا أنّ هناك بعض القيم المطلقة العامة، التي تصدّق في كل مكان وزمان، مثل الصدق، والأمانة، والوفاء، والكرم⁽⁴⁾.

وهذا ما يعنيه "الطفي الحجلوي" بقوله: "إن القيمة في أدب الطفل العربي المعاصر مترخّلة بحسب إلحاحات العصر الثقافية والسياسية، وبحسب هموم الأديب في تلك المرحلة"⁽⁵⁾.

(1) قراءات الأطفال، حسن شحاتة، مرجع سابق، ص 159.

(2) ينظر: قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال "دراسة تحليلية فنية" (رسالة ماجستير غير منشورة)، شفاء بنت عبد الله حامد الحبيد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1425 هـ، ص 197.

(3) ينظر: الملتقى العربي لأدب الطفل: المحور: القيم السائدة في النص السردى الموجّه للطفل العربي، أدب الطفل العربي المعاصر: البحث: القيم السائدة في النص السردى الموجّه للطفل العربي، د.محمود الماجري، تونس، أبريل، 2014 م، ص 8.

(4) ينظر: قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال "دراسة تحليلية فنية" (رسالة ماجستير)، شفاء بنت عبد الله حامد الحبيد، مرجع سابق، ص 197.

(5) الملتقى العربي لأدب الطفل: المحور: القيم السائدة في النص السردى الموجّه للطفل العربي، أدب الطفل العربي المعاصر: البحث: أدب الطفل العربي المعاصر وترخّل موضوع القيمة "دراسة مقارنة لنماذج معاصرة"، د.لطفي الحجلوي، تونس، أبريل، 2014 م، ص 61.

وعند تناقض قيم المجتمع يؤدّي ذلك إلى تخلخل تلك القيم، ويؤدّي إلى تخلخل المجتمع وضعف التماسك، ويحدث ذلك في المراحل الانتقاليّة التي تمر بها بعض المجتمعات، مثل انتقالها من مجتمع زراعي إلى صناعي، أو مرورها من مجتمع محكوم بدكتاتورية إلى الديمقراطية، وكذلك بعد الحروب⁽¹⁾.

ويؤكّد الباحثون على "إنّ ترسيخ القيم الإيجابيّة المنشودة في وجدان الطفل من أهم سمات المضمون الجيّد، ويجب على كتّاب وأدباء الطفولة أن يعمّقوا تلك القيم في عقول الأطفال وقلوبهم، بأسلوب فني يتلاءم وإدراكهم"⁽²⁾.

إنّ أدب الطفل من الحوامل الرئيسيّة للقيم، وأن يحمل أدب الطفل القيمة فليس ذلك أمر يخرج عن أهداف تنمية شخصيّة الطفل وتربيتها⁽³⁾.

والقصة من أفضل الوسائل التي نقدّم عن طريقها ما نريد تقديمه للأطفال من قيم أو معلومات، ولكي تتجح القصة في تشكيل القيم التربويّة، ينبغي أن نقدّم لأطفالنا القصص التي تعمّق قيم الحياة الإيجابيّة، وتثير الاهتمام بالعلم والفن والأدب⁽⁴⁾.

ويمكن استغلال القصة بهدف غرس القيم، ولكي تتحقّق الأهداف والغايات المنشودة من الأثر التّوجيهي والتربوي لها، لا بدّ من التعرّف على كل مرحلة من مراحل الطفولة وتطوراتها، لكي نحدّد الأدب المناسب لكل مرحلة من هذه المراحل، وبالتالي المؤثّر عليها⁽⁵⁾.

(1) محاضرة من الإنترنت: بعنوان "الأصول الفلسفية والاجتماعية للتربية: القيم في العمليّة التربويّة"، د.حمدان عبد الله الصوفي: <https://www.youtube.com/watch?v=9h2wAT1adIA>

(2) الخطاب الأدبي والطفولة، أحمد زلط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الشباب، رقم 54، القاهرة، 1997، ص 211.

(3) ينظر: الملتقى العربي لأدب الطفل: المحور: القيم السائدة في النص السردى الموجّه للطفل العربي، أدب الطفل العربي المعاصر: البحث: أدب الطفل العربي المعاصر وترجّل موضوع القيمة "دراسة مقارنة لنماذج معاصرة"، د.لطفى الحجلوي، تونس، أبريل، 2014 م، ص 46.

(4) أدب الطفل العربي، حسن شحاته، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2004، ط 3، ص 68.

(5) ينظر: قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال، دراسة تحليلية فنية، شفاء بنت عبد الله حامد عبد الله الحبيد، 1425 هـ، ص 195-197.

يُقَسَّم أغلب علماء النفس والتربويون المراحل التي يمر بها الطفل من ناحية إدراك الطفل المعاني والقيم: من السنة الثالثة إلى الخامسة ومن السادسة إلى الثامنة ومن التاسعة إلى الثانية عشرة.

1. مرحلة ما قبل المدرسة (3 - 5 سنوات):

"وهي المرحلة الأكثر خطورة، ذات الأثر الحاسم في تكوين شخصية الفرد، فما يتكوّن في هذه المرحلة من عادات، واتجاهات، ومعتقدات، يصعب تغييرها أو تعديلها فيما بعد، ولهذا فإنّ السمات الرئيسية للشخصية، ترجع في تكوينها وأصولها إلى هذه الفترة الخطيرة الهامة في حياة الإنسان"⁽¹⁾، وهي مرحلة الواقعية، تتميز بانحسار وعي الطفل في حدود الحسي، والطفل في هذه المرحلة لا يستطيع التركيز والانتباه لفترة طويلة، ويمكن له استيعاب حقائق بسيطة عن الطبيعة، لذا تناسبه القصص القصيرة، الشفهية، ذات الاتصال بحاسة البصر (الصور)⁽²⁾.

2. مرحلة ما بين السادسة إلى الثامنة:

يبدأ الطفل فيها بالتعرّف على معنى الصفات الخلفيّة، والمبادئ الاجتماعيّة، والقيم، غير أنّه يظلّ حسيّاً في تفكيره، ولا تتكوّن لديه مدركات كلية مجردة⁽³⁾، ويرى آخرون أنها ليست بالمرحلة التي يعرف فيها معنى الأخلاق والقيم، ولكنه يفرّق بين الخير والشر، ومن هنا ندرك أنّ المواعظ والأوامر، لا تجدي في توجيه سلوك طفل هذه المرحلة، وإنما يتأتّى ذلك باستغلال ميولهم إلى اللعب، والتمثيل والتقليد، وعن طريق القصص التي تقدم لهم القدوة الحسنة والنماذج الطيبة⁽⁴⁾.

لذلك ينبغي للكاتب أن يعمل على توسيع دائرة معرفة الطفل ببيئته، وأن يستغل الأشكال الأدبيّة للأطفال في امتصاص الطاقة الحركيّة لديهم، وينمي شعورهم بالمسؤوليّة ويحاول تهذيب سلوكهم، والقصص المناسبة لطفل هذه المرحلة، هي القصص الخياليّة، والقصص التي تقودهم إلى التفكير والتأمل، التي تهوئهم لسن المراهقة.

(1) ينظر: أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 67.

(2) ينظر: في أدب الأطفال، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، حائل، السعودية، 1996 م، ص 89.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 91.

(4) ينظر: أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 240.

3. مرحلة ما بين السنة الثامنة والثانية عشرة، وهي مرحلة استيعاب الحقائق من الواقع، وهي مرحلة تطور الإحساس بالذات ورغبة تحقيقها، حيث يبدأ استيعابهم المعاني المجردة، ويزيد إدراكهم للأمور، وفي هذه المرحلة يطمح الطفل لاتخاذ مثله الأعلى خارج الأسرة، لذلك ينبغي أن يكون أدب هذه المرحلة، وثيق الصلة بالقدوة الحسنة⁽¹⁾، لتتوافر الدوافع الشريفة، والغايات الفاضلة، التي يخرج منها بانطباعات صحيحة سليمة، تحبب إليه الخير، وتنفره من أعمال التهور والاندفاع⁽²⁾، ويساعد في اتخاذها خط السير الأفضل لحياته، وهذه آخر مراحل الطفولة، وبرأيي أن مرحلة المراهقة هي بداية مرحلة التكليف التي تنتهي ببدايتها مرحلة الطفولة.

إنّ أدب الأطفال الجيد هو الذي يراعي خصائص الطفولة واحتياجاتها في إطار من المثل والقيم والنماذج والانطباعات السليمة⁽³⁾.

وفيما يخص القيم، يؤكّد الباحثون على أهمية مناسبة القصة للطفل، بحيث تتوافر فيها الشروط الآتية⁽⁴⁾:

1. تنمّي الجوانب المختلفة للشخصية.
2. قدرتها على لعب دور مهم في تقديم الخبرات الأولى للقراءة والتذوق الفني والجمالي له.
3. إضافة إلى أنّها أداة من أدوات التنقيف، فهي أداة ترفيهية يمكن أن تنمي عقل الطفل وميوله القرائية، ولذلك من أهم الأمور التي يجب مراعاتها في القصة أن تحقق حاجات الطفل الأساسية ونموه في مختلف جوانبه، وتتوافق مع ميوله ومستوى تطوره العقلي واللغوي والاجتماعي.

(1) في أدب الأطفال، محمد صالح الشنطي، مرجع سابق، ص 94.

(2) أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 240.

(3) ينظر: أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000 م، ط 1، ص 112.

(4) ينظر: مدى توافر القيم في عينة من قصص الأطفال في سورية، د. فانتن سليم بركات، مجلة جامعة دمشق، م 26، ع 3، 2010، ص 210.

أما أهم المضامين والقيم التي تضمّنتها قصص الشريف للأطفال:

أولاً: المضامين والقيم التربويّة والوطنية:

1. المضامين والقيم الاجتماعيّة والأخلاقية:

أ. المضامين والقيم الاجتماعيّة:

اتخذت القصص ذات المضامين والقيم الاجتماعيّة أشكالاً مختلفة عند الشريف، فمنها ما اتخذ شكلاً خيالياً ومنها ما كان واقعياً، ومنها ما كانت في إطار القصص الشعبي، أو في شكل قصص الحيوان.

ومن المضامين والقيم الاجتماعيّة التي تناولها الشريف في قصصه:

■ الكرم: من أهم القيم التي تضمّنتها قصة "كيس اللؤلؤ"⁽¹⁾، هي قيمة الكرم والعطاء، الذي يصبح أعمق أثراً عندما يكون من إنسان فقير، وبهذا امتدح الله تعالى أنصار رسولنا الكريم - ﷺ - في قوله: ﴿يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽²⁾.

فالغلام بطل القصة الذي قبل بنفس راضية إعطاء أرغفة الخبز للرجل العجوز الغريب، بمقابل مؤجل، رغم حاجة أسرته الشديدة لثمنه، وقد رفض أخواه الأكبر والأوسط اللذان سبقاه بمحاولة بيع الخبز طلب الرجل العجوز، فكان جزاؤه أضعاف ثمن أرغفة الخبز الخمسة، وهو كيس مملوء بحبات اللؤلؤ الثمينة.

لا شك أنّ هذه الصورة الناصعة التي رسمها الكاتب للصبي الكريم، تقرب للأطفال قيمة الكرم والعطاء الذي هو فضيلة في حد ذاته، ناهيك عن احترام ومحبة الناس للشخص الكريم.

وقد وُفق الكاتب في إيضاح هذه الصورة وتقريبها للأطفال، وذلك بإظهار نقيضها متمثلاً في موقف أخويه، من خلال رفضهما القاطع لتقديم رغيف الخبز للرجل العجوز، ليأتي الابن الأصغر ويكون موقفه مغايراً تماماً لموقف أخويه.

(1) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "كيس اللؤلؤ"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 343.

(2) سورة الحشر - الآية 9.

كذلك قصة "الأبيض والأسود"، تضمنت قيم الكرم والعطاء ونقيضها البخل والأنانية، فالأبيض هو القط الذي وجده الراوي ضالاً في الطريق، فحملة إلى بيته واعتنى به، فكان في منتهى الوداعة في تعامله مع قطط الجيران، كما كان مسالماً وهادئاً، أما القط الأسود فهو القط الآخر الذي يمثل البخل والأنانية.

ففي أحد الأيام قدم صاحب القط الأبيض له قطعة لحم ووقف يراقبه في الحديقة، فجأة ظهر قط أسود شرس واقترب من القط الأبيض وعينه على قطعة اللحم، فقد كان جائعاً، فهم القط الأبيض الإشارة فابتعد عن قطعة اللحم، فهجم القط الأسود على قطعة اللحم وعندما أكل منها ما يقارب النصف، اندفع إليه القط الأبيض فانسحب وأكل القط الأبيض النصف الآخر.

وبعد عدة أيام وبينما كان الصبي جالساً في حديقته يقرأ كتاباً، رأى القط الأسود يقبض بأسنانه على قطعة لحم ويختفي خلف زاوية الجدار، بعد قليل رآه القط الأبيض فتبعه ووقف غير بعيد عنه وعينه على قطعة اللحم، فهم القط الأسود ما يخطط له القط الأبيض، فصرخ مكشراً عن أنيابه، تراجع القط الأبيض في هدوء، وفجأة انقض على قطعة اللحم، وأكل ما يعادل نصفها ثم تركها ليتيح الفرصة للقط الأسود الذي تقدم وأخذ يأكل النصف الآخر⁽¹⁾.

أتبع الكاتب الأسلوب نفسه الذي اتبعه في القصة السابقة، وذلك بإظهار القيمة الإيجابية المتمثلة في القط الأبيض الذي يمثل العطاء والمشاركة، ونقيضها القيمة السلبية المتمثلة في القط الأسود الذي يمثل البخل والأنانية.

ولا شك أنّ وجود القيمتين المتناقضتين جنباً إلى جنب يجعل الأمر أكثر وضوحاً وأعمق أثراً في نفوس الأطفال.

إنّ قصة "عصفور القمر"⁽²⁾ هي قصة خيالية لكنها عالجت مضموناً اجتماعياً، وهو الطمع والجشع وعواقبه الوخيمة، فبطل القصة الصياد الفقير، بالغ في طلباته من عصفور القمر الذي أنقذ حياته ذات يوم، فأراد أن يرد له الجميل، فحقق له كل ما تمنى، حتى وصل به الأمر إلى طرد زوجته الطيبة

(1) ينظر: سلسلة نوافذ، الأبيض والأسود، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 3 - 15.

(2) مجموعة المهر الأسود، "عصفور القمر"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 163.

ليتزوج ابنة الأمير الشرير، فضاع كل ما قدمه له العصفور، فندم على فعلته، وذهب إلى العصفور ليرجع له ما ضاع منه، لكنه لم يجده فقد تحوّل العصفور إلى وحش مخيف، فسأله الصياد متعجباً من ذلك، فرد عليه قائلاً: "أنا عصفور للناس الطيبين ووحش على الناس الأشرار، وأنت رجل شرير، طردت زوجتك المخلصة وذهبت إلى الأمير وأنت تعلم أنه أمير شرير، عد من حيث أتيت وإلا أحرقتك بناري"⁽¹⁾.

■ **التسامح:** تحمل قصة "عندما اختفت ليلي" عدة قيم، أهمها قيمة التسامح، حيث تسامح "رفيق" مع زميلته "ليلى" التي أساءت له برفضها جلوسه إلى جانبها في الحافلة التي تقلّهم في رحلتهم المدرسية، للتمتع بمظاهر الطبيعة في فصل الربيع، فعندما اختفت شارك زملاءه في البحث عنها، وعندما وجدها عالقة في حفرة ساعدها على الخروج منها، بل أسندها حتى تستطيع المشي، وفي اليوم التالي قدمت له باقة ورد تعبيراً عن امتنانها واعتذاراً عن خطأها⁽²⁾.

■ **قواعد السلوك:** تمثّل قصة "درس كل يوم"، درس الأخلاق الحميدة، التي من أهمها إحسان معاملة الناس، وهو الدرس الذي أرادت المعلمة شرحه لتلاميذها، فتحوّل إلى درس عملي بسبب ما حدث بين حمزة وأسماء من أخطاء في حق بعضهما، حيث سخرت أسماء من قراءة حمزة الخاطئة للدرس، فردّ حمزة بخطأ حيث قام بضربها، فكل ما حدث يمثّل قيماً سلبية تؤدي إلى العداوة والبغضاء بين الناس، كما لا تتماشى مع قيم مجتمعنا المسلم⁽³⁾.

لذا رجع الجميع في اليوم الأول يملأ نفوسهم الحزن والغضب، ولكن في اليوم التالي اعتذر حمزة وأسماء لبعضهما، أمام الجميع، وأثنت المعلمة عليهما، فالأخلاق درس كل يوم.

وفي قصة "صديقان"، كان مسرح القصة - أيضاً - الفصل الدراسي، الذي أخطأ فيه أحمد في حق مهجة بالسخرية والاستهزاء من أنفها ورفضه الجلوس إلى جانبها، فحزنت واشتكت لمعلمتها التي غضبت هي أيضاً من سلوك أحمد، ولكن القصة انتهت بزيارة مهجة لأحمد في بيته رفقة المعلمة؛ لأنّه

(1) المصدر السابق، ص 174.

(2) ينظر: سلسلة طفل يقرأ، عندما اختفت ليلي، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999 م.

(3) ينظر: سلسلة طفل يقرأ، درس كل يوم، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999 م.

تغيب عن المدرسة بسبب مرضه، تعبيراً عن مسامحته، كما أنّ أحمد استقبل مهجة بفرح وخجل، ووعدها بالجلوس إلى جانبها في الفصل وهذا يدل على تراجعها عن سلوكه الخاطئ في حق مهجة⁽¹⁾.

وفي قصة "أنا لا اعتذر"، تتبيّن قيمة الاعتذار بين الناس عندما يرتكب أحدهم خطأ في حق الآخر، فبطل القصة "أيمن" كان كثيراً ما يخطئ وحاولت أمه أن تعلمه الاعتذار عند الخطأ لكنه يصر دائماً على عدم الاعتذار⁽²⁾.

ولكن بعد أن قام أحد زملائه بالاعتذار له أمام الجميع، لأنه مرّق كتبه المدرسية، عرف "أيمن" أهمية الاعتذار، فبكى ندماً دون أن يفهم الجميع سرّ بكائه.

■ **التواضع:** حكاية "عصفور مغرور"، تضمّنت قيمة سلبية وهي الغرور والاستعلاء على الآخرين، التي مثلها بطل القصة وهو عصفور أعجب بصوته حتى ظن أن ليس لغيره حق في الغناء والتغريد، فقام بمطاردة أي عصفور يحاول الغناء ويعتدي عليه بالضرب.

اشتكته العصافير لأمه التي غضبت منه، ونصحته بعدم التعرّض للعصافير التي تغني، لكنه تمادى في غروره وكبره.

العصافير لم تطقّ غروره، لذا هاجرت واحداً تلو الآخر إلى غابات أخرى تجد فيها حرّيتها في الغناء والتغريد، وبقي العصفور المغرور في الغابة وحيداً⁽³⁾.

حملت حكاية "القطعة بسبس"، القيم ذاتها، أي التواضع، فبطلة الحكاية وهي قطعة صغيرة تدعى "بسبس" كانت تعيش في بيت مع أصدقائها: القنفذ والأرنب والبطّة، لكنها كانت تزعجهم بغرورها حيث تبادل حبهم بالسخرية والاستعلاء، وهي تعتقد أنهم يخافونها لأنها تملك مخالب قوية.

وفي نهاية الأمر لم يعودوا يتحمّلون غرورها فرحلوا جميعاً، وبقيت وحيدة فلم تعد تجد من تلعب معه، فسألّت ندى لماذا هجرها أصدقاؤها؟ فقالت لها لأنها كانت تزعجهم بسخريتها وغرورها منهم،

(1) ينظر: سلسلة نوافذ، صديقان، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "كيس اللؤلؤ"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 137.

(3) ينظر: مجموعة حكايات العصافير، "عصفور مغرور"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص

وأشارت عليها أن تذهب وتبحث عنهم في الحقل، عندما وجدتهم اعتذرت لهم، وترجتهم أن يعودوا إلى البيت، فعادوا معها بعد أن وعدتهم بأن لا تسخر منهم ثانية⁽¹⁾.

نلاحظ أن الكاتب في الحكايتين جعل ردة فعل المحيطين بالشخص المغرور هو النفور والانفضاض عنه ليبقى وحيداً، ليؤكد الرفض وعدم قبول هذه الصفة السلبية المذمومة.

ب. المضامين والقيم الأخلاقية:

■ **الصدق:** قصة "أم السعد وولدها الكذاب"، تضمنت قيمة سلبية متمثلة في الكذب الذي هو نقيض الصدق، فبطل القصة استمر الكذب على والدته، ليبرر سبب رجوعه من مدرسته مبكراً. فكانت نتيجة الكذب مخزية له، محزنة لوالدته برجوعه راسباً على عكس أقرانه.

هذه الصورة القاتمة التي رسمها الكاتب للشخص الذي يستمر الكذب، تجعل الأطفال الذين يظنون - لقلة خبرتهم في الحياة - أن الكذب قد يكون منقذاً لهم، فيوقنون بعد قراءتهم للقصة أن الأمر ليس كذلك، كما تغرس فيهم حب الصدق والأمانة قولاً وفعلاً، والنفور من الكذب والنفاق.

ولأن الكاتب يخاطب الأطفال في المراحل الأولى من المدرسة، فإنه جعل مشكلة الرسوب نتيجة متوقعة لبطل القصة الكذاب المتغيب عن مدرسته، الذي إضافة إلى كونه أخطأ في حق نفسه بتغيبه عن دروسه، حاول التستر على ذلك بخطأ أكبر وهو الكذب المتكرر على والدته⁽²⁾.

وفي حكاية "العصفور الأصفر"، تناول الكاتب أيضاً آفة الكذب عند البعض وجعل الدواء الناجح لها هو مقاطعة جميع أفراد المجتمع للشخص الكاذب، وعدم التعامل معه.

هذا ما اتفقت عليه عسافير الغابة عندما عرفت أن العصفور الأخضر يردد الأكاذيب، فقررت مقاطعته وعدم اللعب معه، حتى جاءها نادماً متعهداً بعدم الكذب مرةً أخرى، فقال: "أرجوكم يا أصدقائي دعوني أعب معكم ولن أكذب مرةً أخرى"⁽¹⁾.

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، حكاية "القطعة بسبس"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، ص 113.

(2) ينظر: سلسلة قصص ليبية للأطفال، أم السعد وولدها الكذاب، يوسف الشريف، مصدر سابق.

■ **العدل:** يرتبط العدل بالصدق ارتباطاً وثيقاً، فلا يمكن أن يكون هناك حكماً أو قضاءً عادلاً إن لم يكن صادقاً.

هذا ما أراد الكاتب إيصاله للأطفال من خلال قصة "الأرنب يحكم بينهم"، فقد تعرّض الأرنب الصغير بطل القصة إلى اختبار صعب يتمثل في مساومته بأن يكذب كذباً ليخبروه عن مكان أخيه الذي لم يجده، ونجاحه في هذا الاختبار فلم يرض لنفسه أن يكذب مهما كان الثمن، لذا رأت حيوانات الغابة بما فيها الأسد أنّ الأرنب الصغير هو الأجدر بأن يكون قاضياً عادلاً بينهم⁽²⁾.

وفي قصة "الأرنب"، تظهر أهمية وجود الحاكم العادل، وخيبة الأمل الكبيرة عندما يكون الحاكم الذي يدعى العدل فيكون العدل أول ضحاياه⁽³⁾.

■ **الطاعة:** تضمنت حكاية "العصافير الثلاثة"، ما يتعرض له بعض الصغار من مشاكل وأخطار جرّاء عدم طاعتهم لأهلهم وعدم الاستماع لنصائحهم.

فالعصفور الأخضر الذي كان يتلأأ عندما تنصحه أمه بالقيام بأمر ما كتعلم الطيران، أو بناء عش خاص به، على عكس أخويه الآخرين.

وكانت النتيجة أنه تعرّض للبرد والمطر حينما بات على أحد الأغصان دون بيت يؤويه مثلما فعل أخواه اللذان استمعا لنصيحة أمهما فقاما ببناء عشيهما بمساعدتها والاستفادة من خبرتها.

لكنه جاءها في النهاية نادماً طالباً منها مساعدته في بناء عش خاص به يقيه من مطر الشتاء ويرده.

قدّم الكاتب في هذه الحكاية صورتين متناقضتين، تمثّلت الأولى في صورة العصفورين المطيعين لأمهما فكانا سعيدين ولم يتعرّضا لأي مشكلة، أما الصورة الثانية فمثلها العصفور الأخضر الذي لم

(1) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، العصفور الأصفر، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 158.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "الأرنب يحكم بينهم"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 291.

(3) ينظر: سلسلة نوافذ، قصة الأرنب، يوسف الشريف، ص 14.

يستمتع في البداية لأي من نصائح أمه، ولم يستقد من خبرتها التي نقلتها لأبنائها في شكل نصائح، فتعرض للكثير من المشاكل والأخطار⁽¹⁾.

وفي حكاية "القطعة ميو"، كانت القطعة الصغيرة "ميو" غير مطيعة لأمها التي نصحتها بأن تتفرج على المطر من خلف النافذة، لكنها غافلت أمها التي كانت مشغولة بالمطبخ، وفتحت النافذة وخرجت إلى الشارع فتلطخ شعرها الجميل بالطين كما شعرت بالبرد الشديد.

وعندما اكتشفت أمها ذلك خرجت وحملتها إلى داخل البيت، واستدعت لها الطبيب الذي نصح "ميو" بعدم الخروج تحت المطر دون ملابس ثقيلة ومظلة تقيها المطر⁽²⁾.

والملاحظ أنّ قيمة الطاعة التي قصدها الشريف في قصصه وحكاياته لا تعني التحكم والسيطرة في الآخرين، وإنما كانت قيام الأم بواجبها متمثلاً في تعليم صغارها والقيام بالدروس العملية سواء في الطيران أو بناء الأعشاش، وإعدادهم للاعتماد على أنفسهم لتحقيق الاستقلال الكلي فيما بعد، ثم تقديم النصح والإرشاد باعتبارها الأم الخبيرة المجربة لصغارها قليلي الخبرة والتجربة، بدليل تعرض أبطال هذه القصص الصغار _ سواء كانوا من البشر أو الحيوانات _ للمشاكل والأخطار عند تجاوزهم لنصائح أمهاتهم.

وبهذا حاول الكاتب أن ينقل للأطفال الصغار أن استماعهم لنصائح ذويهم هو في صالحهم، وليس تضيقاً عليهم وحرمانهم من الحرية التي يعشقونها.

2. المضامين والقيم الوطنيّة والتاريخيّة:

أ. المضامين والقيم الوطنيّة:

(1) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، العصافير الثلاثة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 5.

(2) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، القطعة ميو، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 11.

تناول الشريف في وقت مبكر من توجُّهه للكتابة للأطفال مضامين وقيم وطنيَّة، نجد ذلك في قصة "طائرة فوق بيتنا" التي تضمَّنت حدثاً واقع في ليبيا في الخامس عشر من شهر أبريل 1986 م، فقد أغارت الطائرات الحربية الأمريكية على مدينتي طرابلس وبنغازي.

وكان هذا الحدث واضحاً في القصة رغم عدم ذكر المكان والزمان، وقد رصد فيها صمود الشعب الليبي في وجه العدوان الآثم، والتحاق أفراد الجيش بالمعسكرات دفاعاً عن الوطن، كما حاول الكاتب أن يبيث في الأطفال القوة المعنويَّة وعدم الخوف، وكذلك تعريفهم بالمخاطر التي يتعرَّض لها الوطن، وما يتطلَّبُه ذلك من قوة واستعداد، وردت هذه الفكرة صريحة على لسان الأب عندما التصق به ابنه خائفاً، فقال له: "أنت الآن رجل وعليك أن تعرف أن الأعداء يقصفون مدينتنا"⁽¹⁾.

حملت قصة "العصفور والشجرة" فكرة رئيسيَّة تدور حولها أحداث القصة في مواضع مختلفة، بدايةً عندما انسل العصفور في غفلة من أمه ليسافر إلى الغابات البعيدة.

وعندما تعرَّض لأخطار ومطاردة من قبل طيور الغابات الأخرى ظنَّ أن نهايته قريت، فلم تقبل تلك الطيور العصفور الغريب عنها، كما جاء في كلام أحد الطيور إليه: "ماذا تفعل في غابتنا وأنت غريب عنها"⁽²⁾. وفي كلام الطيور: "إذن عد إلى غابتكم وإلا جعلناك طعاماً لصغارنا"⁽³⁾.

نجد فكرة اصطدام العصفور بالحقيقة الصادمة التي تناقض ما كان يتصوَّره، فقد وجد أنَّ غابته التي رحل عنها أكبر وأشجارها أجمل ولم يجد نجوماً أكبر من نجوم غابته ولا أصوات عصافير أحلى من أصوات عصافير غابته، ولا سماء أقرب من سماء غابته.

ومن هنا نجد أنَّ الحنين إلى الوطن فكرة متضمنة داخل هذه التفاصيل، وتفاصيل أخرى تمثَّلت في شعوره بخيبة الأمل والوحدة والخوف عندما ابتعد عن موطنه الأصلي؛ فهو "يراها صغيرة كما هي صغيرة عندما ينظر إليها من فوق الشجرة التي يعيش فيها مع أمه"⁽⁴⁾، كما نجد في بداية القصة فكرة

(1) سلسلة طفل يقرأ قصة "طائرة فوق بيتنا"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص 13.

(2) مجموعة المهر الأسود، "العصفور والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 266.

(3) المصدر السابق، ص 267.

(4) مجموعة المهر الأسود، "العصفور والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 266.

الفضول والإصرار على خوض التجربة والمغامرة، فعلى الرغم من أنّ أمه أخبرته بأنّ النجوم واحدة في كل مكان، كما وعدته بأنها ستحضر له كتاباً يعرفه بعالم النجوم، نجد تصميم العصفور على أن يجرب بنفسه.

وقصة "سنابل الثلج" ارتكزت على فكرة التضحية من أجل الوطن حينما يكون بحاجة لذلك، حيث قام الطفل الصغير بطل القصة بالتضحية من أجل وطنه، بتحوّله إلى عصفور ليتمكن من حمل سنابل الثلج ليروي بها قريته التي تعاني الجفاف الشديد، فقد اشترط عليه القمر ذلك، وهو أمر ليس من السهل قبوله وهذا ما جعل الطفل يتردد فيه رغم حبه الشديد لقريته وتفاعله الصادق مع قضاياها، لكنه ارتضى في النهاية أن يتحول إلى عصفور لإنقاذ قريته، فحب الوطن يقتضي التضحية في سبيله، وهو ما عبّر عنه قول القمر له: "إنّ الذين يحبون الأرض يضحون من أجلها"⁽¹⁾، وتغرق القصة في الأفكار الخيالية لخدمة فكرة التضحية.

قصة "حورية البحر الصغيرة"، قامت على فكرة حب الوطن والحنين إليه، سواء من قبل السمكة الصغيرة التي حزنت كثيراً جادلت "إبراهيم" ليساعدها للعودة إلى البحر حيث ذويها، وهو الشعور ذاته الذي تملك إبراهيم عندما تعرّض للسجن في قصر الحوريات داخل البحر، ولم يهنأ له بال حتى رجع إلى بيته وأهله، ومن ثم عرف قيمة الوطن وعذاب الاغتراب، وهي تجربة جعلته يرجع الحورية الصغيرة إلى وطنها⁽²⁾.

حملت بعض القصص قيمة حب الوطن والتضحية في سبيله، ومن هذه القصص، قصة "البطل الصغير"، التي وردت على لسان الجدة - كما جاء في مقدمتها - فقد كانت شاهدة على حقبة الاستعمار الإيطالي، ونضال الليبيين من أجل حرية الوطن، حيث قصت على أحفادها الصغار حكاية أخيها "عاشور" الذي كان صبياً عند مجيء الغزاة، وكان متحمساً للقتال مع الرجال، لكنه لا يملك

(1) مجموعة المهر الأسود، "سنابل الثلج"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 182.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "حورية البحر الصغيرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 39.

بندقية، وذات يوم ذهب إلى معسكر الغزاة رفقة أصدقائه ليعود ومعه بندقية، وهذا ما جعل الرجال يعجبون بشجاعته ويوافقون على مرافقتهم لقتال العدو⁽¹⁾.

أمّا قصة "العصفور والشجرة"، فحملت معنى حب الوطن والحنين إليه، فالعصفور الصغير الذي حمّله فضوله للتعرف على الغابات البعيدة التي تخيل أنها أجمل من غابته، بعد خوضه لتجربة الغربة عن الوطن، انتهى إلى أنّ وطنه أجمل الأوطان وغابته أجمل الغابات⁽²⁾.

وفي "الحكاية الثانية عشرة" من مجموعة "من حكايات الحروف"، قيم وطنيّة إضافة إلى كونها إحدى الحكايات التي اهتمت بقيم المعرفة اللغوية.

فالراوي في هذه الحكاية تمّت دعوته من قبل حرف اليباء لحضور حفل في حديقة الحروف، وعند حضوره تفاجأ بمجموعة من الحروف تصطف جنباً إلى جنب، وهي حروف: اللام والياء والباء إضافة إلى حرف الألف الذي ترك حراسته للحديقة ليقف إلى جانبها، وقد برر ذلك للراوي بأنه في مناسبة عظيمة، وهي ميلاد كلمة تجمع الجميع، والكل يحبها، وعندما عرف الراوي الكلمة التي تحتل الحروف بميلادها صاح فرحاً، فالكلمة هي لبيبا، فأخذ يغني ويرقص مع الجميع.

وعندما ذكّر الراوي تلك الحروف بأنهم موجودون في كلمات أخرى، ردّ حرف الألف بأنّه: لا يهّمه أي كلمات أخرى، فما يهّمه كلمة _ لبيبا _ فهي روحه وحياته، كما أكد حرف الألف بأنّه لن يخون أصدقائه حروف اللام والياء والباء، فقال الرّاوي هو أيضاً لن يخون هذه الحروف أي حروف كلمة "لبيبا"⁽³⁾.

(1) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "البطل الصغير"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 53.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، قصة العصفور والشجرة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 263.

(3) ينظر: مجموعة "من حكايات الحروف"، يوسف الشريف، منشورات مجلة المؤتمر، طرابلس، ط 1، 2003، ص

وتأتي قضية فلسطين ضمن المضامين الوطنيّة التي عبّر عنها الكاتب في قصته "عنتر ينهض من نومه" حيث يرى وقوف أبناء الشعب العربي في مختلف أقطاره وقفة واحدة هو السبيل الوحيد في الدفاع عن هذه الأرض العربيّة⁽¹⁾.

رغم إنّ السياق التاريخي الذي عاش فيه عنتره يختلف اختلافاً كبيراً عن قضية فلسطين، فعنتره كان يعاني من وضع اجتماعي ظالم كان سائداً في ذلك الزمن، يقوم على العنصريّة على أساس اللون والنسب، وعنتره يمثّل رمزاً للرفض لهذا الوضع الاجتماعي الظالم، في حين إنّ قضية فلسطين هي قضية سياسيّة تتمثّل في زرع كيان غريب على حساب السكان الأصليين.

ب. المضامين والقيم التاريخيّة:

يمكن للأطفال من خلال قصص الخيال التاريخي "أن يميّزوا بين القيم والمفاهيم المتناقضة، كأن يفهموا أنّ الصّراع ضد الطبيعة من أجل الخير العام قيمة أساسيّة في حياة الإنسان، وصراع الجماعة ضد الطامعين قيمة أساسيّة، ولكن صراع الجماعة من أجل السيطرة على غيرها ومن أجل حرمانها من حقوقها أو صراع الإنسان من أجل أغراض أنانيّة هي قيم سيئة، ومن خلال ذلك يتبيّنون معاني الخير والشر في الحياة الإنسانيّة"⁽²⁾.

ترتبط المضامين الوطنيّة بالمضامين التاريخيّة في العديد من قصص الشريف إن لم يكن كلها، حيث نقل فيها بعض صور ملاحم جهاد الشعب الليبي ضد الاستعمار الإيطالي، فقصة "الراعي الشجاع"، تتحدّث عن يوم من أيام الحرب بين المجاهدين الليبيين وجنود الاستعمار الإيطالي، ونجد بطل القصة "عمران" وهو طفل كان يسرح بأغنامه خلف الجبل، حيث قام بدور محوري وذلك بإبلاغ المجاهدين بوجود جنود العدو في الجهة الأخرى من الجبل. ووصل عمران لذروة التضحية بأن لفظ أنفاسه الأخيرة بسبب ما تعرّض له من جراح وإجهاد⁽³⁾.

(1) أدب الأطفال في ليبيا" في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية"، فريدة الأمين المصري، مجلس الثقافة العام، سرت، ليبيا، ط 1، ص 170 _ 173.

(2) أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 176.

(3) ينظر: سلسلة قصص ليبية للأطفال، قصة "الراعي الشجاع"، يوسف الشريف، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1977 م، د. ترقيم.

كذلك قصة "عاشور يذهب إلى الحرب"⁽¹⁾ تتحدث عن احتلال إيطاليا لليبيا، ونجد بطل القصة "عاشور" هو طفل يذهب مع أصدقائه لتنفيذ عملية في معسكر الإيطاليين وينجحوا في هذه العملية، ومنذ ذلك اليوم بدأ يذهب إلى الحرب مع الكبار بعد أن كان في نظرهم صغيراً، وكما نجد صورة من صور الدفاع عن النفس والوطن ترسمها بطلة قصة "الليبية الشجاعة"⁽²⁾ عندما دافعت عن وطنها بسلاحها، عندما اقتحم عددٌ من جنود الاحتلال بيتها.

يقال إنَّ التاريخ قصة، ينسجم هذا القول مع قصة "فرقة عمر"⁽³⁾، التي بدأها الكاتب على لسان أحد أفراد الفرقة بمقدمة أكدَّ فيها أنَّ حوادثها ليس فيها من الخيال شيء⁽⁴⁾، حيث وثقت هذه القصة لإحدى المعارك بين فرقة من المجاهدين الليبيين وفرقة من الإيطاليين، وكان الجبل الأخضر ساحة لهذه المعركة، الذي تستر المجاهدون في أحد كهوفه يتربصون فيه قدام فرقة الجنود الإيطاليين، وعند قدومهم بعرياتهم التف المجاهدون حولهم وأطلقوا عليهم النار فقتل منهم الكثير وفرَّ بعضهم، ورجع المجاهدون بكامل عددهم، وقد جرح بعضهم، وغنموا أسلحة العدو.

كان "عمر" يتفقد بندقيته فاكتشف رصاصةً فيها، قال لرفيقه الجالس قربه بأنه سيذهب ليلاحق فلول العدو؛ لأنه وعد والدته سيقا تل العدو إلى آخر رصاصة، سمع قائد الفرقة حديثه فحذره من الذهاب، فالجرب لم تنته بعد، وسيقاتلهم في المعارك المقبلة، لكن عمر غافل القائد وذهب، بحث عنه رفاقه في كل الجبل لكنهم لم يجدوا له أثراً، انتظروه لعله يعود لكنه لم يعد، ومنذ ذلك اليوم سُميت فرقتهم "فرقة عمر".

(1) سلسلة قصص ليبيية للأطفال، "عاشور يذهب إلى الحرب"، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981 م.

(2) سلسلة قصص ليبيية للأطفال، "الليبية الشجاعة"، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981.

(3) مجموعة المهر الأسود، "فرقة عمر"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 353.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 355.

وتوثق مجموعة "قصص لأطفال الثورة"⁽¹⁾، التي كتبها الشريف بعد ثورة السابع عشر من فبراير، لهذا الحدث التاريخي الذي مرّ به الشعب الليبي، وعائشه الكبار والصغار، فالقصة الأولى "المراسل الحربي" فبطل القصة الصغير "حسن" قام بمساعدة الثوار، حيث كان ينقل رسائل شفوية بينهم.

وفي قصة "ليس مع الثائر سلاح" ذهب بطل القصة الصغير حسن مع رفاقه إلى الميدان الذي يجتمع فيه الثوار، يهتفون وينشدون للوطن، فرأوا جميع الثوار يحمل كل منهم سلاحه إلا ثائراً واحداً ليس معه سلاح.

ذهبوا إليه وسألوه عن سبب ذلك، فأجابهم بأنه لم يملك سلاحاً، اجتمع حسن مع رفاقه واتفقوا أن يجمعوا نقوداً ليعطوها للثائر ليشتري بها سلاحاً⁽²⁾.

وفي قصة "عند مدخل الشارع"⁽³⁾، وثقت هذه القصة ليلة تحرير طرابلس، وما فعلت ثلثة من الثوار في أحد شوارع العاصمة، حيث اغلقوا ذلك الشارع أمام جنود الكتائب، فكانوا في مرمى نيرانهم، حيث تعرض كريم لإصابة في كتفه، فحمله رفيقه عمران إلى المستشفى الميداني، وفي الصباح كانت المدينة محررة فرجع عمران ورفاقه علم التحرير أمام بيت خالتي سالمة التي استشهد ابنها في إحدى معاركهم مع جنود الكتائب.

في قصة "مفاجأة سميرة الصغيرة"⁽⁴⁾، التي بطلتها طفلة اسمها "سميرة" أسهب الكاتب في وصف جمالها ومحبتها لمن حولها ومحبتهم لها.

وكانت هوايتها المفضلة الخياطة، فهي كانت تخط الفساتين المزركشة لعرائسها، ولذلك هي تحتفظ بحقيبة صغيرة فيها أدوات للخياطة كالإبر والخيوط الملونة ومقص صغير وأزرار صغيرة، اشتراها لها والدها، كما كانت تساعدها والدتها في هذه الهواية.

-
- (1) مجموعة قصص لأطفال الثورة، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 2014 م، ط 1.
 - (2) ينظر: مجموعة قصص لأطفال الثورة، قصة "ليس مع الثائر سلاح"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 2014 م، ط 1، ص 9.
 - (3) مجموعة قصص لأطفال الثورة، قصة "عند مدخل الشارع"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 15.
 - (4) مجموعة قصص لأطفال الثورة، قصة "مفاجأة سميرة الصغيرة"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 18.

في أحد الأيام طلبت من أبيها طلباً أرادت أن يكون سراً بينه وبينها، ولبي والدها لها طلبها، ومنذ ذلك اليوم منعت سميرة الجميع من دخول غرفتها؛ حتى لا يطلعوا على سرها الذي أرادت أن يكون مفاجأة.

كان ذلك أثناء الثورة، قضت سميرة أغلب أوقاتها في حجرتها، ولم تعد تذهب إلى المدرسة؛ لأنَّ هناك حرب شوارع في المدينة بين الثوار وجنود الكتائب، كما كان والدها غائباً عن البيت لأنه يحارب مع الثوار.

مرت الأيام، وفي ليلة لا تنساها سميرة سمعت أصوات التكبير تأتي من كل مكان، كما سمعت أمها تزغرد.

في الصباح جاء أصدقاء سميرة وصديقاتها وفاجأت سميرة الجميع بأن وزعت عليهم أعلاماً صغيرة ملونة بالأحمر والأسود والأخضر، وتتوسطها هلال ونجمة إنه علم التحرير؛ وبهذا عرف الجميع لماذا منعتهم سميرة من دخول غرفتها.

وفي قصة "البيت الصغير"⁽¹⁾، وثقت هذه القصة أيضاً لثورة الليبيين ضد الاستبداد، ومساهمة الجميع كلِّ حسب قدرته في هذه الثورة المجيدة، فالسيدة زهرة ساهمت رغم فقرها بمساعدة الثوار، فعندما أخبرها ابنها أحمد الثائر الصغير بأن رفاقه من الثوار سيزورونه في بيتهم الصغير، قامت ببيع قطعة الذهب الصغيرة التي كانت ذكرى من زوجها المتوفى، والتي لا تملك غيرها، لتعد لهم طعاماً، ودعت صديقتها سالمة لمساعدتها في ذلك.

وفي قصة "البيغاء"⁽²⁾، وهو نفسه بطل القصة، ذهب سامي رفقة والده إلى سوق الطيور ليشتري عصفوراً.

رأى سامي عصافير مختلفة الألوان والأشكال، أعجبه البيغاء" وقال له البائع إنه يتكلم، وطلب منه أن يردد اسمه أمامه، قام سامي بتريديد اسمه عدة مرات، لكنَّ البيغاء لم يتكلم، فتركه وذهب يتجول في

(1) مجموعة قصص لأطفال الثورة، قصة "البيت الصغير"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 21.

(2) مجموعة قصص لأطفال الثورة، قصة "البيغاء"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 23.

السوق، وبعد لحظات سمع صوتاً ينادي: سامي سامي..، فقال لوالده: من يناديني يا أبي؟ فقال والده: لا أعرف. ولكنهما سمعا النداء مرة أخرى.

أخذ سامي يبحث عن مصدر النداء، عندما اقترب سامي من البيغاء، ردد اسمه مرتين.

نادى سامي على والده قائلاً له: البيغاء يقول اسمي، إنه يعرفني، أنا أحبه. وافق والده على شراء البيغاء بققصه.

في البيت وضع سامي القفص على الخزانة قرب النافذة، وحضر أصدقاؤه لمشاهدة البيغاء الجميل الذي يتكلم وينادي سامي، وبعد فترة اخذ يردد كلمة "افتح" لأنه كان يسمعها كثيراً.

بعد شهر بدأت حرب التحرير، وكان والده طبيباً لذا كان يجلب الأدوية إلى البيت ليقدمها للثوار، ثم التحق بهم، ليبقى سامي وأمه والبيغاء فقط في البيت.

كان سامي يسمع دوي المدافع، وكان خائفاً، البيغاء - أيضاً - وأصبح كثير الصراخ، يضرب بجناحيه قضبان القفص، وقد توقف عن تناول طعامه.

في صباح أحد الأيام لم يجد سامي البيغاء، ووجد القفص على الأرض مكسوراً، مرت الأيام وحرب التحرير مستمرة، ووالده لم يزورهم إلا مرتين.

ذات ليلة بينما كان سامي يقرأ أحد كتبه، فجأة سمع هتافاً يأتي من بعيد، توقّف عن القراءة ليسأل أمه، التي كانت أيضاً تسمع الهتاف، وقالت له ببهجة وسعادة: هذا هتاف الفرحة يا سامي..

فجأة سمع سامي صوتاً يعرفه ويحبه، ويشتاق إليه، سمع نقرات على زجاج النافذة، ثم سمع الصوت: سامي .. سامي .. افتح .. افتح .. ليبيبا .. ليبيبا ..

ثانياً: المضامين والقيم الإنسانية والمعرفية:

1. المضامين والقيم الصحية وتكامل الشخصية:

أ. المضامين والقيم الصحية:

من أهم القصص التي حملت قيماً صحيّة قصة "الولد الذي لا يشبع أبداً"، اعتمد الشريف في هذه القصة على عرض صورتين متناقضتين، هما الصورة القائمة للولد الذي يأكل كثيراً ولا يمارس الرياضة، فكانت نتيجة ذلك تعرضه للمرض مما أدى إلى تغيّبه عن المدرسة ومن ثم رسوبه في دراسته، أما الصورة المشرقة فهي للولد المعتدل في طعامه وشرابه، والذي يواظب على ممارسة الرياضة، فنعم بالصحة ولم يتغيّب عن مدرسته فكان من الناجحين في دراسته⁽¹⁾.

وفي قصة "من يصل أولاً"، جملة من القيم من أهمها ضرورة ممارسة الرياضة، فبطل القصة "كريم" كان يصير دائماً على استخدام الدراجة على خلاف أقرانه ومعلمه الذين يمشون مترجلين في رحلتهم الأسبوعية، "وكان معلمهم يشجعهم على هذه الرياضة، لأنها تقوي أجسادهم وتعودهم على تحمل المشاق، وكانوا جميعاً سعداء"⁽²⁾، وكان "كريم" يتباهى بالوصول قبل الجميع، ولكن عندما تعطلت دراجته كان متأخراً عن الجميع؛ لأنه لم يتمرن على صعود الجبل على قدميه كالآخرين.

وفي قصة "ندى وشمس الربيع"، جملة من القيم أهمها أهمية النشاط وترك الكسل، فكانت بطلة القصة "ندى" تتكاسل ولا تستيقظ من نومها مبكرة حتى أنها تغيّبت عن المدرسة، مما أحزن الشمس فاشتكت لأصدقاء "ندى" قائلة: "هل سمعتم ..؟ لقد تغيّبت ندى عن دروسها هذا الصباح، ودخلت إليها من خصاص نافذتها المغلقة لكنها أشاحت بوجهها عني"⁽³⁾.

وعندما استيقظت "ندى" عند الضحى، غابت الشمس، وعندما ذهبت إلى الأطفال الذين يلعبون في شمس الربيع لتلعب معهم، كانت الشمس قد غادرت المكان، وفي اليوم التالي استيقظت "ندى" مبكرة

(1) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، الولد الذي لا يشبع أبداً، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 139.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "من يصل أولاً"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 29.

(3) سلسلة طفل يقرأ، "ندى وشمس الربيع"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص 7.

وذهبت إلى شاطئ البحر وتناورت مع الشمس التي أخبرتها بأنها كانت تهرب منها بسبب كسلها وتغيبها عن مدرستها، فوعدها "ندى" بأنها لن تتغيب عن مدرستها مرة أخرى.

ب. مضامين وقيم تكامل الشخصية:

■ **التصميم:** قصة "ثمن المعرفة"⁽¹⁾، من أهم قيمها التصميم والإصرار على التعلم، فبطل القصة الصغير "بلال" اشترى دراجة صغيرة، وكان يتعلم قيادتها في الساحة الصغيرة أمام البيت، تعرض في البداية للسقوط أحياناً أو الاصطدام بالجدار، فيضحك أصدقاؤه منه.

في أحد الأيام ذهب "بلال" إلى ساحة قصية ليتعلم بعيداً عن الأعين، فحاول عدة مرّات ورغم سقوطه المتكرّر والمؤلم فإنّه تابع تعلمه، "في المحاولة الأخيرة لم يسقط .. اطمأن وهدأت أنفاسه.. تقدّم أكثر وأكثر .. ولم يسقط .. طافت على محياه ابتسامة الانتصار"⁽²⁾.

ليس هذا فحسب بل أنّه قام بحركات بهلوانيّة، وتذكّر المصطلحات الغامضة التي كان يذكرها والده مثل: الاحتكاك، والحركة، والتوازن، والدفع.

■ **الشجاعة:** قصة "قلب شجاع"⁽³⁾، أهم قيمها الشجاعة، حيث مرّ بطل القصة الصغير بتجربة مجابهة الصعاب والأخطار، فقد دعاه والده إلى مرافقته في رحلته الصحراوية، ففرح الابن معانقاً والده.

وبعد إعداد العُدّة، ذهب الابن رفقة والده بالسيارة إلى الصحراء، فعلقت السيارة وبعد عدة محاولات فاشلة لتخليصها، ترجلا حاملين زادهما تحت أشعة الشمس المحرقة، واصلا سيرهما دون توقف حتى حلّ الظلام، فسقط الوالد في حفرة فكسرت ساقه، ذهب الابن وحيداً كما طلب منه والده ل يبحث لهما عن منقذ، وكانت الرياح قوية والظلام حالك، لكنه قاوم مخاوفه حتى رأى قبساً خافتاً، واصل سيره حتى رأى خيال رجل أمام خيمته وسمعه ينهر كلابه، عندها اطمأن قلبه، وتذكر قول والده له: "أنت رجل وأنا اعتمد عليك..⁽⁴⁾

(1) ينظر: سلسلة نوافذ، "ثمن المعرفة"، يوسف الشريف مصدر سابق.

(2) المصدر السابق، ص 10.

(3) ينظر: سلسلة نوافذ، "قلب شجاع"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 14.

(4) المصدر السابق، ص 14.

وقصة "عندما هزمت الخوف"⁽¹⁾، لا تختلف كثيراً عن سابقتها، حيث قام الأب بدعوة ابنه لخوض تجربة تكتنفها الأخطار ليهزم خوفه ويكتسب الشجاعة، وكانت ساحة التعليم هذه المرة هو الغابة الممتلئة بالكثير من الحيوانات المفترسة، وكان الوقت ليلاً ممطراً يغيب فيه القمر والنجوم.

وتعرضاً لملاحقة خطيرة من دب مفترس، لكنه قتل على يد الأب، الذي قال لابنه في نهاية القصة مشجعاً له: "هل نسيت إنك في الشتاء القادم ستدخل الغابة وحدك"⁽²⁾.

ويبدو أنّ الكاتب على اقتناع كبير بأنّ إقحام الأطفال في التجارب التي تكتنفها المصاعب والأخطار هو ما يولّد فيهم الشجاعة والإقدام.

وحكاية "عصفور شجاع"⁽³⁾، بيّنت أنّ الشجاعة لا ترتبط بالقوة، فليس كل صغير ضعيفاً، وليس كل ضعيف جباناً، فالعصفور الصغير "طيف" أثبت بشجاعته ذلك، حيث رفض الهروب من وجه صياد العصافير، بل دعا كل عصافير الغابة إلى الهجوم على ذلك الصياد في الوقت ذاته، وكان هو أول المهاجمين؛ ليفرّ الصياد إلى غير رجعة.

■ **احترام الذات:** تحمل قصة "النخلة وزهرة الياسمين"⁽⁴⁾، أهمية قيم احترام الذات والثقة بالنفس، فزهرة الياسمين بسبب عدم ثقتها بنفسها، واستهانتها بما وهبها الله - تعالى - تطلعت أن تكون كالنخلة في طولها، فكان لها ذلك، حيث ساعدتها النخلة التي سكبت عليها من رحيقها حتى أصبحت أطول زهرة في البستان، لكنّها لم تسعد بذلك حيث صارت عرضة لحرارة الشمس المحرقة التي لم تستطع تحملها، وللرياح القويّة التي كانت أقوى من أن تصمد في وجهها.

(1) ينظر: سلسلة طفل يقرأ، "عندما هزمت الخوف"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.

(2) المصدر السابق، ص 14.

(3) ينظر: مجموعة حكايات العصافير، "عصفور شجاع"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 50.

(4) ينظر: سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

وزاد من تعاستها تجاهل الأطفال الذين كانوا يدخلون الحديقة ويجمعون الأزهار والورود؛ ليصنعوا منها عقوداً جميلة، فيما وصفها الصبي قائلاً للصبية: "إنّها زهرة عجوز لا نفعَ فيها"⁽¹⁾.

2. المضامين والقيم المعرفية والاقتصادية:

أ. المضامين والقيم المعرفية:

تضمّنت مجموعة "من حكايات الحروف"⁽²⁾، قيمةً معرفيةً، وهي رغم أنها تعتمد على قيم المعرفة اللغوية بشكل خاص فإنّها لا تخلو من أنواع أخرى من المعارف والمعلومات.

فالحكاية "التاسعة"⁽³⁾، على وجه التحديد تضمّنت قيمةً علميةً، حيث أورد الكاتب بعض المصطلحات العلمية كدليل على قدرة اللغة العربية على مواكبة الحضارة الحديثة والتقدّم العلمي.

قصة "الديك وأصدقاؤه الثلاثة"⁽⁴⁾، تحمل قيمة مهمة من قيم الثقافة، وهي المداومة على القراءة والاطلاع، فالديك الذي يعيش مع أصدقائه الثلاثة في بيت واحد وهم القط والأرنب والبطة، كان يتميز عليهم بثقافته الواسعة وحكاياته الممتعة التي كان يحكيها لهم كل مساء.

وكان هؤلاء الأصدقاء متعجبين من مصدر ثقافته وحكاياته، فاتفقوا أن يتبعه أحدهم عند خروجه من البيت ليعرفوا مصدر ثقافته، وكان اختيارهم وقع على القط، الذي تبعه عند خروجه من البيت، فوجد أنه يدخل بناية كبيرة تعلوها لوحة مكتوب عليها "مكتبة عامة".

وحكاية "عصفور اللون الأبيض"⁽⁵⁾، تضمّنت قيمةً معرفيةً، حيث بيّنت للأطفال في المراحل الأولى العلاقة بين بعض مظاهر الطبيعة وبعض ظواهرها.

حيث يعرف الطفل أنّ العصفور يحتاج للأكل من قمح السنبله، كما تحتاج السنبله للماء حتى تنمو وتثمر حبوباً، والنهر يحتاج لمياه المطر ليستمر تدفقه، والمطر يحتاج للسحب حتى تنزل المطر،

(1) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 13.

(2) ينظر: مجموعة "من حكايات الحروف"، يوسف الشريف، مصدر سابق، 2003.

(3) ينظر: مجموعة "من حكايات الحروف"، الحكاية التاسعة، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 93.

(4) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، الديك وأصدقاؤه الثلاثة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 23.

(5) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، عصفور اللون الأبيض، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 63.

والسحب تحتاج للرياح لتحملها فوق النهر، والرياح تحتاج للبحر الذي يتبخر منه بخار الماء، والبحر يحتاج للشمس لتبخر ماءه، ليصل الأمر إلى منتهاه الطبيعي، وهو حصول الكائن الحي المتمثل في العصفور على طعامه المتمثل في حبات القمح من السنبلة.

وحكاية "عصفور سافر مع الشمس"⁽¹⁾، يمكن عدّها معرفية بامتياز، حيث حملت جملة من الحقائق العلمية، والأهم من كل ذلك أنها بيّنت أنّ السفر والاستكشاف من أهم وسائل العلم والمعرفة، كما فعل العصفور الصغير بطل القصة، وكما جاء ذلك واضحاً في نهاية الحكاية "في الصباح استيقظت العصفورة الكبيرة وجمعت أولادها العصافير وطارت بهم في السماء الزرقاء الصافية ليتعرّفوا على غابات وطيور لم يعرفوها"⁽²⁾.

وفي حكاية "عصفور أحبّ عصفورة"⁽³⁾، التي رغم إطارها الاجتماعي فإنّها تضمّنت قيماً معرفية، فقد اشتملت على الكثير من الحقائق والمصطلحات العلميّة، خاصةً في مجال الفلك.

فالعصفور الذي طار في السماء باحثاً عن حبيبته العصفورة، ليكتشف أن السماء ليست زرقاء كما كان يراها وهو على الأرض، كما حدث حوار علمي بينه وبين القمر، حيث سأل العصفور القمر لما لا يصل نورك إلى الأشجار نهاراً؟ فأجابه القمر قائلاً: "أنا أصل لكن ضوء الشمس أقوى، وأنا آخذ نوري من ضوءها"⁽⁴⁾.

وفي قصة "الحمامة تزرع شجرة"⁽⁵⁾، عدّة قيم أهمها القيم المعرفية، فمن خلال الحمامة بطلة القصة يتعرّف الأطفال على تفاصيل وحقائق علمية عن خطوات زراعة الشجار، كما يعرفون أهمية وجود الأشجار في بيئتنا.

(1) ينظر: مجموعة حكايات العصافير، "عصفور سافر مع الشمس"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 4.

(2) ينظر: المصدر السابق، ص 9.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 32.

(4) ينظر: المصدر السابق، ص 36.

(5) ينظر: سلسلة نوافذ، "الحمامة تزرع شجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

أمّا مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"⁽¹⁾، وهي كما يدل عليه اسمها تمثل بعض الحقائق عن بعض الحيوانات، فكل حكاية من حكاياتها الست تتحدث عن أحد الحيوانات بأسلوب قصصي مبرزة إحدى طبائعه المثيرة التي تميزه.

"الحكاية الأولى"⁽²⁾، كان بطلها كلب، كانت أسرة أحمد تعنتي به، وقد تعرّض للسرقة في إحدى الليالي عندما كانوا خارج البيت، استطاع العودة إلى البيت بعد شهور من غيابه، وهذا يبين قدرة بعض الحيوانات ومنها الكلاب، على معرفة المكان الذي تعيش فيه والعودة إليه.

أمّا "الحكاية الثانية"⁽³⁾، فكان بطلها حماراً، فالمزارع الذي عاد حماره على العمل طيلة أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة، تفاجأ برفض الحمار الوقوف والعمل ذات يوم الجمعة عندما أراد أن يحمل عليه بعض أكياس السماد، ليجده في السبت التالي واقفاً مستعداً للعمل، وهذا يدل على تعود بعض الحيوانات على نمط حياة معين.

و"الحكاية الثالثة"⁽⁴⁾، كان أبطالها من القطط، حيث روى الكاتب مراقبته لإحدى القطط وهي تعلّم صغارها تسلق الجدار.

و"الحكاية الرابعة"⁽⁵⁾، كان أبطالها من النمل، وكان الراوي يراقبها فاكتشف بنفسه قدرتها على العمل بمتابرة وتعاون.

تضمّنت "الحكاية الخامسة"⁽¹⁾، قيام بعض الكلاب الأليفة بالدفاع عن الأطفال المعتدى عليهم، وذلك بمهاجمة المعتدين وطردهم.

(1) ينظر: مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، 2014، ط 1.

(2) ينظر: مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 5.

(3) ينظر: مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 7.

(4) ينظر: مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 10.

(5) ينظر: مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 13.

(1) ينظر: مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 15.

وفي "الحكاية السادسة"⁽¹⁾، سرد الراوي تجربته مع إحدى القطط التي أخذها من صديقه الذي كان طبيباً بيطرياً يعتني بمجموعة من القطط، لكن تلك القطعة باتت ليلتها قلقة ولم تتم، وفي الصباح قفزت إلى سيارته عند ركوبه فيها، ففهم رغبتها في العودة إلى رفيقاتها، فأرجعها إليهن.

ب. المضامين والقيم والاقتصادية:

تتضمن قصة "ابنة الراعي"⁽²⁾، قيمة مهمة هي قيمة العمل وعدم الركون إلى ميراث الآباء والأجداد، ومن المهم أن يجيد الإنسان صنعة ما حتى لو كان غنياً، فلا أحد بإمكانه ضمان ثبات الحال.

هذا بالضبط ما حدث لابن السلطان الذي خطب ابنة الراعي التي كانت بعيدة النظر، فاشتربت عليه أن يجيد صنعة ما، فتعلم صنع الشيلان، وهذه الصنعة هي التي أنقذته وأسرته من براثن العوز عندما ضاعت ثروته وهلك ملك أبيه.

كما تضمنت حكاية "السنجاب والبستان"⁽³⁾، قيم العمل والاعتماد على النفس في كسب الرزق، فالسنجاب عندما شعر بالجوع ذهب إلى بساتين جيرانه من الحيوانات ليأكل منها، فكان كلما دخل لبستان أحدها طرد منه، فنصحته الغراب الذي كان يراقبه بأن يعمل على أن يكون لديه بستانه الخاص به، فعمل بنصيحته وصار له بستانه الخاص.

ولأنه عرف معنى المعاناة والجهد المضني من خلال عمله في بستانه، منع هو أيضاً الحيوانات التي تطفأت على بستانه، فذكرنه بأنه كان يستهين بجهد الآخرين وتعيبهم.

(1) ينظر: مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، "الحكاية السادسة"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 16.

(2) ينظر: سلسلة قصص ليلية للأطفال، "ابنة الراعي"، يوسف الشريف، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1977 م.

(3) ينظر: مجموعة حكايات قبل النوم، "السنجاب والبستان"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 29.

نجد ذلك - أيضاً - في قصة "هدية عيد الميلاد"⁽¹⁾، حيث كان بطل القصة "أيمن" مشغولاً بتقديم هدية لأمه في عيدها، ولكن ليس لديه نقود، وعندما رأى بائع الهدايا إصراره في الحصول على هدية لأمه، عرض عليه أن يساعده في ترتيب بعض الهدايا الصغيرة نظير القرط الصغير الذي أعجبه ليقدمه هدية لأمه، فقام أيمن بالعمل وحصل على ما يريد، هذا الموقف جعل أيمن يعرف أن العمل هو الوسيلة للحصول على ما يريده.

(1) ينظر: سلسلة نوافذ قصة "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

المبحث الثاني

الدّراسة الفنيّة

اللُّغة والأسلوب - البيئّة - الشخصيات - الحكّة

بدايةً أود أن أسجّل في هذا المقام أنّي واجهتُ إشكالاً حقيقياً بسبب عدم تحديد الكاتب للمرحلة العمرية لقصصه، فهذا الأمر اضطرني لأن أرجح مجرد ترجيح المرحلة التي يتوجّه لها الكاتب بخطابه القصصي، وهذا الأمر أعدّه من أهم المآخذ على قصص "يوسف الشريف"؛ لأنّ عدم تحديد المرحلة العمرية لقصص الأطفال له أثره السلبي ليس على الدارس فحسب بل على الكاتب أيضاً حيث ينتج لديه ازدواجية وتداخل في الخطاب، فقد تكون فكرة القصة ومضمونها لمرحلة ما وأسلوبها وإخراجها يتناسب مع مرحلة أخرى، فالقصة الموجهة ليست هدفاً في حد ذاتها بل هي وسيلة فعّالة لتحقيق الأهداف التربوية التي تساعد دورها على تحقيق الشخصية المتكاملة للطفل من جميع الجوانب العقلية والنفسية والاجتماعية؛ لذا فإنّ تحقيق هذه الأهداف يستدعي معرفة الفئة المخاطبة من الأطفال، وتكييف القصة الموجهة لها شكلاً ومضموناً حسب القدرات الذهنية للمتلقين، حتى يتم الاستيعاب والفهم ومن ثمّ التفاعل.

كما ينبغي التنويه أنّ الدراسة الفنية تشمل كل عناصر القصة، التي تبدأ بالفكرة (المضمون) التي هي المحور الأساسي الذي تُبنى عليه بقية العناصر، وقد سبق للباحثة تناول هذا العنصر في الفصل السابق حيث أُفرد له مبحث خاص به؛ لذا سيتم في هذا المبحث دراسة بقية عناصر القصة التي لم يسبق تناولها:

أولاً: اللغة والأسلوب:

أسلوب كتابة القصة هو الطريقة التي ينقل الكاتب من خلالها فكرة القصة وحبكتها إلى صورة فنية مناسبة. والأسلوب الجيد هو الأسلوب المناسب للحبكة، والموافق للموضوع، والموائم للأفكار، والملائم لشخصيات القصة، وهو ما يخلق جو القصة ويظهر الأحاسيس فيها⁽¹⁾. وهذا ما يؤكده محمد حسن بريغش في قوله: "ما دامت الكتابة للأطفال وهم ليسوا جمهوراً واحداً بل لهم مراحل مختلفة، لذا لا بدّ للكاتب من اختيار الأسلوب الذي يتناسب مع مستوى الأطفال، وقدراتهم وخبراتهم، وهم بحاجة إلى التعرف على قاموس الأطفال في كل سن من سنوات عمرهم لاستخدام ألفاظه فيما يكتب لهم، بل

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 124.

لمعرفة ما ينبغي إضافته لهذا القاموس من المفردات التي يُحسن التعرفُ عليها من قبلهم، أو إضافتها لقاموسهم وخبراتهم⁽¹⁾.

وللهيتي معايير أكثر تفصيلاً ممّا سبق، فهذا الأسلوب ينبغي أن يتَّسم بالوضوح في ملاءمة ألفاظه وتراكيبه لمستوى الطفل اللغوي، وفي التعبير الدقيق عن المعاني. وأن يتَّسم بالقوة في قدرته على إيقاظ حواس الطفل وإثارته وجذبه كي يندمج بالقصة عن طريق نقل انفعالات الكاتب في ثنايا عمله القصصي، وتكوين الصور الحسيّة والذهنيّة المناسبة. وبالجمال الذي يكمن في سريانه في توافق نغمي وتآلف صوتي واستواء موسيقي⁽²⁾.

ويوسف الشريف كغيره من كتّاب قصص الأطفال في ليبيا نجحوا إلى حد كبير في استخدام قوالب لغويّة بعيدة عن التعقيد أو السطحيّة لتوصيل أفكارهم، خصوصاً أنّهم استخدموا اللغة العربيّة الفصحى في جميع القصص سواء أكان ذلك في لغة الوصف أم في لغة الحوار، إيماناً منهم بقدرة اللغة الفصحى على التعبير بصدق للوصول إلى الأطفال إذا أحسن استخدامها، وحرصاً منهم على تزويد الطفل بمخزون لغوي جيّد، فمن حق الطفل أن يستمتع بجمال اللغة، ومن حقه تنمية التذوّق الجمالي للغة لديه، وبهذا فإنّ الأسلوب الذي كتبت به قصص الأطفال في ليبيا كان في معظمه مناسباً، وقد أدّى الهدف المرجوّ من العمليّة الإبداعيّة⁽³⁾.

ومثال ذلك ما اعتمده الشريف في بعض قصصه من لغة بسيطة ومفردات وجملٍ قصيرة، تناسب الأطفال في المرحلة العمرية المبكرة، وذلك كما في قصة "الشمس تأتي بالصبح"، و"أمي"، و"حديقة الورد"، و"السماء بيت العصافير"، و"يوسف الصغير"، و"الطائر الصغير والطائر الكبير"، و"الديك والبيغاء"، و"الثعلب والدجاجة والديك".

(1) ينظر: أدب الأطفال، أهدافه وسماته، محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996 م، ص 221.

(2) ينظر: ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، عالم المعرفة، الكويت، 1990، ص 173.

(3) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة الأمين المصري، مرجع سابق، ص 208.

ومن القصص التي اعتمدت على اللغة البسيطة ولغة السرد فقط دون أن يتخللها الحوار، قصة "فصل الربيع"، و"صديقان"^(*)، و"لينة الصغيرة"، وقصة "الرجل والمظلة" التي عبّر الكاتب فيها بلغة واضحة عن سقوط المطر، ومساعدة رجل يحمل مظلة لطفل بلا مظلة، وعبّر بغزارة المطر واستمراريته بتكرار اللفظ، حيث جاء فيها: "في الحقول مطر مطر .. مطر .. مطر .. مطر .. مطر"، كذلك في: "والصغير تحت المطر مطر .. مطر .. مطر .. مطر .. مطر"، وأيضاً: "والمطر يأتي من السماء مطر .. مطر .. مطر .. مطر .. مطر"⁽¹⁾. كما لجأ الكاتب إلى التكرار في قصة "عصفور مغرور" حيث كرّر الفعل "يغني" ليبيّن مدى ولع العصفور المغرور بجمال صوته، جاء ذلك في عدة جمل: "يغني وهو يطير ويغني وهو يأكل ويغني وهو يشرب، يغني في كل وقت وفي كل مكان، في النهار يغني وفي الليل يغني، تحت الشجرة يغني وفوق الشجرة يغني"⁽²⁾.

أمّا في قصة "صياد يدخل الغابة" فقد أحسن الكاتب استخدام التكرار، عندما لجأت الطيور لعدد من حيوانات الغابة القوية لطلب حمايتها من الصياد، فكان ردها واحد في كل مرة، فعندما ذهبت إلى الأسد ردّاً قائلاً: "اذهبوا مطمئنين، فلن يقتل الصياد طيراً بعد اليوم"⁽³⁾، كذلك كان رد الفيل: "اذهبوا مطمئنين فلن يصطاد الصياد طيراً بعد اليوم"⁽⁴⁾، وهو المعنى ذاته لرد الأفعى: "أنا لا أخشى الصياد وسترون ما أفعل به..⁽⁵⁾، كذلك قال الثعلب: "اذهبوا مطمئنين فلن يصطاد الصياد طيراً بعد اليوم"⁽⁶⁾، تكرر هذه الردود وتشابهها من قبل عدد من الحيوانات وظّفت لتؤكد أنّ فكرة اعتماد الطيور على غيرها هي فكرة غير سديدة بدليل أنّ الصياد تمكّن منها جميعاً رغم ما عرفت به هذه الحيوانات من قوة وضراوة، كما جاء في تكرار النتيجة نفسها في كل مرة، ذلك عندما تصدى الأسد للصياد "لكن الصياد قتل الأسد وصنع من جلده فراشاً ينام عليه..⁽⁷⁾، كذلك عندما تصدى له الفيل "لكن الصياد قتل الفيل

(*) قصة مفردة، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005، هناك قصة أخرى بنفس العنوان في سلسلة نوافذ، 1998.

(1) الرجل والمظلة، يوسف الشريف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005، د.ترقيم.

(2) مجموعة حكايات العصفير، "عصفور مغرور"، مصدر سابق، ص 28.

(3) سلسلة طفل يقرأ، "صياد يدخل الغابة"، مصدر سابق، ص 4.

(4) المصدر السابق، ص 5.

(5) سلسلة طفل يقرأ، "صياد يدخل الغابة"، مصدر سابق، ص 7.

(6) المصدر السابق، ص 8.

(7) المصدر السابق، ص 4.

وصنع من نابه عقداً لزوجته..⁽¹⁾، وعندما تصدّت له الأفعى "لكن الصياد قتل الأفعى وصنع من جلدها حذاء لزوجته.."⁽²⁾، وهو ما فعله عندما تصدّى له الثعلب "لكن الصياد قتل الثعلب وصنع من فرائه معطفاً لزوجته.."⁽³⁾، فتكرار الفشل يشحن ذهن القارئ الصغير ويشركه في التفكير فيما ستؤول إليه الأمور لخروج الطيور من المأزق الذي وجدت نفسها فيه، كما أنّ ذلك يرسل برسالة مفادها أنّ تكرار الفشل لا يعني اليأس والاستسلام، بدليل نجاح الطيور على الصياد في آخر الأمر.

وفي قصة "عصفور اللون الأبيض" يتجلى جمال التكرار، فالكاتب كرر فيها عبارات بكاملها، ورغم ذلك لا يشعر القارئ بثقلها، مع أنّ هذه العبارات المتكررة تزداد طولاً كلما اقترب القارئ من النهاية حتى تصل إلى أقصاها، حيث بدأت بالعبارة التي خاطب فيها العصفور النهر قائلاً: "يا نهر الماء الرقراق اعطني قطرة ماء أروي بها جذور السنبله لتعطيني حبة قمح أو حبتين"⁽⁴⁾، وانتهت بالعبارة التي خاطب فيها العصفور الشمس قائلاً: "يا شمس اللون الأحمر لو تعطي البحر شعاعاً ليصير الماء بخاراً ثم سحابة ماء تحملها الريح فوق النهر لتعطينه مطراً يسقيه ليعطيني قطرة ماء أروي بها جذور السنبله لتعطيني حبة قمح أو حبتين"⁽⁵⁾.

وفي قصة "الفيل والقبرة" دلّ التكرار للفعل "اقترب" على تتابع الخطوات الوئيدة للثعلب المخادع، فهو لم يحم بهجومه دفعة واحدة، بل اقترب بهدوء وتؤدة نحو القبرة التي لم تشعر بخطر اقترابه؛ لأنه رافق خطواته بكلام بعث في نفسها الأمل في الوصول إلى الغابة التي فيها أمها، جاء ذلك في العبارة: "اقترب الثعلب من القبرة، اقترب .. اقترب .. اقترب حتى سمعت أنفاسه"⁽⁶⁾.

وفي قصة "انتقام العصافير" تكررت كلمة "بعيد" وصفاً للزمن الضارب في القدم الذي غرست فيه الشجرة، جاء ذلك في: ".. مغروسة في الأرض منذ زمن بعيد بعيد"، كذلك تكرر الفعل "يضرب" في قوله: ".. فأخذ يضرب الجذع ويضرب ويضرب"، وفي قصة "حورية البحر الصغيرة" تكرر تذكير بطل

(1) سلسلة طفل يقرأ، "صياد يدخل الغابة"، مصدر سابق، ص 6.

(2) المصدر السابق، ص 7.

(3) المصدر السابق، ص 8.

(4) مجموعة حكايات قبل النوم، "عصفور اللون الأبيض"، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 65.

(5) المصدر السابق، ص 66.

(6) سلسلة نوافذ، "الفيل والقبرة"، مصدر سابق، ص 12.

القصة الصغير "إبراهيم" والده الصياد ليصطاد له السمكة الذهبية، جاء ذلك في قوله: "لا تنس السمكة الذهبية"⁽¹⁾، وتكرر بعد ذلك مرتين، وهو تكرر يعكس رغبة "إبراهيم" الشديدة في الحصول على السمكة الذهبية.

وقد استخدم الكاتب لغة مفهومة ومفردات واضحة بالنسبة إلى الأطفال ليس فيها تعقيد، كما كانت اللغة متناسبة مع مضمون النص كما جاء في قصة "لماذا تبكي العصافير" التي بدأها بأسلوب قريباً من لغة الشعر، يقول الكاتب:

"عصفوران صديقان في قفص

عصفور صغير لونه من لون السماء

وعصفور صغير لونه من لون الأشجار

جاء رجل طويل واشترى العصفور الأزرق

ثم جاء رجل قصير واشترى العصفور الأخضر

بكى العصفور الأزرق لفراق صديقه

وبكى العصفور الأخضر لفراق صديقه"⁽²⁾.

ثم يدخل الكاتب إلى أحداث القصة ليصورها بالأسلوب القصصي المعتاد، ويعود ليختمها بأسلوب شعري شبيه بالمقدمة، عندما يقول:

"غرد العصفور الأزرق

وغرد العصفور الأخضر

ثم غردت كل العصافير في الغابة القريبة

ثم غردت كل العصافير في الغابات البعيدة"⁽³⁾.

واللغة التي استخدمها الكاتب هنا تتواءم مع الموقف، وتتماشى مع موضوع القصة ومع شخصياتها، فالمعروف عن العصافير التغريد والغناء، واللغة الشعرية المستخدمة هنا تناسب هذا المقام⁽⁴⁾.

(1) مجموعة المهر الأسود، "حورية البحر الصغيرة"، مصدر سابق، ص 41.

(2) سلسلة طفل يقرأ، "لماذا تبكي العصافير"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، 1999، ص 3.

(3) المصدر السابق، ص 14.

(4) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، فريدة المصري، مرجع سابق، ص 213.

ومن الأمثلة على التكرار الممل الذي لا طائل من ورائه ما ورد في قصة "درس كل يوم": "جلست أسماء في مقعدها، وجلس حمزة في مقعده، وجلس كل تلميذ في مقعده"⁽¹⁾، ومثل: " انتهى الدرس، عاد حمزة إلى بيته، وعادت أسماء إلى بيتها، وعادت المعلمة إلى بيتها، وعاد التلاميذ إلى بيوتهم"⁽²⁾، وأيضاً ما ورد في قصة "ورد ووردة" وهذا التكرار اتبعه الكاتب من بداية القصة إلى نهايتها، كما في: "في كل صباح يستيقظ ورد من نومه وتستيقظ وردة من نومها"، "يقول ورد صباح الخير يا وردة، وتقول وردة صباح الخير يا ورد"، تغسل وردة وجهها بالماء والصابون وتنظف أسنانها بفرشاتها الزرقاء وتجفف وجهها بمنشفتها الزرقاء، ويغسل ورد وجهه بالماء والصابون وينظف أسنانه بفرشاته البيضاء ويجفف وجهه بمنشفته البيضاء"⁽³⁾.

كذلك ما جاء في قصة "أبي لا يعرف أين يذهب الحمام" وردت فيها بعض الجمل والعبارات التي لا طائل من ورائها، مثل: "في قرينتنا سوق صغير، يذهب إليه الكبار ليشتروا ما يحتاج الكبار، ويذهب إليه الصغار ليشتروا ما يحب الصغار، وأنا يا أصدقائي صغير .. أحب ما يحب الصغار وأكره ما يكره الصغار"⁽⁴⁾، كما تضمنت تكراراً مخلصاً لبعض الجمل، مثل: "ذهبت مع أبي وكنت مع أبي، وفي السوق دخل أبي، ودخلت أنا، كنت أمشي خلف أبي"⁽⁵⁾، وفي قصة "الحجر والعصا" تكررت الجملة .. انحنى والنقط الحجر"⁽⁶⁾، وفي موضع آخر .. "لكنه النقط الحجر الصغير"⁽⁷⁾.

وفي قصة "عصفور سافر مع الشمس" تحدث الكاتب في بدايتها عن استيقاظ العصفور البطل مبكراً قبل أمه وأخوته، بل قبل أن تستيقظ كل العصافير، بعد ذلك كرر الفكرة نفسها بقوله: "وحده كان العصفور مستيقظاً"، وتكرار الجمل والعبارات يعد حشواً يسهم في ترهل القصة؛ مما يؤدي إلى نفور القارئ الصغير الملول بطبيعته. وفي قصة "السمة الذهبية" نقل الكاتب الصورة العاطفية للصيد لحظة

(1) سلسلة طفل يقرأ، "درس كل يوم"، مصدر سابق، ص 4.

(2) المصدر السابق، ص 10 - 12.

(3) مجموعة حكايات قبل النوم، "ورد ووردة"، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 171.

(4) مجموعة المهر الأسود، "أبي لا يعرف أين يذهب الحمام"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 13.

(5) المصدر السابق، ص 13.

(6) مجموعة المهر الأسود، "الحجر والعصا"، مصدر سابق، ص 35.

(7) المصدر السابق، ص 36.

اصطياده السمكة الذهبية عندما قال: "وعندما أطلت رأى في وسط الشباك نقطة تتوهج كالشمس عند المغيب، خفق قلبه وأحس بالقلق والخوف"⁽¹⁾، كما عبّر بجمل واضحة وبسيطة عن حرصه الشديد "على السمكة الذهبية" وذلك في قوله: "لكن عمي شعبان ضمها بسرعة وبرفق بين كفيه، ووضعها في إناء الزجاج الذي يحضره معه كل ليلة"⁽²⁾. وفي قصة "انتقام العصافير" أحسن الكاتب استخدام لفظ "القتل" للشجرة بدلاً من "القطع"، وذلك في العبارة "سمعت العصافير في الغابة بما حدث لعصافير القرية فسأل عصفور أمه: لماذا يقتل عاشور الأشجار والعصافير؟.. أجابت الأم: لأن الأولاد يقطفون ثمار بستانه .. والبستان بلا سياج فقتل الشجرة وصنع من ساقها وفروعها سياجاً لبستانه"⁽³⁾؛ لأنّ حياة العصافير ارتبطت بحياة الشجرة وبقطعها انتهت حياة كثير من العصافير التي كانت تعيش فيها. كما استخدم فعل "القتل" للجماد، وذلك في قصة "المطر يسقط في الصحراء" عندما قالت الريح: "إنّ الأمطار تقتل الرياح"⁽⁴⁾، كما أحسن وصف ريح الجنوب العاتية التي تضرب الأشجار محاولة اقتلاعها، وذلك بتشبيهها بالحيوان المجنون، في قوله: "كانت الريح تضرب فروع الأشجار وأغصانها كأنّها حيوان مجنون"⁽⁵⁾.

ومن القصص التي كانت لغتها مناسبة لمقتضى الحال، ومتماشية مع موضوع القصة وشخصياتها، قصة "ثمن المعرفة" حيث بدأ الكاتب بمقدمة وصف فيها دراجة "بلال"، واحتفاله بها وحرصه عليها، ثم دخل في تسلسل الأحداث التي تركّزت على محاولات "بلال" الفاشلة في قيادة دراجته الجديدة، مستخدماً لذلك جملاً وألفاظاً تتناسب مع طبيعة الحدث ونوعه، وكتعبير عن عدم قدرة "بلال" في البداية على قيادة دراجته، استخدم الكاتب جملاً قصيرة لكنها معبرة عن واقع الحال مثل: "تمايل يميناً وشمالاً وسقط، سارت الدراجة قليلاً ثم انحرفت واصطدمت بالجدار، داس على المكبح الأمامي، فانقلبت الدراجة وارتطم وجهه بالأرض"⁽⁶⁾، ونقل الكاتب بدقة شعور "بلال" من سخرية أصدقائه الذين كانوا

(1) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال، "السمكة الذهبية"، مصدر سابق، د.ترقيم.

(2) المصدر السابق، د.ترقيم.

(3) سلسلة طفل يقرأ، "انتقام العصافير"، مصدر سابق، ص 12.

(4) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، "المطر يسقط في الصحراء"، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010، ص 14.

(5) المصدر السابق، ص 9.

(6) سلسلة نوافذ، "ثمن المعرفة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 2.

يتحلقون حوله، وغضبه من فشله في عبارة قصيرة تضمنت ذلك إضافة إلى تضمنها إصراره على مواصلة المحاولة، وذلك عندما قال: "وتمنّى لو يختفي من المكان، ويذهب بعيداً بعيداً"⁽¹⁾، كما أجاد الكاتب وصف الحالة الداخلية لبطل القصة وما يدور في خياله من صور كانت دافعاً لمواصلة محاولاته، جاء ذلك حينما "طافت بخياله صور الأولاد والبنات وهم يقودون دراجاتهم ويتلاعبون بها في خفة، ويتراقصون بها في مهارة عجيبة، وقرر أن يكون في مثل مهاراتهم"⁽²⁾، ورغم ابتعاد "بلال" واتخاذ ساحة قصرية ليتعلم فيها، نقلت إحدى الجمل حذره الشديد وخشيته من اكتشاف مكانه، جاء في "ومع ذلك التفت أكثر من مرة وفي كل الجهات.." ⁽³⁾، وعندما انفرد في تلك الساحة بدأت محاولاته، ويجمل قصيرة ومعبرة نقل الكاتب معاناة "بلال" الناتجة عن سقوطه المتكرر، مثل: "كان الألم في وجهه شديداً.."، و"تذوق طعم سائل غريب" و"شفتاه متورمتان" و"نفرت من عينيه دموع"، و"يتذوق طعم التراب"⁽⁴⁾، كما نقل بجملة واحدة شعور السعادة بالانتصار، وذلك في قول الكاتب: "طافت على محياه ابتسامة الانتصار" كنايةً عن نجاحه في قيادة دراجته، لكن "بلال" لم يكتف بنجاحه في قيادة دراجته بل تفنن في ذلك، جاء ذلك في بعض التشبيهات: "أحسّ وكأنه طائر يسبح في الفضاء"، و"كانت عجلتنا الدراجة تنزلقان على الأرض وكأنهما تدوران فوق بساط من حرير"⁽⁵⁾، "يراهما وكأنها بيت واحد، وشجرة واحدة"⁽⁶⁾ دليلاً على سرعته الفائقة، كما استخدم الاستفهام الأدبي تعبيراً عن سعادة "بلال" وانتشائه بقيادة دراجته، وذلك في قوله: "يا إلهي.. لماذا هي تعود إلى الخلف -أيضاً- إلى أين تذهب..؟"⁽⁷⁾، وتعبيراً عن رجوع "بلال" منتصراً استخدم الكاتب جملاً بلاغية مثل: "فجأة امتلأ الفضاء رنيناً ورنيناً ورنيناً"، و"بلال يتهادى راقصاً بدراجته كأنما يسبح في الفضاء"⁽⁸⁾.

(1) سلسلة نوافذ، "ثمن المعرفة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 4.

(2) المصدر السابق، ص 6.

(3) المصدر السابق، ص 8.

(4) المصدر السابق، ص 10.

(5) المصدر السابق، ص 12.

(6) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها.

(7) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها.

(8) المصدر السابق نفسه الصفحة نفسها.

وفي قصة "عندما هزمت الخوف" استخدم أسلوب التشبيه لإبراز الأحاسيس الداخلية لبطل القصة الصغير الذي يسيطر عليه الخوف مما يجري حوله، حيث جاء على لسانه: ".. لكن كلما لمع ضوء البرق أرى عيوناً تبرق في الظلام، تنتظر إلينا كأنها تتوعدنا، كانت العيون تتبعنا وكأنها تسألنا أسئلة صامتة"⁽¹⁾. كما استخدم التشبيه في قصة "عيون النار" في وصف بطل القصة "عيون النار: طويلاً كأنه عمود يتحرك"⁽²⁾، كما استخدمه بصورة أكثر بلاغة في وصف عينيه في قوله: "إذا نظرت في عينيه رأيت كرتين حمراوتين^(*) مفتوحتين دائماً"⁽³⁾، وفي قصة "النخلة وزهرة الياسمين" استخدم الكاتب الكناية لوصف رغبة "زهرة الياسمين" في أن تبقى كما كانت دائماً طيبة الرائحة، جاء ذلك على لسانها: "أريد أن أبقى ياسمينة يصنع المحبون مني عطراً لحبيباتهم"⁽⁴⁾.

في قصة "الرجل والشجرة" بدأ الكاتب قصته بسرد الأحداث على لسان الراوي مستخدماً الفعل المبني للمجهول "يُحكى" أكثر من مرة، كما استخدم التقديم والتأخير في تراكيبه اللغوية حيث يقدم الصفة على الموصوف عندما يقول: "كثيفة أشجارها، جميلة أزهارها، ملونة عصافيرها، خضراء أرضها، صافية سماؤها، لطيف نسيمها، وعذبة ينابيعها"⁽⁵⁾، كما استخدم عدة أساليب في القصة، مثل: الاستفهام، وكانت كلها على لسان أم الأشجار، وهي استفهامات تحمل في طياتها معنى المحبة والعطف والشفقة على ذلك الرجل الذي كرّس وقته وجهده لقطع الأشجار، فعندما عرفت أنه عطشان، خاطبته قائلة: "أنت عطشان.. لماذا لا تشرب؟"⁽⁶⁾، وعندما عرفت أنه متعب قالت له: "إنّ ظلي ينعشك، أنت متعب.. لماذا لا تنام؟"⁽⁷⁾، والتشبيه، مثل: "جذع كالجبل"⁽⁸⁾، و".. يملك فأساً عجبياً، شفرته رهيبة، وضربته

(1) سلسلة طفل يقرأ، "عندما هزمت الخوف"، مصدر سابق، ص 6.

(2) سلسلة طفل يقرأ، "عيون النار"، مصدر سابق، ص 3.

(*) هكذا وردت في النص، والصحيح (حمراوين).

(3) المصدر السابق، ص 3.

(4) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، مصدر سابق، ص 6.

(5) سلسلة نوافذ، "الرجل والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 2.

(6) المصدر السابق، ص 8.

(7) المصدر السابق، ص 10.

(8) المصدر السابق، ص 4.

عنيفة⁽¹⁾، والتصغير: "ابنتي الشجيرة"⁽²⁾، أما في قصته "قصة غريبة" فقد اعتمد الكاتب على الفعل المضارع كثيراً في سرده في بداية القصة ثم انتقل إلى الفعل الماضي عندما وصل إلى سرد حوادث الحكاية، وفي قصته "الصبي والحمامة" ينتقل الكاتب من الأفعال الماضية انتقالاً لا يشعر القارئ بأي تفكك أو تناقض، بل هي لغة سلسلة استخدم فيها الكاتب الأساليب البلاغية سهلة التداول للأطفال بمهارة مثل: "أخرج حمامة صغيرة ناصعة البياض كأنها كرة من الثلج"⁽³⁾، وينتقل الكاتب إلى لغة أخرى، مثل: "بدأ الصبي يبكي وضم الحمامة بين أصابعه خوفاً عليها، دسها تحت ملابسه واندفع خارجاً"⁽⁴⁾، وفي موضع آخر يقول: "انتهى النهار وعاد إلى البيت، البندقية ما زالت في مكانها، اقترب منها تمنعاً فيها بغضب، مرّت أصابعه على سطحها وحاول أن يرفعها..."⁽⁵⁾.

واستخدم الكاتب بعض التفاصيل الدقيقة ليدخل القارئ الصغير في جو الحدث، مثل: "بدأ النعاس يغالبه لكنه يقاومه، وعندما قدر أن كل من في البيت نيام، فتح باب الحجرة بحذر شديد، الظلمة تلف كل أركان البيت، وقدماه حافيتان تزحفان على الأرض، استمر في خطواته البطيئة الزاحفة الحذرة ملاصقاً للجدار.."⁽⁶⁾، ومثل: "كان وحيداً في الليل، وكان يسرع الخطى رغم ثقل البندقية على كتفه، ثم أسرع ولم يهتم للألم الذي كانت تسببه له البندقية.."⁽⁷⁾، كذلك "بعد بحث هنا وهناك وجده، التقط حجراً ولاقاه في فتحة البئر، مرّت لحظات سمع بعدها صدى سقوط الحجر في قاع البئر، ابتسم ثم وبلا تردد رفع البندقية والقى بها في قاع البئر"⁽⁸⁾.

أمّا قصة "عندما اختفت ليلي" فقد كانت اللغة التقريرية المباشرة هي السائدة فيها، مثل: "جاء يوم الجمعة وتجمع الأولاد والبنات في ساحة المدرسة يحمل كل منهم طعامه وشرابه، ثم جاءت الحافلة كبيرة واسعة ونظيفة، ومقاعدنا وثيرة، وعندما اكتمل عددهم اخرجت المعلمة ورقة من حقيبتها وقرأت

(1) سلسلة نوافذ، "الرجل والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 6.

(2) المصدر السابق، ص 8.

(3) مجموعة المهر الأسود، "الصبي والحمامة"، مصدر سابق، ص 259.

(4) المصدر السابق، ص 260.

(5) المصدر السابق، ص 261.

(6) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(7) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(8) المصدر السابق، ص 259.

منها منادية كل تلميذ باسمه وكل تلميذة باسمها"⁽¹⁾، لكن الكاتب لجأ إلى استخدام التفاصيل الدقيقة في إحدى مراحل القصة لينقل الجو النفسي المسيطر على البطل الصغير "رفيق"، مثل قوله: "كان رفيق غاضباً من ليلي وخائفاً عليها، نادى مرة ونادى مرتين، ولم يعد يسمع إلا وقع أقدامه على الأوراق الجافة.. تمنى لو أنّ الشمس لا تغرب فهو لا يستطيع أن يرى في الظلام.." ⁽²⁾.

وفي قصة "سنابل الثلج" استخدم الكاتب تقنيات اللغة الإبداعية الجميلة مثل التشبيهات وغيرها ليسهل على القارئ الصغير تخيل المشهد الموصوف، مثل: "وعندما بدأت الأرض تبتعد عن ناظريه لتصبح في النهاية كرة بعيدة في حجم القمر...."⁽³⁾، كذلك: "تردد صوت عاشور صافياً نقياً فسمعته النجوم والكواكب في فضائها وسمعته الطيور في أعشاشها فامتألاً الفضاء بأغاني الحب، والفرح، وضعوا على رأسه إكليل الفداء"⁽⁴⁾، وأيضاً: "عمّت الفرحة الناس جميعاً، غنى الأطفال للمطر، ورقصت الصبايا، واخضرت الأرض، وارتفع زرعها، واكتملت فرحتها.." ⁽⁵⁾.

وفي قصة "كيس اللؤلؤ" استخدم الكاتب أسلوب التشبيه لوصف طريقة الاختفاء الغريب للرجل العجوز، جاء ذلك في قوله: "ثم اختفى كأنه قطرة ماء ذابت تحت أشعة الشمس المحرقة"⁽⁶⁾، وقد كرر ذلك في المرات الثلاثة التي اختفى فيها الرجل العجوز. وفي قصة "المهر الأسود" استخدم الكاتب بعض التشبيهات واصفاً من خلالها "المهر الأسود" بأنّ: "لونه أسود مثل الأبنوس، خفيف كالريح سريع كالبرق"⁽⁷⁾، وما يؤخذ على الكاتب تشبيهه لون المهر بالأبنوس أنّ هذا التشبيه قد يشكل على القارئ الصغير، حيث يفترض في المتشبه به أن يكون معروفاً ليسهم في تقريب الصورة للمشبه، وحتى لو افترضنا أنّ القارئ الصغير وجد ما يعرف له معنى "الأبنوس" فإنّ ذلك لن يمكّنه من تقريب الصورة له بقدر ما يشتت خياله الذي ينبغي ألا ينقطع.

(1) سلسلة طفل يقرأ، "عندما اختفت ليلي"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، طرابلس- تونس، 1999، ص 4.

(2) المصدر السابق، ص 11.

(3) مجموعة "المهر الأسود"، سنابل الثلج، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 181.

(4) المصدر السابق، ص 183.

(5) المصدر السابق، ص 181.

(6) مجموعة المهر الأسود، "كيس اللؤلؤ"، مصدر سابق، ص 346.

(7) مجموعة المهر الأسود، "المهر الأسود"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 329.

وفي قصة "ندى وشمس الربيع" استخدم تقنيات اللغة الإبداعية مثل الاستعارات في وصف بعض مظاهر الطبيعة في الصباحات الربيعية، لينقل تلك الصورة إلى القارئ الصغير، مثل: "وكانت السماء صافية يجللها بساط أزرق يمتد إلى ما لا نهاية"⁽¹⁾، و"وفي البحر كانت الأمواج تتراقص وتتعانق وتتهياً للرحيل نحو الشواطئ البعيدة"⁽²⁾، و"كانت الشمس تنزع عنها رداؤها^(*) الأسود وتتلفع بردائها الذهبي"، أما التشبيه، مثل: "وفي الفضاء طيور تنهادى فاردة أجنحتها مغردة بأصوات كأنها الموسيقى"⁽³⁾.

وفي قصة "فيل وعصفور" استخدم الكاتب أسلوب المقارنة بين الفيل والعصفور، ليعرّف القارئ الصغير بهما؛ وليبين التكامل بينهما فالعصفور يقات على الحشرات التي تضر الفيل، كما استخدم أسلوب الاستفهام الأدبي الذي جاء على لسان العصفور عندما ترجاه الفيل - بعد أن طرده في وقت سابق - أن يعود ويُخرج الحشرة التي تنهش جلده بمنقاره الجميل القوي، فرد العصفور مستكراً: "الآن عرفت أنّ منقاري قويٌّ وجميل"، "ألا تعلم أنّ الطيور هي التي تأكل الحشرات التي تضرك، وأنها تنظف جلدك من الأوساخ..؟"⁽⁴⁾، وفي نهاية القصة سأل العصفور الفيل ساخراً: "هل رأيت حشرة تضر الكبير ولا تضر الصغير..؟" ثم سأله أيضاً: "هل عرفت الآن كيف يكون القوي ضعيفاً، وكيف يكون الضعيف قوياً..؟"⁽⁵⁾، فمن خلال كل هذه الاستفهامات أوصل الكاتب الكثير من الحقائق إلى القارئ الصغير بعيداً عن المباشرة والتقرير.

كما ازدحمت قصة "عصفور أحب عصفورة" بالأسئلة ذات الطابع العلمي التي جاءت على لسان العصفور بطل القصة، لمعرفة المزيد من المعلومات، فعندما سافر بعيداً بحثاً عن حبيبته رأى القمر فبادره بوابل من الأسئلة قائلاً: "هل أنت القمر الذي نراه مضيئاً في الليل، وهل أنت القمر الذي يضيء

(1) سلسلة طفل يقرأ، "ندى وشمس الربيع، مصدر سابق، ص 3.

(2) المصدر السابق، ص 3.

(*) هكذا وردت في النص، والصحيح (رداءها).

(3) سلسلة طفل يقرأ، "ندى وشمس الربيع، مصدر سابق، ص 3.

(4) مجموعة حكايات العصفير، "فيل وعصفور"، مجلس الثقافة العام، يوسف الشريف، 2008، ص 24.

(5) المصدر السابق، ص 26.

الأشجار بنوره، وهل أنت القمر الذي يلعب في نوره الصغار..؟⁽¹⁾، وفي موضع آخر سأله: "ما معنى كوكب.. أنا لم أسمع بهذه الكلمة من قبل..؟"⁽²⁾، وعندما وصل إلى المريخ سأله: "لماذا لونك أحمر..؟"⁽³⁾، وغير ذلك من مثل هذه الأسئلة والمصطلحات ذات الطابع العلمي وتحديداً الفلكي، وفي قصة "قلب شجاع" وردت بعض الاستفهامات على لسان بطل القصة الصغير، تحمل في طياتها مدى الحيرة والضياع التي يعانها هذا البطل، جاء ذلك في قوله: ".. فلا قمر ولا نجوم كيف لي أن أعرف الاتجاه الصحيح؟ أين تقودني قدماي؟ وإذا لم أصادف إنساناً يساعدي .. ماذا سأفعل؟"⁽⁴⁾.

ومن أمثلة التعبيرات الجيدة ما ورد في قصة "الأرانب" ففي العبارة: "قالت لهم في أسي.. لكن القناع .. قناع الحاكم العادل"، فبإضافة القناع للحاكم الموصوف بالعدل اختصر مغزى القصة كلها، وهي تحمل مزيجاً من السخرية والصدمة. وفي قصة "طائرة فوق بيتنا" جاء على لسان بطل القصة الصغير وراويها في معرض حديثه عن موقف والده بعد الغارة، فقال: "... ارتدى حذائه(*) على عجل وفتح خزانة أمي وأخرج منها شيئاً أسود له كعب وماسورة طويلة تلمع، علّقه على كتفه واندفع يجري..". وفي موضع آخر قال: ".. رأيتَه يقف مع آخرين في الحديقة وكل منهم يعلق على كتفه شيئاً مثل الذي يعلقه أبي"، يلاحظ في هاتين العبارتين عدم استخدام البطل الصغير لكلمة "بندقية" بل اضطر إلى وصف شكلها، كدلالة على عدم معرفته بها فهو لم يرها أو يسمع بها من قبل، مما يوحي بحالة السلم والأمن اللذين كانت تتعم بهما بلاده قبل ذلك اليوم، فلم يضطر أحدٌ قبل ذلك أن يحمل سلاحاً. في قصة "العودة إلى الفردوس" استخدم الكاتب الألفاظ المعبرة بحسب الموقف، ففي الزمن المفعم بالأخوة والسعادة استخدم لغة الأمل والمحبة، مثل: "مع كل فجر جديد يتوجّه الإخوة إلى الحقل معاً، وعندما تختفي الشمس خلف التلال البعيدة، يعودون معاً يتحدثون عن بهجة الحياة وفرحتها وأمنيات الأيام المقبلة ويحلمون بالعائلة وبالأولاد والأحفاد، والرجل العجوز يودّعهم بشوق لا ينتهي ويبقى في انتظارهم

(1) مجموعة حكايات العصفير، "عصفور أحب عصفورة"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 34.

(2) المصدر السابق، ص 36.

(3) المصدر السابق، ص 37.

(4) سلسلة نوافذ، "قلب شجاع"، مصدر سابق، ص 10.

(*) هكذا وردت في النص، والصحيح (حذاءه).

أمام الدار بلهفة المشتاق لمسافر طالت غيبته، وهكذا كانت حياتهم تنساب كميّاه الربيع في جداولها"⁽¹⁾، وفي مشهد الموت استخدم لغة الكآبة والحزن مدعماً إياها بزمن يدل على ذلك، مثل: "وكمثل كل كائن على الأرض ودّع الحياة ذات ليلة خريفية كئيبة"⁽²⁾.

وفي مشهد الفرح والاحضرار استخدم لغةً غنيّةً بالمفردات المبهجة شكلاً ومضموناً ورائحةً، مثل قوله في وصف الحقل: "كانت البقرة تعطي والحقل يغذي البقرة، والبئر تسقي الحقل فتخضر أرضه ويصبح كفردوس صغير يأسر العيون، ويعبق بشذى الورد والفل والياسمين"⁽³⁾، كما استخدم الكاتب اللغة التعبيريّة متجنباً اللغة التقريرية الجافة، فمثلاً في المشهد الأخير من القصة، وبعد الأحداث الصعبة التي مرّت بالأخوة الثلاثة واتفقهم على التعاون معاً، يقول الكاتب: "قبل أن تنهض الشمس من مرقدها، وخيوط الفجر تغسل المروج بلألئها"^(*) سار الثلاثة معاً فانقضت طيور الغريان وطارت، ثم اختفت في الأفق البعيد، وزغرد صوت عصفور وكأنه يعلن فرحته بعودتهم معاً إلى الحقل الذي طال شوقه إليهم"⁽⁴⁾.

ومن أهم ركائز الأسلوب الجيد الحوار، فهو يجعل القصة حيوية ممتلئة بالحركة، بدلاً من الاعتماد على الوصف والسرّد فقط الذي يثير ملل الأطفال، ويحول بينهم وبين فهم الشخصيات فهماً جيداً، ومعرفة كيف تفكّر وماذا يدور بخلدّها. غير أنّ بعض القصص اعتمد فيها الكاتب على لغة السرّد فقط فلم يتخللها الحوار، ربما طبيعة القصة جعلت الكاتب يعرض عن الحوار، مثال ذلك قصة "الليبية الشجاعة"، وقصة "البتشة"، وقصة "عيون النار".

وفي بعض القصص استخدم الكاتب السرّد والحوار، مع غلبة السرّد فيها على الحوار والأمثلة على ذلك: قصة "الراعي الشجاع" التي تتوّع فيها الحوار، فمنها الحوار غير المباشر أي ما تذكره بطل القصة "عمران" من أقوال أبيه، مثل: "تذكر "عمران" ما قاله له أبوه عندما خرج بالأغنام لأول مرة: "لا

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، العودة إلى الفردوس، يوسف الشريف، مصدر سابق، د. ترقيم.

(2) المصدر السابق، د. ترقيم.

(3) المصدر السابق، د. ترقيم.

(* هكذا وردت في النص، والصحيح (لألئها).

(4) سلسلة قصص ليبية للأطفال، العودة إلى الفردوس، يوسف الشريف، مصدر سابق، د. ترقيم.

تقترب من عسكر "أبو ريشة" حتى لا يقتلوك، إنهم جاءوا من بلد بعيدة لاحتلال الوطن!"⁽¹⁾، ومنها الحوار المباشر، مثل: "بعد رحلة مليئة بالعذاب وبالصبر، أطل "عمران" على معسكرهم، واندفع نحوه فارس ملثم على صهوة جواده، وصاح فيه: "من أنت؟" أجاب "عمران": "أنا عمران! الطليان في الجهة الأخرى من الجبل! كونوا مستعدين قبل أن يهاجموك!"⁽²⁾، ومنها الحوار الداخلي، ما قاله "عمران" في نفسه عند رؤيته للجنود الإيطاليين: "إذا لم يعرف المجاهدون، فإنَّ جنود الطليان سيفاجئونهم ويقتلونهم"⁽³⁾.

وقد غلب السرد على الحوار في قصص كثيرة منها: "الليبية الشجاعة" و"عندما هزمت الخوف" و"تدى وشمس الربيع" و"عندما اختفت ليلي" و"انتقام العصافير" و"درس كل يوم" و"قلب شجاع" و"الأرنب" و"حاكم بلا رعية"، و"شجرة الزيتون"، و"عيون العسل"، و"زهر القرنفل"، "المهر الأبيض"، "أحمد الراجل وذئب البراري"، و"تاجر العصافير"، و"عصفور مغرور"، و"الأرنب"، و"قلب شجاع"، و"زهرة الشتاء"، و"عيون النار"، و"طائرة فوق بيتنا"، و"انتقام العصافير"، و"عندما اختفت ليلي".

وفي عدد من القصص الأخرى نجد السرد والحوار متكافئين ومن الأمثلة على ذلك: قصة "تار في البيت المهجور" و"صياد يدخل الغابة" و"النخلة وزهرة الياسمين" و"صديقان" و"الفأر يصبح أسداً" و"لا وجود للعفاريت" و"عاشور يذهب إلى الحرب" و"الثعلب والأرنب" و"العصفور والشجرة" و"سنابل الثلج" و"الرجل والمزرعة" و"جميل النشيط" و"عصفور شجاع"، و"هدية عيد الميلاد"، و"درس كل يوم"، "لماذا تبكي العصافير".

وفي بعض القصص الأخرى غلب الحوار على السرد، وذلك في مثل: قصة "القوي بمفرده ضعيف" التي غلب عليها الحوار بين أبطال القصة، وختمت بالحوار الداخلي عندما حدّث الأرنب الصغير نفسه في نهاية القصة قائلاً: "صحيح! إنَّ الضعيف مع الضعيف أقوىاء، أما القوي بمفرده فهو ضعيف!"⁽⁴⁾،

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "الراعي الشجاع"، يوسف الشريف، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1977، د.ترقيم.

(2) المصدر السابق، د.ترقيم.

(3) المصدر السابق، د.ترقيم.

(4) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "القوي بمفرده ضعيف"، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

وقصة السمكة الذهبية" التي دار فيها الحوار بين "إبراهيم" وأبيه وبين إبراهيم نفسه، وذلك عندما سأل "إبراهيم" نفسه: "هل تتكلم السمكة؟"⁽¹⁾، وبين إبراهيم وسمكته الذهبية الذي حاز على مساحة كبيرة من القصة، كذلك في قصة "ابنة الراعي" و"الفيل والقبرة" و"أم السعد وولدها الكذاب" و"ليس كل كبير غالباً" و"الثعلب والأرنب" و"الجبان والكرة"، "العصافير الأربعة"، و"الطائر الصغير والطائر الكبير"، "الزرافة والسلحفاة"، "عصفور سافر مع الشمس"، و"فيل وعصفور"، و"عصفور أحب عصفورة"، و"عصفور ووردة"، و"عصفور وحمامة"، و"الفيل والقبرة"، و"صياد يدخل الغابة"، و"النخلة وزهرة الياسمين"، و"نار في بيت المهجور"، و"تدى وشمس الربيع".

أمّا الحوار الداخلي فكان مرتكزاً مهماً لبعض القصص، فهو نوع من التساؤل والتفكير لحل بطل القصة لمشكلته، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصة "انتقام العصافير" وذلك عندما "مرَّ عاشور يوماً بالشجرة الكبيرة، قال في نفسه، لماذا لا أقطع الشجرة وأصنع من أغصانها وفروعها سياجاً لبستاني؟"⁽²⁾، وفي قصة "الحمامة تزرع شجرة" عندما لم تجد الحمامة مكاناً مناسباً تضع فيه بيضها، قالت لنفسها: "إنَّ الشجرة كانت في الأصل بذرة زُرعت في الأرض ثم أُنعت أوراقاً وأغصاناً وثماراً..⁽³⁾، وكان هذا الحديث منطلقاً لما قامت به بعد ذلك، وفي قصة "الليبية الشجاعة" عندما خَطَّطت للتخلُّص من الجنديين الإيطاليين، فقالت في نفسها: "لأظهر لهما سعادتني بلفائهما حتى لا يَشْكَا في شيء"⁽⁴⁾، أيضاً في نهاية القصة وبعد أن قتلتها زغردت وقالت في نفسها: "عندما يعود الرجال من الحرب، سأحكي لهم كيف دافعت عن وطني"⁽⁵⁾.

وورد الحوار الداخلي كنوع من التفكير، وهو ما جاء في قصة "زهرة الشتاء" التي جاء فيها قول الكاتب: "فكَّرت منيرة لو أخذتها إلى بيتنا وسقيتها ماء عذباً، فإنها ستكبر وتلد أزهاراً جميلة مثلها، ترقص مثلما ترقص"⁽⁶⁾، وفي قصة "النخلة وزهرة الياسمين" جاء الحوار الداخلي تعبيراً لحالة الفرح

(1) سلسلة قصص ليلية للأطفال، "السمكة الذهبية"، مصدر سابق، د.ترقيم.

(2) سلسلة طفل يقرأ، انتقام العصافير، مصدر سابق، ص 6.

(3) سلسلة نوافذ، "الحمامة تزرع شجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 4.

(4) سلسلة قصص ليلية للأطفال، "الليبية الشجاعة"، يوسف الشريف، مصدر سابق د.ترقيم.

(5) المصدر السابق، د.ترقيم.

(6) سلسلة طفل يقرأ، "زهرة الشتاء"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، طرابلس- تونس، 1999، ص 5.

والنشوى التي شعرت بها "زهرة الياسمين" بعد تحقق حلمها، كما عبّرت عما يجول في نفسها من التطلع إلى مزيد من القوة والطول، فقالت في نفسها: "إنَّ زهور البستان لن تعيش مثل عمري.. سيذهبون جميعاً، أما أنا فسأبقى.. هذه هي السماء وتلك هي النجوم.. إنها كما قالت النخلة تتلألاً.. وهذا هو القمر إنه قريب مني.. لو أعطتني النخلة قطرة أخرى كنت وصلت إلى النجوم"⁽¹⁾.

وهناك ما يمكن تسميته بالحوار الرّمزي، وذلك ما جاء في قصة "الأبيض والأسود" فالكاتب لم يرد أن يخرج بالقصة عن واقعيتها، وفي الوقت نفسه أراد أن يوصل للقارئ الصغير ما يدور في نفس القطين البطلين، فترجم ذلك إلى حركات وأصوات نقلت بأمانة ووضوح ما أراد كل قط قوله للآخر، ومثال ذلك ما جاء في إحدى مراحل القصة، عندما قدم الراوي صاحب القط الأبيض قطعة لحم له، "فجأة رأيت الأسود. قطٌ ضخمٌ ومخيفٌ لم أراه من قبل، توقف الأبيض عن الأكل. لم يكن خائفاً. نظر الأسود في غضب ثم عاد يأكل. أطلق الأسود صوتاً ضعيفاً خافتاً وهزّ ذيله... اقترب الأسود حذراً. وعينه على قطعة اللحم.. كان جائعاً"⁽²⁾.

وفي قصة "عصفور على زجاج نافذتي" عندما عبّرت أم العصفور البطل وأخوته بالتغريد فرحاً بعودته، جاء ذلك في: "فرحت به أمه وفرح به إخوته وغردوا له فرحاً بعودته"، كذلك عندما عاد العصفور لصديقه الذي أنقذ حياته: "غرّد فرحاً وحطّ على كتفي وقبّلني بنقرات خفيفة على صفحة وجهي"⁽³⁾، فطريقة تقبيل العصفور لصديقه تتناسب وطبيعته.

وفي قصة "النخلة وزهرة الياسمين" عبّر الكاتب عن فرح "زهرة الياسمين" ونشوتها بالتفتُّح وهو ما يتناسب مع طبيعة الشخصية، جاء ذلك قول الكاتب: "تفتحت زهرة الياسمين نشوانه بالفرح"⁽⁴⁾، أما في قصة "الليبية الشجاعة" فقد اقتضت طبيعة القصة ألا يكون هناك حوار باستثناء حديث السيدة لنفسها، فقد كانت وحيدة؛ لأنّ زوجها وابنها ذهبا لقتال الإيطاليين، وبقاؤها وحيدة هو المحك الذي من

(1) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، مصدر سابق، ص 10.

(2) سلسلة نوافذ، الأبيض والأسود، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 8.

(3) مجموعة حكايات العصافير، "عصفور على زجاج نافذتي"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 21.

(4) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، مصدر سابق، ص 9.

خلاله ظهرت شجاعتها وفطنتها، أما عن لغة التواصل مع الجنديين الإيطاليين فلكونها عدوين إضافةً إلى أنها لا تفهم لغتهما ولا يفهمان لغتها، كان الحوار متوتراً حيث بدأ أحدهما بصفعها على وجهها ثم صرخ في وجهها بلغته غير المفهومة لديها، "فأشار بيده إلى فمه، ففهمت أنه يريد طعاماً"⁽¹⁾.

وفي كثير من القصص كان الحوار متناسباً مع طبيعة الشخصيات، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصة "يوسف الصغير" فالطفل "يوسف" الذي عوّده جدّه الخروج معه عشيةً كل يوم إلى حديقة الأصدقاء، طلب من جدّه في عشيةً أحد الأيام: "هياً نذهب إلى حديقة الأصدقاء"⁽²⁾، فكان رد الجد: "اليوم اذهب وحدك إلى حديقة الأصدقاء .. الحديقة خلف بيتنا. سأترج عليك من نافذة غرفتي وأنت تلعب"، حيث يظهر هذا الحوار عفوية الطفولة وولعها باللعب واللعب، كما يظهر رد الجد عدم القدرة على مجازاة الطفولة بحكم السن، كما يظهر حبه لحفيده ومسؤوليته عندما طلب منه الذهاب لوحده وسيراقبه من نافذة الغرفة؛ ليشعره بالأمن والطمأنينة، كذلك ما جاء من حوار بين الطفلين "يوسف" و"أحمد"، فعندما ذهب "يوسف" إلى حديقة الأصدقاء بحذاءه اللامع، ليلعب مع الأطفال، بادره "أحمد" بسؤال: من أين أتيت بالحذاء..؟ أجاب يوسف: اشتراه لي جدي. قال أحمد: حذائي جديد لكنه لا يلمع!. قال يوسف: حذائي يلمع وحذاؤك لا يلمع. بكى أحمد. سأله يوسف: لماذا تبكي..؟ أجاب أحمد: لأنّ حذائي لا يلمع⁽³⁾. إلى آخر الحوار الطفولي الذي انتهى بتبادل الطفلين فردتي حذائيهما، وهي محاولة طفولية عفوية ليُرضي "يوسف" صديقه "أحمد" الذي ساءه أنّ حذاءه لا يلمع، فالأمور التي يراها الكبار صغيرة، هي محل اهتمام للأطفال الصغار، والتعبير بالبكاء يتناسب مع طبيعة الأطفال تعبيراً عن انزعاجهم من شيء ما، حدث هذا أيضاً في قصة "زهرة الشتاء" حيث بكت بطلاة القصة الصغيرة "منيرة" أكثر من مرة، كان ذلك عندما تساقطت أوراق الزهرة التي جلبتها من حديقة السيدة العجوز⁽⁴⁾.

وفي قصة "عيون النار" جاء على لسان راوي القصة وهو أحد الأطفال عندما سقط زميلهم أحمد في البئر: "كناً نقف بعبيدين نبكي"⁽⁵⁾، كذلك في قصة "نار في البيت المهجور" عندما دخل بطل القصة

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "الليبية الشجاعة"، مصدر سابق، 1981، د.ترقيم.

(2) مجموعة يا زهر القرنفل، "يوسف الصغير"، مصدر سابق، ص 11.

(3) المصدر السابق، ص 11-13.

(4) ينظر: سلسلة طفل يقرأ، "زهرة الشتاء"، مصدر سابق، ص 6-8.

(5) سلسلة طفل يقرأ، "عيون النار"، مصدر سابق، ص 9.

الصغير "رامي" على أمه وهو يلهث ويرتعش، فعندما سألته أمه عن ذلك أجاب: "وهو يوشك على البكاء.."(1).

وفي قصة "حورية البحر الصغيرة" بكى بطل القصة الصغير "إبراهيم" عدة مرات، الأولى عندما أخذته الموجة العالية وغاصت به في أعماق البحر⁽²⁾، ثم عندما وجد نفسه في مملكة الحوريات، فخطب السمكة الذهبية الكبيرة: "قال لها وهو يبكي: أريد أن أعود إلى بيتنا"⁽³⁾، وعبرت مغازلة الثعلب للقبرة في قصة "الفيل والقبرة" عما عُرف عنه من المكر والخداع، وذلك في قوله: "ماذا تفعلين هنا يا قبرتي الجميلة..؟"⁽⁴⁾.

أمّا رد القبرة عليه وتصديقها له فهو يكشف عن سذاجتها وقلة خبرتها وجهلها⁽⁵⁾، ومن الحوارات الموقّعة التي عبّرت بصدق عن أبطالها، ما جاء في قصة "نار في البيت المهجور"، وكمثال على ذلك ما جرى بين "رامي" وأمه عندما جاءها خائفاً متصوراً أن هناك غولاً يسكن البيت المهجور، فقررت الأم أن تذهب به إلى ذلك البيت لتؤكد له عدم صحة ما ذهب إليه، يكشف هذا الحوار على حكمة الأم وخبرتها ومجارة صغيرها الذي استولت عليه مخاوف وأوهام سمعها من أقرانه ومن الفقيه كما قال، يتضح ذلك في الحوار التالي: "جذبتّه من ذراعه ودفعته أمامها وقالت: سوف ترى أنّ ما تقوله ليس حقيقة. سألها فرعاً: وماذا ستفعلين يا أمي؟ اجابت: سنذهب إلى الغول. وهل أنت لست خائفة؟ قالت: ولماذا أخاف؟ .. سنقتل الغول إذا وجدناه. صاح مبتهجاً: غداً أقول للأولاد إنّ أمي ذهبت إلى بيت الغول. - وأنت سنأتي معي. صرخ مستغيثاً: أنا!! لا أرجوك يا أمي أنا خائف". - هيا. ثم دفعته أمامها وخرجا معاً⁽⁶⁾، وعندما وصلا إلى البيت المهجور وتبيّن للصغير عدم وجود ما كان يتصوره، قال: "لا بدّ أنّ الغولَ خافَ منكِ يا أمي"، وهذا يعتبر قولاً واقعياً يكشف عمّا يعتقدّه الأطفال في المراحل المبكرة من أنّ آباءهم وأمّهاتهم أقوىاء ويمكنهم القضاء على الغول وغيره.

(1) سلسلة طفل يقرأ، "نار في البيت المهجور"، مصدر سابق، ص3.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "حورية البحر الصغيرة"، مصدر سابق، ص 44.

(3) مجموعة المهر الأسود، "حورية البحر الصغيرة"، مصدر سابق، ص 44.

(4) سلسلة نوافذ، "الفيل والقبرة"، مصدر سابق، ص 10.

(5) المصدر السابق، ص 10-11.

(6) سلسلة طفل يقرأ، "نار في البيت المهجور"، مصدر سابق، ص5-7.

وفي بعضها جاء الحوار غير متناسب مع طبيعة الشخصيات، ومن أمثلة ذلك قصة "عاشور لا يذهب إلى المدرسة" عندما رد "خليفة" والد "عاشور" على سؤال مدير الشركة: "هل تعرف القراءة والكتابة؟" فرد "خليفة": "لا.. أنا لم أدخل المدرسة.. لكن ولدي عاشوراً سيذهب إلى المدرسة ويصبح طبيباً"⁽¹⁾، كذلك رد مدير الشركة "من لا يعرف القراءة والكتابة لا يجد عملاً"⁽²⁾، يعتبر وعظاً مباشراً جاء على لسان المدير، كما أنه مبالغ فيه، كذلك في قصة "أحمد الراجل وذئب البراري" يلاحظ تناقض كبير بين ما أغدقه الكاتب من أوصاف الشجاعة على البطل الصغير "أحمد" في مقدمة القصة، فهو "مرةً أخرج أفعى من جحرها، ومرةً قضى ليله وحيداً يحرس الأغنام"⁽³⁾، وما صدر عنه بعد ذلك من كلام ساذج في حوار مع والده، وذلك عندما سأل والده قائلاً: "لماذا يأكل ذئب البراري خراف قريتنا..؟ قال له والده: لأنه يحب لحم الخراف. ولماذا يحب لحم الخراف..؟ لأنه من الحيوانات المفترسة. وما معنى الحيوانات المفترسة..؟ الحيوانات المفترسة مثل الذئب والأسد والنمر تأكل الإنسان والحيوان، فكيف يكون شجاعاً ويعول عليه في القضاء على الذئب ولا يعرف طبيعة هذه الحيوانات؟!..

وفي قصة "عندما هزمت الخوف" وردت عبارة على لسان بطل القصة الصغير عندما شعر بالخوف من الدب: "طلبت من أبي أن احتمي به، وأقف خلفه، ووقفت خلفه لكنني كنت انحني واسترق النظر لأرى ما سوف يحدث"⁽⁴⁾ فهي عبارة غير منطقية؛ ذلك أنّ الشعور بالخوف شعور غريزي، كذلك ردة الفعل الناتجة عنه تكون غريزية، ولا يمكنه طلب الإذن ليحتمي الصغير بوالده، وكان من المناسب أن يقول: احتميت بوالدي ووقفت خلفه..

■ استخدام اللهجة المحلّية: نادراً ما استخدمت اللهجة الليبية في قصص يوسف الشريف، لكنّ الباحث في هذه القصص، يجد في بعض قصصه آثاراً من اللهجة المحلّية، في صور شتى، أحياناً يجدها في بعض العناوين، مثل: قصة "البتشة"^(*) وهو اسم للكلب في قصته التي عنونها بالاسم نفسه، والبتشة:

(1) مجموعة المهر الأسود، "عاشور لا يذهب إلى المدرسة"، مصدر سابق، ص 65.

(2) المصدر السابق، ص 65.

(3) مجموعة يا زهر القرنفل، "يوسف الصغير"، مصدر سابق، ص 91.

(4) سلسلة طفل يقرأ، "عندما هزمت الخوف"، مصدر سابق، ص 11.

(*) البتشة: كرة زجاجية صغيرة ملوّنة، من أدوات ألعاب الأطفال، تُعرف في ليبيا باسم البتشة للمفرد وجمعها بتش أو بتشات، وهي الكُلة جمع كُلل بضم الكاف.

كرات زجاجية ملونة من لعب الأطفال، كذلك قصة "أحمد الرجل وذئب البراري" ولفظ "الرجل" يعني الرجولة بمعنى الشجاعة والإقدام في اللهجة المحلية في ليبيا.

كما استخدم بعض الحوارات والأهزيج باللهجة المحلية، جاء ذلك في قصة "السمة الذهبية" في حوار "إبراهيم" وسمكته الذهبية: حيث نادى السمة الذهبية إبراهيم قائلة "إبراهيم! إبراهيم! أنا عندي يا وحي بنات، فاتوني تحت الموجات، عددهم خمس أخيات!"، ثم قال "إبراهيم للسمة: "غنّ معاي شوية، في ليلة الشتوية!" وبعد رد السمة قال أيضاً: "غنّ لي وقولي كلمات أنا ما عندي أخيات يغنوا لي زيّ غنوات"، فردت السمة الذهبية: "خلّيني نمشي لموجاتي يستتوني فيها بنياتي في البحر أنا -غادي- حياتي"، قال "إبراهيم": "أنا ولد كيّس وقنّين وأصحابي يسموني حنّين لكن فراقك مش هين"، قالت السمة: "رجّعي للبحر الثاني وتعال دور من ثاني"، قال "إبراهيم": "أنا صغير على البحر المالح"، قالت السمة: "وأبوك مسمّيك الفالح"؟، إلى هنا ينتهي الحوار الذي كان في شكل أهزوجة باللهجة المحلية، ليستأنف الحوار بالفصحى، ثم يعود من جديد للهجة المحلية، عندما قالت السمة لإبراهيم: "في الليل تسمع غنواتي، وتغنّي معايا بنياتي"، قال "إبراهيم": "بعدك، لا غنوة ولا كلمة نسمعها ولا همسة"، قالت السمة: "فراقك لصعيب علي، والبحر واسع علي"⁽¹⁾.

وفي قصة "المراسل الحربي" وردت أجزاء من بعض الحوارات باللهجة المحلية، جاء ذلك في: "سأله أحمد: - تبي تخش مع الثوار..؟" أجاب حسن: نبي نخش. - هيا تعال معاي"⁽²⁾. وفي قصة "ليس مع الثائر سلاح" جاء في أحد الحوارات جملة واحدة باللهجة الليبية، وهي: أجابهم مبتسماً: معنديش سلاح"⁽³⁾، الغريب أنّ كل القصص المذكورة وردت بالفصحى باستثناء ما تمّ ذكره!

كما تخلّلت بعض القصص بعض الألفاظ والتعبيرات باللهجة المحلية، مثال ذلك: ما ورد في قصة "الولد الذي لا يشبع أبداً" كلمة "توجعني"⁽¹⁾ بمعنى تؤلمني، كما ورد في قصة "ابنة الراعي" تعبير

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "السمة الذهبية"، مصدر سابق، د.ترقيم.

(2) مجموعة قصص لأطفال الثورة، "المراسل الحربي"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 2014، ص 4-5.

(3) مجموعة قصص لأطفال الثورة، "ليس مع الثائر سلاح"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 2014، ص 9.

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "الولد الذي لا يشبع أبداً"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، 2006، ص 142.

باللهجة المحلية وهو: "تملاً عيني" بمعنى تعجبني، كذلك بعض الأسماء المحلية، مثل: "الجرد" (*) التي وردت في الجملة "وجدتُ أمي تنسج جرداً⁽¹⁾، وكلمة "فرملة" (***) في جملة: "أخرج من جيب الفرملة بعض الحبوب"⁽²⁾.

■ **بعض المآخذ:** ممّا يؤخذ على الأسلوب في أدب الأطفال هو إقحام بعض الكلمات أو العبارات غير المحببة والتي هي غير مناسبة للأطفال، وقليلاً ما نجد هذه العبارات في قصص يوسف الشريف، وما يزيد الأمر سوءاً صدور بعض تلك الكلمات والعبارات عن شخصيات تمثّل الدور الإيجابي في القصة، مثال ذلك: ما ورد في قصة "أم السعد وولدها الكذاب" حيث وصفت "أم السعد" ابنها "بلعيد" عدة مرات بالسيئ والكذاب، ولم تتصرف أو تتحدّث بما ينبغي أن يصدر عن الأم في مثل هذه الظروف، فقد اكتفت بنعته بهذه الأوصاف إلى نهاية القصة، وهي بذلك ظهرت في صورة الأم الساذجة قليلة الخبرة. كذلك ما جاء في قصة "لا وجود للعفاريت" فكان رد القطة الأم عندما عبّر ابنها الصغير عن خوفه من الذهاب لوحده إلى الحقل في الليل المظلم، غير تربوي، حيث "غضبت أمه غضباً شديداً، وضربته بمخالبها وصاحت في وجهه: أنت جبان وغداً ستجتمع القطط لتضحك عليك، وتعلق في رقبتك جرساً"، كذلك في قولها عند رجوع القط الصغير خائفاً مرتعباً "أيها الجبان، أنت لست ولدي، أخرج من بيتي، ألا تعلم أنّه لا توجد عفاريت..؟" ومن أين له أن يعلم؟! فبالمقياس التربوي كان رد فعل الأم على صغيرها قاسياً جداً، يحمل الكثير من الأساليب غير التربوية، ولا يمكن أن تصدر عن أم يفترض أنها تعلمّ ابنها قيم الشجاعة.

وجاء في قصة "البطل الصغير" على لسان الراوية في حديثها عن أخيها "عاشور" قولها: "يكتشف أنّي كنت أراقبه فيغضب ويخاصمني أياماً"⁽¹⁾، فهذا شطط في الخصومة، قد يعكس اتجاهات غير سليم

(*) الجرد: وهو لباس رجالي يُنسج بواسطة (النول _ المسدة)، وهذا النوع من الأردية يُعد من أقدم الألبسة المعروفة بليبيا قبل أن تُعرف (التوجة) الرومانية القديمة. ينظر: المستعمل من الألبسة الشعبية في طرابلس، سالم سالم شلابي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2006 م، ص 9.

(1) مجموعة المهر الأسود، "البطل الصغير"، مصدر سابق، ص 55.

(**) الفرملة: وهي سترة بدون أكمام تغطي الظهر والجنبين، ولا تغطي الصدر، برغم وجود أزرار على الجانب الأيسر من طرفها الأمامي ... ينظر: المستعمل من الألبسة الشعبية في طرابلس، سالم سالم شلابي، مرجع سابق، ص 184.

(2) مجموعة المهر الأسود، "الصبي والحمامة"، مصدر سابق، ص 259.

(1) مجموعة المهر الأسود، "البطل الصغير"، مصدر سابق، ص 56.

لدى القارئ الصغير، فالراوية كانت طفلة صغيرة، وكانت تراقب أخاها "عاشور" عندما كان يتحسس بندقية والده أو يحاول تعليقها على كتفه!.

وقصة "أنا لا أعتذر" جاء فيها قول الأم لابنها: "أنت ولدي الوحيد، لماذا تفعل كل هذا؟"⁽¹⁾ فليس للأمر علاقة بكونه وحيد أو غير وحيد، كذلك قول الكاتب: "لكن أشرف لم يعتذر حتى عندما بكت أمه حزناً على ضياع المزهريّة الجميلة.. لم يعتذر حتى عندما أعطته كعكة العسل"⁽²⁾، تضمن هذا القول مأخذين، أولهما: غضب الأم على مزهريتها الجميلة وليس على عدم اعتذار ابنها على أخطائه، وثانيهما: لجوء الأم لرشوة ابنها ليعتذر على ما ارتكبه من أخطاء، كما حملت قصة "أولاد عاشور" قيمة غير تربوية، فعندما ذهب بعض أهالي القرية إلى ناظر المدرسة التي يدرس فيها "أولاد عاشور" يشتكون إليه منهم، فجاء فيها: ".لكن شكواهم لم تنفع حتى عندما سجنهم الناظر نهائياً كاملاً في الصف"⁽³⁾.

وفي قصة "قلب شجاع" وردت كلمة غير لائقة في حوار الأب مع ابنه عندما احتجت الأم على مرافقة الطفل لأبيه إلى الصحراء خوفاً عليه، وقالت: "إن الولد صغير على الصحراء"⁽⁴⁾، فنظر الأب إليها في غضب وقال لابنه: "لا تصدقها. إنك رجل وأنا اعتمد عليك"⁽⁵⁾، فينبغي على الأب والأم ألا يقللا من قيمة بعضهما خاصة أمام أطفالهما وألا يحرض أحدهما الأبناء على الآخر؛ لأنّ هذا يترك انطباعاً سيئاً لديهم.

كما وردت في قصة "الكذاب" عبارات غير مناسبة إن لم تكن صادمة جاءت على لسان الأم التي لا يتوقع منها ذلك، ومنها ما ختمت به القصة عندما رجع ابنها راسباً، فقالت: "أنت ولد سيئ. أنت ولد كذاب. واسمك منذ اليوم مفتاح الكذاب"⁽¹⁾.

وفي قصة "عاشور يذهب إلى الحرب" ونعت عاشور أخته بالغبية، فكانت كلما سألته سؤالاً ردّ عليها بكلمة "يا غبية"، وقد وردت هذه الكلمة ثلاث مرات تقريباً في القصة، فليس معنى أنها صغيرة في السن

(1) مجموعة المهر الأسود، "أنا لا أعتذر"، مصدر سابق، ص 141.

(2) المصدر السابق، ص 141.

(3) مجموعة المهر الأسود، "أولاد عاشور"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 339.

(4) سلسلة نوافذ، "قلب شجاع"، مصدر سابق، د.ت، ص 2.

(5) المصدر السابق، د.ت، ص 2.

(1) مجموعة المهر الأسود، "الكذاب"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 98.

ولم تدرك بعض الأمور أنها غبية، وفي قصة الفأر يصبح أسداً" وصف الكاتب الفأر بكلمة "بلعوط"⁽¹⁾ وتعني الكذاب، وهي كلمة سوقية لا ينبغي إيرادها في قصة موجهة للأطفال.

■ إضافة لما سبق هناك ما يمكن تسميته بالمغالطات العلمية أو المعرفية، فخيالية القصة لا يعني مناقضتها للحقائق العلمية، ففي قصة "العصفور الأخضر" قالت القبرة للعصفور الأخضر الذي كان يبحث عن عشه وصغاره: "...لو أنك بنيت العش في الأعلى لما وصلوا إليها"⁽²⁾، في حين أنّ المعروف عن القبرة أنها هي من تبني عشها على الأرض، فكان من الممكن أن يجعل الكاتب القبرة هي صاحبة العش المعتدى عليه؛ ليكون ذلك موافقاً للواقع⁽³⁾. وجاء على لسان العصفور الأخضر: "تعالوا وخذوا بئاري من الأسد يا طيور"⁽⁴⁾، وكان من المناسب أن يقول مثلاً: تعالوا نتخلص من الأسد أو نقتص منه؛ لأنّ لفظ "الثأر" يحمل قيمة سلبية تتناقض مع قيم المجتمع المسلم.

وفي قصة "القوي بمفرده ضعيف" لجأت الأرنبة الصغيرة فيها للأرنب الكبير السمين، حيث صور الكاتب السمنة وكأنّها مظهر من مظاهر القوة الجسدية، وهو بذلك ينقل فكرة مغلوبة إلى القراء الصغار، فيما يخص القيم الصحية. كما تضمنت قصة "حبة الفراولة" على الكثير من المآخذ، من أهمها إصرار الراوي الذي هو في الوقت نفسه صديق "ضياء" بطل القصة على تسميته بحبة الفراولة، رغم علمه بكراهيته وضيقه بهذا الاسم، لمجرد أن شكله -كما يقول- يشبه حبة الفراولة.

■ ورد في بعض القصص على لسان الراوي جملة تؤكد على أنّ القصة "حقيقية" وهي جملة ليس لها أي فائدة تذكر، بل إنّ أثرها قد يكون عكسياً، فالقارئ الصغير لا ينتظر من كون القصة حقيقية أو غير حقيقية، وإنما ينتظر منها أن تكون واقعية في حقيقتها وخياليتها، سواء في شخوصها أو في حوادثها لتكون مقنعة وممتعة له، ووفق هذا المنطلق فإنّ الكاتب يجعل سائر قصصه التي ليس لها حظ من الحقيقة وكأنّها بلا قيمة، من أمثلة ذلك قصة "تاجر العصافير" حيث جاء في مقدمتها على لسان الراوي: "أحكي لكم يا أصدقائي حكاية عجيبة لم يعرف بها أحد من قبل، وهي حكاية حقيقية عن العصافير

(1) مجموعة المهر الأسود، "الفأر يصبح أسداً"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 107.

(2) مجموعة المهر الأسود، "العصفور الأخضر"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 61.

(3) ينظر: قصص الأطفال أصولها الفنية وروادها، محمد حسن عبد الله، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992، ص

40.

(4) المرجع السابق، ص 62.

وتاجر العصافير...⁽¹⁾، وفي قصة "أحمد الراجل وذئب البراري جاء على لسان الراوي قوله: "وأنا لا أكذب عليكم لأنني رأيت بعيني"⁽²⁾.

■ كذلك اعتماد الكاتب على المباشرة في بعض قصصه، فيخرج الكاتب من فعل السرد إلى تقرير الأشياء، حيث يقوم بفعل التدخل المباشر؛ وهو فعل مخل بالسرد، ويجعله فوق المستوى الإدراكي والمفهومي للطفل، والمعجم الموسوعي الذي يمكنه من الفهم وإيجاد القرائن؛ ممّا يجعل الفعل التواصلية فاقداً لجانب مهم من جوانبه وهو التأثير⁽³⁾، والتدخل المباشر من قبل الكاتب مرجعه محاولة منه لإقناع القارئ الصغير بفعلٍ ما أو قيمة ما، ولا يمكن تفسير ذلك إلا باعتباره سلطة للكبير على الصغير، واختراقاً للمجال الحيادي الذي يكون للقاص⁽⁴⁾.

ولا شك أنّ الخطاب المباشر يضعف البناء الفني للقصة، فهو يقطع تسلسل الأحداث، الذي بدوره يقطع حبل الخيال لدى القارئ، ومن هذه التدخلات ما ورد في "قصة العصفور الأبيض" حينما قال بطل القصة وراويها مخاطباً القراء: "هل رأيتم عصفوراً يرقص؟"⁽⁵⁾، كذلك ما جاء في نهاية قصة "عصفور مغرور" عندما أنهى الكاتب القصة بقوله: "هل انتهت الحكاية..؟ أنا لم أكتب نهايتها. ماذا جرى له بعدما أصبح وحيداً يغني وحده..؟ ماذا جرى للعصافير بعدما هربت من العصفور المغرور..؟ لو أنك عصفور، ماذا كنت ستفعل..؟"⁽¹⁾.

وفي قصة "عيون العسل" ختم نهايتها بقوله: "وحسبما أعلم، ما زالت عيون العسل..."⁽²⁾، وفي قصة "أحمد الراجل وذئب البراري" بدأها الكاتب بخطاب مباشر جاء على لسان الراوي: "أنتم لا تعرفون

(1) مجموعة حكايات العصافير، "تاجر العصافير"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 10.

(2) مجموعة يا زهر القرنفل، "أحمد الراجل وذئب البراري"، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010، ص 93.

(3) ينظر: سيمياء القص للأطفال في الجزائر، يحيى عبد السلام، (رسالة دكتوراه) جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2011، ص 146.

(4) ينظر: سيمياء القص للأطفال في الجزائر، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص 146.

(5) مجموعة المهر الأسود، "العصفور الأبيض"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 134.

(1) مجموعة حكايات العصافير، "عصفور مغرور"، مصدر سابق، ص 30.

(2) مجموعة يا زهر القرنفل، "عيون العسل"، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010، ص 49.

أحمد الراجل⁽¹⁾، وفي قصة "حبة الفراولة" خاطب الراوي في نهايتها القراء خطاباً مباشراً قائلاً: "هل تعرفون السر"⁽²⁾، كذلك في قصة "البيضة العجيبة" لكن.. ماذا تخفي الدجاجة في بيتها؟ أقول لكم: لكن لا تخبروا أحداً في الغابة"، وعندما قال: "ذات يوم يا أصدقاء.."⁽³⁾، وفي قصة "أولاد عاشور" جاء فيها مخاطبة القراء مباشرة: "ليكم أيها الأصدقاء ما حدث في الليلة المظلمة"⁽⁴⁾.

■ التردد خاصة فيما يخص الزمن، فلم يحدد الكاتب إطاراً زمنياً معيناً لبعض أحداث قصصه أو تطوّر أبطالها، ومن أمثلة ذلك: قصة "العصافير الأربعة" حيث جاء فيها: "بعد أيام قليلة أو كثيرة كبرت العصافير الصغيرة"⁽⁵⁾، كذلك قصة "قصة غريبة" جاء فيها ".. إلى أن كان يوم بعد شهر أو بعد عام"⁽⁶⁾.

■ أمّا الأخطاء اللغوية فهي كثيرة، منها على سبيل المثال: كلمة "حمراتين" التي وردت في قصة "عيون النار"⁽⁷⁾، كما رسمت بعض الهمزات بطريقة خاطئة، منها ما جاء في قصة "ندى وشمس الربيع" وذلك في جملة "كانت الشمس تنزع عنها رداؤها"⁽⁸⁾، وفي جملة "استمع لها أصدقائها"⁽¹⁾، وفي كلمة "قراءتها"⁽²⁾ في قصة درس كل يوم"، وكلمة "المتلازمة"⁽³⁾ في قصة النخلة وزهرة الياسمين"، وورد فيها تعبير: "لم تدخل إلى غرفتها ولا نقطة شمس واحدة"⁽⁴⁾، وكان من المناسب القول: شعاع واحد.

-
- (1) مجموعة يا زهر القرنفل، "أحمد الراجل وذئب البراري"، مصدر سابق، ص 91.
 - (2) مجموعة المهر الأسود، "حبة الفراولة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 10.
 - (3) مجموعة المهر الأسود، "البيضة العجيبة"، يوسف الشريف، مصدر سابق 2006، ص 20-21.
 - (4) مجموعة المهر الأسود، "أولاد عاشور"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 337.
 - (5) مجموعة يا زهر القرنفل، "العصافير الأربعة"، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010، ص 53.
 - (6) مجموعة المهر الأسود، "قصة غريبة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 240.
 - (7) سلسلة طفل يقرأ، "عيون النار"، مصدر سابق، ص 3.
 - (8) سلسلة طفل يقرأ، "ندى وشمس الربيع"، مصدر سابق، ص 3.
 - (1) المصدر السابق، ص 7.
 - (2) سلسلة طفل يقرأ، "درس كل يوم"، مصدر سابق، ص 10.
 - (3) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، مصدر سابق، ص 4.
 - (4) سلسلة طفل يقرأ، "ندى وشمس الربيع"، مصدر سابق، ص 9.

وورد في قصة "الطائر الصغير والطائر الكبير" كلمة جناحك والصحيح جناحاك، كما ورد في قصة "عاشور لا يذهب إلى المدرسة" تعبير "عاري القدمين"⁽¹⁾، وقصة "الحجر والعصا"⁽²⁾، وهو يقصد "حافي القدمين، وفي قصة "الأرانب" وردت إحدى العبارات ناقصة، وهي: "وقضت وقتاً طويلاً لكنها لم تجد.."⁽³⁾، وهو يقصد هنا "طعاماً لصغارها".

وفي قصة "صياد يدخل الغابة" فصل بين "في" و"ما" كما جاء الفعل "لتنجو" بهذه الصورة "لتنجى" وذلك في: "اجتمعت الطيور ذات يوم للتشاور في ما تفعله لتنجى"، كما فصل بين المضاف والمضاف إليه في الجملة نفسها، وذلك في: "من بندقية الصياد" حيث وضعت نقطة بعد كلمة بندقية⁽⁴⁾، وفي قصة "انتقام العصافير" ورد تعبير خاطئ وهو: "سوف لن تحمي..."⁽⁵⁾، وتكرر هذا التعبير في قصة "النخلة وزهرة الياسمين" وذلك في: "سوف لن أندم"⁽⁶⁾.

وفي قصة "ندى وشمس الربيع" في "سوف لن أنغيب أبداً"⁽⁷⁾، وفي قصة "حورية البحر الصغيرة" وردت كلمة "الشط"⁽⁸⁾ بمعنى الشاطئ، كذلك ورد "كأنها لؤلؤة من ذهب"⁽¹⁾ وهو تشبيه لا يستقيم لعدم وجود لؤلؤة من ذهب.

وفي قصة "شجرة الزيتون" وردت كلمة "ذابت" في غير محلها، وذلك في: ".. حتى ذابت كثران الرمال"⁽²⁾، وهو يقصد "اختفت"، وفي قصة "خالتي سالمة وقطتها العجيبة" بالغ الكاتب في وصف الدجاجة بالسمنة، وذلك في قوله: "والدجاجة تملأ الفضاء بجسمها المكتنز"⁽³⁾.

(1) مجموعة المهر الأسود، "عاشور لا يذهب إلى المدرسة"، مصدر سابق، ص 66.

(2) مجموعة المهر الأسود، "الحجر والعصا"، مصدر سابق، ص 37.

(3) سلسلة نوافذ، "الأرانب"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 8.

(4) سلسلة طفل يقرأ، "صياد يدخل الغابة"، مصدر سابق، ص 3.

(5) سلسلة طفل يقرأ، "انتقام العصافير"، مصدر سابق، ص 7.

(6) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، مصدر سابق، ص 9.

(7) سلسلة طفل يقرأ، "ندى وشمس الربيع"، مصدر سابق، ص 13.

(8) مجموعة المهر الأسود، "حورية البحر الصغيرة"، مصدر سابق، ص 41.

(1) المصدر السابق، ص 42.

(2) مجموعة المهر الأسود، "شجرة الزيتون"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 51.

(3) مجموعة المهر الأسود، "خالتي سالمة وقطتها العجيبة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 113.

كما ورد تعبير " .. عندما تطلع من الجهة الشرقية"⁽¹⁾، أي الشمس، وقد تكرر هذا القول في موضع آخر " .. وأتسلل إلى البيت قبل طلوع الشمس من الجهة الشرقية"⁽²⁾، وهذا يعد حشواً ليس له فائدة، كذلك وردت عبارة "خرجت خالتي سالمة لتأخذ البيضة من بطن الدجاجة"⁽³⁾ وهو يقصد من قن الدجاجة.

وفي قصة "أنا لا أعتذر"⁽⁴⁾ كان اسم البطل في بداية القصة "أيمن" ثم تغير ليصبح "أشرف"، وفي قصة "عصفور القمر" جاء فيها " .. فلم يصدق الصياد ما يسمع وبقي صامتاً زمنياً طويلاً"⁽⁵⁾ فلا يستقيم أن يبقى زمنياً طويلاً حتى يرد على العصفور!، وفي قصة "كيس اللؤلؤ"⁽⁶⁾ كانت أسماء الأبناء: الكبير الأول والأوسط الثاني والأصغر الثالث، وكان من الممكن أن يكتفي بتسميتهم بالأكبر والأوسط والأصغر، وفي القصة نفسها، جاء على لسان أحد الأبناء قوله: " .. تفضل هل تريد خبزاً طازجاً يسعد معدتك ويمنحك الراحة والطمأنينة"⁽⁷⁾، وكان من المفضل أن يقول: يملأ معدتك ويشبعك، كما جاء في وصف الرجل العجوز: " .. كان غريب الثياب والوجه ملابسه بيضاء كل ما فيه أبيض حتى شعره أبيض" فكان من الأنسب أن يقول حتى ملابسه بيضاء، على اعتبار أنه رجل عجوز ومن الطبيعي أن يكون شعره أبيض، وفي قصة "ابنة الراعي" نجد في قول السلطان لابنه: "لماذا لم تتزوج؟ أنت خليفتي من بعدي"⁽¹⁾ وكان من المناسب أن يقول "ورثتي"، كذلك في قوله: "لك ما طلبت، لكن بعد هذا الموعد سأسمعك كلاماً يغضبك إن لم تحزم أمرك.." ⁽²⁾، فكان من المناسب أن يقول: "يزعجك" فلا يستقيم أن يقول لابنه سأقول لك ما يغضبك، كذلك في قول السلطان لابنه عندما صارحه برغبته في الزواج بابنة الراعي: "وكيف تتزوج ابنة الراعي"⁽³⁾ وكان من المناسب أن يقول: "ابنة راعٍ" فهي مجهولة بالنسبة له،

(1) مجموعة المهر الأسود، قصة "خالتي سالمة وقطعتها العجيبة"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 113.

(2) المصدر السابق، ص 114.

(3) المصدر السابق، ص 116.

(4) مجموعة المهر الأسود، قصة "أنا لا أعتذر"، المصدر السابق، ص 139.

(5) مجموعة المهر الأسود قصة "عصفور القمر"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 166.

(6) مجموعة المهر الأسود، "كيس اللؤلؤ"، مصدر سابق، ص 345-351.

(7) المصدر السابق، ص 345.

(1) سلسلة قصص ليبيية للأطفال، "ابنة الراعي"، يوسف الشريف، د.ترقيم.

(2) المصدر السابق، د.ترقيم.

(3) المصدر السابق، د.ترقيم.

ثم إنَّ استنكاره كان لأنَّها ابنة شخص يمتن الرعي وليس اعتراضاً على كونها ابنة راعٍ محدّد، أيضاً في رد السلطان على الراعي حينما تعجّب من عدم امتهان ابنه الأمير أي عمل، فقال له: "إنك تقول كلاماً لم أسمعهُ"⁽¹⁾ فكان من المناسب أن يقول: "لم أفهمه".

■ **أخطاء مطبعية:** كان ذلك في صور شتّى، منها ما يتعلّق بالألفاظ، مثال ذلك: ما جاء في قصة "المهر الأسود": "وفي اللحظة التي قرر فيها اللحاق، المهر الأسود"⁽²⁾، أي بالمهر الأسود، كذلك "وأسامة يتراقب ويتابع ما يجري.."⁽³⁾، أي يراقب، ومنها ما يتعلّق بتداخل بعض الجمل وتكرارها، كما في قصة "كيس اللؤلؤ"⁽⁴⁾، وقصة "من يصل أولاً" التي جاء فيها: "كان الطريق إلى قمة الجبل وعراً، لكن التلاميذ تعودوا عليه، لأنّه يملك دراجة!"⁽⁵⁾، وفي قصة "الرجل والمزرعة" حدث أيضاً تداخل في بعض الجمل⁽⁶⁾، كما جاء قول الكاتب: "فكر الكلب: وبعد تفكير طويل، ذهب إلى الثعلب.."⁽⁷⁾، وهو يقصد هنا "منصور" صاحب المزرعة وليس الكلب.

ثانياً: البيئة:

تشكّل البيئة المكانية والزمانية في القصة، الخلفية التي تلعب فيها الشخصيات أدوارها، وتشهد على سطحها الأحداث، وتحديد البيئة المكانية والزمانية يساعد على فهم الوقائع والأحداث، وفهم سلوك الشخصيات⁽¹⁾، وقد تقصد القصة إلى الغموض في المكان فتطلقه ولا تحدده التحديد الكامل، لتوحي - على سبيل المثال - بأنّ المدينة في القصة هي كل مدينة صغيرة أو كبيرة، وقد يأتي ذكر المكان ضمناً حين يذكر معالم معينة تدل عليه، وقد تكشف القصة المكان العام بواسطة لهجة محلية،

(1) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال، "ابنة الراعي"، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

(2) مجموعة المهر الأسود، "المهر الأسود"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 329.

(3) المصدر السابق، ص 330.

(4) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "حبة الفراولة"، مصدر سابق، ص 9.

(5) مجموعة المهر الأسود، "من يصل أولاً"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 30.

(6) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "الرجل والمزرعة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 271.

(7) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "الرجل والمزرعة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 272.

(1) ينظر: الطفل وأدب الأطفال، هدى قناوي، مرجع سابق، ص 186.

أو مصطلحات عامية لسكان إقليم بعينه⁽¹⁾، وتساعد الرسوم المصاحبة على كشف طبيعة الأزياء وغير ذلك.

والمتتبع للمكان في قصص الأطفال عند يوسف الشريف يمكنه أن يلاحظ أنّ المكان يتوزع بين تلك القصص؛ وهو في كل مرة يوسم بدلالات تجعله متشابهاً بين القصص مرة، ومختلفاً فيما بينها مرة أخرى، كما أنّ هذه القصص قد جابت كل الأماكن الأرضية والفضائية، والبحريّة والبريّة والواقعيّة والخياليّة والعجيبة؛ القصور والأكواخ والوديان والجبال والغابات والصحاري، أما الأزمنة فكان الماضي مثل القصص التاريخيّة، وأوقات الليل والنهار، والصيف والشتاء وغير ذلك.

1. البيئة المكانية: للمكان وظيفته في قصص الأطفال، فهو يقرب القصة إلى الطفل وينقلها إليه لأنه هو من "يعطي الانطباع بأن النص حقيقي، فهو يؤكد أنّ ما يحكى داخله إنما هو محض تشخيص، وبفضل المكان يحيل النص، ويتبدى كأن له علاقة بشيء خارجي أو صورة عنه أو محاكاة له"⁽²⁾.

■ **الصحراء:** تعطي الصحراء بطبيعتها القاسية الشعور بالوحدة، والسكون والتهيه، واللامبالاة بالزمن، وقسوة الحياة وشظف العيش، إلى جانب الطباع الفطريّة التي لم تفسدها الحضارة⁽³⁾، كان ذلك في قصتين من قصص الشريف، ففي قصة "قلب شجاع" تحمس بطل القصة الصغير للذهاب مع والده لرؤية الصحراء، وقد تعرضا في تلك البيئة القاسية للعديد من الحوادث الصعبة التي كان من نتيجتها أن كسرت ساق والده، لكن الصبي تمالك نفسه متجاوزاً كل تلك المصاعب، حتى وصل إلى بر الأمان وأنقذ حياته وحياته والده.

وفي قصة "شجرة الزيتون" نجد بطلة القصة وهي "شجرة الزيتون" الصغيرة قاومت في البداية ريح الجنوب التي تريد اقتلاعها ورميها في الصحراء؛ لمعرفتها بأنّ الموت عطشاً هو ما ينتظرها هناك، ولكن عندما اضطرت للذهاب سرعان ما سقط المطر وتحولت الأرض من حولها ربيعاً.

(1) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص180.

(2) الفضاء الروائي، جونيت - كولدنستين - رايمون وآخرون، ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2002، ص 71، نقلاً عن: سيمياء القص للأطفال في الجزائر، يحيى عبد السلام، (رسالة دكتوراه) جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2011، ص 220.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص181.

■ **القرية:** استخدمت القرية بعداً مكانياً في بعض القصص، كما جاء في قصة "أحمد الراجل وذئب البراري" فالبطل الصغير الذي أسهب الراوي في وصفه، كانت القرية كلها مسرحاً له، حيث كان معروفاً من الجميع كباراً وصغاراً، ويدخل كل البيوت، وذات ليلة حرس الأغنام لوحده، ومرة أخرج أفعى من جحرها، ويأتي الذئب ليلاً ليفترس الأغنام، ويعجز أهل القرية عن القضاء عليه، فيما ينجح "أحمد" بذكائه وشجاعته بالقضاء عليه، كل هذه الأمور لا يمكن أن تحدث سوى في القرية.

وفي قصة "عيون العسل" نجد الكاتب قد بدأ بوصف القرية التي تعيش فيها البطل الصغيرة، التي تخرج يومياً قبل طلوع الشمس، وتذهب خلف الجبال حاملة جرة صغيرة، لتعود بها مملوءة بالعسل قبيل غروب الشمس، ثم تعطي كوباً من العسل لجدها، وتخرج وتطوف بيوت القرية بيتاً بيتاً لتبيع العسل، وهو أمر من المتوقع حدوثه في القرية.

وجاءت القرية بعداً مكانياً غير فاعل في الأحداث في مجموعة أخرى من القصص، حيث إن المكان فيها عابر وليس معيناً أو مخصوصاً، وهو مسرح لأحداث بالإمكان أن تحدث في أي مكان آخر، ومن هذه القصص "الليبية الشجاعة" و"الولد والحمامة" و"سنابل الثلج" و"العودة إلى الفردوس" و"الرجل والمزرعة".

■ **المزرعة:** أغلب القصص التي تكون شخصياتها حيوانات يكون المكان فيها إما الغابة أو المزرعة، وأحياناً البستان أو الحقل، أو الحظيرة، وفي بعض القصص لا يذكر المكان صراحة بل يفهم من السياق، ومن نوع الحيوانات.

في قصة "قصة غريبة" جاء ذكر المكان في: "... وقبل أن يجتاز المزرعة رأى أولاداً يجتمعون حول شيء لا يراه"⁽¹⁾، وفي قصة "الغزال الأبيض" نجدها في قول الكاتب في بداية القصة: "في حظيرة المزرعة غزال أبيض.."⁽²⁾، وفي قصة "المهر الأبيض" جاء في بدايتها قول الكاتب: "في مزرعة من المزارع الواسعة الغنية بخضرتها ونباتاتها ومائها قطيع من الجياد"⁽³⁾، وتكرر ذكر المزرعة في عدة

(1) مجموعة المهر السود، قصة غريبة، مصدر سابق، ص 239.

(2) مجموعة حكايات قبل النوم، حكاية "الغزال الأبيض"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، 2006، ص 21.

(3) مجموعة يا زهر القرنفل، قصة "المهر الأبيض"، مصدر سابق، ص 83.

مواضع من القصة، منها ما جاء على لسان المهر الأبيض: "أنا لا أحب المزرعة لأنَّ فيها سياجاً عالياً يمنعني من الخروج واللعب مع أصدقائي"⁽¹⁾.

وفي قصة "انتقام العصافير" كان المكان بستاناً، في مثل قوله: "عاشور يملك بستاناً"⁽²⁾، "ويتوغلوا في البستان"⁽³⁾، و"كلما سنحت لهم فرصة غيابه عن البستان"⁽⁴⁾، أما في قصة "النخلة وزهرة الياسمين" فيأتي ذكر المكان هنا وهو البستان على لسان زهرة الياسمين في حوار مع زهرة الفل عندما قالت: "كرهت الحياة في هذا البستان"⁽⁵⁾.

وفي قصة "السنجاب والبستان" التي حمل عنوانها بطل القصة ومكانها "البستان"، فبطل القصة "السنجاب" نجده منتقلاً من بستان إلى آخر من بستانين جيرانه محاولاً إسكات جوعه؛ ورد ذلك في: "وجد بستاناً جميلاً فدخل فيه ليأكل من فاكهته لكن الأرنب صاحب البستان طرده من بستانه"⁽⁶⁾، وتكرر ذلك مع الفيل والزرافة، وأخيراً كان له بستاناً خاصاً به وذلك في: "كان السنجاب سعيداً بعمله، وبعد أيام ظهر النبات الأخضر في البستان وكبر وصار جاهزاً للأكل"⁽⁷⁾، وفي قصة "حسن وشجرة العنب" جاء في بدايتها على لسان الراوي: "في بستان من البساتين شجرة عنب كبيرة، عندها لذيذ كأنه العسل"⁽¹⁾.

أما الحقل فهو مسرح الأحداث في قصة "لا وجود للعفاريت" جاء ذلك على لسان القطعة الأم عندما أرادت لصغيرها أن يتعلّم صيد الفئران، فقالت له: "هناك في الحقل القريب يوجد جحر للفئران..⁽²⁾، كما نجده في قصة "الحمل الصغير" حيث حنّت النعجة صغيرها في إطار تعليمه الاعتماد على نفسه بأن يذهب إلى الحقل ليأكل ويلعب مع الأصدقاء، فقالت له: "اذهب إلى الحقل الأخضر وتعلّم كيف

(1) مجموعة يا زهر القرنفل، قصة "المهر الأبيض"، مصدر سابق، ص 85.

(2) سلسلة طفل يقرأ، "انتقام العصافير"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 3.

(3) المصدر السابق، ص 3.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(5) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، مصدر سابق، ص 4.

(6) مجموعة حكايات قبل النوم، حكاية "السنجاب والبستان"، يوسف الشريف، سرت، ص 31.

(7) المصدر السابق، ص 31.

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "حسن وشجرة العنب"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 129.

(2) مجموعة المهر الأسود، "لا وجود للعفاريت"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 69.

تختار غذائك(*)..⁽¹⁾، وفي موضع آخر ورد: " .. وأخيراً وصل إلى حقل واسع أخضر ورأى حملان ترعى وتلعب.. ورأى أطفالاً يلعبون"⁽²⁾، وفي قصة "عصفور اللون الأبيض" التي جاء في بدايتها على لسان الكاتب: "في يوم من الأيام جاع عصفور اللون الأبيض فذهب إلى سنبله في الحقل.."⁽³⁾، كما كانت الحظيرة مسرحاً لأبطال قصة "الثعلب والدجاجة والديك" وأحداثها.

■ **الحديقة:** نجدها في قصة "يوسف الصغير" فقد كانت مسرحاً لأحداثها، فقد ورد ذكرها في عدة مواضع من القصة، منها: "وقد تعود يوسف الصغير أن يذهب مع جده إلى حديقة الأصدقاء التي تقع خلف بيت جده"⁽⁴⁾، وفي موضع آخر: "ذهب يوسف الصغير إلى حديقة الأصدقاء وحذائه يلعب تحت قدميه، في الحديقة وجد الأصدقاء يلعبون"⁽⁵⁾، كذلك في قصة "لينة الصغيرة" جاء ذلك في مواضع عدة، منها: "في الحديقة يوسف الصغير مع أصدقائه يلعب معهم ألعابهم، أما لينة فأخذت تجري على العشب الأخضر"⁽⁶⁾.

وفي قصة "زهر القرنفل" لم تكن الحديقة مسرحاً فحسب، بل كانت بما تحويه من أزهار موضع جدل بين العجوز صاحبة الحديقة والأطفال الذين كانوا يمرون بها، وعندما طلبوا منها زهر القرنفل رفضت العجوز إعطائهم، ورد ذلك في: "كل يوم يذهب إليها ولد صغير أو بنت صغيرة .. يطلبون منها زهرة قرنفل واحدة، لكنها تضحك وتقول: لا أعطيكم زهر القرنفل .. زهر القرنفل للحديقة"⁽¹⁾، كما كانت الحديقة مكاناً معنوياً في مجموعة "من حكايات الحروف"، حيث كانت الحديقة المكان الذي تتجمع فيه الحروف الهجائية، كما كانت مسرحاً لكثير من أحداثها.

(*) هكذا وردت في النص، والصحيح (غذاءك).

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "الحمل الصغير"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 39.

(2) المصدر السابق، ص 40.

(3) "عصفور اللون الأبيض"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 65.

(4) مجموعة يا زهر القرنفل، قصة "يوسف الصغير"، مصدر سابق، ص 9.

(5) المصدر السابق، ص 10.

(6) مجموعة يا زهر القرنفل، قصة "لينة الصغيرة"، مصدر سابق، ص 21.

(1) مجموعة يا زهر القرنفل قصة "زهر القرنفل"، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010، ص 65.

■ **الغابة:** وردت الغابة مسرحاً للعديد من القصص، وقد أخذت في كل قصة بُعداً مختلفاً عن القصة الأخرى، وأحياناً ذكرت صراحة وفي أحيان أخرى لم تُذكر ولكنها تعرف بوجود دلائل أو قرائن تدل عليها⁽¹⁾.

حيث نجدها ترمز في العديد من قصص الشريف إلى اختلال القوانين والقيم، وسيادة قانون القوة والظلم الذي يُعرف بـ"قانون الغاب" نسبةً إلى الغابة، كما في قصة "حاكم بلا رعيّة" فقد مارس فيها ملك الغابة الأسد الظلم والاضطهاد ضد رعيته، حتى اضطرت لترك غابتها إلى غابة أخرى، جاء ذلك في نهاية القصة: "وعندما جاء صباح اليوم التالي لم يبق في الغابة حيوان في الأرض أو في السماء، وبقي الأسد وحيداً يحكم بلا رعيّة"⁽²⁾، وفي قصة "الثعلب والأرنب" جاء ذكرها على لسان الثعلب: "ليس في الغابة من هو أكثر مني ذكاء ومكراً"⁽³⁾.

وقصة "الغابة البيضاء" كانت الغابة البيضاء رمزاً للسلام، ذكر ذلك الكاتب في بداية القصة: "في الغابة الكبيرة، لا توجد حيوانات مفترسة كل الحيوانات أليفة، لذلك كان اسمها الغابة البيضاء"، هذا السلام الذي كدّره مجيء الأسد من الغابة السوداء التي تعيش فيها الحيوانات المفترسة.

وينبغي التنبيه هنا إلى أنّ وجود حيوانات أليفة في الغابة يشكّل خطأ لدى القارئ الصغير؛ لأنّ ذلك يخالف الحقيقة، وكان على الكاتب أن يجعل شخصيات الغابة البيضاء من الحيوانات العاشبة في مقابل الحيوانات المفترسة، فهو بذلك يحقق هدفه دون المساس بالحقائق العلميّة، وتكرّر هذا الخلط في قصة "البيضة العجيبة" عندما ذكر الكاتب في بدايتها: "في الغابة البعيدة التي تسكنها الحيوانات الأليفة والحيوانات المتوحشة.."⁽¹⁾، ثم ذكر في موضع آخر الخراف كأحد من يسكن هذه الغابة⁽²⁾.

وفي قصة "العصفور والشجرة" كانت الغابة رمزاً للوطن عند بطل القصة العصفور الصغير الذي حمله فضوله إلى رؤية الغابات الأخرى، مثال على ذلك ما جاء في نهايتها في حوار العصفور وأمه بعد رجوعه: "هل هي أكبر من نجوم غاباتنا؟ أجاب ودموع الفرح في عينيه: لا يا أمي .. إنّ النجوم في

(1) أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، مصدر سابق، ص 232.
(2) سلسلة قصص ليبية للأطفال، قصة "حاكم بلا رعيّة" يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981، د.ترقيم.

(3) قصة "الثعلب والأرنب" يوسف الشريف، المصدر السابق، د.ترقيم.

(1) مجموعة المهر الأسود، "البيضة العجيبة"، يوسف الشريف، مصدر سابق ص 19.

(2) ينظر: مجموعة المهر الأسود، "البيضة العجيبة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 19.

غاباتنا أكبر، والعصافير في غابتنا أجمل⁽¹⁾، كذلك في قصة " صياد يدخل الغابة" فالطيور التي جاءت إلى الغابة من كل مكان لتعيش فيها، لم يكدر صفوها سوى الصياد الذي كان يقتصها ببندقيته، كما كان يسرق بيضها، لكن عندما استطاعت طرده من غابتها عاشت في أمن واطمئنان.

وفي قصة "الأرانب" كانت الغابة مسرحاً للصراع بين الأقوياء والضعفاء، حيث ورد ذكرها في بداية القصة: "عندما تغيب الشمس عن الغابة تختفي الحيوانات الصغيرة الضعيفة في بيوتها وتقف على نفسها كل الأبواب والنوافذ"⁽²⁾، كذلك في قصة "الفيل والقبرة" حيث ورد ذكرها في بداية القصة: "تجول الفيل يوماً في الغابة الشاسعة"⁽³⁾.

وفي قصة "الرجل والشجرة" ورد ذكرها في البداية: "يحكى أنه كان في بلد من البلدان غابة شاسعة كثيفة أشجارها"⁽⁴⁾، فكانت الغابة محور القصة من خلال الشجرة التي أراد الرجل قطعها، فهي المكان الذي حضن أول شجرة نبتت في الأرض ومنها نبتت آلاف الأشجار، وكانت الغابة مسرحاً لقصة "العصافير الثلاثة" وقصة "العصفور الأصفر" وقصة "العصافير الأربعة" وقصة "عصفور سافر مع الشمس" التي تحكي قصة العصفور الذي سافر من غابته ليرى الغابات البعيدة ثم عاد لغابته.

كما كانت الغابة لما تشكله بأجوائها وحيواناتها المفترسة عنصر تحدّ وذلك في قصة "عندما هزمت الخوف"، فهي هنا محك لتحدي الخوف، فمن أراد التخلص من خوفه فليذهب لهذا المكان المتوحش المملوء بالحيوانات المفترسة، جاء ذلك على لسان بطل القصة الصغير وراويها، حيث قال في بدايتها: "سأحكي لكم يا أصدقائي كيف واجهت الخوف، وكيف تغلبت عليه؟! كان ذلك في الغابة، والغابة كانت ممثلة بالحيوانات المفترسة"⁽¹⁾.

■ **الجبيل:** يشكّل المكان بعداً مهماً في قصص الخيال التاريخي، وبعض هذه القصص كان الجبل مسرحها، كما في قصة "فرقة عمر" التي كان الجبل الأخضر شاهداً على معاركها مع الفرقة الإيطالية،

(1) "العصفور والشجرة"، يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 267.

(2) سلسلة نوافذ قصة "الأرانب"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 2.

(3) قصة "الفيل والقبرة"، المصدر السابق، ص 2.

(4) قصة "الرجل والشجرة"، المصدر السابق، ص 2.

(1) سلسلة طفل يقرأ، قصة "عندما هزمت الخوف"، مصدر سابق، ص 3.

جاء على لسان أحد أبطالها وروايتها: "وكنا في أحد كهوف الجبل الأخضر"⁽¹⁾، كذلك في قصة "الراعي الشجاع" حيث كان الجبل والوادي مسرحاً لأحداثها، وورد ذلك في عدة مواضع منها، فذكر بدايةً الوادي الذي يرمى فيه الصبي أغنامه، لينتقل بعد ذلك إلى الجبل، وذلك في: "فتأكد صاحبه أنّ هناك شيئاً يريد "ياقوت" أن يريه له، فتبعه حتى وصل إلى قمة الجبل"⁽²⁾.

كما كان الجبل عنصراً مهماً في قصة "من يصل أولاً" فالمعلم وتلاميذه يقومون برحلة كل يوم جمعة، وذلك للتريض والاكتشاف، وكانت الحافلة تتوقف بهم عند سفح الجبل، ثم يترجلون ويواصلون طريقهم إلى قمة الجبل، لكن بطل القصة "كريم" كان يصر على صعود الجبل بدراجته، لذا كان يصل قبل الجميع، ولكن عندما تعطلت دراجته تأخر عن الجميع؛ لأنه لم يتعود على صعود الجبل على قدميه كأقرانه.

■ **المدينة:** وردت المدينة بالاسم في قصة "عاشور لا يذهب إلى المدرسة" جاء ذلك في بدايتها، حيث قال الكاتب: "في المدينة ولد اسمها عاشور، ذات يوم قال له أبوه: غداً ستذهب إلى المدرسة فعمرك الآن ست سنوات"⁽³⁾، قد لا يكون من المحتم أن تكون أحداث القصة في المدينة تحديداً، ولكن ما يجعل المدينة هي المكان الصحيح لها ما ورد في القصة، حيث ذكر الكاتب قائلاً: "كان الأب خليفة عاطلاً عن العمل، لذلك نهض مبكراً ليواصل البحث عن عمل، حيث قادته قدماءه إلى إحدى الشركات"⁽¹⁾، فهذه العبارة جعلت من المدينة هي المكان المناسب لأحداثها، وذلك لأن الشركات توجد عادةً في المدن.

وفي قصة "ثمن المعرفة" نجد أحد شوارع المدينة بيئة تدور فيها أحداثها، فكان بطل القصة "أيمن" يبحث عن هدية لأمه في الحوانيت المصطفة على جانبي الشوارع، قال الكاتب: "لكن "أيمن" انحرف إلى طريق آخر.. طريق المدينة.. وفي شوارعها أخذ يتجول.. أحياناً يتوقف مبهوراً أمام نوافذ حوانيتها

(1) مجموعة المهر الأسود، قصة "فرقة عمر"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 355.

(2) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "الراعي الشجاع"، مصدر سابق، د.ترقيم.

(3) مجموعة المهر الأسود، "عاشور لا يذهب إلى المدرسة"، مصدر سابق، ص 65.

(1) المصدر السابق، ص 65.

ويتأمل معروضاتها ويتمنى لو أنه يملك نقوداً يشتري بها هدية لأمه في عيد ميلادها⁽¹⁾، كما كانت المدرسة مسرحاً للأحداث في قصة "درس كل يوم".

كذلك في قصة "طائرة فوق بيتنا" كانت المدينة مسرحاً لأحداثها، حيث كانت هدفاً لاعتداء خارجي، وهو حدث واقعي وتاريخي حدث في منتصف سنة 1986 م على مدينتي طرابلس وبنغازي من قبل أمريكا، لكن الكاتب تجنّب ذكر اسم المدينة ربما لأنه لم يرد التأريخ للحادثة بقدر ما أراد إيصال قيم حب الوطن والدفاع عنه في نفوس الأطفال، وقد جاء ذكرها على لسان بطل القصة الصغير وراويها عدة مرات منها: "لم أفهم لماذا يقصف الأعداء مدينتنا، ومن هم ومن أين جاءوا...؟"⁽²⁾.

■ **تنوع المكان في القصة الواحدة:** هناك بعض القصص التي تنقلت فيها الأحداث والشخصيات في أماكن متعددة فتتوعدت فيها البيئة، وذلك كما في قصة "ابنة الراعي" التي تتوعدت فيها مسرح الأحداث بين المدينة والمرج الخضراء، كذلك قصة "السمة الذهبية" التي تنقل أبطالها بين عرض البحر وشاطئه والبيت.

وقد يكون المكان ركناً أساسياً في القصة وله فاعلية في أحداثها، كما في قصة "فأر الحقل وفأر المدينة" فإنّ الأحداث تدور للمقارنة بين البيئتين "الحقل والمدينة"، وهي تركّز على فكرة اختلاف نظام الحياة وأسلوب العيش من خلال الفأرين بطلي القصة، كما تؤكد على التعود والتكيف مع طبيعة المكان، فأر الحقل لا يستطيع العيش في المدينة، وكذلك بالمقابل فإنّ فأر المدينة الذي خبر أماكنها لا يستطيع العيش في الحقل، وفي قصة "عندما اختفت ليلي" كانت الحافلة مكاناً ثالثاً جرت فيه بعض من أحداث هذه القصة، إضافة إلى المدرسة ومكان الرحلة.

في قصة "نار في البيت المهجور" تنقل أبطال القصة بين بيئتهم والبيت المهجور الذي ظن البطل الصغير أنّ غولاً يسكنه، وفي قصة "غريبة" تنقل بطل القصة "خالد" بين البيت إلى المدرسة ماراً بالمزرعة التي أنقذ فيها الكلب الصغير من الأولاد، كذلك مستشفى الهلال الأزرق الذي حمل إليه الكلب الصغير ليعالجه، كما شهدت المزرعة حدثاً آخر وهو تعرض "خالد" لهجوم من قبل بعض الأشرار، وهجوم الكلب عليهم ليفروا هاربين، وفي قصة "ندى وشمس الربيع" تنقلت بطلة القصة "ندى" من البيت إلى شاطئ البحر.

(1) سلسلة نوافذ قصة "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 6.

(2) سلسلة طفل يقرأ، قصة "طائرة فوق بيتنا"، مصدر سابق، ص 13.

كذلك تعددت الأماكن في قصة "لماذا تبكي العصافير" حيث تنتقل أبطالها بين البيوت والغابة، وفي قصة "القطعة بسبس" كان البيت والحقل الأخضر مسرحاً لأبطال القصة وأحداثها، كما تعددت الأماكن في قصة "طائر القمر" فكانت الأحداث بين البيوت والساحة الصغيرة وقمة الجبل.

وفي قصة "الزرافة والسلحفاة" تنقلت بطلتنا القصة من المكان الذي صار قفراً فلم يعد فيه ما تأكلانه إلى الغابة الغنية بأشجارها ومائها، وفي ظل هذه الظروف القاسية قامت الزرافة بتقديم أوراق الشجر للسلحفاة، كما قامت بحملها على ظهرها عند ذهابهما إلى الغابة.

وفي قصة "عبد الله الصغير" انتقل بطل القصة الصغير "عبد الله" إلى أكثر من مكان، فهو قد خرج من البيت إلى الشارع في طريقه إلى مدرسته، لكنه غير طريقه ليذهب بالكلب الصغير المصاب إلى مستشفى الهلال الأزرق، وأخيراً يعود إلى مدرسته.

وفي قصة "عصفور أحب عصفورة" انطلق بطل القصة العصفور الصغير من عشه ليذهب بحثاً عن حبيبته حتى وصل إلى الفضاء الخارجي فتبادل أحاديث ذات طبيعة علمية مع العديد من الكواكب مثل القمر والمريخ وبلوتو، وفي قصة "الأرنب والفيل ووحيد القرن" كان بطل القصة في البداية لا يلعب إلا في حديقة بيته خوفاً من القرد والقنفذ والفيل ووحيد القرن، ولكن بعد أن تأكد أنهم لا يأكلون سوى العشب، ذهب ليلعب معهم في الحقل، في قصة "القطعة ميو" تنوعت الأماكن بين البيت والشارع، وفي قصة "الديك وأصدقاؤه الثلاثة" تنوعت الأماكن بين البيت الذي يعيش فيه الديك وأصدقاؤه الثلاثة، والمكتبة العامة التي يتردد عليها.

وفي قصة "شجرة التوت" تنقل بطل القصة بين البيت والمدرسة وتحديداً في فنائها الذي غرس فيه شجرة التوت، وفي قصة "دامبي والمدرسة" تنقل بطلا القصة وهما القط "دامبي" وصديقه "أحمد" بين البيت والمدرسة، وقصة "الولد الذي لا يشبع" تنوعت فيها الأماكن وفقاً لتنقل بطل القصة من البيت إلى الحقل والمستشفى إضافة إلى المدرسة، وفي قصة "جميل النشيط" تنقل البطل الصغير "جميل" بين الشارع ليلعب مع أقرانه، وعندما فشل في الاتفاق معهم، لأنهم يلعبون ألعاباً لا يجيدها، انتقل إلى حديقة بيته ليمارس هواية الاعتناء بها وغرسها بالورود.

وفي قصة "عصفور على زجاج نافذتي" تنقل بطل القصة وجرت أحداثها بين البيت وساحة الحي التي كان يلعب فيها مع أقرانه، ومستشفى الهلال الأزرق الذي حمل إليه العصفور الجريح ليداويه، وفي قصة "البيضة العجيبة" تنقل أبطال القصة بكل حوادثها بين الغابة والجبل.

■ مكان غير محدد مع وجود معالم دالة عليه:

بعض القصص لم يُذكر فيها المكان الذي تدور فيه الأحداث صراحةً، ولكن قد يذكر الكاتب بعض المعالم الدالة عليه، ففي القصص: "ليس كل كبير غالباً" و"القوي بمفرده ضعيف" و"الثعلب والأرنب" و"قيل وعصفور" و"عصفور مغرور" لم يذكر فيها المكان صراحةً، ولكن شخصيات القصة، كذلك الرسوم المصاحبة دالة عليه وهو الغاية.

وفي قصة "عاشور يذهب إلى الحرب" ذكر الكاتب فيها أنّ البنت الصغيرة ذهبت تبحث عن أخيها في الحقل القريب، مما يدل على أنّ المكان هو في إحدى القرى في ليبيا، وفي قصة "الطائر الكبير والطائر الصغير" لم يذكر المكان فيها، ولكن من خلال أبطال القصة، فالطائر الكبير يبدو في الرسم المصاحب أنه أحد الطيور الكاسرة، كما ظهرت فيها الأشجار بكثافة، مما يعني أنّ المكان هو الغاية.

2. البيئة الزمانية: تكون البيئة الزمانية أكثر دقة وتحديداً في قصص الخيال التاريخي، ذلك أنّ من طبيعتها أنها تتحدث عن أحداث وقعت في التاريخ، وهي تؤرخ لهذه الأحداث، لذلك فإنّ الزمن في هذا النوع من القصص هو جزء مهم من القصة، فالتاريخ مرتبط بالزمن وبما يستجد فيه ويتغير، وينعكس ذلك على الشخصيات وسلوكها ومواقفها⁽¹⁾.

وقصص الخيال التاريخي لـ"يوسف الشريف" تناول فيها صراع الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي، ضمن حقبة الاستعمار الإيطالي التي استمرت فترة ليست بالقصيرة، إضافةً إلى التوقيت المحدد المرتبط بأحداث قصة معينة، ومن هذه القصص: قصة "الراعي الشجاع" التي حدثت "في يوم من أيام الحرب بين المجاهدين الليبيين والплиان"⁽¹⁾، وقصة "الليبية الشجاعة" وقعت أحداثها "في ليلة من ليالي الخوف بقيت سيدة ليبية وحيدة، بعدما ذهب زوجها وولدها لقتال الطليان"⁽²⁾.

وفي قصة "فرقة عمر" كانت معظم أحداثها قد استغرقت ليلة بكاملها، جاء ذلك في عدة مواضع منها: ".. وما جرى في ذلك اليوم بدأ عند غروب الشمس وانتهى عند طلوع الفجر"⁽³⁾، لكن هذا التاريخ امتدّ عدة أيام إذا أضفنا فترة بحث الفرقة عن البطل الذي خرج ولم يعد، ورد ذلك في نهاية

(1) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا، مصدر سابق، ص 239.

(1) قصص ليبية للأطفال، قصة "الراعي الشجاع"، مصدر سابق، د.ترقيم.

(2) قصص ليبية للأطفال، قصة "الليبية الشجاعة"، مصدر سابق، د.ترقيم.

(3) مجموعة المهر الأسود، "فرقة عمر"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 355.

القصة: "مرت أيام على غيابه، عدت مع قائد الفرقة إلى موقع المعركة مرتين، وبحثنا في كل مكان بالجبل لكننا لم نجد أثراً لعمر"⁽¹⁾، وقصة "البطل الصغير" امتدت أحداثها عدة أيام، حيث توالى ذكر أوقات الصباح والمساء عدة مرات، جاء ذلك على لسان الجدة راوية القصة وإحدى شخصياتها، حيث قالت: "في المساء عاد أبي ومعه جدكم عاشور"⁽²⁾، وفي موضع آخر قالت: "وعند مغيب الشمس لم يرجع"⁽³⁾، ثم قالت: "وفي الصباح سألت عاشور عن سر غيبته"⁽⁴⁾، وقالت: "وفي آخر الليل خرج الرجال من بيتنا، وفي الصباح رأيت أبي عائداً"⁽⁵⁾، كما قالت: "وفي الليل لا ينام، يذهب خلسة إلى بندقية أبي يلمسها ويتحسسها"⁽⁶⁾، أما قصة "طائرة فوق بيتنا" فقد وقعت أحداثها "ذات ليلة من ليالي الربيع"⁽⁷⁾، وفي قصة "زهرة الشتاء" وقعت أحداثها في فصل الشتاء، وهو ما يتضح من عنوانها.

وفي بعض القصص كان الزمن محدداً بوقت معين كأن يكون فصل من فصول السنة أو شهر من شهورها، أو الصباح أو المساء أو الليل، إلى غير ذلك، كما قد تستغرق الأحداث سنة أو شهراً، أو يوماً واحداً، ومن هذه القصص "قصة غريبة" حيث وقعت بعض أحداثها في أيام المدرسة والبعض الآخر حدث بعد فترة، حيث قال الكاتب: "كأن الكلب البيض المنقط بنقط سوداء لم يظهر بعد ذلك اليوم ابداً.. إلى أن كان يوم بعد شهر أو بعد عام.. يوم من أيام عطلة المدرسة"⁽¹⁾، وفي قصة "النخلة وزهرة الياسمين" فإن أحداثها وقعت في فصل الشتاء، ورد ذلك على لسان النخلة في حديثها لزهرة الياسمين: "ولا تنسي أننا في فصل الشتاء.. وهو فصل الصواعق"⁽²⁾.

وشكّل الزمان (الليل) عنصر محوري في قصة "تار في البيت المهجور" ذلك لسببين، أولهما: ارتباط الليل بالشعور بالتوجُّس والترقب وبالخيالات التي يتصورها الإنسان فيما وراء الظلمة لعوالم

(1) مجموعة المهر الأسود، "فرقة عمر"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 359.

(2) مجموعة المهر الأسود، "البطل الصغير"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 55.

(3) المصدر السابق، ص 55.

(4) المصدر السابق، ص 55.

(5) المصدر السابق، ص 56.

(6) المصدر السابق، ص 56.

(7) طائرة فوق بيتنا، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 3.

(1) مجموعة المهر الأسود، "قصة غريبة"، مصدر سابق، ص 240

(2) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، مصدر سابق، ص 11.

أخرى تسكنها وتعيش فيها⁽¹⁾، خصوصاً لدى الأطفال، وثانيهما: مرتبط بحقيقة علمية وهي أن مادة الفسفور الناتجة من بقايا العظام، في البيت المهجور والتي ظن الأطفال أنها نار تنبعث من غول يقطنه، هذه المادة يمكن رؤية اشتعالها بوضوح في الظلام؛ لذا قامت الأم بإطفاء نور الغرفة لتثبت لصغيرها عملياً حقيقة الأمر، كذلك في قصة "لا وجود للعفاريت" حيث كان هذا الليل الذي وصفه الكاتب بأنه بلا نجوم أو قمر، هو ما جعل القط الصغير يعود إلى أمه مرعوباً، ظناً منه أن تلك الفزاعة التي وضعها صاحب الحقل لإبعاد العصافير ما هي إلا عفريتاً يترص به.

وكذلك في قصة "عندما هزمت الخوف" كان الليل من المؤثرات الباعثة على الرعب، مع العناصر الأخرى وهو المكان المتمثل في الغابة والحيوانات المفترسة، إضافةً إلى الطقس الشتوي، كل هذه الظروف مجتمعة تزيد من وتيرة الخطر وتبعث على الخوف، أما في قصة "قلب شجاع" كان النهار بشمسه الحارقة والليل المخيم بظلامه جزءاً من محنة الصبي الصغير ووالده في الصحراء.

وفي قصة "الأرناب" شكّل الليل في الغابة المزيد من الأخطار المحدقة بالحيوانات الصغيرة الضعيفة كالأرناب، لتكون أكثر حذراً تجنباً لتلك الأخطار التي تزداد وتيرتها مع حلول الظلام، وفي قصة "الليبية الشجاعة" وقعت أحداثها في ليلة من ليالي الخوف - كما وصفتها المعلمة راوية القصة - وما جعل هذه الليلة ليست كالليالي أن هذه السيدة بطلة القصة كانت وحيدة، فقد ذهب زوجها وابنها لقتال الإيطاليين الذين قلبوا حياة الأهالي الآمنة حرباً وقتالاً بعدما كانوا ينعمون بالأمن والطمأنينة.

كان النهار وتحديداً الصباح في قصة "ندى وشمس الربيع" هو الزمان الذي تبدأ فيه أشعة الشمس بالتسلل إلى كل البيوت، معلنة بداية يوم جديد ينهض فيه الجميع من النوم ويذهب الناس إلى أعمالهم والصغار إلى مدارسهم، جاء في وصف الكاتب: "هذا الصباح فتحت أبواب البيوت، وأشرعت نوافذها، وخرج الكبار إلى أعمالهم، والصغار إلى مدارسهم، لكن نافذة واحدة بقيت موصدة"⁽¹⁾، وهي بطبيعة الحال نافذة غرفة "ندى".

■ مكان وزمان غير محددين:

هناك قصص لم يذكر فيها المكان ولا الزمان باعتبار أن أحداثها لا ترتبط بمكان أو زمان معين، وقد تحدث في أي مكان أو أي زمان، ومن هذه القصص: قصة "عيون النار"، "لماذا تبكي

(1) ينظر: في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 181.

(1) سلسلة طفل يقرأ، "ندى وشمس الربيع"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس - ليبيا، 1999، ص 5.

العصافير"، "الحمامة تزرع شجرة"، "الجبان والكرة"، "الأبيض والأسود"، "أم السعد وولدها الكذاب"، صديقان، الديك واللبغاء، طيور العنب، الملعقة العجيبة، شجيرة بكت، ورد ووردة، تاجر العصافير.

ثالثاً: شخصيات القصة:

الشخصية من العناصر المهمة في القصة، وهي محور أساسي في قصص الأطفال، لذا كان من الضروري أن تبدو واضحة، حية، متوافقة مع أحداث القصة وأفكارها⁽¹⁾.

وتسهم الشخصيات في قصص الأطفال بتعريفهم ما هو سلبي وما هو إيجابي؛ خصوصاً وأنّ الطفل يكون في مرحلة تقليد النموذج، وبناء شخصيته من خلال الاقتناع بالأشياء فيفيد من انتقال الشخصية من جهل الحقيقة ومن السلبية إلى معرفة الحقيقة، ومعرفة الذات والتوجّه نحو الفعل⁽²⁾.

ويبذل كتاب قصص الأطفال جهد كبير في رسم الشخصية كي تتسم بالوضوح وعدم التناقض في أقوالها وأفعالها، كما يحرصون على عدم الاستطراد في وصفها كي يكتشف الطفل طبيعتها بنفسه⁽³⁾، وتتنوع الشخصيات في قصص الأطفال، فقد تكون إنساناً، أو حيواناً، أو نباتاً أو جماداً أو لفظاً معنوياً مجرداً⁽⁴⁾.

وفي حالة كانت شخصيات القصة غير إنسانية فإنّ من واجب الكاتب أن ينطقها، ويحركها، مضيفاً إليها صفات إنسانية؛ لأنّ النطق والحركة عنصران مهمان في قصص الأطفال، فهما يبعثان الحيويّة، ويحقّقان نوعاً من التعاطف بين الطفل وشخصيات القصة ممّا يخلق جوّاً انفعالياً مساعداً، يخطو بالقصة نحو النجاح⁽¹⁾.

(1) ينظر: أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه، هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص 142.

(2) ينظر: سيمياء القص للأطفال في الجزائر، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص 218.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 142.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 142.

(1) ينظر: أدب الطفولة واقع وتطلعات، نزار وصفي اللبدي، دار الكتاب الجامعي، عمان، 2001، الطبعة الأولى، ص 47.

ومن الضروري أن تكون الشخصيات طبيعياً ومقنعة سواء كانت بشريّة أم حيوانية، ويُعد ذلك من المعايير المهمة في بناء شخصيات القصة، ويتجلى هذا المعيار في جانبين، هما⁽¹⁾:

أ. انسجام طبيعة الشخصية في سلوكها: بمعنى أن تتسجم وتتوافق أقوال الشخصية وأفعالها مع سنّها وخلفيتها الاجتماعية ويتجلى هذا الانسجام والتوافق في الشخصيات الحيوانية في تمشي سلوكها مع طبائعها المعروفة عنها مثل كبرياء الأسد، مكر الثعلب، صبر الجمل، ولع القرد بالتقليد.

ب. الرسم غير المباشر للشخصيات: بمعنى أن تكشف أقوال هذه الشخصيات وأفعالها عن نفسها بصورة طبيعية دون أن يتدخل المؤلف في سياق القصة بشكل مباشر ليصفها للطفل، ويتم ذلك عن طريق:

- تسجيل محادثاتها مع الآخرين.

- وصف ما يدور في خلدّها من أفكار.

- الإخبار عنها عن طريق الرواية أو السرد.

1. الشخصيات الإنسانية: تتوّعت الشخصيات الإنسانية في قصص الشريف للأطفال، فمن حيث السن كانت شخصيات الأطفال هي الغالبة على شخصيات الكبار، وهو أمر ينحو إليه كُتّاب أدب الأطفال بشكل كبير، أمّا من حيث الجنس فإن القصص التي أبطالها ذكور أكثر بكثير من القصص التي أبطالها إناث، وهو أمر ينبغي لكُتّاب الأطفال التنبّه له؛ لإحداث شيء من التوازن بين أبطال القصص من حيث الجنس، لأنّ المتوجه إليهم بهذه القصص هم من الجنسين، بل ربما كانت البنات أكثر إقبالاً على قراءة القصص من الصبيان، ويوصي بعض الباحثين بأن يُفرد كل من البنين والبنات بعد العاشرة بأدب مختص بكل جنس، يُسهم في إعدادهم لما يُرجى منهم مستقبلاً⁽¹⁾.

(1) ينظر: قصص الأطفال وفن روايتها، أمل خلف، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ص 89 - 90.

(1) ينظر: قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال، دراسة تحليلية فنية، شفاء بنت عبد الله حامد عبد الله الحبيد، 1425 هـ، ص 200.

في قصة "فرقة عمر" نجد أحد رفاق بطل القصة هو الراوي، أما البطل فهو "عمر" الذي عاد ولاحق جنود الإيطاليين بعد انتهاء المعركة بهزيمة العدو، فعندما عادوا لكهفهم، اكتشف "عمر" رصاصة لا تزال موجودة عنده، كما جاء على لسانه: "وعدت أُمي إنني سأحارب حتى الرصاصة الأخيرة، وهذه الرصاصة الأخيرة ما زالت معي"⁽¹⁾، فذهب خلسة حتى لا يراه قائد الفرقة، ويبدو أنه استشهد فلم يعثر له على أثر بعد ذلك، ومنذ ذلك اليوم تسمت هذه الفرقة باسم هذا البطل.

في قصة "الليبية الشجاعة" نجد الراوية هنا هي المعلمة، أمَّا البطلة فهي "سيده لبيبة شجاعة"، والشخصيتان الثانويتان هما "جنديان إيطاليان"، وفي قصة "صياد يدخل الغابة" تمثل شخصية الصياد الخطر الذي يهدد العصافير في الغابة.

وكثيراً ما نجد شخصيات القصص هم من الأطفال، أو نجد بطل القصة طفل ومعه بعض الشخصيات المساعدة مثل: الأم أو الأب، أو المعلم، أو غير ذلك، والأمثلة كثيرة على ذلك؛ لأنَّ القارئ الصغير ينسجم مع هذه الشخصيات ويراقب كل ما يصدر عنها بكل متعة واهتمام، لهذا استفاد الكتاب من هذه الميزة التي تميّز المتلقي الصغير⁽²⁾.

ومن الأمثلة على ذلك قصة "الراعي الشجاع" وبطلها "عمران" وهو طفل صغير، بدأ الراوي بوصفه ووصف الظروف الصعبة التي جعلته يرعى الغنم بدلاً من ذهابه إلى المدرسة، ورغم صغر سنه قام بعمل كبير يدل على ذكائه وشجاعته، فهو من بلغ المجاهدين بقدم الجنود الإيطاليين، وهو أمر ليس سهلاً على طفل صغير حافي القدمين كما كانت المسافة بعيدة، لكنه أصرَّ على إخبار المجاهدين مهما كلفه الأمر، ونجد في القصة الشخصية المساندة وهو والده الذي تذكر تحذيره له من جنود الأعداء عندما رأهم وذلك في قوله: "لا تقترب من عسكر أبو ريشة حتى لا يقتلوك، إنهم جاءوا من بلد بعيد لاحتلال الوطن"⁽¹⁾.

كما نجد الشخصية الثانوية متمثلة في أحد المجاهدين الذي أخبره عمران بقدم الأعداء، كما نجده عائداً بسرعة الريح بعد أن أخبر رفاقه في معسكر المجاهدين لينقذ حياة عمران الذي لفظ أنفاسه

(1) مجموعة المهر الأسود، "فرقة عمر"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 358.

(2) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا، فريدة المصري، مصدر سابق، 253.

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "الراعي الشجاع"، مصدر سابق، د. ترقيم.

الأخيرة قبل أن يصل إليه، وفي قصة "المراسل الحربي" نجد دوراً مشابه لدور عمران، حيث قام بطل القصة "حسن" وهو طفل لا يتجاوز عمره العشر سنوات، بالمساهمة في الثورة حيث قام بإيصال رسائل شفوية بين الثوار الذين يعدون للثورة فهو ينتقل من بيت يجتمع فيه بعض الثوار إلى بيت آخر فيه ثوار آخرين في أحد الشوارع البعيدة رغم وجود المسلحين بعرباتهم متربصين بالثوار داخل المدينة، وهو أمر فيه خطورة كبيرة لذا كانت فرحته كبيرة بعد نجاحه في إيصال الرسالة، ونجد الشخصية المساندة هو "أحمد" وهو شاب من ثوار المدينة، وهو من كلفه بحمل الرسائل بعد أن علم باستعداده وقدرته على ذلك.

وفي قصة "عبد الله الصغير" وبطلها عبد الله وهو تلميذ مجتهد في دراسته، قام وهو في طريقه إلى المدرسة بإنقاذ كلب صغير، فذهب به إلى مستشفى الهلال الأزرق، وفي القصة أكثر من شخصية مساعدة حيث نجد شخصية الطبيب البيطري الذي أوصل عبد الله إلى مدرسته، كما أخبر المدير بإنقاذه للكلب الذي تعرض لحادث، وشخصية مدير المدرسة الذي تفهم سبب تأخر عبد الله عن الامتحان.

وقصة "قلب شجاع" كان فيها بطل القصة هو الراوي، وجاء الأب مسانداً لابنه، فهو من عرض عليه الذهاب معه إلى الصحراء، ووافق على الفور رغم صغر سنه، وفي رحلته تلك مرَّ بكثير من الحوادث الصعبة لكنه نجح في نهاية الأمر.

ونجد شخصيات الأطفال كذلك في قصة "قصة غريبة" وبطلها "خالد" عمره عشر سنوات يصفه الكاتب بالذكاء وحب المدرسة وحسن الأخلاق والسلوك، وتأتي معه شخصية "الأم" مساعدة، وكذلك في قصة "تار في البيت المهجور" نجد "رامي" بطل القصة ومعه "الأم" شخصية ثانوية لكنها تلعب دوراً أساسياً في القصة، أما بطل قصة "ثمن المعرفة" فهو "بلال" الطفل الذي اتصف بالإرادة والعزيمة وعدم الاعتراف بالفشل، ومعه شخصيتان ثانويتان هما "الأب والأم".

كذلك في قصة "الجبان والكرة" نجد بطل القصة وهو طفل الصغير تطورت شخصيته من الدور السلبي إلى الإيجابي، ففي بداية القصة أخذ أحد الأولاد منه كرتة دون أن يفعل شيئاً لاستعادتها، ولكن بمساعدة الشخصية المساعدة وهي الأم، حثته على الدفاع عن نفسه وعن حاجاته، كما امتنعت عن

شراء كرة أخرى له، كل ذلك ساعده على قلب الموازين داخل نفسه، ويتطور سلوكه من السلبي إلى الإيجابي عندما عاد حاملاً كرتيه بين يديه، وفي قصة "سنابل الثلج" فإن الطفل "عاشور" بطل القصة يضحي بنفسه من أجل إنقاذ قريته التي لم تسقط فيها قطرة ماء منذ زمن بعيد، من خلال ما قام به الطفل بطل القصة، ومنها يتعلم القارئ الصغير معنى التضحية والإيثار، وكذلك "الأم" الشخصية المساندة في هذه القصة هي التي زرعت فيه حب الوطن والارتباط به.

أمّا الصبي بطل قصة "الولد والحمامة" فهو شخصية محبة للسلام ورافضة للسلاح، وتبين ذلك من خلال حمايته للحمامة التي اشتراها من السوق، أما شخصية "الأب" فهي على طرف نقيض لأنه يقتني بندقية صيد ليصطاد بها الطيور، لذا فإن الولد قام بإخفاء بندقية والده في مكان مهجور حتى لا يتمكن والده من اصطياد الحمام، وبذلك شعر بالسلام والحماية.

كذلك في قصة "الحمام يخرج من قفصه" نجد بطل القصة "رضوان" الذي يساعد أسرته الفقيرة ببيع الحمام، لكنه ذات يوم ذهب بقفص الحمام إلى الميدان الكبير وأطلق سراح الحمام كتعبير عن الاحتفاء بالحرية والسلام، على عكس ذلك البطل في قصة "هكذا .. طار الحمام" حيث نجد "عمران" يقوم بنزع ريش أجنحة الحمام حتى لا يتمكن من الطيران.

وفي قصة "أبي لا يعرف أين يذهب الحمام"، نجد الأب - أيضاً- نقيض ابنه فهو يشتري الحمام ويذبحه، ولا يروق هذا العمل لبطل القصة الصغير فقد حاول اقناع والده بالكف عن شراء الحمام وذبحه، فهو يعتقد أنّ الحمامة التي اشتراها والده تبكي، لذا طلب من والده ألا يذبح الحمامة، وعندما اشترى والده حمامة أخرى ليذبحها اختفت الحمامة في غرفته فقام في الصباح بإخفائها في حقيبتته وذهب بها إلى الحديقة وأطلقها، وتكررت هذه العملية عدة مرات.

وفي بعض القصص نجد أنّ الشخصية الرئيسية أو شخصية البطل هو راوي القصة أيضاً وهو طفل كما في قصة "طائرة فوق بيتنا" وقصة "عندما هزمت الخوف"، وفي بعضها الآخر نجد دور البطولة مسند إلى أكثر من شخصية أو تشترك فيه أكثر من شخصية كما في قصة "لماذا تبكي العصافير".

وفي بعض القصص الأخرى نجد شخصية البطل ذات سلوك سلبي يتغير بفعل الأحداث إلى سلوك إيجابي وذلك في مثل قصة: "العودة إلى الفردوس" حيث اجتمع الإخوة بعد مرورهم بظروف قاسية نتيجة تفرقهم وعدم أخذهم بوصية والدهم قبل وفاته، وفي قصة "طائرة الورق تجمع الأصدقاء" نجد الأصدقاء الثلاثة المتخاصمين يعودون لسابق عهدهم من المحبة والألفة بعد تشابك طائراتهم الورقية وفوزهم، ونجد دور الأمهات المساعد حيث قامت كل أم بنصح ابنها قبل المسابقة بأن تكون لهم طائرة واحدة، فجاءت النهاية وكأنها تنفيذ لنصح الأمهات، وفي قصة "أنا لا اعتذر" فبطل القصة "أيمن" اعتاد على عدم الاعتذار عند ارتكابه لأي خطأ، لكن عندما أخطأ زميله أنس في حقه حيث قام بتمزيق كتابه، اعتذر له أنس، فبكى "أيمن" لأنه تذكر أنه كثيراً ما يخطئ بحق أمه ولا يعتذر لها، وعرف أخيراً أهمية الاعتذار عند الخطأ، فالاعتذار يزيل الشعور بالألم والغضب من المخطئ، نجد هنا الشخصيات المساعدة المعلمة التي أمرت أنس بالاعتذار لأيمن، كما نجد الأم التي كانت تتصح بالاعتذار عند الخطأ.

وفي قصة "عاشور لا يذهب إلى المدرسة" نجد بطل القصة "عاشور" يمتنع عن الالتحاق بالمدرسة بعد بلوغه سن الدراسة، ولكن عندما عرف إن والده عجز عن إيجاد عمل له لأنه لا يجيد القراءة والكتابة، قرر الذهاب إلى المدرسة، فقد قال لوالده الحزين ببراءة الأطفال: "لا تحزن يا أبي أنا سأذهب إلى المدرسة، وأعلمك القراءة والكتابة"⁽¹⁾.

وفي قصة "الرجل والشجرة" تطوّرت الشخصية وصار محباً، بدا الرجل قاسياً في بداية القصة ثم تطورت الشخصية وصار محباً للأشجار فأبدل بفأسه محراثاً يقوم بزراعتها أينما وجد فراغاً، وفي قصة "درس كل يوم" وقصة "صديقان" تتطوّر الشخصية السلبية أحمد لتصبح إيجابية، وذلك بمساعدة شخصية أخرى معها مشتركة في البطولة هي "مهجة" عن طريق تصرفها المتسامح مع "أحمد" الذي أخطأ معها، ولكنها لم تكافئه بالمثل.

وفي بعض القصص نجد الشخصية السلبية من بداية القصة إلى نهايتها دون أي تغيير أو تطوّر، كما في قصة "انتقام العصافير" وقصة "أم السعد وولدها الكذاب" و"الولد الذي لا يشبع أبداً" والغريب أنّ

(1) مجموعة المهر الأسود، "عاشور لا يذهب إلى المدرسة"، مصدر سابق، ص 66.

شخصية الأم في القصتين الأخيرتين كانتا أيضاً سلبيتين؛ فلم يظهر منهما ما ينبغي أن تقوم به الأم في مثل هذه الظروف إزاء الأخطاء التي يقوم بها بعض الأطفال نتيجة نقص الخبرة، فالأولى اكتفت بوصف ابنها المتهرب من مدرسته بالكذاب، والثانية كانت تقدم لابنها الشره المزيد من الطعام رغم تناوله الكثير منه!.

2. الشخصيات الحيوانية: حازت القصص التي كان جميع أبطالها أو أحد أبطالها من الحيوانات، على النصيب الأكبر في قصص الشريف، وهو أمر يتوافق مع المراحل العمرية التي تتوجّه لها جل هذه القصص، وقد تنوعت الحيوانات في قصص الأطفال ليوسف الشريف، حيث جاءت معظم شخصيات مجموعة "الغابة" من الحيوانات، وفي كثير من القصص كانت الشخصيات جميعها حيوانات، مثل: "القوي بمفرده ضعيف"، "ليس كل كبير غالباً"، "الفأر يصبح أسداً"، "حاكم بلا رعية"، "لا وجود للعفاريت"، "الثعلب والأرنب"، "العصفور والشجرة"، "الحمامة تزرع شجرة"، "الأرنب"، "الفيل والقبرة"، "العصافير الثلاثة"، "الديك وأصدقاؤه الثلاثة"، "السنجاب والبستان"، "الديك والبيغاء"، "الأرنب والفيل ووحيد القرن"، "الملعقة العجيبة"، "البيضة العجيبة"، "العصفور الأخضر"، "العصفور الحكيم"، "الغابة البيضاء"، "الأرنب الزرقاء"، "الأرنب يحكم بينهم"، "العصافير الثلاثة"، "العصفور الأصفر"، "الشمس تأتي بالصباح"، "العصافير الأربعة"، "الطائر الصغير والطائر الكبير"، "الزرافة والسلحفاة"، "فيل وعصفور"، "عصفور مغرور"، "عصفور غير لونه"، "بيضة نعامة وبيضة عصفور"، "غصن صغير وطير كبير"، "نملة وفيل"، "سلحفاة ونملة"، "أسد وعرين"، "عصفور وجناح صغير"، "طير كبير وحبّة عنب"، "تحلة وزهرة"، "طير كبير وطير صغير"، "نسر وعصفور"، "أسد وعصفور"، "الخطّة الذكية"، "الصقر والنسر"، "عصفور القفص وعصفور الشجرة".

أمّا القصص التي تنوعت فيها الشخصيات بين إنسانية وحيوانية أو نباتية معاً، فمنها قصة: "فأر الحقل وفأر المدينة"، "البتشة"، "الولد والحمامة"، "الرجل والمزرعة"، "قصة غريبة"، "صياد يدخل الغابة"، "زهرة الشتاء"، "الأبيض والأسود"، "انتقام العصافير"، "لماذا تبكي العصافير"، "أبي لا يعرف أين يذهب الحمام"، "خالتي سالمة وقطتها العجيبة"، "هكذا .. طار الحمام"، "العصفور الأبيض"، "الرجل والمزرعة"، "أولاد عاشور"، "المهر الأسود"، "القطعة ميو"، "الغزال الأبيض"، "فصل الربيع"، "شجيرة بكت"، "الحمل الصغير"، "عبد الله الصغير"، "دامبي والمدرسة"، "القطعة بسبس"، "حسن وشجرة العنب"،

"الثعلب والدجاجة والديك"، "طيور العنب"، "حديقة الورد"، "السماء بيت العصافير"، "الينة الصغيرة"، "زهرة القرنفل"، "المهر الأبيض"، "أحمد الرجل وذئب البراري"، "تاجر العصافير"، "عصفور على زجاج نافذتي"، "عصفور شجاع"، "عصفور ووردة"، "عصفور وحمامة"، "الحمام يخرج من قفصه"، "البيغاء"، "ولد وعصفور"، "طفل وحديقة طيور"، "أذن وعين"، "دب وخليّة نحل"، "قفص وعصفور"، "طير وحبّة قمح"، "ولد وحمامة"، "عصفور في البيت"، "بنت صغيرة ووردة"، "ولد صغير وفخ"، "حبّة زيتون وقطرة ماء"، "بستان مسعود"، "شجرة العنب"، "البيضة العجيبة"، "مجموعة حكايات للأطفال من حياة الحيوان".

استخدم الكاتب بعض قصص الحيوان كتعبير عن الصراع بين الخير والشر، كما في قصة "الغابة البيضاء" التي تعيش فيها الحيوانات المسالمة، التي انقلب سلامها وأمنها خوفاً وتوجساً بسبب مجيء الأسد من الغابة السوداء، وكانت تلك الشخصيات المتصارعة قريبة من طبيعتها المعروفة عنها، فالأسد يمثّل القوة والجبروت كما في قصة "حاكم بلا رعيّة"، "العصفور الأخضر"، والثعلب يمثّل الدهاء والغرور كما في قصة "الثعلب والأرنب"، كذلك في قصة "القوي بمفرده ضعيف"، "الثعلب والدجاجة والديك"، وقصة "الأرنب الزرقاء"، بينما كان الكلب يمثّل الوفاء كما في قصتي "البتشة" و"قصة غريبة" ففي الأولى نجده يدافع عن صاحبه عند تعرضه للخطر، وفي الثانية يدافع عنه لأنّه أنقذه ذات يوم من الأشرار.

وتمثّل بعض الحيوانات المفترسة عنصر خطر وتحدّ للآخرين، كما في قصة "أحمد الرجل وذئب البراري" حيث وقف أهل القرية عاجزين أمام الذئب الذي يأتي كل ليلة ليفترس أغنامهم، ولكن الفتى الصغير بشجاعته وذكائه استطاع التخلص منه نهائياً، ويمثّل الحصان النبيل والشجاعة في قصتي "المهر الأسود" و"المهر الأبيض".

وبعض قصص الحيوان جسّدت فيها الشخصيات الحيوانيّة التطلّع إلى الحرية والنضال من أجلها، كما في قصة "الغزال الأبيض" وتمثّل القصص التي أبطالها من الحمام والعصافير وغيرها من الطيور هذه القيمة في عدد من القصص، مثل: "أبي لا يعرف أين يذهب الحمام" "لماذا تبيكي العصافير" و"السماء بيت العصافير"، و"تاجر العصافير"، و"البيغاء"، و"قفص وعصفور" و"عصفور في البيت" و"أسد وعصفور"، و"عصفور القفص وعصفور الشجرة".

وكثير من قصص الحيوان كان هدف الكاتب من خلالها ترسيخ بعض القيم التربويّة والاجتماعيّة، مثل: قصة "عصفور في البيت"، وقصة "لا وجود للعفاريت"، وقصة "العصفور" والشجرة"، وقصة "الفيل والقبرة"، "العصافير الثلاثة"، "الديك وأصدقاؤه الثلاثة"، "السنجاب والبستان"، "الديك والبيغاء"، "الأرنب والفيل ووحيد القرن"، "الملعقة العجيبة"، "العصفور الحكيم"، "الأرنب يحكم بينهم"، "العصافير الثلاثة"، "العصفور الأصفر"، "العصافير الأربعة"، "الزرافة والسلفاة"، "فيل وعصفور"، "عصفور مغرور"، "نسر وعصفور".

وكثيراً ما استخدم الكاتب الحيوانات بأنواعها لإيصال قيم علميّة أو قيم احترام البيئة، كما في قصص: "الحمامة تزرع شجرة" التي تشرح طريقة زرع الأشجار بأسلوب واضح ومبسط، وذلك ما قامت به الحمامة التي لم تجد شجرة تبني فيها عشاً تضع فيه بيضها، كما تجسد شخصية الحمامة المثل الحسن للقارئ الصغير لاحترام البيئة والحفاظ عليها، كما نجد الكثير من مثل هذه القيم في "عصفور اللون الأبيض"، و"عصفور سافر مع الشمس"، و"عصفور أحب عصفورة"، و"فيل وعصفور"، و"غصن صغير وطير كبير"، "نملة وفيل"، "سلفاة ونملة"، "عصفور وجناح صغير"، "طير كبير وحبّة عنب"، "نحلة وزهرة"، "طير كبير وطير صغير"، "طير وحبّة قمح".

3. شخصيات نباتيّة:

تُعدّ الشخصيات النباتيّة قليلة في قصص الشريف مقارنةً بالشخصيات الإنسانيّة والحيوانيّة، وكنتيجة للوعي بأهمية الغطاء النباتي للأرض، وما يتعرّض له من انحسار يشكّل خطورة على التوازن البيئي على الأرض، فإنّ التركيز في هذه القصص كان على أهمية الأشجار وكيفية زراعتها، وقصة واحدة فقط كانت بعيدة عن هذا الموضوع، حيث كان موضوعها تربوياً رمزياً: وهي قصة "النخلة وزهرة الياسمين": حيث ترمز النخلة على العلو والثقة بالنفس وترمز زهرة الياسمين للدلالة على الطمع وعدم الثقة بالنفس، فهي على الرغم من جمالها وطيب رائحتها لم تكن راضية بذلك، بل تطلعت إلى أن تكون كالنخلة في طولها وارتفاعها وهي لا تملك مقومات هذا الطول، وبالتالي لا تستطيع الصمود في وجه الشمس الحارقة والرياح القوية، وقد أحسن الكاتب اختيار هاتين الشخصيتين، لأنّ لكل واحدة منهما ميزاتهما، وما يعد ميزة لواحدة لا يعد عدمه نقيصة في الأخرى.

وقصة "الرجل والشجرة": ترمز الأشجار للخير والعطاء رغم إيذاء الإنسان لها، ففي القصة الرجل يصمم على قطع الشجرة فيما هي تعطيه الطعام ليأكل والدواء ليشفى.

وفي قصة "شجرة الزيتون": يتعرّف القارئ الصغير على أهمية شجرة الزيتون ودورها في مقاومة التصحر، فبطلة القصة "شجرة الزيتون" تجسّد الشخصية الخيرة والصامدة أمام ريح الجنوب التي تجسّد الشخصية الشريرة التي يشكّل هبوبها كارثة على الجميع خاصة الأشجار، حيث تقتلعها لتذهب بها بعيداً لتموت في الصحراء القاحلة، التي لا ماء فيها، كما كانت "شجرة الزيتون" رمزاً للتضحية بذهابها مع ريح الجنوب حتى لا تقضي على بقية الأشجار، لكنها لم تمت، فقد جاءت سحابة الشتاء وسقطت الأمطار في تلك الصحراء لتصبح الأرض ربيعاً.

وفي قصة "شجيرة بكت" وكانت بطلتها شجيرة تعرّضت للكسر من قبل الريح، وبعد أيام سمع ولد صغير بكاء الشجيرة، وتبادل معها حواراً عرف من خلاله سر بكائها، وطلبت منه المساعدة، فذهب إلى النجار ثم إلى الخياط ثم إلى بائع الشباييك، وجمع منهم المواد اللازمة ليساعدها على جبر كسرهما، وحمايتها من الريح عندما تأتي مرة أخرى. وفي قصة "عصفور اللون الأبيض" كانت السنبله وهي إحدى شخصيات القصة مصدراً لغذاء العصفور الجائع بما تقدمه من حبات القمح، إذا ما توفر لها عنصر الحياة الأساسي وهو الماء.

وبعض القصص يتعرف القارئ الصغير من خلالها على بعض مظاهر الطبيعة، وعلاقتها ببعضها، مثل: "قطرة ماء وزهرة" وهي أفصوصة، أبطالها قطرة ماء، وعصفور، وزهرة تعيش في كهف، فقد جسدت قطرة الماء معنى الحياة للأحياء، حيث سقطت حبات المطر وارتوت كل البساتين، وعندما سمعت إحدى حبات المطر بكاء الزهرة طلبت من العصفور أن يحملها إليها، فارتوت وخرجت منها زهرة اسمها زهرة المطر.

وفي قصة "زهرة الشتاء" كانت بطلة القصة الصغيرة "منيرة" مولعة بالزهرة البيضاء في حديقة المرأة العجوز، وكانت في كل مرة تقطف زهرة لمحاولة غرسها في بيتها لكنها تذبل الزهرة وتموت، ولكن عندما عدلت عن ذلك واكتفت بالاستمتاع بالنظر إليها، وجدت في صباح اليوم التالي نبتة بها سبع

زهرات بسبعة ألوان، وبهذا عرفت "منيرة" أنّ الأزهار خُلقت للاستمتاع بجمالها، وقطفها يحرمنا هذه المتعة.

كذلك "حبة قمح قطرة ماء" يعرف القارئ الصغير من خلال بطليها وهما حبة القمح وقطرة الماء ما ينتج عن لقاءهما، فحتى لو كان لقاؤهما صدفة تصبح حبة القمح بعد فترة سنبله.

4. شخصيات خيالية: لا يوجد من بين شخصيات قصص الشريف للأطفال ما يعرف بالشخصيات الخيالية المتعارف عليها في قصص الأطفال وحكاياتهم، كالغول أو الوحوش، ولكن توجد بعض شخصيات القصص التي يمكن وصفها بالغرائبية، لأنها تأتي بأعمال خارقة للعادة، مثل: شخصية الرجل العجوز في قصة "كيس اللؤلؤ"، فقد كان يختفي بطريقة غريبة ممّا يوحي أنه ليس إنساناً عادياً، فقد ورد في عدة عبارات من القصة: "ابتعد الرجل العجوز ثم اختفى كأنه قطرة ماء ذابت تحت أشعة الشمس المحرقة .. لم يره يمشي أو يركض أو يجري، هكذا اختفى فجأة"⁽¹⁾، وفي موضع آخر وردت عبارة: ".. وعندما التفت كان الرجل العجوز قد اختفى كأنه سحابة من بخار تلاشت في الفضاء"⁽²⁾، وفي عبارة أخرى: ".. ثم التفت، ثم ابتعد، ثم اختفى مثل سحابة من البخار، أو مثل قطرة ماء تبخرت تحت أشعة الشمس المحرقة"⁽³⁾، وفي قصة "البيضة العجيبة" نجد شخصية الساحر الشرير الذي سحر السيدة وابنتها وحولهما إلى دجاجة وبيضة، وتعاونت حيوانات الغابة للقضاء عليه، وبهذا رجعت السيدة وابنتها إلى حالتها الطبيعية، ورفضت السيدة ترك الغابة لأنها اعتبرت هذه الحيوانات أهلها.

5. شخصيات من الجماد: القصص التي يستتق فيها الكاتب الجمادات قليلة، منها: قصة "قلم وكتاب" التي يجسد البطولة فيها قلم وكتاب، فقد وجدا نفسيهما في الفصل بعد خروج التلاميذ منه، فجلسا إلى جانب بعضهما ودار بينهما حوار يدل على دور كل واحد منهما، فالكتاب للقراءة والقلم للكتابة، وأملى الكتاب ما فيه على القلم الذي قام بالكتابة على السبورة، ليجد التلاميذ في اليوم التالي الدرس مكتوباً عليها، كما وجدوا القلم ينام بين صفحات الكتاب. وفي قصة "طفل وطائرة ورق" وفيها

(1) مجموعة المهر السود، "كيس اللؤلؤ"، مصدر سابق، ص 346.

(2) المصدر السابق، ص 347.

(3) المصدر السابق نفسه، ص 351.

أطلق بطل القصة "نزار" طائرته الورقية فارتفعت في السماء حتى اختفت عن العيون، ثم عادت لتحمل نزار فوق جناحيها لتطير به في سماء الربيع الصافية.

6. شخصيات أخرى من الطبيعة:

في قصة "ندى وشمس الربيع" قامت الشمس بإرسال اشعتها لتوقظ "ندى" لتذهب إلى مدرستها، لكن ندى ترفض أن تستيقظ وتستمر في نومها، فاتفقت الشمس ورفاقها من بحر ونسيم وسحابة، بعدم مصادقة "ندى" لكسلها وتغيبها عن المدرسة، وعند استيقاظ "ندى" مبكرة عاد الجميع لمصادقتها، إنَّ استخدام الشمس في محله، فشروق الشمس هو بداية ليوم جديد، كما أن استخدام مظاهر الطبيعة كالبحر والنسيم والسحابة إلى جانب الشمس يعد منطقياً؛ لأنها جميعها من مظاهر الطبيعة وظواهرها.

وقد يكون استخدام مظاهر الطبيعة وظواهر وأسننتها وسيلة للتزوّد بالعلم والمعرفة، كما في قصة "عصفور سافر مع الشمس" نجد شخصية العصفور الصغير الباحث عن العلم والمعرفة، وتمثل الشمس الشخصية الرئيسية إلى جانب العصفور، وقد زودته بالكثير من الحقائق سواء ما يتعلق بها أو بغيرها كالأرض والغابات، وقد أحسن الكاتب استخدام الشمس باعتبارها مركز المجموعة الشمسية، وهي مصدر الضوء والحرارة فيها، كذلك الأمر في قصة "الشمس تأتي بالصباح"، ولكن بصورة مبسطة لمخاطبتها الأطفال في سن مبكرة.

وفي قصة "عصفور أحب عصفورة" نجد هذه المرة شخصية القمر حيث التقاه العصفور وهو يبحث عن حبيبته، وكل ما جاء على لسان القمر عند إجابته على أسئلة العصفور هو حقائق علمية تتعلق بالقمر وغيره من كواكب المنظومة الشمسية.

وفي قصة "عصفور اللون الأبيض" نجد شخصية العصفور أثناء بحثه عن حبة قمح ليأكلها، يتحاور مع العديد من ظواهر الطبيعة ومظاهرها تبدأ من السنبل إلى النهر إلى السحابة إلى الريح إلى البحر وأخيراً الشمس، ليعرّف القارئ الصغير العلاقة السببية التي تربط بينها.

وقصة "سحابة صيف وسحابة شتاء": هي أقصوصة، هدفها معرفي، فمن خلال بطلي القصة سحابتي الصيف والشتاء، وما دار بينهما من حوار وأحداث، يتعرف القارئ الصغير على طبيعة كل منهما، والفرق بينهما، كما يتعرف على علاقة البحر بتكوين السحب وسقوط المطر.

7. شخصيات أخرى:

تتمثل في الحروف، وذلك في "مجموعة من حكايات الحروف": نجد أبطال هذه الحكايات من الحروف إضافةً إلى شخصية الراوي، حيث نجد في كل حكاية حرف أو أكثر يمثل شخصية البطل، كما نجد في كل حكاية الشخصية الثانوية وهي نفسها شخصية الراوي، وهي شخصية صديق للحروف لكونه معلماً.

رابعاً: الحكمة:

هناك من يعرف القصة بأنها تمثيل معرفي لسلسلة من الأحداث تعمل بموجب العلة السببية وكذلك الأهداف والغايات⁽¹⁾. حيث تتكون القصة من الحكاية التي تسرد الأحداث بطريقة مرتبة ترتيباً زمنياً منطقياً، والحكمة تتشكل لترتبط بالأحداث بالمسببات، مع مراعاة الرابط البيئي والانتقال من بيئة إلى أخرى، ومن زمن إلى آخر في حال وجود أكثر من بيئة وأكثر من زمن، وهو ما يسمى بنسيج القصة، وهي بهذا تكسبها طابعاً فنياً شائقاً، وبما أن الحكمة تتطلب من القارئ ذكاء وذاكرة⁽²⁾، فإن قصص الأطفال عادةً تكون ذات حبكة بسيطة بعيدة عن الغموض الذي يرهق ذهن القارئ الصغير، وتندرج نحو البساطة حسب المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل، ولا يعني ذلك الضعف والتسطيح الذي يفقد القصة عنصر الإثارة والتشويق الذي يجذب القارئ الصغير إليها⁽³⁾.

وتقسم القصة إلى نوعين من الحكمة هما: القصة ذات الحكمة المفككة التي تبنى على سلسلة الحوادث أو المواقف المنفصلة التي لا ترتبط برباط ما، ووحدة العمل القصصي فيها تعتمد على البيئة التي تتحرك فيها القصة أو على الشخصية الأولى فيها، أو على النتيجة العامة التي تنتظم الحوادث

(1) التحليل السيميائي للقصة، قسام مقداد، مجلة الموقف الأدبي، سوريا، العدد 272، السنة 23، كانون الأول 1993 م، ص 21، نقلاً عن: سيمياء القص للأطفال في الجزائر، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص 128.

(2) ينظر: أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 77.

(3) ينظر: أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، مصدر سابق، ص 263.

والشخصيات جميعاً، والقصة ذات الحكمة العضوية المتناسكة⁽¹⁾، وهذا النوع من الحكمة هو ما يُلمس سيادته في قصص الشريف للأطفال.

من القصص ما جاءت فيها الحكمة بسيطة جداً متماشية مع موضوعها وفكرتها، وتمثلها: قصة "البتشة"، "لماذا تبكي العصافير"، "العصافير الثلاثة"، "القطعة ميو"، "الغزال الأبيض"، "الديك وأصدقائه الثلاثة"، "السنجاب والبستان"، "الثعلب والدجاجة والديك"، "الولد الذي لا يشبع أبداً"، "الملقعة العجيبة"، "العصفور الأصفر"، "شجيرة بكت"، "شجرة التوت"، "حسن وشجرة العنب"، "من يصل أولاً"، "عصفور على زجاج نافذتي"، "قيل وعصفور"، "عصفور مغرور"، "عصفور أحب عصفورة"، "عصفور غير لونه"، "عصفور ووردة"، "عصفور وحمامة".

ويتفصيل أكثر على مثل هذا النوع من الحكمة، قصة "البتشة" حيث بدأت بمقدمة ذكر فيها الكاتب أبطال القصة، وهم عمران وكلبه "البتشة" واصفاً العلاقة الوثيقة بينهما، كذلك القطعة "نوسة" التي كثيراً من تتعرض للمعاكسة من "البتشة"، حتى أنه ذات مرة عضها في ذيلها، وعند معرفة عمران بما حدث من "البتشة" طرده من البيت، وذات ليلة بينما كان عمران عائداً إلى البيت اعترض طريقه رجل يريد أخذ ما معه من نقود، فحاول "عمران الهروب لكنه لم يستطع، وفجأة خرج البتشة من الظلام وهجم على الرجل المعتدي ففر هارباً، فرح "عمران" وندم على ما فعله بكلبه الوفي.

أمّا قصة "لماذا تبكي العصافير" فقد بدأت بوصف عصفورين صديقين كانا في قفص واحد، أحدهما في لون الأشجار والآخر في لون السماء، كان هذان العصفوران معروضين للبيع، جاء رجل واشترى العصفور الأزرق، ثم جاء آخر واشترى العصفور الأخضر، حزن وبكى كل عصفور على فراق صديقه، وسأل كل منهما صاحبه لماذا اشتراه، فكان جواب الرجل الأول بأنه اشتراه لابنته سمية التي تريد عصفوراً أزرق، والثاني أجاب العصفور بأنه اشتراه لابنته سميرة التي تريد عصفوراً أخضر، فرحت الفتاتان بعصفوريهما، لكن العصفورين كانا حزينين لا يغردان ولا يأكلان، وافترقت الصديقتان سمية وسميرة وسافرت كل واحدة لمدينة بعيدة عن الأخرى، فحزنت كل واحدة وبكت على فراق صديقتها، فشعرتا بشعور العصفورين، فأخذت كل واحدة عصفورها وذهبت به إلى الغابة القريبة، وتلاقت

(1) ينظر: بناء الرواية (دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، مكتبة الشباب، 1982: نقلاً عن: القصة في أدب الأطفال في الأردن، (روضة الهدهد نموذجاً)، موفق رياض مقداوي، ص 86.

الصدیقتان فیها، وأطلقتا عصفوریهما، فحطا علی غصن الشجرة وغردا فرحاً، وحط كل واحد منهما علی صاحبته ثم طار من جدید، وغردت كل عصفیر الغابات القریبة والبعدة لفرحهما، وفي قصة "العصفیر الثلاثة" تتبع حیاة العصفورة الأم وصغارها منذ البداية، حیث وضعت ثلاث بیضات وبعد أن فقس وتخرج منها ثلاثة عصفیر صغیرة، قامت بدورها تجاههم، فكانت تطعمهم وتحمیهم بجناحیها، وكانت سعیدة بصغارها كما كانوا هم سعداء بحنان أهمهم ورعايتها لهم، وعندما كبروا قليلاً ظهرت ألوانهم الجمیلة، فكانوا أبيض وأزرق وأخضر، قامت العصفورة الأم بتعلیمهم الطیران، تعلم العصفوران الأبيض والأزرق الطیران وكانا سعیدین بذلك، فیما تكاسل العصفور الأخضر، فأخبرته أمه أن الذي لا یطیر یموت جوعاً، فطلب منها أن تأتيه هی بالطعام، فكانت حازمة معه لأنه أصبح كبيراً وعلیه الاعتماد علی نفسه شیئاً فشیئاً، وعندما عمل بنصیحتها استمتع بالطیران فرأى الأشجار الخضراء والتقى بالكثیر من العصفیر المغردة، وفي فترة لاحقة طلبت منهم أن يتعلموا بناء أعشاش خاصة بكل واحد منهم، فاستجاب العصفوران البیض والأزرق وتعلموا كیفیة بناء أعشاشهما، وأصبح لكل منهما عشه الخاص، فیما تلكأ العصفور الأخضر كعادته، متعللاً بأنه یرید أن یبقى فی العش مع أمه، غضبت العصفورة الأم وكانت حازمة فی قرارها باستقلال أبنائها جمیعاً، فتركته بییت علی غصن الشجرة فی البرد القارس، وفي الصباح جاء لأمه نادماً طالباً أن تعلمه كیفیة بناء عشه، ففرحت العصفورة الأم، وبذلك أصبح للعصفور الأخضر عشه الخاص به.

وقصة "الغزال الأبيض" بدأت بوصف الغزال الصغیر الجمیل، الذي كان لا یأكل لحزنه بسبب الابتعاد عن أمه، رغم أن صاحب المزرعة كان یعتني به ویقدم له النباتات الطریة الخضراء، وعندما حاوره صاحب المزرعة عرف سبب حزنه وعدم تناوله للطعام، فوعده بأنه سیتركه یدهب إليها عندما یکبر، ففرح الغزال وأصبح یتناول الكثیر من الطعام لیکبر ویدهب إلى أمه، كما فرح صاحب المزرعة الذي اتضحت نواياه الحقیقیة بعد ذلك، حیث صرّح للغزال بعد أن كبر بأنه سیدهب به إلى السوق لیبیعه، حزن الغزال الصغیر واشتكى لأصدقائه فی الحظیرة وهم الدیک والأرنب والبطة والأوزة، فوعده بمساعدته علی الهرب، وعندما حل اللیل ساعده علی فتح باب الحظیرة وشجعه علی الهرب، وصل فی الصباح إلى الغابة الصغیرة لیجد أمه بانتظاره ففرحت بلقائه، وأرسل الغزال الصغیر رسالة إلى أصدقائه یعلمهم فیها بوصوله سالماً وسعیداً.

ومن القصص التي لا تحتوي على حبكة ولا حوادث تصل إلى العقدة، ولكنها تعتمد على السرد البسيط، "فصل الربيع"، "الحمل الصغير"، "الديك والبيغاء"، "دامبي والمدرسة"، "القطعة بسبس"، "الأرنب والفيل ووحيد القرن"، "طيور العنب"، "ورد ووردة" الشمس تأتي بالصباح، "حديقة الورد"، "السماء بيت العصافير"، "صديقان" (*)، "أمي"، "الرجل والمظلة"، "عصفور سافر مع الشمس"، "يوسف الصغير" "لينة الصغيرة"، "طائر القمر"، "عيون العسل"، "العصافير الأربعة"، "زهر القرنفل"، "الطائر الصغير والطائر الكبير"، "المهر الأبيض"، "الزرافة والسلحفاة".

وكمثال تفصيلي على مثل هذا النوع من القصص، قصة "الحمل الصغير" التي بدأت بحثاً النعجة لولدها الحمل الصغير بأن يبدأ في الاعتماد على نفسه، وأن يلعب مع أصدقائه ولا يتبعها طوال الوقت، كما حثته على أن يختار طعامه بنفسه فالحقل فيه الكثير من النباتات الخضراء، فسأل الحمل والديه عن مكان الحقل الأخضر، نصحته بأن يسأل من يجده في طريق، فذهب الحمل الصغير، وصادف أن وجد ولداً صغيراً على دراجته فتبعه، وعندما سأله الولد الصغير لماذا يتبعه رد عليه بأن أمه نصحته باللعب مع أصدقائه، لكن الولد الصغير قال له أنه لا يعرف اللعب مع الحملان، ثم وجد في طريقه عصفورين على شجرة وسألهما اللعب معهما، فقال له أحد العصفورين: هل يمكنك الغناء؟ وهل لديك جناحان تطير بهما؟ فقال لهما أنه لا يعرف الغناء ولا يمكنه أن يطير، ثم تابع الحمل الصغير طريقه حتى وجد سلحفاة تأكل العشب، فسألها اللعب معها؟ لكنها قالت له أنت حمل وأنا سلحفاة، اذهب واللعب مع أصدقائك، واصل الحمل الصغير طريقه حزينا، ولم يسأل أحداً حتى وصل الحقل الأخضر، الذي وجد فيه حملان ترعى وأطفال يلعبون، حياهم وسألهم اللعب معهم؟ فتجمعوا حوله وسمحوا له باللعب معهم، فلعبوا وأكلوا برسيماً طرياً، ثم رجع كل واحد إلى أمه، وعند رجوع الحمل الصغير إلى أمه سألته عن سبب تأخره، فقال لها بفرح: إنه سعيد لأنه عرف الطريق إلى الحقل الأخضر، وسيذهب غداً مع أصدقائه إلى حقل جديد. وقصة "حديقة الورد" بدأت برؤية بنت صغيرة لوردة ذابلة والأرض من حولها جافة، فطلبت الوردة من البنت الصغيرة قطرة ماء تروي عطشها،

(* قصة مفردة، يوسف الشريف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005، هناك قصة أخرى بالعنوان نفسه في سلسلة نوافذ، 1998 م.

فذهبت البنت الصغيرة وجلبت الماء للوردة فشربت حتى ارتوت، بعد فترة رجعت البنت الصغيرة فوجدت في الحديقة وردتين، ذهبت لترجع بعد فترة لتجد فيها الكثير من الورد الصغيرة.

وفي قصة "العصافير الأربعة" تتبع لحياة العصفورة الأم وأبنائها العصافير الأربعة الذين يتميزون بألوانهم الجميلة، وبعد تعلمها كيفية التقاط طعامها من الأرض، وكيفية الطيران، نصحتهم والدتهم بأن يختار كل واحد منهم شجرة من أشجار الغابة ليبنى فيها عشه، في صباح اليوم التالي اتفق العصفوران الأزرق والأبيض أن يبنيان عشيهما على شجرة واحدة؛ لأنَّهُما يكرهان أن يكونا وحيدين، فجمعا العيدان لكنهما لم يعرفا كيف يبنيان عشيهما، فساعدتهما أمهما، كما ساعد كل واحد منهما الآخر في جمع العيدان وبناء العشين، وبعد أن استكملا البناء، عادا لأمهما يدعوانها لزيارة عشيهما، فوعدتهما بأنها ستزورهما غداً، وستجلب هدية لكل واحد منهما، ومن المآخذ في هذه القصة أن الكاتب تتبع العصفورين الأزرق والأبيض حتى النهاية، وتجاهل العصفورين الأخضر والأصفر، وهو أمر من السهل على القارئ الصغير اكتشافه، وكان من الممكن للكاتب أن لا يذكرهما من الأصل إن لم يكن لوجودهما فائدة.

أمّا سائر القصص فكانت الأحداث فيها متسلسلة تسلسلاً منطقياً يصل بها إلى العقدة ثم إلى الحل، إنَّ قصة "حاكم بلا رعية" تبدأ بالمقدمة وهي دعوة الأسد الحيوانات للاحتفال بانتصاره على النمر، ثم تدخل في الأحداث التي تتضمن اتفاق العصافير والحيوانات جميعهم بعدم الحضور، ومغادرة الغابة إلى غابة أخرى، وتنتهي الأحداث بانقضاء النهار دون أن تلبى حيوانات الغابة وطورها الدعوة؛ ممّا أغضب الأسد فتوعد بالقضاء عليهم جميعاً، عندها ظهر الثعلب والحكيمة أم بسيسي لمواجهته بالحقيقة وما اتفقوا عليه، وفي اليوم التالي تصل الأحداث إلى النهاية عندما غادر الجميع ليبقي الأسد بلا رعية، وقصة "الغابة البيضاء" هي إعادة نشر لقصة "حاكم بلا رعية" مع بعض التغيير، ففي القصة الأولى اجتمعت الحيوانات في بيت "الحكيمة أم بسيسي" أمّا في الثانية فقد اجتمعت في بيت "الغزال".

وما يؤخذ على هذه القصة أنَّ الغزال اتخذ في البداية موقفاً حازماً من الذهاب إلى الأسد، حينما قال: "لن نذهب إلى الوليمة، إنها خدعة من الأسد"⁽¹⁾، وعندما عرف رغبة الخروف والحسان بالذهاب

(1) مجموعة المهر الأسود، "الغابة البيضاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 84.

إلى الأسد حذر قائلاً: "إذا ذهب واحد منكم سيأكله الأسد، نحن لا نستطيع مقاومة الأسد، والحل هو أن نخرج جميعاً من الغابة ونتركه وحيداً"⁽¹⁾، ولكن المفاجأة حدثت عندما ذهب الغزال إلى الأسد ليقول له: "إنهم لن يأتوا إليك، لن يأتي أحد منهم، وغداً سنخرج من الغابة ونتركك وحيداً!"⁽²⁾.

وقصة "صياد يدخل الغابة" بدأت برصد الحالة الخطيرة التي تعانيها طيور الغابة من قبل الصياد وبندقيته، وتتوالى الأحداث التي تضمنت استعانة الطيور ببعض الحيوانات القوية لحمايتها، لكنها فشلت جميعها أمام بندقية الصياد، فأشار بعضهم إلى الهجرة إلى غابة أخرى، لكنهم أيقنوا أنهم سيواجهون صياداً آخر في أي غابة يذهبون إليها، فتعلمت أن الحل يكمن في الاعتماد على نفسها لذلك فقامت بمهاجمة الصياد في وقت واحد، ففر الصياد هارباً خارج الغابة ولم يعد إليها، لتعيش الطيور بعد ذلك في أمن وطمأنينة، في هذه القصة يلاحظ أن الكاتب جعل استعانة الطيور ببعض الحيوانات القوية بشكل غير مدروس، بمعنى أنها استعانت في البداية بأقوى حيوانات الغابة وهو الأسد وعندما فشل، استعانت بحيوانات أخرى أقل قوة كالفيل والأفعى والثعلب ثم التمساح، فليس من المنطقي أن ينجح الثعلب مثلاً فيما فشل فيه الأسد، فحتى يكون الأمر أكثر إقناعاً ينبغي أن تذهب الطيور من القوي إلى الأتقى وهكذا، وهناك أمر آخر يضعف ما يهدف إليه الكاتب وهو التعاطف مع البيئة الحيوانية، ونبذ الظلم، لأنه في كل مرة يقتل الصياد فيها حيواناً ارتقت حياته وتحسنت أوضاعه، حيث كان يصنع من فرائها الملابس، ومن جلودها الأحذية والحقائب الثمينة، وهذا ربما يأتي بنتيجة عكسية لما هدف إليه.

وفي قصة "شجرة الزيتون" بدأت بمقدمة طويلة وصف فيها الكاتب ريح الجنوب التي تهب عادةً في فصلي الصيف والخريف، وما تحدثه من خراب على الطبيعة والحياة، لذا لا يحبها أحد، كما أنها لا تحب فصل الربيع لأنه يمنعها من المرور، فهو الفصل الذي يستمتع فيه الجميع بجمال الطبيعة والطقس، ثم يأتي الحدث الأول المفاجئ للجميع، وهو هبوب ريح الجنوب في فصل الربيع فأحدثت الخراب في كل شيء، لكن هناك شجيرة زيتون صغيرة كانت تقف في وجهها، لكن تلك الريح تصر على اقتلاعها وحملها بعيداً لتموت في الصحراء، وتصل الأحداث إلى ذروتها عند موافقة شجيرة

(1) مجموعة المهر الأسود، "الغابة البيضاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 84.

(2) المصدر السابق، ص 85.

الزيتون للذهاب مع الريح إلى الصحراء؛ مضحية بنفسها لتبقى باقي الأشجار ولا تموت، ثم تبدأ العقدة بالانفراج عندما دعت سحابة الربيع الصغيرة سحابة الشتاء لتسقي شجيرة الزيتون في الصحراء، ويأتي الحل بسقوط الأمطار في الصحراء، وترتوي الأرض وتصبح ربيعاً أخضر تعج بالحياة.

وقصة "البطل الصغير" كانت على لسان الجدة التي كانت ترويها لأحفادها، فهي كانت شاهدة باعتبارها أحد شخصياتها، فهي أخت بطل القصة "عاشور"، بدأت بمقدمة ذكرت فيها قدوم الغزاة إلى ليبيا من بلاد بعيدة، وكيف قُلبت حياتهم رأساً على عقب، وفي ضوء هذا الحدث انخرط الرجال لمحاربة العدو، وفي خضم هذه الظروف كان عاشور يبحث عن بندقية ليحارب بها العدو، ووصل الأمر ذروته عندما رفض والده إعطائه بندقية لكونه لا يزال صغيراً، واختفاء عاشور دون أن يعلم أحد بمكان وجوده، ويبدأ حل العقدة بعودته في فجر اليوم التالي حاملاً بندقية، وحكى للجميع قصة تسلله مع أصدقائه لمعسكر العدو، عندها أيقن الرجال أن عاشور أصبح رجلاً ويمكنه مرافقتهم إلى الحرب.

ومن المآخذ في هذه القصة كثرة الاستطرادات والتفاصيل التي يمكن أن تؤدي إلى تشتيت ذهن القارئ الصغير ولا تفيده، وقصة "أحمد الراجل وذئب البراري" بدأت بمقدمة طويلة وصف فيها الكاتب الصفات الشكلية والنفسية للبطل الصغير "أحمد"، فهو صغير السن والحجم لكنه أسطوري الشجاعة، وتتوالى الأحداث حتى تصل إلى العقدة المتمثلة في هجوم الذئب على إحدى حظائر القرية وافتراسه لبعض الخراف، ولم يكن في القرية من يتصدى له سوى "أحمد" ثم تتوالى الأحداث لتصل إلى الحل وهو وضع "أحمد" لخطة للقضاء على الذئب وتنتهي بنجاحه في ذلك.

وفي قصة "صباح جميل" بدأت بمقدمة فصلّ فيها الكاتب جمال فصل الربيع، واحتفال جميع الكائنات به، وسارت الأمور سلسلة طبيعية، حتى حدثت العقدة المتمثلة في سقوط عصفور صغير في جوف شجرة السرو، ولم يعلم به أحد سوى الشمس التي أخبرت طائر السنونو ليذهب لمساعدة العصفور، فاستعان بنقار الخشب الذي حمله النسر إلى الشجرة، وتنتهي بنجاح نقار الخشب في عمل فجوة في جذع الشجرة، خرج العصفور الأخضر الصغير منها. وقصة "المهر الأسود" بدأت بمقدمة طويلة وصف فيها الكاتب "المهر الأسود"، والعلاقة الوثيقة التي تربطه بصاحبه أسامة منذ ولادته، ثم تتوالى الأحداث التي نتج عنها عقد صداقة بين المهر الأسود وصاحبه أسامة من ناحية والذئب من ناحية أخرى، لتسير الأحداث سيراً طبيعياً لتدخل في مرحلة التأزم عندما اكتشف أحد الصيادين العلاقة

بين الأصدقاء الثلاثة، ليرجع إلى القرية ويدعي لوالد أسامة بأن الذئب هاجم ابنه أسامة لكنه تمكن من الهرب منه، وتصل الأمور إلى ذروتها بقتل الذئب على يد والد أسامة، وتنتهي برجوع أسامة ومهره الأسود من السباق ليصدما برؤية جثة الذئب البريء فيكي أسامة ومهره عليه بكاءً مرأً. وقصة "أولاد عاشور" بدأت بمقدمة طويلة وصف فيها الكاتب "أولاد عاشور" من الناحية الشكلية والخلقية، ومشاكساتهم وإزعاجهم للجميع، وتتوالى الأحداث عادية، حتى تحدث المشكلة متمثلة في هجوم الذئب وتردده ليلاً على حظائر أهل القرية وافتراس خرافهم، وتنتهي بالحل على أيدي "أولاد عاشور" حيث خططوا للقضاء عليه ونجحوا في ذلك، وبهذا تتغير صورتهم عند أهل القرية.

وقصة "فرقة عمر" بدأت بمقدمة جاءت على لسان أحد أبطال الفرقة يروي فيها حوادث هذه القصة، وتتوالى الأحداث التي تلخصت في استعداد هذه الفرقة لملاقاة فرقة إيطالية، وانتصارهم عليهم وفرار بقايا الجنود الإيطاليين، ورجوع فرقة المجاهدين إلى الكهف، ويحدث التأزم عندما اكتشف "عمر" رصاصة لا تزال عنده، وإصراره على العودة لملاحقة من هرب من باقي الجنود الإيطاليين، وتنتهي القصة بعدم عودة "عمر" الذي توحى الشواهد على أنه استشهد في أثناء ملاحقته لأولئك الغزاة. وقصة "تاجر العصافير" بدأت بمقدمة على لسان راوي القصة وأحد أبطالها، طالباً فيها من أصدقائه رأيهم فيها بعد الاستماع إليها، ثم يذكر الأحداث من ذهابه مع والده إلى السوق ورؤيته لكثير من العصافير بمختلف الألوان في الأقفاص، وتبدأ العقدة بمعرفته من والده أن العصافير ليست سعيدة بوجودها سجينة في الأقفاص، وتبدأ الأمور في الانفراج باتفاقه مع مجموعة من أصدقائه بالتخطيط لإطلاق سراحها، وتنتهي بذهابهم إلى السوق وإبهام تاجر العصافير أن معهم الكثير من النقود لشراء الكثير من العصافير، فانقضوا على الأقفاص وفتحوها لتتدافع العصافير للخروج وتطير بعيداً وسط ذهول التاجر وضحك الناس.

وقصة "عصفور شجاع" بدأت بمقدمة على لسان راوي القصة لأصدقائه، رصد فيها طبيعة العصافير، وقدرتها على الطيران، وولع الأطفال لها، وتسير الأمور سيراً عادياً، حتى تحدث المشكلة متمثلة في مجيء الصياد ذات صباح لذلك المكان الذي يعج بالعصافير، فقلب سلامهما وأمنها خوفاً وقلقاً، وتتوالى الأحداث لحل هذا الإشكال، الذي خطط له العصفور الشجاع "طيف" وتنتهي بهجوم

الطيور جميعاً وفي وقت واحد على الصياد ونقرته في كل أنحاء جسمه حتى سقط، فكان عبرة لكل الصيادين، عاشت كل العصافير في أمن وسلام.

وفي قصة "عيون النار" كانت البداية بوصف شخصية بطل القصة الذي لم يعرف اسمه، وقد اطلق عليه الجميع اسم "عيون النار" بناء على لون عينيه، كما لا يعرف أحد سكنه ولا عنوانه، وهو لا يتكلم مع أحد ولا يكلمه أحد، يتجنبه الكبار لشكله الخارجي، وهو صديق الأطفال ومقرّب منهم لاطلاعهم على حقيقة سريره الطيبة النقية، ثم يدخل الكاتب في حدث القصة الأول عندما تختفي دجاجة العجوز العرجاء في الوقت الذي يختفي فيه "عيون النار" وبتهم بسرقتها، لكن الأطفال يبحثون عنه ولم يجده، ثم يأتي الحدث الثاني عندما سقط "أحمد" في البئر أثناء لعبه مع أقرانه، ويأتي الرجال عندما يسمعون صوت الأطفال يستجدون بهم، وفي الوقت الذي اجتمع فيه الرجال يتحدثون ويصرخون بأصوات عالية، دون أن يحاول أحد منهم إنقاذ "أحمد"، يظهر "عيون النار" ليحل هذه العقدة، ويتقدم وهو صامت كعادته فينزل إلى البئر لينقذ "أحمد" ثم يختفي من جديد، بعد ذلك يجدون دجاجة العجوز العرجاء في حظيرة جارتها لتؤكد على صدق الرجل وأمانته، وتفند الظنون السيئة عنه، أما في قصة "طائرة فوق بيتنا" بدأت بمقدمة على لسان بطل القصة الصغير، صوّر فيها مدينته الآمنة وسير الحياة الطبيعي للناس، ثم يذكر بعض التفاصيل الصغيرة، وكل شيء يسير على ما يرام في بداية القصة، وبينما كان الناس يغطون في نومهم، سُمع صوت مدوّ، فهرع الأطفال من نومهم الهادئ وتسير الأحداث إلى أن تصل إلى العقدة المتمثلة في سؤال بطل القصة الصغير الذي يبحث له عن إجابة مقنعة، وهو: "لم أفهم لماذا يقصف الأعداء مدينتنا، ومن هم أو من أين جاءوا؟"⁽¹⁾ ويبقى السؤال في ذهن الطفل دون إجابة، وترجم هذه الأسئلة حالة الاستنكار والاحتجاج على هذا العمل الهجمي الظالم، ثم يأتي الحل الواقعي والعملية الذي رآه أمامه وهو خروج والده من البيت ومعه بندقية وانضمامه لباقي الرجال.

وفي قصة "عندما اختفت ليلي" تتسلسل الأحداث منطقياً لتخدم فكرة القصة عندما أخطأت "ليلي" في حق زميلها "رفيق" وتصل إلى العقدة المتمثلة في اختفاء "ليلي" والتي تحل بمساعدة "رفيق" الذي بحث عنها وأنقذها، وتختتم القصة بنهاية جميلة عندما أهدت "ليلي" "رفيقاً" باقة ورد تعبيراً عن اعتذارها

(1) سلسلة طفل يقرأ، قصة "طائرة فوق بيتنا"، يوسف الشريف، ص 13.

وشكرها له، وطلبت منه أن يكون دائماً معاً. وقصة "قصة غريبة" تبدأ بوصف بطل القصة "خالد"، ثم تنتقل إلى الحدث الأول عندما خرج صباحاً ذاهباً إلى المدرسة حيث وجد بعض الأولاد يضرّبون كلباً فينقذه منهم ويعالجه ويعود به إلى البيت ليطعمه، أما الحدث الثاني فيبعد فترة من الزمن يتعرض "خالد" إلى اعتداء من بعض الأولاد، ويأتي الكلب لينقذه منهم رداً للجميل.

وقصة "نار في البيت المهجور" بدأت بتصوير حالة الهلع التي كان عليها "رامي" عندما دخل على أمه لاهتاً مرتعشاً، ومن خلال حوار "رامي" مع أمه تتبين حقيقة الأمر، ثم تصطحبه أمه، لتزيل خوفه بإزالة السبب وتوضيح حقيقته أمامه.

وقصة "النخلة وزهرة الياسمين" بدأت بوصف الحالة النفسية المتأزّمة لبطل القصة "زهرة الياسمين"، ورغبتها في تغيير طبيعتها لتكون كالنخلة قوة وطولاً، وتمرّ بسلسلة من الحوادث التي أفضت إلى تحقيق أمنيتها، لتدخل في العقدة المتمثلة في عدم قدرتها على مواجهة الظروف الجديدة، لتنتهي إلى النتيجة المتوقعة وهي ندمها على طمعها. وقصة "الأبيض والأسود" كانت بدايتها على لسان الراوي صاحب القط الأبيض، الذي أسهب في مدحه، ومسالمة وهذونه ثم تدخل الأحداث التي سارت في اتجاه واحد، مستخدمة حوارات رمزية بين القطّين، فالقطّ الأبيض تحصل على قطعة لحم اقتسمها عن طيب نفس مع القطّ الأسود، عندما علم رغبته في ذلك، أما الحدث الثاني فعندما تحصل القطّ الأسود على قطعة لحم، وفهم من حركاته أنه لا يريد أن يقتسمها مع القطّ الأبيض، وتحلّ العقدة بانقضاء القطّ الأبيض على قطعة اللحم ليأكل نصفها ويترك نصفها الآخر للقطّ الأسود وكأنه يسترد ديناً له من القطّ الأسود. وقصة "الرجل والشجرة" بدأت بالحديث عن إحدى الغابات، وركز في حديثه بعد ذلك عن إحدى أشجار الغابة القديمة التي تسمّى بأشجار، ثم انتقل بحديثه إلى "الرجل الشرير" وفأسه الذي كان يقوم بقطع الأشجار، ثم تدخل في الأحداث التي انتهت إلى تغيير قناعة هذا الرجل، حيث أصبح حريصاً على زراعة الأشجار في كل فراغ يجده.

وقصة "لا وجود للعفاريت" بدأت بالحديث عن حرص القطة الأمّ تعليم صغيرها وحثه على صيد الفئران، واختارت لذلك إحدى الليالي المظلمة فلا نجوم أو قمر، وتبدأ الأحداث بخروج القطّ الصغير لاصطياد فأر من الحقل وتصل الأحداث إلى العقدة عندما يعود القطّ خائفاً من الشبح الأبيض الطويل

الذي رآه، عندها تبدأ العقدة في الحل عندما تأخذه أمه إلى الشبح ويكتشف أنه لا وجود للأشباح أو العفاريت وما رآه هو مجرد فزاعة صنعها صاحب الحقل لتبعد الطيور عنه.

وقصة "الولد والحمامة" تترجم بدايتها ولع بطل القصة الصغير بالحمام من خلال قيامه بشراء حمامة بيضاء صغيرة واعتناؤه بها، وتصل الأحداث إلى التآزم عندما عاد والده ومعه بندقيّة، وعرف منه أنها لصيد الحمام فتملكه الخوف على حمامته، ففكر في التخلص من هذه البندقيّة وتبدأ العقدة في الحل عندما تذكر بئراً مهجورة خلف البيت القديم، وفعلاً ذهب إلى تلك البئر وتخلص من هاجسه المتمثل في البندقيّة.

أمّا قصة "العصفور والشجرة" فقد بدأت بالحوار بين العصفور الصغير وأمّه، متضمناً رغبة العصفور الصغير وفضوله في معرفة الكون من حوله، وذلك من خلال تساؤلاته الكثيرة؛ لذا وعدته أمه بأنها ستجلب له كتاباً يعرف من خلاله كل شيء عن النجوم، لكن التفكير في النجوم والغابات والنجوم سيطر عليه، فعزم على السفر والاكتشاف بنفسه في غفلة من أمه، ثم تدخل القصة في الأحداث والصعوبات التي مر بها العصفور منذ مغادرته إلى أن وصلت إلى العقدة التي اكتشف من خلالها قيمة وطنه، وتحل العقدة بعودته إلى غابته وشجرته التي ولد وتربى وترعرع فيها، وأحضان أمه الدافئة بعزمه وإرادته.

أمّا قصة "سنابل الثلج" بدأت بوصف مشهد الرجال وهم يتضرعون إلى الله بأن يغنيهم بالمطر الذي غاب كثيراً عن قريتهم فأصابها الجفاف، ثم ينتقل إلى الحديث بين الطفل وأمّه عن أهمية المطر بالنسبة للإنسان، ثم تمضي القصة في الأحداث التي مرت بالطفل بطل القصة وتصل إلى العقدة عندما يخيره القمر ما بين أن يصير عصفوراً وينفذ قريته أو أن يظل إنساناً ولن تصلهم قطرة واحدة، وبعد صراع مع النفس والرغبة يقرر أن يضحي في سبيل قريته التي أحبها وتنتهي القصة بامتزاج الفرح بالمطر والخير والحزن على فراق الابن الذي تحوّل إلى عصفور صغير عاد إلى أمه لتحضنه وتغمره بحنانها، وهي تشكو له حزنها دون أن تعرف أنّه ابنها الذي تبحث عنه.

أما قصة "العودة إلى الفردوس"⁽¹⁾ فقد بدأت بوصف حياة الأب وأولاده في حقلهم الجميل، ثم تدخل القصة في الأحداث بعد موت الأب والتي تتضمن تفرُّق الأخوة واختلافهم، وتصل هذه الأحداث إلى العقدة عندما فشل كل منهم في الاستمرار، وتنتهي العقدة باتفاق الأخوة وتنفيذ وصية والدهم والعودة إلى ما كانوا عليه.

وفي قصة "الثعلب والأرنب" كانت العقدة فيها أخلاقية قيِّمة؛ لذا لجأ الكاتب إلى البدء بالحوار العقلي الذي دار بين العصفورة والثعلب لحل هذه العقدة، فالثعلب يعتقد أن من حقه اقتراس الأرنب، وفي كل الأحوال كانت الأرنب مخطئة على حسب رأيه، فيما حاولت العصفورة إقناعه بفساد رأيه؛ لأن ذلك يعني سيادة قانون القوة والظلم الذي سيجعل منه هو الآخر فريسة لمن هو أقوى منه، ليتحوَّل ما ذهبت إليه العصفورة إلى حقيقة واقعة عندما انتهت القصة بهجوم النمر على الثعلب.

أما قصة "القوي بمفرده ضعيف" فبدأت بحوار بين الأرنبة الصغيرة والأرنب الكبير لتقنعه بأن يساعد أخواته الأرنب الضعيفة في حل عقدها المتمثلة في الثعلب الذي يفترس كل ليلة واحدة منها، وبعد أن أقنعه دخلت القصة في الأحداث التي أدت إلى حل العقدة المخطط لها وهي وقوع الثعلب في الحفرة.

وقصة "الرجل والمزرعة" بدأت بالحديث عن منصور الذي استطاع مع أسرته الصغيرة أن يحيل قطعة الأرض الصغيرة إلى فردوس أرضي فيها الكثير من الخيرات، وتدخل القصة في التعقيد بحيرة منصور في كيفية حماية مزرعته من اللصوص، وتتوالى محاولاته الفاشلة في حمايتها، حتى تصل إلى الحل عن طريق ابنه الصغير الذي اقترح على أبيه اقتناء بندقية ليدافع عن فردوسه من لصوص المزارع. أما قصة "الفيل والقبرة" فبدأت بالحوار بين الفيل والقبرة، وقد عرف الفيل من خلاله سر حزنها وامتناعها عن الغناء والتغريد، ووافق على مساعدتها على أن لا تبرح أذنه مهما حدث، وتدخل القصة في الأحداث التي انتهت إلى انخداع القبرة بالثعلب، وقد تركت الخاتمة مفتوحة هنا لتترك المجال أمام القارئ الصغير لاكتشافها مستعيناً ببعض العبارات التي توحى بأن القبرة قضت على يدي الثعلب.

وقصة "الأرنب" تبدأ بوصف حالة الحذر والتوجس التي تعيشها الحيوانات الضعيفة في الغابة عند حلول الليل؛ لكثرة الأخطار التي تتهددها، وتدخل الأحداث باضطراب الأرنب الأم للخروج لإطعام

(1) سلسلة قصص لبيبة للأطفال، "العودة إلى الفردوس"، مصدر سابق.

صغارها، لترجع دون الحصول على طعام، وتتأزم الأمور بتفاجئ الأرنب الأم بوجود خطر يدهم صغارها، وتحل العقدة الأولى بنجاة الأرنب الصغيرة بعودة الأم في الوقت المناسب وشجاعتها في دفاعها عن صغارها، لكنها تنتهي بعقدة أكبر عند اكتشافها أن الحاكم المشهور بعدله المؤتمن على رعيته هو العدو الحقيقي لها، وهي مفارقة غرضها إثارة تفكير القارئ الصغير، وإشراكه في حلها.

وقصة "الفأر يصبح أسداً" بدأت بمقدمة طويلة أسهب الكاتب فيها بوصف الفأر بطل القصة وعلاقته السيئة بالجميع، لأنه يتخلق بسلسلة طويلة من الأخلاق الذميمة، كالكذب والكسل وإثارة المشاكل، وعدم الاستماع للنصائح، وعدم الندم على ارتكابه الأخطاء، والرغبة في الانتقام، التي انطلق منها وفكر في الانتقام من بني جلدته من عالم الفئران الذين نبذوه لسوء خلقه، فاستولت عليه وقاده تفكيره إلى أنه لا يمكنه ذلك حتى يكون حاكماً عليهم، ولن يكون حاكماً حتى يكون أقواهم جميعاً، ثم تتسلسل الأحداث عندما ذهب لاستشارة عدد من الحيوانات، لكنه عرض عنها جميعاً وسخر من نصائحها، ثم قصد الأسد ودار بينهما حوار مطول استعطف فيه الفأر الأسد ليعيره ناباً من أنيابه ومخلباً من مخالبه، وقبضةً من شعره، وتصل الأحداث إلى العقدة عندما ركّب ما استعاره من الأسد وذهب إلى بيت العائلة ليخيفهم، وتحل العقدة عندما حاول أن يزرأ فانكشف أمره فضحك الجميع، وانتهت بقول الفأرة الكبيرة "إنّ الفأر لا يصبح أسداً، حتى ولو كانت له أنياب الأسد ومخالبه"⁽¹⁾.

ومما يؤخذ على هذه القصة ما حدث فيها من تناقض، فالكاتب حرص في مقدّمة القصة على إصاق صفة الكسل بالفأر بطل القصة، ولكن بعد ذلك جاء على لسان الفأر عند مخاطبته للأسد: "هل تنسى يوم سقطت في شبكة الصياد وجئتُ أنا وخلصتك منها؟"⁽²⁾. وفي قصة "الليبية الشجاعة" كانت المعلمة مدخلاً لرواية القصة التي تحكي عن سيدة ليبية شجاعة وأحداثها المتسلسلة إلى أن وصلت إلى العقدة بقدم الجنديين الإيطاليين اللذين تطفلا عليها وهي في بيتها، وانتهت بقدرتها على التخلص منهما.

(1) مجموعة المهر الأسود، "الفأر يصبح أسداً"، مصدر سابق، ص110.

(2) المصدر السابق، 109.

وتتضمّن بعض القصص أكثر من عقدة، فقصّة "عبد الله الصغير"⁽¹⁾ تبدأ بمقدمة عزّف فيها الكاتب بالبطل الصغير "عبد الله" واستعداده للذهاب إلى مدرسته، ثم تتوالى الأحداث عادية حتى تصل إلى العقدة الأولى عندما رأى وهو في طريقه إلى مدرسته كلباً صغيراً يتعرض لحادث سير، وتبدأ الأمور بالانفراج عندما حمله إلى مستشفى الهلال الأزرق لإسعافه، وبعد اطمئنانه على الكلب الصغير، وجد "عبد الله" نفسه في مشكلة أخرى وهو تأخره عن موعد الامتحان، ويأتي الحل على يد الطبيب الذي أوصله بسيارته إلى المدرسة وأخبر المدير بسبب تأخره، ففقد المدير ما فعله "عبد الله" وسمح له بدخول امتحانه وبعد فترة خرجت النتيجة وكان الأول على زملائه.

وقصّة "خالتي سالمة وقطتها العجيبة"⁽²⁾ بدأت بمقدمة طويلة وصف فيها الكاتب دجاجة خالتي سالمة وقطتها، وتتوالى الحوادث وتتصاعد حتى تصل إلى قيام القطة بكسر بيضة الدجاجة كرد فعل على قيام الدجاجة بسكب حليب القطة التي كانت تزعجها بحراستها، مما أدى إلى العقدة الأولى وهو اختفاء القطة ربما لإحساسها بخطئها، وتمر الأيام وتتوالى الحوادث لتختفي الدجاجة التي تمثّل كنزاً ثميناً لخالتي سالمة، لأنّها كانت تبيع بيضها لتشتري به ما تحتاجه، ويأتي حل العقدين عندما سمعت خالتي سالمة صوت القطة فخرجت وتتبع الصوت حتى وصلت إلى بيت العجوز الأعور لتجد القطة تخرش الباب، فطرقت الباب وعندما لم يفتح لها أحد، دفعته بكل قوة فانفتحت، لتجد الرجل العجوز الأعور يوقد ناراً استعداداً لذبح الدجاجة وطهيها، فانقضت القطة على وجهه بمخالبها ففر هارباً وعادت خالتي سالمة بدجاجتها وقطتها إلى البيت.

وقصّة "عصفور اللون الأبيض"⁽³⁾ بدأت بعقدة متمثلة في جوع بطل القصّة "العصفور الأبيض" وطلبه من السنبلّة حبة أو حبتي قمح يسكت بها جوعه، لكن هذه العقدة أدت إلى عقدة أخرى حيث تفاجأ بعطش السنبلّة وطلبها منه الذهاب إلى النهر ليعطيها ماء يروي عطشها، وهكذا ينتقل العصفور من عقدة إلى أخرى، فكل عقدة مرتبط حلها بالعقدة التي تليها، حتى يصل في النهاية إلى الشمس، عند

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، قصة عبد الله الصغير، مصدر سابق، ص 93.

(2) مجموعة المهر الأسود، قصة "خالتي سالمة وقطتها العجيبة"، مصدر سابق، ص 111.

(3) مجموعة المهر الأسود، قصة "عصفور اللون الأبيض"، مصدر سابق، ص 361.

ذلك يتوقف تصاعد العقد، ويبدأ حل جميع العقد تنازلياً حتى تتحل العقدة الأولى وهي تقديم السنبلة ما يسكت جوع العصفور من حبات القمح.

وقصة "السكة الذهبية" تضمنت عقدتين حيث بدأت بمقدمة تتبع فيها الكاتب استعداد "عمي شعبان" للخروج للصيد في البحر، لتبدأ العقدة الأولى وهي انشغاله بتحقيق أمنية ابنه إبراهيم الذي أوصاه بأن يصطاد له سمكة ذهبية، وتتكرر محاولات "عمي شعبان" لصيدها، لتنتهي بنجاحه في اصطيادها، وبعد أن تحصل إبراهيم على سمكته تبدأ العقدة الثانية عندما أخبرت السمكة الذهبية إبراهيم برغبتها للعودة للبحر، ورفض إبراهيم هذا الطلب، ويستمر الجدل بينهما، وأخيراً يأتي حل العقدة الثانية باقتناع إبراهيم بحق السمكة في الحرية والعودة إلى عالمها، وتنتهي بذهاب إبراهيم إلى الشاطئ ليعيدها إلى البحر.

وقصة "ابنة الراعي" بدأت برغبة السلطان في تزويج ابنه، وحثه له بأن يختار أجمل الجميلات لتكون زوجته له، وتتوالى الحوادث ليلتقي الأمير بابنة الراعي في أحد الحقول فيعجب بها، وتبدأ الأمور في التصاعد عندما أصر على الزواج بها رغم معارضة والده لذلك، وتدخل القصة في التعقيد أكثر باشتراط ابنة الراعي على الأمير أن يتعلم صنعة ما، وتنتهي بموافقته وتعلم صنع الشيلان، وتنتهي بزواج الأمير بابنة الراعي الحكيمة الجميلة، وتمر الأيام طبيعية حتى يأتي يوم يهجم فيه جنود الأعداء على المملكة، فهرب الأمير وزوجه ابنة الراعي، ووصلوا إلى مدينة لا يعرفهم فيها أحد، وتعاونوا على بناء كوخ يأويهما وأولادهما، لتبدأ الأمور في التعقيد ثانيةً، فهما لم يجدا ما يطعمان به الأولاد، وتفرج الأمور عندما تذكرت الزوجة بأن زوجها يجيد صنع الشيلان، فقدمت له قطعة ذهبية صغيرة لبييعها ويشترى بثمنها صوفاً، يصنع به شيلان يبييعها، وهكذا تغير حالهما إلى الأفضل، وانتقلا من الكوخ الصغير إلى قصر كبير بوسط المدينة.

وهناك بعض القصص تبدأ على غير المعتاد بالعقدة ثم تدخل في الأحداث التي تحل هذه العقدة، ومن هذه القصص قصة "هكذا .. طار الحمام" التي بدأت بعدم قدرة الحمام على الطيران، لأنَّ صاحبه عمران كان يزنق ريشه ويجمعه في كيس، وتتوالى الأحداث حتى جاء اليوم الذي رأى فيه "عمران" الحمام يتجمّع حول الحمامة الكبيرة وكأنه يدبر أمراً، وتنتهي القصة بمفاجأة لم يتوقعها "عمران" ففي ذات صباح ذهب إلى الساحة التي يوجد فيها الحمام، فلم يجد أياً منها، كما لم يجد أي ريشة في الكيس.

وقصة "عاشور" لا يذهب إلى المدرسة" بدأت بمشكلة تتمثل في إصرار بطل القصة "عاشور" على عدم الذهاب إلى المدرسة كغيره من الأطفال ممن بلغوا سن السادسة، وتتوالى الأحداث حتى بدأت بالانفراج عندما علم "عاشور" بسر عودة أبيه حزينا بعد أن فشل في الحصول على وظيفة في إحدى الشركات؛ لأنه لا يجيد القراءة والكتابة، وتنتهي بتغير موقف "عاشور" بقبوله الذهاب إلى المدرسة ليعلم والده القراءة والكتابة. وقصة "العصفور الحكيم" بدأت بمشكلة وقوع الغراب أسيراً في قفص حديدي، فتتاد كل الطيور كبيرها وصغيرها وتجمعوا حوله مستفسرين عن سبب وقوعه، حاثينه على تحطيم القفص والخروج، خاصة انه يتمتع بالقوة والشجاعة، وعندما أعرض عن نصائحهم انفضوا من حوله عدا عصفور صغير أصر على محاولة اقناعه، لكن الغراب أبى أن يأخذ النصيحة من عصفور صغير، بعد فترة عادت إليه الطيور لتجده ميتاً في القفص بسبب عناده وغروره، وهي نهاية صادمة للقراء الصغار، والملاحظ في هذه القصة أنه لا يوجد أثر إيجابي لحكمة العصفور الذي وُصف بالحكيم، فلم يؤخذ برأيه ويجرب حتى يعرف إن كان صحيحاً أو غير ذلك.

وقصة "الحمامة تزرع شجرة" بدأت بالعقدة عندما أرادت الحمامة أن تبني عشاً تضع فيه بيضها فلم تجد حتى ولا عريشة صغيرة، ولم تكن الرمال أو الجبال المكان المناسب لبيضها، فهي تخشى عليه من الطيور الجارحة وغيرها، وبدأت العقدة في الحل عندما هداها تفكيرها إلى زرع شجرة، فقامت عملياً بجلب بذرة فزرعتها وتعهدها بالعناية والاهتمام، وحلت العقدة تماماً عندما كبرت الشجرة ووضعت الحمامة بيضها. وقصة "صديقان" بدأت أيضاً بالعقدة المتمثلة في الشجار الذي دار بين "مهجة" و"أحمد"، ثم يدخل الكاتب في سرد الأحداث التي سببت هذه العقدة، وتحل في النهاية العقدة عن طريق التسامح بين الصديقين.

أمّا قصة "ليس كل كبير غالباً" فإن العقدة التي تبدأ بها هي عودة الطائر الصغير "بو خضير" حيث وجد عشه مخرباً وصغاره غير موجودين؛ بسبب عبث أولاد الأسد، ثم تدخل القصة في الأحداث التي تتوالى إلى أن تحل العقدة بنهاية الغرور.

وقصة "كيس اللؤلؤ" بدأت القصة بمقدمة قصيرة ذكر فيها الكاتب أنه سمع هذه القصة من جدته، لتدخل في العقدة متمثلة في فقر إحدى الأسر التي تتكون من الأم وأبنائها الثلاثة ومعاناتها بسبب ذلك، تتوالى الأحداث متمثلة في فشل الابنين الأكبر والأوسط ببيع أرغفة الخبز التي تصنعها الأم لبيعها في

السوق؛ لرفضهما بيع الرجل العجوز أرغفة خبز بمقابل مؤجل، لتنتهي بنجاح الابن الأصغر الذي قبل بيع الخبز له بمقابل مؤجل، فحصل مقابل ذلك على كيس من اللؤلؤ.

أمّا قصة "انتقام العصافير" فبدأت بوصف بستان عاشور، ثم يدخل في الأحداث المتمثلة في دخول صغار القرية إلى بستانه خلسة فيأكلون الثمار ويقطفون الأزهار؛ "لأنّ" عاشور كان رجلاً بخيلاً لا يوجد عليهم بثمرة واحدة من ثمار بستانه⁽¹⁾، ثم تبليغ آبائهم دون جدوى، ثم يصف الكاتب الشجرة الكبيرة التي تستفيد منها العصافير التي تسكنها، والكبار الذين يستظلون بظلها، والصغار الذين يعلقون فيها أراجيحهم، ثم تدخل في العقدة عندما قرر "عاشور" قطع هذه الشجرة ليصنع من أغصانها وفروعها سياجاً لبستانه؛ لحمايته من أولئك الأطفال، ثم ينفذ ما قرره مستتراً بالليل والناس نيام وقطع الشجرة دون مراعاة للناس والعصافير، و"استيقظ أهل القرية فرأوا شيئاً لم يروا مثله من قبل، كانت آلاف العصافير تطير في السماء وتحجب قرص الشمس"، و"كانت عصافير الغابة حزينة لما حدث لأصدقائها عصافير القرية وغاضبة من عاشور؛ لأنه هدم بيوت العصافير"⁽²⁾، لتنتهي الأحداث بمشهد العصافير وهي متجهة إلى بستان عاشور، وتعمدّ الكاتب عدم التصريح بالنهاية مباشرة، ليثير تفكير القارئ الصغير في معرفتها من خلال الأحداث التي مرّت وكذلك في عنوان القصة.

من المآخذ في هذه القصة أنّ الكاتب جعل من بخل "عاشور" مبرراً لدخول الأطفال لبستانه وسرقة الثمار والأزهار، ولا شك أنّ هذا يخالف قيم المجتمع المسلم.

وتتفرد مجموعة من حكايات الحروف بأنّ جميع قصصها ذات عقدة واحدة، وهي خروج الحرف من الكلمة لتصبح غير ذات معنى، وتتوالى الأحداث فيها لتصل إلى الحل المتمثل في عودة الحرف إلى الكلمة لترجع إلى حالتها الأولى، ومثال على ذلك الحكاية الثالثة التي بدأت بمقدمة ذكر فيها راوي الحكاية وأحد شخصياتها استلامه دعوة حضور حفل كبير في حديقة الحب بمناسبة قدوم فصل الربيع، واستعداده للذهاب إلى سوق الزهور لشراء أنواع متعدّدة منها، ثم تحدث عن جمال هذا الفصل واحتفال الجميع به، ويعد وصوله لبوابة الحديقة تبدأ العقدة، حيث عرف من حارس الحديقة "حرف الألف" أنّ حرف الواو قد اختفى؛ ولأنّه أحد حروف كلمة "نور" فإنّ ذلك يعني حلول الظلام على الحديقة إن لم

(1) سلسلة طفل يقرأ، انتقام العصافير، مصدر سابق، ص 3-4.

(2) المصدر السابق، ص 13.

يأت حرف الواو قبل الغروب، وتتوالى الأحداث حتى تصل إلى الحل متمثلاً في رجوع حرف "الواو" ليجد حرفي النون والراء في استقباله، وبهذا أضاء الحديقة نور عظيم، وبدأ الاحتفال بقدم الربيع.

العناوين:

يشكل العنوان أهمية كبرى في أي مادة مقدّمة للقراءة، ولا يمكن تخيل كتاب بلا عنوان، فهو الواجهة والمدخل الذي يقدّم فكرةً أوليّةً عمّا يمكن أن يوجد بين دفتي أي كتاب، ويتساوى في ذلك ما يقدّم للكبار والصغار، غير أنّ عناوين ما يُقدّم للأطفال يحتاج لعناية أكبر لخصوصيّة مرحلة الطفولة، فينبغي أن يتّخذ كاتب الأطفال جملة من المعايير يجعلها أمام عينيه لاختيار العناوين المناسبة لقصصه، بحيث تكون دالّةً عليها جاذبةً للقارئ الصغير بعيدة عن الإسفاف أو التّعقيد أو الغموض أو العشوائيّة، ويعتبر بعض الدارسين عنوان القصة وساماً على صدرها وأيقونة لها⁽¹⁾، ويمكن للعنوان أن يفضي إلى تجنيس النص وإلى تحديد شكله ودلالته⁽²⁾.

كما تنظر الدراسات الحديثة إلى موضوع العنونة، باعتبارها مفهوماً يحاور العمل الذي يمثّله، سواء أقال إليه أو قام بتأويله، وباعتبارها نصّاً مستقلاً عن النص الذي تسميه، وفي الحالتين ينظر إلى العنونة كعتبة من عتبات النص لا يمكن للقارئ أن يقوم بفعل القراءة دون تجاوزها⁽³⁾.

ويوصي بعض الباحثين بأن يكون عنوان العمل القصصي للأطفال مشوّقاً واضحاً لجذبهم إلى القراءة، لأنّ الطفل قارئ مبتدئ يستهويه من العناوين العنوان المباشر الدال على صفات معيّنة، فهو لا يقوى على استيعاب الدلالات الإيحائيّة⁽⁴⁾.

(1) ينظر: سيماء القصص للأطفال في الجزائر الفترة ما بين 1980 - 2000 أنموذجاً، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص 305.

(2) التحليل السيميائي للخطاب الروائي، عبد المجيد نوسي، ص 109، نقلاً عن: سيماء القصص للأطفال في الجزائر الفترة ما بين 1980 - 2000 أنموذجاً، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص 306.

(3) العنونة في قصص الأطفال، د.محمد حمد، مجلة مرايا، العدد الأول، أيلول/2015، المعهد الأكاديمي العربي للتربية، ص 19.

(4) ينظر: شعريّة العنوان في القصص الموجهة إلى الطفل، د.عائشة يوسف رماش، مجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الثاني، 2012 م، ص 239.

وللعنونة وظائف ومقاصد مختلفة في علاقتها مع النص، أشهرها الإيحاء، والإغراء، والوصف، والتسمية⁽¹⁾.

وانفراد العنوان على الغلاف، وبتلك الخصائص التشكيلية الخطية يكتسب أهمية خاصة، كما تصبح له الإثارة الخاصة التي تعمل على تحفيز القارئ الصغير للاطلاع على مضامين ما تخفيه العناوين⁽²⁾، وبهذا يغدو العنوان من أهم عوامل التشويق والإثارة لاقتناء القصة وقراءتها، متجاوزاً سطح الغلاف إلى عمق القصة؛ ولأن قصة الأطفال تبدأ من عنوانها أفردت مساحة لدراسة عناوين قصص الشريف:

عناوين قصص الشريف للأطفال:

يمكن دراسة عناوين قصص يوسف الشريف للأطفال من خلال ثلاثة مستويات، هي: المستوى التركيبي، والدلالي، والوظيفي، وهي مستويات لا يمكن فصلها إلا لغرض الدراسة.

أولاً: المستوى التركيبي:

يمكن ملاحظة مجموعة مختلفة من البنى التركيبية لعناوين قصص الشريف للأطفال، من بينها:

1. تركيب يخص بعض المجموعات القصصية التي تدور حول موضوع واحد، ولا يكتمل إلا باكتمال المجموعة كلها، مثل: مجموعة "من حكايات الحروف" التي جميع حكاياتها عن الحروف الهجائية، ومجموعة "حكايات العصافير" التي تميّزت بأن جميع حكاياتها تدور حول العصافير، ومجموعة "قصص لأطفال الثورة" جميع مضامينها عن ثورة السابع عشر من فبراير، ومجموعة "حكايات للأطفال من حكايات الحيوان" جميع مضامينها عن طبائع بعض الحيوانات، وتعتمد هذه المجموعات على مجموعة من العناوين ذات الصلة ببعضها، وبتجميعها يتم تشكيل المجموعة ويكتمل العنوان العام لها.

وفي هذا النوع من القصص لا تكتمل المجموعة إلا باكتمال جميع عناوين القصص المكوّنة لها؛ كما هو الشأن في مجموعة "من حكايات الحروف" التي كانت تتكوّن من اثنتي عشرة قصة من الحكاية

(1) العنونة في قصص الأطفال، د.محمد حمد، مجلة مرايا، العدد الأول، أيلول/2015، ص 37.

(2) ينظر: سيمياء القص للأطفال في الجزائر الفترة ما بين 1980 - 2000 أنموذجاً، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص 306.

الأولى إلى الحكاية الثانية عشرة، اكتفى الكاتب فيها بعنوان المجموعة ولم يعطِ للقصص عناوين خاصة بها، وإنما جعل لكل منها رقماً حسب ترتيبها في المجموعة، أما سائر المجموعات فكان لكل قصة منها عنوانها الخاص بها، والملاحظ أنّ ما يجمع هذه المجموعات ليس شيئاً واحداً، فمجموعة "حكايات العصفير" يجمعها نوع شخصيات المجموعة التي كانت جميعها من عالم العصفير، وفي أغلب قصص هذه المجموعة كانت العصفير هي البطلة، وفي بعضها الآخر كانت من ضمن الشخصيات الرئيسية للقصة، كذلك مجموعة "من حكايات الحروف" فجميع أبطال هذه المجموعة من الحروف، كذلك "حكايات للأطفال من حياة الحيوان" أبطال حكاياتها الستة من الحيوانات المستأنسة كالقطط والكلاب والحمير وإحداها كانت بطلتها نملة، أما مجموعة "قصص لأطفال الثورة"، فإنّ ما يجمع القصص فيها هو المضمون، مع تنوّع أبطالها في كل قصة.

2. تركيب يخص عناوين القصص:

يتميّز بخصائص كأن يرد العنوان كلمة مفردة، أو اسمين معطوفين، أو اسم ووصفه، أو كأن يكون جملة، أو كأن يتم تقسيمه إلى عناوين فرعية داخل القصة.

أ. العناوين المفردة:

تركيب ترد فيه الأسماء مفردة، "وهذا ما يجعله وحدة معجمية مضمرة التركيب"⁽¹⁾، "مما يزيد في عملية التجريد والإغراق في العمومية، وذلك ما يدفع الطفل للتساؤل عن هذه الكلمة، وعن الأفعال أو الصفات والأشياء التي تستند إليها؛ وهذا ما يثير حفيظة الطفل للاطلاع على القصة ومعرفة المزيد عن هذه العناوين ذات التركيب القائم على مفردة واحدة"⁽²⁾، وهي قصص تعتمد على البطولة الفردية، سواء البطولة التاريخية، أو المغامرة، وهذا النوع من العناوين قليل جداً عند يوسف الشريف مقارنةً بغيرها، وهذه العناوين هي: "البنّشة"، "الأرانب"، و"البيغاء"، ويمكن إدراج أخرى ضمن المفردة: "القطّة ميو"، و"القطّة بسبس".

(1) التحليل السيميائي للخطاب الروائي، عبد المجيد نوسي، ص 112، نقلاً عن: سيمياء القصص للأطفال في الجزائر

الفترة ما بين 1980 - 2000 أنموذجاً، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص 318.

(2) سيمياء القصص للأطفال في الجزائر الفترة ما بين 1980 - 2000 أنموذجاً، يحيى عبد السلام، مرجع سابق، ص

ب. العناوين المركبة:

وتأتي في مقابل المفردة، وهي التي تتكوّن من أكثر من كلمة، سواء كانت عطف أو وصف أو إضافة، أو جملة اسمية أو فعلية:

■ **العطف:** تميّز عدد كبير من قصص يوسف الشريف بالثنائية المبنية على عطف اسمين، منها ثنائية اتفاق وتكامل، ومنها ثنائية تضاد وعداء، ومثال على ثنائية الاتفاق والتكامل: "قار الحقل وقار المدينة"، و"الولد والحمامة"، "الرجل والمزرعة"، و"ندى ... وشمس الربيع"، و"العصفور والشجرة"، و"السنجاب والبستان" و"الفيل والقبرة"، و"النخلة وزهرة الياسمين"، و"ورد ووردة"، و"الزرافة والسلحفاة"، و"ولد وعصفور"، و"بيضة نعامة وبيضة عصفور"، و"سحابة صيف وسحابة شتاء"، و"غصن صغير وغصن كبير"، و"أذن وعين"، و"طفل وحديقة طيور"، و"طفل وطائرة ورق"، و"تملة وفيل"، و"طير وحبّة قمح" الطائر الصغير والطائر الكبير، حكاية حسن وشجرة العنب، و"الديك والبيغاء"، "دامبي والمدرسة"، وفي بعض القصص اعتمد على أكثر من الثنائية، مثل: "الديك وأصدقائه الثلاثة"، و"الفيل والأرنب ووحيد القرن"، و"رجل وولد وبنت صغيرة"، و"كرة وأطفال وعسل"، و"رجل وطفل رجل وباقة ورد".

أمّا ثنائية التضاد والعداء والاختلاف، مثل: "الثعلب والأرنب"، و"الغراب والعصفور"، "الرجل والشجرة"، و"الحجر والعصا"، و"أحمد الراجل وذئب البراري"، و"دب وخليّة نحل"، و"قفص وعصفور"، ففي كل هذه القصص اتّسمت بالصراع بين طرفي القصة حيث يعبر أحدهما عن الحق والآخر يمثل الاعتداء والظلم، أو المعتدي والمعتدى عليه، ومنها ما اعتمد على أكثر من الثنائية، مثل: "سعد وسعيد ومسعود"، و"الثعلب والدجاجة والديك".

■ **الوصف:** بعض العناوين تعتمد على الوصف، مثال ذلك: "الراعي الشجاع"، و"الليبيّة الشجاعة"، و"السمة الذهبية"، و"التاجر الجوّال"، و"قلب شجاع"، و"قصة غريبة"، و"البيضة العجيبة"، و"حورية البحر الصغيرة"، و"البطل الصغير"، و"العصفور الأخضر"، و"العصفور الحكيم"، و"الخطّة المحكمة"، و"الغابة البيضاء"، و"الأرنب الزرقاء"، و"الغزال الأبيض"، و"عصفور اللون الأبيض"، و"المهر الأبيض"، و"الملقعة العجيبة"، و"العصفور الأصفر"، و"العصافير الثلاثة"، و"العصافير الأربعة"، و"عبد الله

الصغير"، و"يوسف الصغير"، و"لينة الصغيرة"، و"الحمل الصغير"، و"جميل النشيط"، و"المراسل الحربي"، و"البيت الصغير".

■ **الوصف والعطف معاً:** وبعضها جمع بين الوصف والعطف، وهي: "الأسود والأبيض"، و"الجبان والكرة"، و"الطائر الكبير والطائر الصغير".

■ **الإضافة:** وبعضها اعتمد على الإضافة، مثال: "عيون نعيمة"، و"ابنة الراعي"، و"سنايل الثلج"، و"عيون النار"، و"زهرة الشتاء"، و"حبة الفراولة"، و"شجرة الزيتون"، و"طائر القمر"، و"زهرة القرنفل"، و"شجرة التوت"، و"طيور العنب"، و"عيون العسل".

■ عناوين جاءت في صورة جملة:

- أغلب العناوين جاءت في صورة جملة اسمية، وهي: "عاشور لا يذهب إلى المدرسة، والقوي بمفرده ضعيف"، و"حاكم بلا رعية"، و"الفأر يصبح أسداً"، و"لا وجود للعفاريت"، و"عاشور يذهب إلى الحرب"، و"الحمامة تزرع شجرة"، و"طائرة فوق بيتنا"، و"نار في البيت المهجور"، "صياد يدخل الغابة"، و"أبي لا يعرف أين يذهب الحمام"، و"من يصل أولاً"، و"طائرة الورق تجمع الأصدقاء"، و"أنا لا أعتذر"، و"الولد الذي لا يشبع أبداً"، و"عصفور سافر مع الشمس"، و"عصفور على زجاج نافذتي"، و"عصفور أحب عصفورة"، و"عصفور غير لونه"، و"الحمام يخرج من قفصه"، و"مفاجأة سميرة الصغيرة"، و"المطر يسقط في الصحراء، و"عاشور يقطع الأشجار".

ثانياً: المستوى الدلالي:

من العناوين المفردة "البتشة" وهو من العناوين الجاذبة للأطفال باعتبار أنها من أدوات اللعب لديهم، ووجود صورة الغلاف المتمثلة في الكلب وتحتها كلمة "البتشة"، من المؤكد أنها تستفز ذهن القارئ الصغير وتدفعه إلى التساؤل: ما علاقة هذا بذاك؟ لكن بمجرد قراءة مقدمة القصة يجد الإجابة على سؤاله، حيث أطلق بطل القصة اسم البتشة على كلبه؛ ربما لأنه كما جاء في وصفه قصير جداً وقوي وسريع وهو بهذا يشبه الكرة الزجاجية الصغيرة، وكان بإمكان الكاتب أن يعنون القصة بـ"الكلب الوفي" مثلاً وذلك وفقاً لمضمونها، لكن هذا العنوان قد أستهلك كثيراً، في حين أن العنوان الذي ارتضاه لقصته يتسم بالجدة وهذا أقرب للمزاج الطفولي كما أن الطفل في المراحل الأولى لا يمكنه استيعاب المصطلحات التجريدية، كالوفاء والسلام وغير ذلك، لكنه قد يستوعبها من خلال أحداث القصة، أمّا

قصة "الأرنب" فلا يوحي عنوانها سوى بأبطال القصة، كذلك الحال في عنوان قصة "الببغاء"، أمّا القصتان "القطة ميو"، و"القطة بسبس" فيلاحظ أنّ الكاتب أعطى للقطتين البطلتين في كليهما اسما علماً، كما يلاحظ أنّ الاسم الأول "ميو" جاء من مواء القطط، أمّا الاسم الثاني "بسبس" هي كلمة تُردّد عادةً عند مناداة القطط الأليفة.

وفي العطف: اعتمد الشريف في بعض قصصه على ثنائِيَّة التضاد: ففي "سعد وسعيد ومسعود" حيث تكرر الثلاثي في العديد من القصص سواء عند يوسف الشريف أو عند غيره من الكتّاب(*)، وهو يوحي بالتباين بين الإخوة، لكن كان هناك دائماً أحدهم يتّصف بالحكمة والذكاء، ورغم أنّ عنوان القصة تضمّن ثلاثة شخصيات فإنّهم اتخذوا مواقف متباينين، حيث اتخذ "سعد" موقفاً سليماً مغايراً لموقف أخويه "سعيد" و"مسعود" اللذين كان لهما الموقف الخاطئ نفسه، وفي "فأر الحقل وفأر المدينة" نجد ثنائِيَّة المكان، فللمكان دورٌ محوريٌّ في هذه القصة، حيث كان الفأران صديقين، لكن لكل واحد منهما بيئته التي لا يقدر الآخر على احتمالها، و"العصفور والشجرة" حيث تمثّل الشجرة الوطن للعصفور فكما ابتعد عنها ازداد تعلقاً بها وحنيناً إليها، و"الفيل والقبرة" يمثّل الفيل الصديق الشهم للقبرة التي خسرت حياتها بسبب عدم استماعها لنصح صديقها الفيل، و"الزرافة والسلحفاة" تمثّل الزرافة الرأفة والعطف على السلحفاة الضعيفة، وفي بعض القصص اعتمد على أكثر من الثنائية، مثل: "الديك وأصدقائه الثلاثة" قام الديك بطريقة ذكية لإغراء أصدقائه بارتياح المكتبة العامة والاطلاع على الكتب، وهي مسؤولية كل متقف تجاه من حوله.

أمّا ثنائِيَّة التضاد والعداء، وهو ما يعبر عن الصّراع الأبدي بين قيم الخير وقيم الشر، نجد ذلك في العناوين: "الثعلب والأرنب" حيث يمثّل الثعلب في الموروث الأدبي الإنساني المكر والحيلة والمخادعة، في حين تمثّل الأرنب الفطنة والذكاء، لكن الأرنب في هذه القصة كانت فريسة سهلة للثعلب الماكر، وهو أمر متوقع عند عدم الحذر من المتربصين والأشرار، أما في قصة "الثعلب والدجاجة والديك" فقد حاول الثعلب كعادته دائماً خداع الديك ومراوغته لكنه هذه المرة وقع في المحذور بفضل ذكاء الديك

(*) ورد الثلاثي أو الإخوة الثلاثة في القصص: "العودة إلى الفردوس" و"سعد وسعيد ومسعود" و"كيس اللؤلؤ"، وكان الإخوة في القصة الأولى لهم الموقف نفسه من وصية والدهم قبل أن يتوفى، حيث تفرقوا واختلّفوا، أما في القصتين الأخيرتين فقد تميّز أحد الإخوة بالرأي السديد على خلاف أخويه.

وحذره، وفي "الأبيض والأسود" استعان الشريف في هذا العنوان برمزية الألوان لتعزيز معاني قيمية متناقضة، ويلاحظ حذف الموصوف وهو القط والاكتفاء بالصفة وهو ما يُعد إصراراً وتأكيداً على الرمزية، لكنها رمزية تناسب الأطفال ولا تشكل عليهم، خصوصاً وأن صورة الغلاف تظهر القطين بلونيهما المتناقضين، وهو ما يعطي فكرة أولية عن ماهية الأبيض والأسود، وما يؤكد هذه الرمزية أن القط الأبيض مثل في القصة الجانب الإيجابي أما القط الأسود فقد مثل الجانب السلبي، رغم أن هذا الأمر قد يؤدي إلى محاذير وقيم سلبية كالتعصب أو الحكم على الآخرين وفقاً لألوانهم وصفاتهم الشكلية.

وبشكل عام فإن هذا النوع من القصص اُتسم بالصراع بين طرفي القصة حيث يمثل أحدهما جانب الحق والآخر يمثل الاعتداء والظلم.

وفي الوصف اعتمد الكاتب على ثلاثة أنواع منه: الوصف المعنوي أو القيمي، والوصف الشكلي، والوصف العددي:

ويلاحظ أن أغلب الوصف المعنوي تعلق ببعض القيم الإيجابية كالشجاعة والحكمة والنشاط، جاء ذلك في العناوين: "الراعي الشجاع" وهي من القصص التاريخية الوطنية، وتدل كلمة الراعي على مهنة يمتنها بعض الناس، لكن وصفه بالشجاعة _ وهي من القيم الإنسانية المحببة في كل المجتمعات الإنسانية _ ما يدفع القارئ الصغير إلى الغوص في القصة لمعرفة ماذا فعل الراعي حتى يوصف بالشجاعة؟ ويتأزر عنوان القصة مع صورة الغلاف في تقديم فكرة أولية عن ماهية البطل، حيث تظهر صورة الغلاف الراعي وهو طفل صغير يرتدي زياً ليبياً وهو ما يدل على هويته، فالقصص التاريخية والوطنية تتعلق دائماً بقيم الانتماء، كما يظهر هذا الراعي وهو ممسك بعصا، وكل ذلك كان ترجمة بالصورة للعنوان المخطوط تحتها.

وفي قصة "الليبية الشجاعة" يلاحظ أن كلمة "الليبية" تشمل الهوية والجنس وهما أهم ما تتصف به بطلة القصة، فكونها ليبية يؤكد عامل الانتماء، وكونها امرأة له دلالاته الخاصة المتمثلة في أن كونها امرأة لم يمنعها ذلك من الدفاع عن نفسها، ووصف تلك المرأة بالشجاعة ينفي بعض الأفكار النمطية عن جنس النساء عموماً، وتثبت أحداث القصة أنه من الممكن أن تكون المرأة شجاعة، وهو ما يجعل

الأمر أكثر إثارةً وتشويقاً، ففي سائر قصص يوسف الشريف التي تضمّنت شخصيات نسائيةً اقتصر دورها على الأمومة أو التعليم، ويمكن القول إنّ هذه القصة هي الوحيدة التي خرجت عن الدور النمطي للمرأة لدى الشريف، كذلك أعطت صورة الغلاف مع العنوان فكرةً أوليّةً عن بطلّة القصة، فهي تظهر فيها سيدة ترتدي الرداء وهو اللباس التقليدي للنساء في ليبيا مما يعزّز الهويّة، فأزياء الشعوب جزء من هويتها وانتمائها، كما ظهرت هذه السيدة ممسكة بمسدس ممّا يوحي بأنّ الأمر فيه خطورة كبيرة تصل بها إلى الاستعانة بالسلاح، ويلاحظ أنّ عناوين قصص السلسلتين الأولى والثانية التي كان من ضمنها القصتان السابقتان تقع تحت صورة الغلاف، على خلاف سائر قصص الشريف.

إضافةً إلى ما سبق نجد عناوين أخرى تتعلّق بالوصف المعنوي الإيجابي، وهي: "قلب شجاع"، و"العصفور الحكيم"، و"جميل النشيط".

أمّا القيم السلبيةّ مثل: قيم الكذب والجبن والغرور وعدم الثقة بالنفس، فقد كان الموصوف فيها محذوفاً، وذلك في قصة "الكذاب" وهي تكرار لقصة "أم السعد وولدها الكذاب" التي سبق نشرها في سنة 1981 م، وفي قصة "الجان والكرة" يلاحظ أيضاً أنّ الموصوف وهو "ولد صغير" محذوف حيث اكتفى الكاتب بالصفة وهي "الجان" وقد سبقت الإشارة إلى أنّ هذا الوصف لا يستقيم مع طبيعة شخصيّة بطل القصة، حيث يتضح من القصة أنّه صغير السن قليل الخبرة، ثم إنّ بعد نصح أمه استطاع أن يسترد كرتة من الولد الذي افتكّها منه في اليوم السابق، وبهذا لا ينطبق عليه هذا الوصف، وفي حكاية "عصفور مغرور" نجد الغرور هو الصفة السلبيةّ التي اتّصف بها العصفور الصغير بطل القصة التي بسببها هاجرت العصافير من الغابة لأنّه كان يضايقها ويمنعها من الغناء فهو يرى أنّ صوته فقط هو الجميل ومن ثم فهو الوحيد الذي يحق له الغناء وعلى سائر العصافير من حوله الصمت، وعلى عكس ذلك نجد بطل حكاية "عصفور غير لونه" لا يشعر بالسعادة لأنّه يظن أنّ لونه غير جميل، وعجزت أمّه بإقناعه بجمال لونه والكف عن سعيه لتغيير لون ريشه لكنها فشلت، وعندما ساعده الهدهد على تغيير لونه اكتشف العصفور الصغير أنّ الجميع لم يعودوا يعرفونه بمن فيهم أمه، لذا عاد إلى الهدهد ليعيد له لونه الأصلي عندها شعر بالسعادة.

وبعض القصص تضمّنت وصف (الغريب، والعجيب) وهو وصف يعني خروج الأشياء عن طبيعتها والإتيان بما لا يمكن توقعه، مثل: "قصة غريبة" فبطل القصة الصغير الذي أنقذ ذات يوم كلباً صغيراً

من اعتداء بعض الأولاد الأشرار، تفاجأ ذات يوم عند تعرضه لعصابة من الأشرار بخروج الكلب نفسه من بين الأشجار ليهاجم هؤلاء الأشرار فيولوا هارين، ووجه الغرابية في هذه القصة هو وفاء بعض الكلاب، وسبق للشريف أن تناول هذا الموضوع وذلك في قصة "البتشة"، وقصص وفاء الكلاب من المواضيع المحببة والمكررة عند كتّاب قصص الأطفال بشكل عام، وهذا النوع من القصص يحمل تلميحاً جميلاً حيث يمدح صفة الوفاء كقيمة، فإذا اتصفت بها الكلاب فكان من الأجدر أن يتصف بها الإنسان، كما نجد وصف "العجيبة" في: "البيضة العجيبة" في نهاية القصة يعرف القارئ أنّ البيضة ليست ككل البيض الذي نعرفه، فهي في الأصل فتاة صغيرة سحرها الساحر كما سحر أمها لتصبح دجاجة، وفي "الملعة العجيبة" تمثّلت في قيام الملاعق التي كانت تخفيها القطة الصغيرة في تراب الحديقة بالتجمع والرقص على سريرها، وبعض الصفات تتعلّق بالعمل، مثل: "التاجر الجوّال"، و"المراسل الحربي"، وبعض الصفات تتعلّق بنتيجة التخطيط السليم للدفاع عن النفس ومواجهة العدوان والظلم، مثل: "الخطة المحكمة".

والوصف الشكلي، هو أيضاً نوعان: نوع يتعلّق باللون والآخر يتعلّق بالحجم:

■ الوصف الشكلي المتعلّق باللون: يلاحظ أنّ بعض العناوين المتضمّنة للألوان اعتمد فيها الكاتب على الرمزيّة، مثل: "الغابة البيضاء" حيث للون رمزيّة مرتبطة بحال الغابة بعيداً عن لونها الطبيعي الشكلي، فاللون الأبيض هنا يرمز للسلام الذي كانت تنعم به حيوانات هذه الغابة، جاء ذلك في مقدمة القصة: "في الغابة الكبيرة، لا توجد حيوانات مفترسة، كل الحيوانات أليفة، لذلك كان اسمها الغابة البيضاء"⁽¹⁾، هذا قبل مجيء الأسد من الغابة السوداء التي ترمز للظلم والافتتال، جاء ذلك في قول الكاتب: "كان عدد الحيوانات يتناقص يوماً بعد يوم، ذات يوم سمعت كل الحيوانات أنّ الأسد انتصر على النمر الذي يسكن الغابة السوداء فزاد حزنها"⁽²⁾، كما كان بعض العناوين خياليّاً، مثل: قصة "السمكة الذهبية" حيث يوحي هذا العنوان بالغرابة وانتظار المفاجآت فوصف السمكة بالذهبية غير واقعي، وهو ما تضمّنته أحداث القصة ووقائعها بعد قراءتها، فالسمكة ليست كسائر الأسماك، فهي تتكلم وتتألّم..، وقد تكرر هذا العنوان عند العديد من الكتاب من عرب وعجم، وسبقت الإشارة إلى أنّ يوسف

(1) مجموعة المهر الأسود، "الغابة البيضاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 83.

(2) مجموعة المهر الأسود، "الغابة البيضاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 83.

الشريف نفسه ترجم قصةً بالعنوان نفسه، أما قصة "الأرنب الزرقاء" رغم غرابة اللون فإننا عند الغوص في القصة نجد أحداثها واقعية، حيث قام الثعلب المخادع بصنع إحدى الأرنب الصغيرة باللون الأزرق؛ لخداع المزيد من الأرنب واستدراجها، وهناك من الألوان ما كان واقعياً وهو الغالب، وهي تأتي بديلاً لأسماء تلك الحيوانات، مثال ذلك: "العصفور الأخضر"، و"الغزال الأبيض"، و"العصفور الأصفر"، و"المهر الأبيض"، و"عصفور اللون الأبيض" يلاحظ في القصة الأخيرة إضافة كلمة "اللون" مما جعل العنوان أكثر ثقلًا دون أن يضيف شيئاً جديداً يفيد المعنى!

■ **الوصف الشكلي المتعلق بالحجم:** يلاحظ أنّ الكاتب استخدم كلمة "صغير" ولم يستخدم مطلقاً كلمة "كبير أو ضخّم" مثلاً، ربما لأنّ الأبطال الصغار والأشياء الصغيرة تستهوي الأطفال، فهي أقرب إلى عالمهم الذي ينتمون إليه، رغم نسبية الأحجام، فالفيل الصغير هو كبير مقارنةً بالقط، والقط هو كبير مقارنةً بالفأر وهكذا، ومثال على هذه العناوين: "حورية البحر الصغيرة"، و"البطل الصغير"، و"عبد الله الصغير"، و"الحمل الصغير"، و"يوسف الصغير"، و"لينة الصغيرة"، و"البيت الصغير".

وكثيراً ما يستخدم كتّاب الأطفال الوصف الحسيّ المتعلق باللون والحجم في وصف أبطال القصص الموجهة إلى الأطفال في مراحلهم العمرية المبكرة؛ لأنّها تناسب خبراتهم وخصائصهم في هذه المرحلة ذات الخيال المحدود بالبيئة⁽¹⁾.

■ **أمّا الوصف العددي، فيتمثّل في:** "العصافير الثلاثة"، و"العصافير الأربعة"، ويلاحظ في القصص التي اعتمدت عناوينها على تعدّد شخصيات أبطالها أنها تقوم على صورتين متناقضتين، صورة إيجابية وصورة سلبية، ففي قصة "العصافير الثلاثة" نجد أنّ العصفورين الأبيض والأزرق كانا يسارعان بالعمل على تنفيذ نصائح العصفورة الأم، في حين إنّ أخاهما العصفور الأخضر كان كثير التلكؤ والتردد، وفي قصة "العصافير الأربعة" تتبّع الكاتب حياة العصفورين الأبيض والأزرق اللذين كانا متعاونين مع بعضهما ومطيعين للعصفورة الأم، في حين تجاهل ما آل إليه العصفوران الأخضر والأصفر!

العناوين الاستفهامية:

(1) للمزيد ينظر: أدب الأطفال، فلسفته فنونه وسائطه، هادي نعمان الهيّتي، مرجع سابق، ص 17-54، كما ينظر: أدب الأطفال أهدافه وسماته، محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ط 2، ص 160-168.

يقصد بالعنوان الاستفهامي ذلك العنوان المصوغ صياغة تساؤلية سواء كان السؤال عادياً أو بلاغياً، ولعلّ الوظيفة الإغرائية ذات دلالة كبيرة في هذا العنوان، فالقارئ عند التقائه به سيستفيد ذهنياً وانفعالياً لقراءة النص على اعتبار أنّ في النص إجابة عن السؤال المطروح⁽¹⁾.

والغاية القصوى في القصص المكتوب للأطفال أنّ تبنى على تقنيات التفجية، بحيث إنّ العنوان الاستفهامي يشكّل فجوة من فجوات النص، والمتوقّع من النص أن يقوم بملء هذه الفجوة، فإذا انتهى النص ولم يتم ملء الفجوة، فتكون فجوة قارئ⁽²⁾، والقارئ في هذه الحالة هو المطالب بتحقيق ذلك، وفق ما تقتضيه عملية التأويل، فجوات النص هي فجوات مؤقتة، لأنّ النص سرعان ما يقوم بملئها، لكن فجوات القارئ هي فجوات ثابتة، لأنّ فعل القراءة ينتهي وتبقى هذه الفجوات ناقصة⁽³⁾.

ويرى بعض النقاد أنّه من المناسب في قصص الأطفال أن يكون العنوان الاستفهامي فجوة نص؛ لأنّ الطفل في مراحل العمر الأولى يحتاج إلى إجابات محدّدة وواضحة، فإن لم يجدها فقد يصاب بالإحباط، كما ينبغي على كتّاب قصص الأطفال تأجيل فجوات القارئ لمرحلة يكون الطفل فيها قادراً على تقمّص دور القارئ المبدع؛ لأنّها تتطلب مهارات عقلية عالية لذا على كتّاب قصص الأطفال أن يميّزوا التقنية المناسبة لسن الطفل⁽⁴⁾.

ويستدلّ النقاد على قضية وعي كاتب ما بالعناوين الاستفهامية، بأمريّن: الأول تكرر استخدام العناوين الاستفهامية في قصصه، والثاني كتابة علامة الاستفهام في نهاية العنوان الاستفهامي⁽⁵⁾.

ولعلّ الشريف كان مدركاً لما يحقّقه هذا النوع من العناوين من وظيفة إغرائية، تستدرج القارئ الصغير لقراءة القصة ومتابعتها لمعرفة الجواب، لذا جعل أنواعاً مختلفة من الاستفهامات عنواناً لبعض قصصه، حيث استخدم بعض أدوات الاستفهام في أربع قصص، فاستخدم "ماذا" مرة واحدة، و"من"

(1) ينظر: العنونة في قصص الأطفال، د.محمد حمد، مجلة مرايا، العدد الأول، أيلول/2015، مرجع سابق، ص 21.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 21 _ 22.

(3) ينظر: المرجع السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) العنونة في قصص الأطفال، د.محمد حمد، مجلة مرايا، مرجع سابق، ص 21 _ 22.

(5) العنونة في قصص الأطفال، د.محمد حمد، مجلة مرايا، مرجع سابق، ص 28.

مرتين، و"أين" مرة واحدة، وقد استخدم الشريف علامات الاستفهام في ثلاثة منها، وواحدة دون علامة استفهام، وهذه العناوين هي:

"لماذا تبكي العصافير؟": فقد يتساءل القارئ الصغير أن العصافير عادةً تغني وتشدو وتسد الجميع بشدوها وغنائها، فما الذي يبكيها؟! فيتابع القارئ الصغير قراءة القصة ليعرف ما الذي يحزن العصافير ويبكيها؟، ورغم أن صيغة "لماذا" التي هي ترتبط بالسببية التي تحتاج لتركيز ودقة ومنطق وتبرير، وهي من أعمال الذهن الصعبة التي قد لا تتلاءم مع الأطفال، فإنَّ هذه القصة يمكن القول أنها كسرت هذا الرأي لسهولة فهمها وملائمتها للأطفال.

وفي قصة "من يصل أولاً؟" "من" إمَّا أن تسأل عن الفاعل وهو من تقنيات القصص البوليسية المرتبطة عادةً بالفعل الجنائي، أو عن الهوية الذاتية، ومع تتابع الأحداث في هذه القصة يكتشف القارئ أن الوصول أولاً لا يرتبط بشخص معين بقدر ما يرتبط بمن يستعد ويتمرن جيداً للوصول إلى قمة الجبل، وبهذا وصل جميع التلاميذ إلى قمة الجبل بكل سهولة؛ لأنهم تعودوا الصعود على أقدامهم عدا كريم الذي تعود استخدام دراجته فعندما تعطلت وصل متأخراً.

وفي قصة "من يزرع شجرة؟" بدا العنوان وكأنه إغراء للقراء الصغار بزراعة الأشجار، يفهم ذلك من رغبة أحد التلاميذ بزراعة شجرة وقيامه بزراعة شجرة توت في فناء مدرسته، مما حفز زملاءه بأن يزرع كل واحد منهم شجرة، أيضاً ذكرت بالتفصيل طريقة زراعة الأشجار وذلك على لسان والد التلميذ، وكأنه تعليم غير مباشر للقراء الصغار لمعرفة كيفية زراعة الأشجار، ليحذوا حذو أبطال القصة.

وفي قصة "أين اختفت ليلي؟" نجد أن أداة الاستفهام "أين" يليها الفعل "اختفت" يليها الفاعل "ليلي" وهي بطلة القصة، ومع أن القصة ليست بوليسية، وأحداثها عادية، غير أنها لا تخلو من التوجس والإثارة، وبدأت الإثارة مع اكتشاف المعلمة اختفاء ليلي مع قرب العودة من الرحلة المدرسية، ويحمل هذا العنوان الاستفهامي نوعاً من التشويق والإثارة، يجذب القارئ الصغير على متابعة القراءة لمعرفة الجواب والاطمئنان على "ليلي"، وهذا النوع من العناوين تكون عادةً في القصص البوليسية.

يرى النقاد أن صيغة "أين" تتقاطع مع الأسلوب البوليسي، فالمكان الذي تسأل عنه هذه القصص، ليس المكان العادي المتمثل في البيت الدافئ أو القريب، وإنما مكان بعيد ومحفوف بالمخاطر، انتقلت

إليه الشخصيةً بأجواء من القلق والمغامرة والترقب، معظم الأفعال التي تأتي بعد صيغة "أين" هي أفعال تعبر عن الاختفاء أو الذهاب... ويأتي العنوان الغامض الذي ذهبت إليه الشخصيةً أو اختفت فيه، وهذا بلا شك من تقنيات السرد البوليسي⁽¹⁾.

إنّ الأطفال يردّدون عناوين قصصهم كما يردّدون الأناشيد، فخفة لغة العنوان ورشاقته مع توفّر جملة معايير أخرى ضرورية هي من عوامل الإثارة والتشويق؛ لذا على كاتب قصص الأطفال أن يتخيّر عناويناً لقصصه تتناسب مع المرحلة التي يكتب لها، ومن المؤكّد أنّ طول العنوان ينقص كثيراً من جاذبيته إن لم يفقدها نهائياً.

الوظيفة الإشهارية: لن أطيل الحديث في هذا الجانب، ولكن خلاصة ما أريد تسجيله هنا هو إذا ما لاقت قصة ما استحساناً لدى القراء الصغار، وتوفّر لها عنواناً مناسباً فإنّ ذلك يضمن لها الاشتهار بين هذا العالم الجميل الذي يتحسس الجمال في كل شيء، لكن في الوقت نفسه ينبغي أن نعرف أنّ القارئ الصغير لا يأبه باسم كاتب القصة، إنما ينصب اهتمامه فقط على القصة فإذا نالت إعجابه أخذ يردد عنوانها لأقرانه، وبذلك تتحقّق الشهرة للقصة، ربما هذا ما جعل الكثير من الأدباء يتردّدون في الكتابة للأطفال.

المبحث الثالث

تقانات فنيّة

(1) ينظر: العنونة في قصص الأطفال، د.محمد حمد، مجلة مرايا، مرجع سابق، ص 25.

الرّمز وعالم الطبيعة والحيوان

توظيف التُّراث العلمي والتاريخي والشَّعبي

الرُّسوم والألوان والصُّور (التصوير)

أولاً: الرّمز وعالم الطبيعة والحيوان:

يعرف الطفل كيف يتعايش مع الرّمز، فاللّعب لديه هو نشاط رمزي، وهو خلاق للخيال، وعن طريق هذا اللّعب الرّمزي، يملأ الفراغ بين الحقيقة والوهم. فمثلاً يتخيّل الطفل الدمية وكأنّها كائن حي، مع أنّه يدرك أنّها ليست كذلك ويعرف أنّها لعبة، لكنّه يتخيّلها حيّة ويناقشها. وهذا ما يُطلق عليه علماء النفس بالخيال الإيهامي، ويستطيع الطفل أن يضفي قيمة الخاصة، على كل ما يكتشفه لكي يعيش في عالم مجهول، يتوافق توافقاً سحريّاً معه، ويجعله مطابقاً لإرادته، حينئذ يصبح المجرد محسوساً⁽¹⁾.

(1) أسطورة الأطفال الشعراء، عبد الرزاق جعفر، بيروت، 1992 م، ص 21-29: نقلاً عن: قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال، شفاء بنت عبد الله حامد الحبيد، ص 175.

"الرّمز هو من المؤثرات الداخليّة في القصة، والتي تجعل الطفل ينشدُ إليها ويقرأها بشغف، تبعاً لسدّها فراغاً عنده، ويجب أن يتّسم المرء هنا بالحذر لئلا تلتبس المؤثرات الداخليّة بالموضوع، وقد شاع استخدام الرّمز في قصص الأطفال وخاصةً عن طريق الحيوانات"⁽¹⁾، ويرجع ذلك إلى: "ضعف ارتباط الطفل بالواقع، إلا أنّ استعماله يتطلّب حذراً وحرصاً من الكاتب، لئلا يتحوّل إلى عملية ترميزيّة، يقول الكاتب عن طريقها ما لم يستطع قوله في كتاباته الموجّهة للكبار"⁽²⁾.

وقصص الحيوان "هي القصص التي لا تستخدم خصائص الحيوانات في الواقع أو سلوكها، ولكنها تستهدف تأكيد الدرس الأخلاقي للبشر، أو ترمي إلى النّقد أو الهجاء لتصرفاتهم. ومع ذلك فهي لم تكن في حالة من حالاتها أداة مناسبة لحمل الأفكار الفلسفيّة الرفيعة أو التعاليم الدينيّة أو الأخلاقيّة، بل كانت شأنها شأن القصص الشعبي تؤمن بفلسفة واحدة هي فلسفة الأمر الواقع. وغالباً ما تُحكى على ألسنة الحيوان أو النبات أو الجماد، ولكنها قد تُحكى على ألسنة شخصيّات إنسانيّة تُتخذ رموزاً لشخصيّات أخرى"⁽³⁾.

"وقصص الحيوان حكايات قصيرة تهدف إلى أن تنقل معنى أخلاقياً، أو تعليمياً، أو حكمة أو تنقل مغزى أدبيّاً، وعادةً ما تكون الشخصيّات الرئيسيّة فيها حيوانات أو جماداً أو نباتاً لكنها تحمل صفات الإنسان وتعمل مثله. ومعنى ذلك أنّ بعض قصص الحيوان لا يكون الحيوان فيها هو الشخصيّة الرئيسيّة"⁽⁴⁾.

وقد لاحظ أحد المتخصصين في أدب الأطفال "أنّ الصغار يحبّون الخرافات الحيوانيّة، لأنّها بسيطة وسهلة التذكّر، ولأنّها حقيقة للإنسانيّة، إذ إنّ الحيوانات في قصصهم تتحلّى بصفات الإنسان، فهي تتكلّم وتفكّر وتعمل، كما أنها تمثّل حالات مختلفة من الطبيعة الإنسانيّة، فالأسد يصوّر أخلاق الملوك،

(1) قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال "مصدر سابق، ص 175.

(2) ثقافة الطفل العربي، سمر روجي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1987، ص 54.

(3) في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 166.

(4) في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 166.

والحمار يصورُ الغباء والعناد، والثعلب مثل المكر، والأغنام السذاجة، والذئب للجشع والتوحُّش تجاه العُزْل من المقاومة، وعديمي الحيلة، وضحايا الأقوياء والماكرين والمخادعين هم السذج الضعفاء⁽¹⁾.

وقد شغلت قصص الحيوان الناس منذ الحضارات القديمة من اليونان إلى الهند إلى مصر القديمة وغيرها، ولا تزال باباً إلى الحكم والأمثال، كما أنَّها باب للتسلية والترويح، لا باعتبارها رمزاً على عالمها الأصم الأعجم، وإنما بوصفها رمزاً على عالم آخر، يعيش فيه الناس ويراوغونه⁽²⁾.

ولقاء القارئ الصغير بالحقائق التي يعرفها مرة ثانية في صيغة قصة يحقِّق له السرور؛ لأنَّ تقديم الدروس التهديبيَّة بصورة مباشرة ومستمرة له يمكن أن يؤدِّي إلى ملله⁽³⁾.

وفي المقابل اعترض كثيرون بالنسبة لقصص الحيوان، لأنَّها قد تظهر للأطفال عادات من السلوك والمعاملة غير المرغوب فيها، أو قد تكون القصة ذات تركيز على القيم المعاصرة، وتظهر النتيجة السلبية للإهمال أو لعصيان القوانين الطبيعيَّة والأخلاقيَّة⁽⁴⁾.

ويذكر (الحديدي) أنَّ "روسو" و"لامرتين" انتقدا "لافونتين" واتَّهماه بعدم الأخلاقيَّة، ويفسّر الحديدي ذلك بأنَّهما لم يجدا في الخرافات سوى دروسٍ في الأثرة والمنفعة والفردية والرياء، وأنَّ اتهامهما راجع لسوء تفسيرهما للمغزى النهائي للخرافة، وهما لا يريان فيها إلا قواعد تُلقَى، أو أنَّهما يريان مغزاهما فوق مستوى الأطفال، فماذا عسى الطفل يدرك من تجنِّي الذنب على الحمل في خرافة "الحمل والذئب"، وليست لدى الطفل النظرة العميقة التي يفهم بها أنَّ الإنسان القوي ذئب بالنسبة للإنسان الضعيف؟ وهل يتعلَّم الطفل أنَّ من لم يتدأَّب مع الذئب أكلته؟ والحقيقة أنَّ الخرافة ليست إلا تقريراً لما هو مشاهد في الحياة، وتسجيلاً لما هو واقع تحت أنظار الأطفال، ومعرفتهم به يجنَّبهم الجهل بوجوده دون أن يدفعوا

(1) ينظر: James Reeves, Fables Aesop: نقلاً عن الحديدي، في أدب الأطفال، مرجع سابق، ص 220.

(2) ينظر: القيم الإنسانيَّة في أدب الأطفال، عبد العاطي كيوان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2003، ط 1، ص 100.

(3) ينظر: قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال، مرجع سابق، ص 176.

(4) في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 219-221.

ثمناً غالباً من تجاربهم الشخصية، فخير لهم أن يعلموا وهم على أبواب الحياة أنهم سيقابلون فيها بعض المنافقين كالثعلب والغادرين كالذئب، ومن ثمَّ يقول لهم "لافونتين" خذوا حذرکم⁽¹⁾.

والقصص الرمزية على لسان الحيوان يراد بها أن تكون وسيلة لغاية خُلقية أو أن تلقن درساً نافعاً وتشتمل على الحيوان الناطق بالحكمة والموعظة الذي يسلك سلوكاً إنسانياً بحثاً مع احتفائه بحيوانيته، ويتلخَّص مغزى قصة الموعظة في آخرها ولعلَّ هذا ما يميزها عن الخرافة، التي تشتمل المغزى في ثنايا الحكاية، أما الموعظة فهي إلى جانب اشتغالها على المغزى في ثنايا الحكاية تلخُّصه وتنص عليه في آخرها⁽²⁾.

وتتميز قصص الأطفال عامة وقصص أطفال المراحل الأولى بشكل خاص، بالدمج بين عالمي الإنسان والحيوان، لا بل والنبات والجماد أيضاً - حيث يمكن في هذه القصص للكائنات - الحية وغير الحية - أن تتعامل بعضها مع بعض في مجالات مختلفة، ضمن إطار حوارى يمكنها من إيصال الفكرة، والطفل يستمتع بذلك وينجذب إليه. وإن كان في بعض الأحيان لا يفهم ماهية هذا التعامل أو هذا الحوار، ويحلله في إطاره الرمزي كما يفعل الكبار - وهذا يتوافق مع طبيعة الطفولة التي تقترب من الإحيائية والواقعية أكثر من الرمز والتجريد⁽³⁾.

ومعنى ذلك ألا تكون القصة الموجهة للأطفال مغرقة في الرمز، متشعبة الجوانب وألا تكون مبسطة سطحية المضمون، بل لا بدَّ أن تكون في وضعيتها تترك فرصة التفكير للقارئ (الطفل) ليستخلص منها

(1) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 170 _ 171.

(2) ينظر: القصة الرمزية على لسان الحيوان، مجدي محمد شمس الدين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط 1، 1990: نقلاً عن: القصة في أدب الأطفال في الأردن، روضة الهدهد نموذجاً، موفق رياض مقداي، دار الكندي، عمان، 2000، ص 56. للمزيد ينظر: أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، مرجع سابق، ص 155-156.

(3) القصة الطفلية في سورية، دراسة تحليلية للقيم التربوية، الدكتور عيسى الشماس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، 1996، ص 36. كما ينظر: القصة تطوراً، يوسف يعقوب، مركز الحضارة العربية، القاهرة 2001، ط 2، ص 27.

المعاني والقيم، لا أن تقدّمها له جاهزة دون عناء وبحث منه، تذهب معها نشوة السعادة والمتعة التي تشده إلى القصة وتحببها إليه⁽¹⁾.

والرّمز في قصص الأطفال له شروط، هي⁽²⁾:-

- أن لا يغرق الكاتب في الرمزية ويربك الطفل بهذا الإغراق، فلا يستطيع أن يدرك المغزى أو الهدف من عملية الترميز.
 - أن تكون عملية الترميز هادفة ذات مغزى أخلاقي تربيوي وليس أن يدس الكاتب من خلاله ما لم يستطع أن يكتبه للكبار.
 - أن يكون مستوى الرّمز مناسباً لمستوى النمو الإدراكي لدى الأطفال.
 - أن تكون عملية الرّمز طريفة ومشوّقة تجذب الأطفال إليها وإلى مغزاها بسهولة.
- ومن فوائد الرّمز بعده عن أسلوب الوعظ والنّصح المباشر الذي ينفر الأطفال منه، وهو ما يؤكّده الحديدي في قوله: "إن تقديم الدروس التهديبية بصورة مستمرة، يمكن أن يؤدّي إلى ملل الأطفال"⁽³⁾. كما تسهم عملية الرّمز المجدية، في شحذ وتخصيب عملية الخيال المنظّم لدى الطفل. وتنقل العمل أمامه من الرتابة والجمود إلى الحيوية والحركة. مما يؤدّي إلى متعة الطفل بهذه الحيويّة والحركة التي تلائم نموّه الحركي أيضاً⁽⁴⁾.

الرّمز في قصص يوسف الشريف

(2) القصة الطفلية في سورية، دراسة تحليلية للقيم التربوية، الدكتور عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 37.

(2) قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال، مرجع سابق، ص 175.

(3) في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 221.

(4) ينظر: قصص عبد التواب يوسف الديني، مرجع سابق، ص 179.

أخذت قصص الحيوان حيزاً كبيراً من قصص الشريف، وقد ركّز على هذا العالم، ذلك لأنّ أغلب قصصه لا تتجاوز في خطابها بدايات المرحلة المتوسطة من الطفولة، وهي مرحلة لا يزال عالم الحيوان يشكّل عامل جذب وتشويق فيها، ومن بين الحيوانات والطيور أخذت العصافير المساحة الأكبر في قصص الشريف وحكاياته، وذلك برأيي يعود لعدّة أسباب:

1. شيوع هذه الكائنات، فلا تكاد تخلو بيئة من بعض أنواع العصافير، والبيئة اللبنيّة بها الكثير من أنواع الطيور والعصافير، ولها أسماؤها المحليّة التي ذكر الشريف بعضاً منها في بعض قصصه.
2. قرب العصافير من نفوس الأطفال، وانجذابهم لها، وفضولهم ناحيتها، وذلك لما تتمتع به من جمال وقدرة على الطيران والتحليق، وهي قدرة تبهر الأطفال وتذكي خيالهم.
3. هناك شبه كبير بين العصافير وعالم الأطفال، هذا الشبه تحسّسه الكاتب واستغله أفضل استغلال لإيصال بعض القيم والأفكار دون مباشرة، هذا الشبه يتمثّل في حب الحرية والانطلاق، والرشاقة والجمال، والحساسيّة من أي شيء مؤذي والشغف بالإنشاد والغناء وغير ذلك.
4. لجوء الكاتب إلى الرّمز يجعله أكثر حرية عند وصف الشخصية السالبة أو انتقادها، مثال: حين انتقد الشخصية المغرورة كما في حكاية "عصفور مغرور"⁽¹⁾، وعندما انتقد الجشع والبخل في حكاية القطين: "الأسود والأبيض"⁽²⁾، وعندما انتقد من يستحل ظلم الآخرين كما في حكاية "الثعلب والأرنب" وغير ذلك، وفي العرض التالي بعض من القصص والحكايات التي لجأ فيها الشريف إلى الرّمز لإيصال فكرته للأطفال، وكان بعيداً عن الإغراق في الرمزيّة التي يمكن أن تشكّل صعوبة على القارئ الصغير.

وقد يستخدم الكاتب الحيوان في قصصه كنوع من الإثارة والتشويق للقراء الصغار، كاستخدام "الشريف" لأبطال قصة "الديك وأصداؤه الثلاثة" فالديك وأصداؤه وهم قط وأرنب وبطة، لا يختلفون عن عالم البشر في هذه القصة، فهم يعيشون في بيت كبيوت البشر ويجلسون على كراسي، ويجتمعون كل ليلة يتسامرون، وهذا البيت يوجد في مدينة بها طرق ومكتبات، ويتردد الديك المتفكّ الشغوف

(1) مجموعة حكايات العصافير، "عصفور مغرور"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) سلسلة نوافذ، "الأبيض والأسود"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

بالقراءة على إحدى المكاتب العامة، وبهذا لن يتغير شيء لو غيرنا أسماء أبطال هذه الحيوانات إلى أسماء بشرية مثلاً، ربما جعل الشريف أبطالها من الحيوانات فقط لإخراج القصة من عالم الرتابة ومنحها شيئاً من الطرافة.

ولم يقتصر "الشريف" على استخدام الحيوانات أبطالاً لقصصه وحكاياته للأطفال، بل استخدم بعض مظاهر الطبيعة وظواهرها، كالنباتات، والرياح، بل لجأ إلى استخدام الحروف أبطالاً لإحدى مجموعاته القصصية، وهي مجموعة "من حكايات الحروف"، وقد سبق تفصيل ذلك في المبحث السابق.

قصة حاكم بلا رعية⁽¹⁾

في هذه القصة استخدم الكاتب حيوانات الغابة، فجعل من الغابة مملكة، والأسد هو الملك أو السلطان وهذا بطبيعة الحال ليس جديداً، فقد كان الأسد دائماً رمزاً للملك والقوة في التراث الإنساني - وقد سبقت الإشارة إلى ذلك - كما أنه جعل من الهدهد حاجباً ورسولاً لهذا الملك، وهذا الأمر - أيضاً - ليس جديداً فقد كان الهدهد رسولاً لسيدنا سليمان⁽²⁾ - عليه السلام.

أمّا الرعية فهي كل حيوانات الغابة بمختلف أنواعها من طيور وحيوانات مفترسة وغير مفترسة، وفي هذا رمز لما تكون عليه الرعية التي فيها الضعيف والقوي.

ورغم تناقض شخصيات الرعية فإنهم جميعاً شغلوا بأمر سلطانها الظالم، فالسلطان يجدر به أن يكون راعياً أميناً لرعيته وليس ظالماً لها، فإن استحلّ ظلمها فلم تعد لديه شرعية القيام عليها وحكمها، أو أن تبقى رعية له؛ لذا هاجرت الرعية التي هي كل حيوانات الغابة وتركت السلطان الحاكم بلا رعية.

بدأت القصة بنداء من قبل الهدهد لكل حيوانات الغابة للمجيء لحضور احتفال سلطانهم الأسد بانتصاره على عدوه النمر، ويمثّل الهدهد ما يسمّى في وقتنا الحاضر بالمتحدّث الرسمي للحاكم:

(1) سلسلة قصص ليلية للأطفال، "حاكم بلا رعية"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) سورة النمل - الآيات 21 - 28.

"خرج الهدهد من عشه ينادي في الغابة الكبيرة .. غداً يحتفل أسدنا السلطان .. أسد الغابة بانتصاره على عدوه النمر .. وهو يدعوكم جميعاً لهذا الاحتفال .. ستأكلون ما لم تأكلوه من قبل، وستشربون ما لم تشربوه".

يمثل الهدهد في هذه القصة أحد أفراد الرعية، غير أنه قرّر أن يكون إلى جانب السلطان رغم ظلمه لرعيته، وهناك دائماً من أفراد الشعب من هو متملق للحاكم لمصالح شخصية.

وأخذ الهدهد يدعو الرعية قائلاً: "الحاضر يُعلم الغائب ومن يتخلف سيطرده من مملكة السلطان ... أنا الهدهد رسوله إليكم - اسمعوني وافهموا حديثي - أنتم الرعية وعليكم الطاعة. النمر عدوه وعدوكم انتصر عليه من أجلكم لكي تعيشوا في سلام في مملكة السلطان".

من خلال هذا النداء نجد اعتزاز الهدهد بأنه رسول السلطان، وتذكيره للرعية بأنهم عليهم الطاعة والإذعان فهذا واجبهم، وليس عليهم الحرية في عدم المجيء، كما ذكرهم بأن هذا الاحتفال بانتصار الأسد على النمر إنما هو انتصار لهم، فالنمر كان يشكّل خطراً عليهم، فهو هنا يقوم بالترويج للانتصارات السلطان، فالأسد انتصر لنفسه، لأنّه كان يدافع عن حقه في أن تكون هذه الرعية له وحده يفترس منها ما يشاء في أي وقت يشاء ولا يشاركه فيها أحد.

ثم رجع الهدهد للسلطان وهو على يقين بأن رعيته سيأثونه، كل ذلك ليحوز على رضا هذا السلطان وهذا فعلاً ما حصل فقد كافأه السلطان بأن جعله حاجباً له: "عاد الهدهد إلى الأسد في عرينه وقال له: بلّغتهم دعوتك يا سيد الغابة غداً تأتيناك جميع الحيوانات المطيعة.. قال الأسد: تعجبنى أيها الهدهد اذهب فأنت منذ اليوم حاجب لعريني".

ولأنّ الرعية تعلم جيداً أنّ هذا الانتصار لا يعنيها، فما الفرق بين الأسد والنمر إذا كان الاثنان ليس لهما تفكير إلا في افتراسها.

وهذا يذكرنا بمغامرات بعض الحكام تحت مسمى الدفاع عن الأمة وهي في الحقيقة ليست إلا دعاية لهم، أو الحصول على مغنم تزيد من سطوتهم وليست في صالح الرعية.

"سمعت طيور الغابة ما قال الهدهد، فتجمعت في بيت الحكيمة "أم بسيس" جاءت طيور "بو شعيرة" و"بو زريق" و"بو سيقان" و"الحمراوية" و"الببغاء" والعصفور والخطيف.

قالت الحكيمة "أم بسيس": لن نذهب إلى الاحتفال.

تساءلت الحمراوية: كيف نتقي غضبه إذا لم نذهب؟

قالت الحكيمة: سأذهب أنا وحدي وأسمعه كلاماً لا يتمنى سماعه، إنه ظالم ليس لظلمه نهاية.

سمعت الحيوانات الأخرى ما قاله الهدهد – فتجمعت في بيت الخبيث الماكر "الثعلب" جاء الضبع، والحصان، والحمار، والحمل، والخروف، والماعز، والأرنب، والبقرة، والثور، والزرافة، والغزال، وحمار الوحش، والقرود.

كل الحيوانات جاءت لتسمع ما يشير به الثعلب: من منكم لم يقتل له الأسد زوجةً أو ولداً أو بنتاً؟

ساد بينهم حزن عميق، وتذكروا السنوات الطويلة والأسد يفتك بهم الواحد بعد الآخر.

قال الثعلب: لن نذهب إلى الاحتفال، وإذا كنتم تخشون بأسه فسنهاجر جميعاً ويبقى وحيداً يحكم بلا رعية.

صفقت الحيوانات لرأي الثعلب الذي قال: سأذهب إليه وحدي ... صاحت أرنبه صغيرة "لا تقترب منه فقد يلتهمك ويصنع منك طبقاً لوليمته".

قال الثعلب: "لن أمكنه مني، هيا تفرقوا وكونوا على استعداد لما يحدث غداً.

كل هذه الحوارات تدل على حيرة الحيوانات، فالعلاقة بينها وحاكمها علاقة حاكم ظالم ورعية مستضعفة، ليس لها الحرية حتى في أن تمتنع عن الذهاب لهذا الاحتفال الذي لا يعنيهها لا من قريب ولا من بعيد.

لكن هذا يدل على أن هذه الرعية رغم استهتار الحاكم بها، تفكر جدياً في رفض الذهاب للاحتفال وأنها في واقع الأمر رافضة لما يقوم به هذا الظالم.

"جاء الصباح، تمدد الأسد أمام عرينه في انتظار رعيته للتهنئة بانتصاره على النمر لكن الوقت يمر، ولا أحد يأتي سكنت الحركة في الغابة الكبيرة لا طير يطير ولا حيوان يمشي.

"بدا القلق على الأسد، وقال لحاجبه الهدد لماذا تأخرت الرعية عن تقديم التهنئة والولاء أيها الحاجب؟"

إنهم في طريقهم إليك يا سيد الغابة كن مطمئناً فلا أحد يعصي لك أمراً، لكن الشمس بدأت تغيب ولا أحد يأتي. غضب الأسد وكثر عن أنيابه. زار وثار وصاح أنا القوي الجبار تعصى رعيتي أمري؟ سأقضي عليهم واحداً واحداً، أنا المنتصر على أقوى أعدائي يجعلون مني أضحوكة الغابة.

النص السابق يظهر مدى غرور هذا الحاكم الذي يعيش نشوة الانتصار، وحرصه الشديد على الدعاية له بالاحتفال بهذا الانتصار.

كما يظهر دور المتملقين للحاكم -متمثلاً في الهدد- الذين يحرصون دائماً على إرضائه حتى وإن كان ذلك على حساب الحقيقة والواقع، وهم في الواقع لا يكذبون على الرعية بل على الحاكم أيضاً، بتصوير الأمور له على أساس أنها تسير وفق ما يريد ويتمنى، كما أن غرور الحاكم وجبروته أملى عليه أن ليس من حق الرعية أن تتلأ في الحضور، وإن فعلت فهو يتوعدها بالهلاك.

وتظهر هذه العبارة ردة فعل الأسد عند رؤيته أحد أفراد رعيته قادماً إليه، حيث اعتقد أنه قدم لحضور احتفاله: "ولم يواصل كلامه فقد رأى الثعلب من بعيد ينظر إليه في تشفٍ، فصرخ: "أيها الثعلب الماكر اقترب وقل لي أين الرعية، لقد ذهب النهار ولم يأت منهم أحد، قال الثعلب "لن يأتوا إليك" وغداً نهاجر ونتركك تحكم بلا رعية، أنت ظالم .. من أين أحضرت لحم هذه الوليمة؟ هذا لحم حصان، وهذا لحم أرنب، وذلك لحم خروف. كيف تريدنا أن نأتي ونأكل لحم أخوتنا؟ كنا آلفاً في الغابة والآن أصبح عددنا بضع مئات، فقد قضيت عليهم جميعاً.

أنت منذ اليوم وحدك، حتى الطيور أرسلوا إليك رسواً عنهم، تكلمي أيتها الحكيمة "أم بسيس".

قالت الحكيمة "كلام الثعلب صائب وصحيح" ونحن الطيور معهم غداً نهاجر إلى غابة أخرى بعيدة، ولتبق أنت وحيداً تحكم بلا رعية، فقد انتصرت على النمر بظلمك لنا، عادت الحكيمة وعاد الثعلب

وعندما جاء صباح اليوم التالي لم يبق في الغابة حيوان في الأرض أو في السماء، وبقي الأسد وحيداً يحكم بلا رعية".

هناك دائماً من الرعية من يصدق بقول الحق، وهم يعرفون أنّ العلاقة بين الحاكم والمحكوم ينبغي أن تكون على أسس العدل والرحمة وحفظ الحقوق، فإن استهان بأهم ركن من أركان مملكته وهي الرعية، فليس للحاكم حق أن يكون راعياً عليهم، بل إنّ شرعيته في حكمهم قد انتهت وسقطت، لذا هاجروا جميعاً وتركوه حاكماً بلا رعية، والشواهد كثيرة على هجرة كثير من الناس من بلدانهم بسبب الاضطهاد والظلم الذي يتعرضون له من قبل الحاكم وأجهزته الأمنية.

أظن أنّ الشريف قد أوصل هذا المغزى الذي جعل خلاصته في عنوان القصة "حاكم بلا رعية" ليعث في ذهن القارئ الصغير عن جملة من التساؤلات فتدفعه لقراءة القصة لمعرفة الإجابة ومن هذه التساؤلات: من يكون هذا الحاكم؟ ولماذا هو بلا رعية؟ ومن تكون هذه الرعية؟ ولماذا هجرت موطنها؟، ومن جهة أخرى ينبغي القول إنّ هذه النهاية وهذا الحل الذي ارتضاه الكاتب لقصته له دلالات خطيرة، فقد صور هجرة الحيوانات من الغابة وكأنّه انتقام من الأسد، ولكن ذلك يشكّل في الوقت نفسه استسلاماً غير مباشر له وتنازلاً عن حقّها في العيش بحرية وسلام في وطنها.

قصة "الأرانب"⁽¹⁾

جاءت هذه القصة وكأنّها مكملّة للقصة السابقة أو مؤكّدة لما جاء فيها، فكلاهما تتناول ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهي أيضاً من قصص الحيوان، فكانت الغابة هي البيئة التي تمثّل بشكل رمزي الوطن أو المجتمع، وكل حيوانات الغابة هم الرعية، أما الحاكم فهو - هنا - لم يحدّد، ربما تعمّد الكاتب ذلك ليوحى للقارئ الصغير أنه كان بعيداً عن رعيته، وكل ما تعرفه عنه كان عن طريق ما يشاع عن عدله، وليس ذلك حقيقة تلتمسها الرعية على أرض الواقع.

ولا يعني الكاتب بكلمة "الحاكم" أنه قد قصد فقط حاكم البلاد، فهذه القصة تسري على أي مسؤول، ابتداءً من الأسرة إلى جميع مؤسسات الدولة ونهاية بحاكم البلاد، وهذا ما أوصى به رسولنا الكريم - ﷺ - المسلمين حين قال: "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته...." ⁽¹⁾.

(1) سلسلة نوافذ، "الأرانب"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

إنَّ أهم ما يميِّز هذه القصة يتمثَّل في نهايتها غير المتوقَّعة، ليس لأنَّها لم تكن متناسقة مع أحداث القصة، بل على العكس تماماً، فأحداث القصة سارت سيراً تصاعدياً حتى وصلت إلى الحل، لكن ما يمكن توقعه أنَّه الحل كان هو الأزمة الحقيقيَّة، تجعل القارئ الصغير بل أي قارئ يصل إلى أنَّ دخول الحيوان الغريب على صغار الأرناب ليس هو العقدة أو المشكلة، ففي كل الدنيا يوجد اللصوص والمعتدون، ولكن أن تكتشف أن من دخل بيتك ليسرقك أو يقتلك هو من كان يُفترض أو من كنت تعتقد أنه يحميك من اللصوص والمجرمين فهذه هي العقدة بل هي الأزمة الحقيقيَّة!

كانت النهاية مفاجأة لما تعود القارئ الصغير قراءته أو سماعه من مثل هذا النوع من القصص، حتى أنه يتنبأ بنهايتها قبل أن ينتهي من قراءتها أو سماعها، فالأم التي ألحَّت على صغارها قبل خروجها بعدم فتح الباب للغرباء، يأتي الغريب وهو عادة ثعلب ماكر ويدعي أنه صديق أو قريب فيفتح الصغار له الباب ويقعون في المحذور نتيجة عدم سماع نصيحة الأم.

لكنَّ الصغار في هذه القصة لم يفتحوا الباب، فالحيوان الغريب هو من حطَّ النافذة ودخل البيت، وقد أصرَّ الكاتب على تسميته بالحيوان الغريب، فلا يعرف أحد من هو، إمعاناً في الغموض الذي له ما يبزره، فلم يخطر على ذهن أحد أن يكون من اقتحم بيت الأرناب هو نفسه الحاكم الذي شاع في الناس عدله المزعوم.

يبدأ الكاتب قصته بوصف لما يحدث في هذه الغابة، من غياب للقانون والعدالة بين سكانها، حيث كان الضعفاء يعيشون في خوف دائم، فهم يقفلون بيوتهم ولا يخرجون منها إلا نهاراً، وهذا ما جعل الناس يضرِّبون المثل عند افتقاد العدل وسيادة الأقوياء وظلمهم للمستضعفين في مجتمع ما بأنه "قانون الغاب"، بل إنَّ هؤلاء الأقوياء يتنافسون فيما بينهم ويقتل بعضهم بعضاً.

"عندما تغيب الشمس عن الغابة، تختفي الحيوانات الصغيرة الضعيفة في بيوتها وتقف على نفسها كل الأبواب والنوافذ، تبقى خلف الجدران تترقب شمس النهار حتى تخرج وتحس بالطمأنينة. أما الحيوانات الأخرى.. الحيوانات الكاسرة مثل الضباع والذئاب والثعالب والنمور ذات الأنياب الحادة

(1) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، باب الجمعة في القرى والمدن، 304/1، رقم الحديث: 853، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1987 م.

والمخالب القاطعة. فإن الليل هو فرصتها .. تتجول في الغابة تبحث عن أي حيوان ضعيف ضلّ طريقه في ليل الغابة المترامية. وإن لم تجد فإنها تتقاتل مع بعضها. ولا تنتهي معاركها إلا بانتصار القوي منها. ففي الليل تتحول الغابة إلى ميدان لمعارك ضارية بين الحيوانات الكاسرة⁽¹⁾.

ثم يأتي الشريف بمثال لما يحدث في هذا المجتمع - الغابة - من ظلم واعتداء استشرى وعم فيه فلم يعد يأمن أحد على حياته حتى الصغار في بيوتهم، فأصبحت حياة المستضعفين في هذا المجتمع جحيماً لا يطاق، فالأم كانت مترددة بين الخوف على صغارها إن خرجت وتركتهم في البيت وحدهم، أو الخروج للبحث لهم عن طعام فهم يتضورون جوعاً، وكان ترددها مبعثه الوضع المتردي لهذا المجتمع، فلم يعد حتى الأهل يأمنون حتى على صغارهم، فقد شاع بين الناس أن هناك حيواناً غريباً يطارد هؤلاء الصغار، لكنها اضطرت للخروج للبحث عن طعام لصغارها الجوعى بعد أن أوصتهم بعدم الخروج أو فتح الباب لأحد.

"وفي مكان ما في الغابة وفي بيت صغير كانت الأرانب الصغيرة تملأ البيت ضجيجاً وصراخاً.. والأرنب الكبيرة تحاول تهدئتهم بلا جدوى عليكم الانتظار حتى الصباح، فالليل مخيف وحقول البرسيم بعيدة. في الصباح سنذهب جميعاً إلى ذلك الحقل. لكنّ الأرانب الصغيرة لم تهدأ، كانت الأرنب الكبيرة تخشى على نفسها وعلى أولادها لو خرجت في هذا الليل. ولكنها لم تستطع مقاومة دموعهم وصراخهم فقررت أن تخرج .. قالت: سأذهب للبحث عن طعام لكم لكن حاذروا أن يخرج أحدكم من البيت. لقد سمعتُ الجيران يتحدثون عن حيوان غريب يطارد صغار الأرانب في غفلة من أهلها.. لا تتركوا البيت ولو على بعد خطوات.. ولو سمعتم نداءً أو طرقتاً على الباب لا تفتحوا حافظوا على النوافذ مغلقة.."⁽²⁾.

ثم صورّ الشريف معاناة المستضعفين في هذا المجتمع الذي يفتقد للأمن والعدل، فالأرنب الأم رغم مخاطرتها بالخروج في هذا المناخ المتأزم بسبب ما يلاحقها وصغارها من أخطار، لكثرة المترصين بها وبأمثالها، فإنها رجعت خالية الوفاض فلم تنجح في الحصول على طعام لها ولصغارها: "هكذا خرجت الأرنب البيضاء الكبيرة تبحث عن طعام لصغارها. وقضت وقتاً طويلاً لكنها لم تجد .. فقد كان

(1) سلسلة نوافذ، "الأرانب"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 2.

(2) المصدر السابق، ص 6.

صاحب الحقل الواقع على أطراف الغابة يسقي الزرع ورفض أن يمنحها قبضة من برسيم، بل إنه أطلق في أثرها كلابه المدربة..

عادت الأرنب حزينة⁽¹⁾.

وفي العبارة التالية ولشروع عدم الأمن في هذه الغابة صوّر الكاتب إحساس الأم السريع بحدوث ما كانت تخشاه، فلم يكن مجرد حدس وإنما رأت وسمعت ما يؤكد هذا الحدس فقد سمعت صراخ ابنائها كما رأت النافذة محطمة، وهذا ما جعلها تقفز قفزة واحدة لتكون داخل بيتها، هذه القفزة يمكن أن تكون عاجزة عنها في الظروف العادية لتتفقد صغارها ممن يحاول اقتراسهم: "عندما اقتربت من البيت أحسّت أن الصغار يواجهون خطراً، سمعت حركة غريبة في الداخل، إنَّ أحدهم يصرخ والنافذة محطمة. وبقفزة واحدة كانت داخل البيت. رأت حيواناً لم تره من قبل، غريب الشكل، ملامحه تجمع ملامح الحيوانات كلها.. وكان يحاول خطف أحد الصغار، لكن إخوته كانوا يصارعون معه الحيوان الغريب"⁽²⁾.

لكن الأم وعند مهاجمتها لهذا الحيوان اكتشفت أنه يختفي وراء قناع، فتغير هدفها تلقائياً، فلم يعد هدفها الخلاص منه وتركه يذهب لحال سبيله، لقد كانت رغبته في معرفة حقيقته أقوى، لذا اتجه صراعها معه لمعرفة، لذا أحاطت به الأم وصغارها من كل جانب، كما أمرتهم بقتل كل الأبواب والنوافذ، وهذا يفسر لنا رغبة الأم الجامحة لمعرفة رغم ما يشكله ذلك من خطر عليهم جميعاً، وكان هذا الحيوان الغريب يستमित على عدم معرفة سره بالحفاظ على بقاء القناع على وجهه، لكن في الوقت الذي قبضت الأم القناع اختفى هو في الظلام.

"اندفعت تصارع معهم وتهاجم .. صرخت: إنَّ هذا ليس وجهه.. إنَّ وجهه الحقيقي يختفي خلف القناع.. لننزع عنه القناع..

التفوا حوله وأحاطوا به من كل جانب...

لا تتركوه يهرب اقفلوا الأبواب والنوافذ .. لكنَّ الحيوان الغريب كان يستमित من أجل أن لا يفقد

القناع...

(1) سلسلة نوافذ، "الأرانب"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 8.

(2) المصدر السابق، ص 10.

طال الصراع بينهم والحيوان الغريب يحاول أن يجد فرصة للفرار، لكنَّ الأرنب البيضاء قررت أن لا تتركه ينجو إلا إذا كشف عن وجهه الحقيقي.. وفي اللحظة التي أصبح فيها القناع بين يديها كان الحيوان الغريب يقفز من النافذة ويختفي في ظلام الليل"⁽¹⁾.

لم يكن هروب الحيوان الغريب هو النهاية أو الحل، أو بمعنى آخر ربما يكون بداية أخرى لأزمة حقيقية اكتشفتها الأم كما اكتشفناها نحن جميعاً معها، المشكلة بدأت بانتهاء القصة، فقد انطوت هذه النهاية على خليط غريب من الأسى والإحباط والسخرية، يتضح هذا من قول إحدى الجارات التي حثت الأم على الذهاب إلى الحاكم الذي يشاع عن عدله الأسطوري، فهو - بطبيعة الحال - الملاذ لمن يُظلم من أفراد رعيته، حتى القارئ لا يقدر إلا أن يتعاطف معهم، بل ويتذوق مع الأم مرارة الصدمة وخيبة الأمل عند معرفة الحقيقة المرة، وما كان يتوهمه الجميع عن حاكمهم وعدله المزعوم: "في الصباح تجمّع حولها الجيران.. حكّت لهم عن القناع.

قالت لها إحدى جاراتها: اذهبي إلى الحاكم العادل، إنَّ القصص التي تُحكى عن عدله تجاوزت حدود غاباتنا .. اذهبي إليه فهو الملاذ الوحيد لكل ضعيف مظلوم .. قالت لهم في أسى .. لكنَّ القناع .. قناع الحاكم العادل؟"⁽²⁾.

من خلال هذه القصة، التي تناسب الأطفال في المراحل المتوسطة، حيث بمقدور أطفال هذه المرحلة معرفة المغزى الحقيقي من وراء هذه القصة، وما ترمز إليه، فإنَّ أي مجتمع لا يتحلّى حاكمه بالعدل، ويسمح بسيادة قانون الغاب لينتشر فيه الظلم والطغيان، فعلى هذا المجتمع السلام.

إنَّ عنوان هذه القصة لا يدل على مغزاها أو ما ترمز إليه لا من قريب ولا من بعيد، على عكس القصة السابقة التي يثير عنوانها القارئ الصغير ويجذبه، خاصة أنَّ هذه القصة هي من ضمن سلسلة علمية، اتخذت بعض قصصها عناوين عن إحدى مظاهر الطبيعة وظواهرها لتتحدث عنه، وبهذا من يمسك بهذه القصة ليقراها يظن أنه سيقراً جملة من المعلومات عن طبيعة هذا الحيوان وهو عالم الأرنب.

(1) سلسلة نوافذ، "الأرنب"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 12.

(2) المصدر السابق، ص 14.

ربما يكون هذا نوعاً من التخفي والاختباء وراء عنوان مضلل، ليس للقارئ بطبيعة الحال، وإنما هو هروب من مقص الرقيب، أو من اعتذار الناشر، فليس من السهل في الواقع السياسي الذي كانت عليه البلاد، أن يجعل العنوان مثلاً: (قناع الحاكم)!

قصة "الثعلب والأرنب"⁽¹⁾

ينبغي أولاً التنويه إلى أن عنوان هذه القصة لا يتناسب مع أبطالها - كما سنرى لاحقاً - فالبطلان الرئيسيان فيها هما الثعلب والعصفورة، أمّا الأرنب فكانت شخصية غائبة بسبب افتراس الثعلب لها، ولذا كانت موضوع الجدل الذي دار بين البطلين.

ترمز هذه القصة إلى أن كل من يستبيح ظلم من هم أضعف منه سيكون يوماً ما ضحية لمن هو أقوى منه، ومن يجعل الظلم منهجاً لحياته وسلوكاً يتبعه لتحصيل معاشه سيكون هو من ضمن ضحاياه، ولن يستثني ذلك أحداً فالقوي كان هناك دائماً من هو أقوى منه، والأهم من ذلك إن الله - تعالى - بقوته وجبروته فوق الجميع.

لذا كان مبدأ العطف على الضعفاء، ونبذ الظلم والبغي هو ما دعا إليه ديننا الإسلامي، وما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم، ومن ذلك ما جاء في قوله - تعالى -: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽²⁾، كذلك في الحديث عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"⁽³⁾.

وقد وفق الكاتب في إيصال هذا المغزى دون إيغال في الرمزية، التي تؤدي إلى صعوبة أو تعقيد يتناقض مع معايير العمل الأدبي الذي يوجه للقارئ الطفل.

(1) سلسلة قصص ليبيبة للأطفال، "الثعلب والأرنب"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) سورة المائدة/ الآية 2.

(3) صحيح البخاري، حديث رقم: 6484.

يبدأ الشريف قصته التي غلب عليها عنصر الحوار والجدال الذي استغرق جميع مراحل القصة باستثناء النهاية، وقد دار هذا الجدال بين العصفورة التي تمثل الحكمة، والدفاع عن الحق، والثعلب الذي يمثل شخصية الظالم لمن هم أضعف منه، فهو من افترس الأرنب الضعيفة دون ذنب ارتكبه.

حاولت العصفورة الغاضبة ممّا ارتكبه الثعلب في حق الأرنب، أن تلفت نظر الثعلب المستلقي تحت ظل شجرة ليستريح، لكنه لم يعرها أي اهتمام، فبادرته بجملة تحمل معاني الاستنكار والغضب: "أراك سعيداً مطمئناً أيّها الثعلب!"، فالثعلب ينام سعيداً وهو قبل لحظات رأته يفترس الأرنب الضعيفة، لكنه واجه جملتها باستغراب وغرور، فإنّ مصدر استنكار العصفورة وغضبها كان مبعث سعادة الثعلب، وهذا يرمز إلى الخلل في القيم الذي تعاني منه بعض المجتمعات.

لكن ولأنه ثعلب مخادع تظاهر بالندم وذلك عندما واجهته باستهجان لأسلوب حياته القائم على ظلم الآخرين ممن هم أضعف منه، فلجأ إلى الكذب وادّعى أنّ الأرنب هي السبب فيما حدث لها، فهي من اعترضت طريقه وقامت بشتمه فكان عليه أن يدافع عن نفسه ويتخلّص منها.

استمرت العصفورة في مواجهته بحقيقة أمره، ويأنه ما هو إلا كاذب ولئيم، فالأرنب معروفة بضعفها ومسالمتها ولا تعتدي على أحد، وحذّرت من أنه سيكون يوماً ما ضحية من هو أقوى منه، ولأنه ثعلب مغرور واجه تحذيرها له بالسخرية والاستهتار، وذكرها بأنّه الأذكى والأكثر مكرّاً في الغابة كلها، ووصفها بالغباء، وطلب منها أن تتعد عنه ولا تزججه فهو وقت راحته: "كان الثعلب يستريح يوماً تحت شجرة كبيرة عندما حطّت على غصن بالقرب منه عصفورة صغيرة.

انتبه الثعلب لحركتها لكنه لم يُعرها انتباهاً. رفرفت العصفورة وصفقت بجناحيها الصغيرين.

أراك سعيداً مطمئناً أيّها الثعلب!

نظر إليها بغضب وقال: لماذا لا أكون سعيداً، وقد التهمت أرنباً سميناً قبل قليل.

قالت العصفورة: "لماذا تعيش على ظلم من هو أضعف منك؟ ماذا فعلت لك الأرنب حتى تجعل منها غذاءً لك؟ تظاهر الثعلب بالندم وقال: لم أكن أنوي بها شراً ولكنها اعترضتْ طريقي وقالت لي كلاماً لا أقبّله، قالت: إنني شيطان الغابة".

رجوتها أن تذهب إلى حال سبيلها رفضت، لذلك كانت أفضل طريقة لسكوتها أن أقضي عليها، فلماذا تلوميني أيتها العصفورة الغبية؟".

لم تتراجع العصفورة، فقالت: "إنك كذاب ومخادع ولئيم، أنا أعرف الأرنب، فأنت الذي طاردتها حتى بيتها، أنصحك بالكف عن ظلم الضعفاء، فقد يأتي يوم وتقع ضحية من هو أقوى منك وأشد منك ذكاء ومكراً. ضحك الثعلب وقال: ليس في الغابة من هو أكثر مني ذكاءً ومكراً. أما أنت أيتها العصفورة فليس في الغابة من هو أكثر غباء منك. اذهبي عني فهذا وقت الراحة عندي"⁽¹⁾.

انتهت نهاية القصة بكونها ترجمة حرفية لما توقعته العصفورة وذكرت به الثعلب الظالم، فالعصفورة تمثل صوت الضمير، ففي نهاية جدالهما، تفاجأت العصفورة بنمر رابض فوق الشجرة التي كان يستظل تحتها الثعلب، وما هي إلا لحظات قليلة حتى قفز النمر على الثعلب الذي أخذ يصرخ ويحاول الخلاص، ولكن أين له ذلك، فالنمر أقوى منه بكثير، نظرت العصفورة إلى الثعلب وذكرت بما قالته له قبل قليل وحذرت من الوقوع فيه: "قال الثعلب هذا الكلام للعصفورة وهو لا يدري ما يحدث في مكان آخر.

كان النمر يراقبه من فوق الشجرة في سكون.

رأت العصفورة كل شيء، فتوقفت عن الحركة.

وفي لحظة واحدة، قفز النمر على الثعلب، وقبض عليه بمخالبه.

صرخ الثعلب وحاول الخلاص فما استطاع.

نظرت إليه العصفورة في عتاب وقالت: ألم أقل لك أيها الثعلب بأنك قد تقع ضحية من هو أقوى منك!

لا تؤذ الضعيف فقد يؤذيك القوي، وصفقت بجناحيها واختفت بين الأشجار البعيدة"⁽²⁾.

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "الثعلب والأرنب"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

قصة "النخلة وزهرة الياسمين" (1)

أبطال هذه القصة - كما يتضح من عنوانها - من عالم النبات، والبطلة الرئيسية هي "زهرة الياسمين" إضافةً إلى شخصيات نباتية أخرى وهما زهرة الفل والنخلة، وكلها جمعها بستان واحد.

وقد رمز الشريف في هذه القصة لمن يعانون من عقدة النقص، أو ما يسمى بعدم الثقة بالنفس، رغم ما حباهم الله - تعالى - به من ميزات وقدرات، وهذه الفئة من الناس يعتقدون أنّ غيرهم أسعد حالاً منهم لأنّهم يمتلكون ما حرموا هم منه.

ويمثّل هذه الشخصية "زهرة الياسمين" التي تُعرف بجمالها وطيب رائحتها، لكنها لم تكن سعيدة لرأيها الخاطيء عن نفسها، هذا الرأي وُلد لديها شعوراً بأنها ستكون أسعد حالاً إذا كانت مثل النخلة طويلاً وقوة.

وكان اختيار الشريف إحدى أنواع الأزهار وهي "زهرة الياسمين" اختياراً ذكياً، ليجعل منها رمزاً للشخصية غير الواثقة من نفسها أو غير المقدّرة لما حباها الله - تعالى - به من جمال شكلاً ورائحة؛ ليضرب مثلاً لهؤلاء الذين يتملّكهم مثل هذا الشعور السلبي عن الذات، وأنّ ذلك في واقع الأمر مجرد أوهام وأفكار خاطئة أقنعوا بها أنفسهم، أو ربما قيم سلبية شاعت في أذواق الناس في بعض المجتمعات، فكثير من الناس يحكمون على قيمة شخصٍ ما بما حظي به من مال أو جمال وما إلى ذلك، مما أثر سلباً على نظرة بعض الأفراد لأنفسهم.

بدأ الشريف قصته بمقدّمة صوّر فيها "زهرة الياسمين" في إحدى الصباحات، التي كانت فيها متكاسلة حزينة على غير عاداتها، وقد لاحظت ذلك جارتها "زهرة الفل"، التي ما إن نادتها حتى وجدتها متبرمة حزينة، وقد تبادلتا حواراً اتضح من خلاله أنّ "زهرة الياسمين" بانت ليلتها ساهرة ولم تنم بسبب حزنها: "كانت زهرة الياسمين حزينة في ذلك الصباح فلم تستيقظ مبكرة كما تعودت، لتستحم بقطرات الندى إلا عندما سمعت زهرة الفل تناديهما: أيتها الياسمينة الكسولة استيقظي.

مالت زهرة الياسمين نحوها وقالت: اتركيني أيتها العزيزة فإنّ حالي يحزنني جداً..

لماذا؟

(1) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، 1999 م.

لقد قضيت ليلتي سهرانة ولم أنم.

وبإلحاح "زهرة الفل" لمعرفة سر حزنها، أفصحت "زهرة الياسمين" عن هذا السر، فلم يعد البستان يسعها أو يرض طموحها، ولا تريد أن تكون كالأزهار، بل تريد أن تكون كالنخلة في ثبات جذورها وقوتها:

"ولماذا؟"

قالت زهرة الياسمين: كرهتُ الحياة في هذا البستان، إنه صغير وممتلئ بالزهور من كل نوع ولون، ثم أني فكرت في حياتي فوجدتها قصيرة جداً وأنا لا أريد أن أكون مثل الآخرين.. انظري إلى أشجار النخيل إنها تقف عالية وجذورها في الأرض قوية لا تثنيها رياح أو عواصف، انظري إلى عراجينها [المتألئة] كالذهب إنها تميل ولا تسقط..⁽¹⁾.

وقد حاولت زهرة الفل من خلال أسئلتها المنطقية أن تقنع جارتها بالعدول عن أفكارها غير المنطقية، فلأن "زهرة الياسمين" أرادت أن تكون أطول عمراً، سألتها سؤالاً يدل على ثقافتها العلمية، إن كانت تريد أن تصبح سلحفاة فهي تعيش فترة طويلة مئة عام، فنفت أن تكون سلحفاة لأن صدفتها تعيقها وتمنعها من الحركة بحرية، وإنما أرادت أن تكون أطول عمراً وأكثر قوة وفي الوقت نفسه تريد أن تبقى ياسمينة جميلة، بمعنى أنها تتطلع إلى الكمال، وهو أمر لا يمكن أن يتصف به أي مخلوق: "قالت زهرة الفل: هل تريدين أن تصبحي سلحفاة؟ وتعيشين مثلها مئة عام؟"

قالت زهرة الياسمين: لا أريد أن أكون سلحفاة إنها تعيش عمرها داخل صدفتها وأنا أريد الحرية..

قالت زهرة الفل: وماذا تريدين؟

أجابت زهرة الياسمين: أريد أن أبقى ياسمينة يصنع المحبُّون منِّي عطراً لحبيباتهم.. لكنني أريد عمراً أطول وجسماً أقوى..".

سمعت النخلة حوارهما، وعرفت ما تتطلع إليه "زهرة الياسمين" لذا عرضت عليها مساعدتها لتحقيق حلمها، بعد أن حذرتها من الندم.

(1) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، 1999 م.

لم تكن النخلة هي الأخرى مقتنعة بما تتطلع إليه "زهرة الياسمين" فقد حاولت نصحتها، وقالت لها
حكمة سمعتها من أمها: "ليس مهماً المكان الذي تكون فيه لكن المهم ماذا نعطي للناس".

هذه الحكمة التي أوردها الشريف على لسان النخلة تمثل خلاصة القصة ومغزاها، وما أراد إيصاله
للقارئ الصغير من هذه الرموز، فالقيمة الحقيقية للإنسان ليست فيما يملكه من صفات شكلية، وإنما في
عطائه وخدمته لمجتمعه.

ويبدو أنّ النخلة وهي على هذا المستوى من الحكمة والذكاء كانت واثقة من أنّ "زهرة الياسمين"
سوف تندم على ما ستؤول إليه.

كما اتضح بعد ذلك أنّ "زهرة الياسمين" لم تكتفِ بما آلت إليه بعد أن سكبت لها النخلة من رحيقها،
بل تمنّت لو أنّ النخلة سكبت لها المزيد لتكون أكثر قريباً من النجوم، وهذا يكشف مدى ما وصلت إليه
"زهرة الياسمين" من بعد عن الواقعية والاتزان: "كانت النخلة تسمع كلام زهرة الياسمين فقالت: ما رأيك
أيّتها الياسمين الجميلة لو أعطيتك بعضاً من رحيقي لترتفعي مثلي وتصبحين قوية جبّارة وتقتربي من
السماء بزرقنتها وصفائها وشمسها الساطعة؟ وفي الليل يمكنك أن تسامري القمر وتغتسلي بأشعته
الفضية..

قالت زهرة الياسمين والفرحة تملؤها: نعم أريد قوتك وارتفاعك أيّتها النخلة العظيمة..

ولا تندمين؟

سوف لن أندم ..

ضحكت النخلة وقالت: سأعطيك قليلاً من رحيقي، لكن اسمعي هذه الحكمة التي سمعتها أنا من أمي..
"ليس مهماً المكان الذي نكون فيه لكن المهم ماذا نعطي للناس" ..

سكبت النخلة في قلب زهرة الياسمين قطرات من رحيقها فارتفعت زهرة الياسمين في الفضاء
وأصبحت أطول زهرة في البستان..

تفتحت زهرة الياسمين نشوانة بالفرح وقالت لنفسها: إنَّ زهور البستان لن تعيش مثل عمري.. سيذهبون جميعاً، أما أنا فسأبقى .. هذه هي السماء وتلك هي النجوم .. إنها كما قالت النخلة تتلألأ.. وهذا هو القمر إنه قريب مني .. لو أعطتني النخلة قطرة أخرى كنت وصلت إلى النجوم..⁽¹⁾.

لم تكد "زهرة الياسمين" تفيق من نشوتها، حتى وجدت نفسها عرضة لما لا تطيق من المصاعب والمحن، حيث أصبحت ضحية للريح القوية والشمس الحارقة، فكان نتيجة ذلك أن استولى عليها الخوف والندم فسارعت تطلب من النخلة أخذ رحيقها لتعود إلى سابق عهدها، وازداد خوفها عندما أخبرتها بأن هناك ما هو أخطر من الريح القوية والشمس الحارقة وهي الصواعق التي تحرق الأشجار العالية، وقد وعدتها إن نجت منها هذا الشتاء فستعود لطبيعتها العام القادم: "ذات يوم هبَّت عاصفة فتساقطت زهور الياسمين وألقت بها الريح بعيداً بعيداً .. بكت زهرة الياسمين ونادت بأعلى صوتها .. أيتها النخلة: خذي رحيقك وأعيديني إلى مكاني..

قالت النخلة: إذا نجوت من صاعقة فستعودين كما كنت في العام القادم.

سألت زهرة الياسمين: وما هي الصاعقة؟

أجابت النخلة: إنها نار تحرق الأشجار العالية .. ولا تنسي أننا في فصل الشتاء.. وهو فصل الصواعق..

قالت زهرة الياسمين: أنا خائفة..⁽²⁾.

ليست الأخطار فقط هي مصدر تعاسة "زهرة الياسمين" فقد تكشَّف لها أنها فقدت اهتمام الناس بها، فقد لاحظت تجاهل الأطفال لها، فهم عندما يدخلون الحديقة يتخيرون أزهار الفل والقرنفل ليصنعوا منها عقوداً يهدونها لأمهاتهم فيما يتجاهلون زهرة الياسمين، لتبقى وحيدة تواجه مصيرها مع حارس الحديقة: "بعد أيام دخل البستان صبية وصبي..

قالت الصبية: سأجمع زهور الفل وأصنع منها عقداً أتزيّن به.

(1) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) المصدر السابق.

قال الصبي: وأنا سأصنع باقة من القرنفل أقدمها لأمي في عيد ميلادها.

قالت الصبية: ما رأيك لو جمعنا بعضاً من الياسمين؟ تلك هي زهرة الياسمين ترتفع في السماء عالية..

قال الصبي: إنها زهرة عجوز لا نفع فيها.. أنظري إلى أغصانها .. ليس فيها زهرة واحدة .. سيأتي حارس البستان ويرمي بها بعيداً.

كانت زهرة الياسمين تسمع حديث الصبي والصبية ثم رأت عقد الفل ينام سعيداً على صدر الصبية .. وزهور القرنفل تتعانق في باقة جميلة بيد الصبي.

بكت زهرة الياسمين.. فقد ذهبت زهور البستان إلى أفرح الناس وأعيادهم.. وبقيت هي تنتظر حارس البستان⁽¹⁾.

ثانياً: توظيف التراث العلمي والتاريخي والشعبي:

بدايةً لا بدّ من الإشارة إلى موقف الشريف ممّا يسمّى بالموروث الثقافي بشكل عام، فقد سجّل "الشريف" موقفاً غريباً، في أحد مقالاته، حيث وقف موقف المتشكك ممّا يسمّى بالموروث الأدبي الشعبي بل تعدّى ذلك إلى الموروث التاريخي وحتى الديني، هادفاً من وراء ذلك بيان عدم جدوى تقديمه للأطفال، وقد ارتكز في موقفه هذا على جملة من المغالطات، منها: أنّ الموروث الثقافي يجسّد ثقافات غابرة لظروف اقتصادية واجتماعية معينة، ومن ثم فهو لا يناسب واقع مجتمعاتنا الحالي، وأنّ هذا الموروث لا يمكن أن يحمل ذخيرة ترويحية أو تعليمية للطفل في عصرنا، كما أنّ تلك الحكايات والقصص الشعبية التي يمثّل الحيوان ركيبتها لن يستوعب الأطفال مغزاها في مرحلة الخيال المحدود، والأطفال في المراحل اللاحقة لن تشد انتباههم أو تضيف لهم شيئاً، كما أنّ هذا الموروث يمثّل قيماً لمجتمعات غابرة لا تتناسب مع قيم المجتمعات المعاصرة، كما يرى أنّ التراث التاريخي بأحداثه وشخصياته قد تعرّض للتشويه والتزييف المتعمّد خصوصاً من قبل المؤسسات الغربية⁽²⁾.

(1) سلسلة طفل يقرأ، "النخلة وزهرة الياسمين"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) دراسات في الطفولة، يوسف الشريف، مرجع سابق، ص 55 - 58.

ورأى الشريف الاكتفاء "باستلهاهم الواقع واعتباره البيئة الأكثر تأثيراً على شخصية الطفل وثقافته .."، وكانَّ الواقع يمكن أن يكون بديلاً عن الموروث، أو كأنَّه متفق عليه والجميع يقرؤونه القراءة نفسها!.

إنَّ الموروث الثقافي بشتى أنواعه إضافةً لكونه خلاصة تجارب إنسانية لا يمكن الاستهانة بها فإنَّ له جاذبية خاصة لا يمكن تجاهلها، بل إنَّه يشكِّل روح الأمة وكيانها كما هو الحال بالموروث الديني.

انتقد (عبد الحميد عامر) هذا الموقف موضحاً أنَّ "هذا قد يكون موقفاً جانباً للصواب لأنَّه معلوم أنَّ هذا الموروث موظَّف في أدب الأطفال بشكل أساسي في حكايات الشعوب بصفة عامة، وهو قد حاول أن يكشف عن تصورات ضعيفة يؤيِّد بها فكرته؛ مثل قوله: "لو أردنا أن نجد كريماً فلن نجد غير حاتم الطائي". وهذا خطأ كبير لو تصوَّر الباحث أنَّ الموروث يمكن أن يكون حافزاً للكاتب المعاصر لكي يكتب عن أي موضوع، فليس شرطاً أن يعاد إنتاج الموروث كما هو؛ إذ من الممكن إنتاجه حرفياً ومن الممكن إعادة إنتاجه فنياً، ومن الممكن أن يحفزنا لخلق شخصيات حديثة. إنَّ موقف الشريف من الموروث والحكايات الشعبية والأسطورة والخرافة والعقل البدائي يبدو موقفاً متسرِّعاً ولا يتصف بالدقة"⁽¹⁾.

1. توظيف التُّراث العلمي:

حاول "الشريف" نقل بعض الحقائق العلميَّة والمعارف والخبرات التي توصَّل إليها العقل البشري وضمَّنها لقصصه، فجعل بعضها فكرةً رئيسةً لبعض تلك القصص، كما في مجموعة "من حكايات الحروف"⁽²⁾، وقصة "عصفور سافر مع الشمس"⁽³⁾، وبعضها جعلها في هيئة حل لعقدة القصة كما في قصة "الحمامة تزرع شجرة"⁽⁴⁾، وقصة نار في البيت المهجور"⁽⁵⁾، والبعض الآخر جعلها تبدو وكأنَّها

(1) أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة"، د. عبد الحميد محمد عامر، مرجع سابق، ص 234.

(2) مجموعة من حكايات الحروف، يوسف الشريف، مصدر سابق، 2003 م.

(3) مجموعة حكايات العصافير، قصة عصفور سافر مع الشمس، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008 م.

(4) نوافذ، سلسلة علمية ثقافية للأطفال، قصة الحمامة تزرع شجرة، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(5) سلسلة طفل يقرأ، قصة نار في البيت المهجور، يوسف الشريف، مصدر سابق.

معلومات عابرة في قصة تربويّة، كما في قصة "عصفور أحبّ عصفورة"⁽¹⁾، وتتوّعت تلك الحقائق العلميّة والمعارف، بين معارف عن عالم النبات وطريقة زراعة الأشجار، وفلكيّة عن عالم الفلك والكواكب، وكيميائيّة عن الفسفور المضيء، كذلك معلومات معرفيّة لغويّة تضمنتها مجموعة "من حكايات الحروف" بكاملها.

■ فالقصص التي جعل "الشريف" الحقيقة العلميّة أساساً لفكرتها، هي: مجموعة "من حكايات الحروف"، التي يتعرّف من خلالها الطفل في مرحلة تعلّم القراءة على أولى الدروس بطريقة ممتعة، حيث يتعرّف على الحروف الهجائية التي قام "الشريف" بأسننتها، فهي تتكلم وتمشي وتفرح وتحزن ..، وهي تعيش في وسط يجمعها تسمّى "حديقة الحروف"، وعند غياب أيّ منها عن كلمة ما يحدث خلل تكون نتيجته اختفاء كل الأشياء المادية والمعنويّة التي يكون الحرف المختفي أحد الحروف المكوّنة لأسمائها. وقصة "عصفور سافر مع الشمس" ارتكزت على فكرة محاولة بطل القصة العصفور الصغير بطل القصة اكتشاف ما حوله من كائنات ومظاهر الطبيعة، وأول ما أثار فضوله الشمس، حيث دار بينهما حوار عرف من خلاله أنّ الشمس هي مصدر الضوء والحرارة للأرض والقمر، كما عرف منها أنّ ظاهرة الليل والنهار تحدث بسبب دوران الأرض حول نفسها، كما أنّ حدوث ظاهرة فصول السنة نتيجة لدوران الأرض حول الشمس، هذا الحوار المتخيّل الذي دار بين العصفور والشمس، ضمّته الكاتب بعض الحقائق العلميّة الفلكيّة التي يريد إيصالها بطريقة ممتعة للطفل.

■ وبعضها جعلها "الشريف" في هيئة حل لعقدة القصة كما في قصة "الحمامة تزرع شجرة"، حيث بدأت القصة بحيرة الحمامة التي أرادت أن تبني عشاً تضع فيه بيضها فلم تجد أي شجرة تبني عليها عشّها، فبكت وحزنت، لكن حزنها لم يدم طويلاً، حيث هداها تفكيرها إلى زرع شجرة، وعلى الفور بحثت عن بذرة مناسبة، وعندما وجدت، اختارت مكاناً مناسباً فقامت بحفر حفرة صغيرة بمنقارها، ثم بحثت عن الماء وعندما وجدته أتت به بفمها الصغير، ثم أفرغته على المكان الذي زرعت فيه البذرة، وهكذا يوماً بعد يوم، حتى صارت شجرة، وبهذا انتهت مشكلة الحمامة التي كبرت أحلامها بأن تصبح الشجرة غابة يوماً ما.

(1) مجموعة حكايات العصفور، قصة عصفور أحبّ عصفورة، يوسف الشريف، مصدر سابق.

وبمجرد إتمام قراءة الطفل للقصة يجد نفسه قد خرج بمعلومات عُرضت بأسلوب سهل وخطوات واضحة متسلسلة عن كيفية زراعة الأشجار. وتقدّم هذه القصة مثلاً ناجحاً من عدّة جوانب، أولهما: أنّ التفكير والتخطيط العلمي فيه حلول لمشاكلنا أفضل من الاكتفاء بالحنن والإحباط والسلبية، وثانيها: تقديم العلم بطريقة مبسّطة وفيه حل لكثير من مشاكلنا الماديّة، وثالثها: اختيار الحمامة وهي طائر صغير وضعيف للقيام بزراعة شجرة يعطي الطفل شيئاً من الثقة بالنفس والشجاعة للقيام بما قامت به الحمامة فهو أقوى وأذكى بكثير من الحمامة.

وقصة نار في البيت المهجور"، بدأت هذه القصة أيضاً بمشكلة وهي خوف "رامي" بطل القصة وهو طفل صغير، هذا الخوف نتيجة توهم "رامي" وأقرانه من وجود غول في البيت المهجور الذي مرّوا بقربه فرأوا ناراً تغطي أرض ذلك البيت، فظنّوا أنّ هناك غولاً يسكنه، فأخذته أمه وذهبت به إلى ذلك البيت المهجور والتقطت الأم شيئاً من الأرض، ثم عادت مع رامي إلى بيتهم وأطفأت الأنوار ونثرت ما التقطته من البيت المهجور على أرض الغرفة ففزع رامي متسائلاً عن مصدر هذه النار؟ فأضاعت المصباح أجابته قائلة: جاءت من هذه العظام، وشرحت له أنّ ما رآه في البيت المهجور ما هو إلا فوسفور يتوهّج في الظلام. لكنه لا يعرف ما هو الفوسفور. فشرحت له الأم قائلة: هو مادة معدنيّة في كل الكائنات الحية، ويوجد في الأسنان والعظام، وهو ثلاثة أنواع: الأبيض، والأحمر، والأسود، والأبيض سام ويشتعل بلهب إذا تعرّض للهواء، وبهذا انتهت المشكلة بمعرفة السبب الحقيقي، فلن يخاف رامي من النار التي في البيت المهجور لأنه عرف أن مصدرها الفوسفور المتوهج وليس الغول الذي توهمه هو وأقرانه!

وفق "الشريف" في هذه القصة من عدّة نواحي، أولها: محاولة كبح مخاوف الأطفال الغريزيّة من الظلام وما يرافقها من تخيّلات؛ حتى لا تتضخّم وتصبح حالة مرضيّة بسبب الأوهام، وذلك باتّباع الأساليب التربويّة السليمة، كما فعلت أم رامي في هذه القصة، وثانيها: قدّمت درساً علمياً بطريقة شائقة وممتعة للقراء الصغار، وعرّفتهم على ماهيّة مادة الفوسفور وأنواعها وأهم خصائصها والمواد التي هي أحد عناصرها ومكوناتها.

■ وقصص وردت فيها المعارف والمعلومات بشكل عابر في قصة تربويّة أو اجتماعيّة، كما في قصة "عصفور أحبّ عصفورة"، فالعصفور الصغير بطل القصة افتقد صديقه العصفورة الصغيرة فبحث

عنها ولم يجدها، فاستأذن أمه وسافر بعيداً وطار في السماء التي وجدها بلا حدود، وعندما رأى القمر دار بينهما حوار، حيث أجاب القمر على تعليقات العصفور وتساؤلاته بحقائق علمية تعمّد الكاتب إدخالها في القصة، فعندما سأله العصفور: "هل أنت القمر الذي نراه مضيئاً في الليل؟ وهل أنت القمر الذي يضيء الأشجار بنوره؟ وهل أنت القمر الذي يلعب في نوره الصغار؟ أجاب القمر: نعم. أنا هو". فسأله: "ولماذا لا يصل نورك إلى الأشجار في النهار؟" أجاب القمر: "أنا أصل لكن ضوء الشمس أقوى، وأنا آخذ نوري من ضوءها". وعندما سأله إن كان رأى صديقه العصفورة الصغيرة. أجابه القمر: "لا .. لم أرها لكنني سمعتُ عنها .. سمعتُ عن عصفورة صغيرة تسافر من كوكب إلى كوكب تبحث عن حبيبها"، ثم سأله العصفور عن معنى كوكب، فسأله القمر: "هل تعرف المنظومة الشمسية؟ وعندما أجاب العصفور بالنفي. أجابه القمر: بأنّ "المنظومة الشمسية هي مجموعة أجرام سماوية تدور حول الشمس وعددها تسعة .. بلوتو أصغرهما والشمس أكبرها والأرض واحدة منها"، ثم سأله: "هل تريد أن تعرف أسماء الكواكب الأخرى..؟" فأجاب العصفور بنعم. فقال القمر: "الكواكب الأخرى هي: بلوتو وزحل وعطارد والمريخ وأورانوس ونبتون والزهرة والمشتري..". ثم نصحه بعدم الذهاب إلى بلوتو لأنه بعيد جداً ولا أنصحك بالذهاب إلى الزهرة لأنّ حرارته عالية جداً، ولا تفكر في الذهاب إلى النجوم لأنها تبعد بمئات الملايين، ونصحه بالذهاب إلى المريخ فهو الأقرب.

وعندما وصل العصفور إلى المريخ وجد لونه أحمر. فسأله: "لماذا لونه أحمر؟" فأجابه المريخ: "اسمي الكوكب الأحمر لأنّ الصخور والترية على سطحي حمراء(*)، وعندما شعر العصفور بالعطش، قال المريخ: "يعتقد العلماء أنّ الماء كان ذات يوم موجود هنا، وهم ما يزالون يجرون أبحاثهم، وإذا تأكدوا أنّه كان موجوداً، فإني سأكون مثل الأرض وسيأتي البشر ليسكنوا هنا". وعندما سأله العصفور: "هل بلوتو بعيد من هنا..؟"، قال المريخ: "هو أبعد كوكب في المنظومة الشمسية والعلماء يقيسون المسافة بين النجوم، والكواكب بالسنوات الضوئية لأنّها بعيدة أبعد ممّا تتخيّل"، فسأله العصفور: "وما هي السنة الضوئية..؟"، فأجاب القمر: "تبلغ سرعة الضوء 300 ألف كيلو متر في الثانية".

وعندما ذهب العصفور إلى بلوتو دار بينهما حوار يتضمّن بعد الحقائق العلمية التي توصّل إليها العلم الحديث، فبمجرد أن وصل العصفور إلى بلوتو سأله: شكلك ليس كروياً مثل بقية الكواكب، ولماذا

(*) هذا التفسير مخالف لما توصّل إليه علماء الفلك.

أنت صغير جداً..؟! فقال بلوتو: كنتُ من كواكب المجموعة الشمسية لكن العلماء اجتمعوا وقرروا أنني لست كوكباً وأنا لم أعد عضواً في المجموعة الشمسية". فاندھش العصفور وسأله: "لماذا..؟"، فأجاب بلوتو: "قال العلماء: إنَّ الكوكب يجب أن يكون كروياً وأنا لستُ كروياً، وقالوا: إنَّ الكوكب يجب أن يدور حول الشمس وأنا لا أدور حول الشمس .. أنا الآن حزين فقد أصبحتُ وحيداً". ثم نصح بلوتو العصفور بالإسراع بالعودة لأنَّ الأرض بعيدة جداً .. كما حذره من الاصطدام بنيزك أو بمذنب. فسأله: "وما هو المذنب وما هو النيزك..؟" فنصحته بالقراءة .. ووعده إذا زراه مرة أخرى بأن يحدثه عن المجرّات وكيف تكوّنت.

يلاحظ أنّ "الشريف" قد جعل هذه القصة الاجتماعية إطاراً لبعض الحقائق العلميّة الفلكيّة، حيث جعلها تبدو وكأنّها عارضة في القصة، وردت بتلقائيّة من خلال الحوارات التي دارت بين العصفور الصغير وبعض الأجرام السماوية كالقمر والمريخ وبلوتو أثناء رحلة بحثه عن حبيبته العصفورة الصغيرة، وذلك حتى يجنّب القارئ الصغير الشعور بالنفور والملل الذي يرافق النصوص العلميّة عادةً، غير أنّ المبالغة في حشو القصة بكم كبير من المعلومات قد يؤدّي لتزهّل القصة وهلهتها، وعند إتمام هذه القصة يخرج قارئها الصغير وقد تعرّف على الكثير من المصطلحات والمكتشفات العلميّة الفلكيّة التي توصل إليها علماء الفلك في هذا العصر، وربما يحفّزهم ويفتح شهيتهم للقراءة والاطلاع لمعرفة المزيد عن العالم والكون الواسع من حولنا.

2. توظيف التراث التاريخي:

تجاهل "الشريف" التاريخ العربي الإسلامي فلم يتطرّق إليه مطلقاً في قصصه، وهو أمر مستغرب من ناحيتين! الأولى: أنّ التاريخ الإسلامي منذ ظهور الإسلام زاخر بالملاحم والبطولات والشخصيات الفدّة التي تُعدّ مثلاً أعلى للنشء، فمنهم مضرب المثل في العدل والشجاعة والفداء والرحمة والتسامح وغيرها من القيم، خصوصاً عند افتقاد المثل الحقيقي في واقعنا الحالي، والثانية: أنّ هذا التاريخ جزء مهم من تاريخنا باعتبارنا مسلمين فهو يُسهم في تشكيل هويّة مجتمعاتنا، ومحاولة تحصينها من الغزو الفكري والاستلاب الحضاري.

واكتفى "الشريف" بالتطرق في بعض قصصه لبعض الأحداث التاريخية المحلية التي حدثت في ليبيا في القرن العشرين، كأحداث معارك الجهاد ضد الغزاة الإيطاليين، التي تناولها في قصص: "الراعي الشجاع"، و"الليبية الشجاعة"، و"فرقة عمر"، كذلك تناول أحداث ثورة السابع عشر من فبراير في مجموعته "قصص لأطفال الثورة" التي تُعد قصصها توثيقاً لأحداث هذه الثورة.

3. توظيف التراث الشعبي:

لا يخلو أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية ممّا يعرف بالموروث الشعبي، والمجتمع في ليبيا ليس استثناءً عن ذلك، خصوصاً في الجانب الحكائي وهو موروث يعتمد على الرواية الشفهية، وأبرز ما يمثّل هذا الموروث الخرافات والحكايات الشعبية والأمثال فضلاً عن الأغاني والأهازيج الشعبية.

ويتعجّب أحد المهتمين بجمع التراث الشعبي في ليبيا وتوثيقه ممّن يقولون: "ليس لدينا تراث"، ويردّف قائلاً: "تراثنا من الكثرة والزخم والتنوع بحيث يحتاج إلى مؤسسات لجمعه.. ونظراً لافتقار المؤسسة فإنّ الأفراد هم الذين يحاولون سد هذا الفراغ المخيف"⁽¹⁾.

وتتعدّد أساليب استخدام التراث، ووفق ذلك تنوّعت المصطلحات الخاصة بكل أسلوب، وهي لا تخرج عن المصطلحات الآتية⁽²⁾:

1. الاستلهام: ويعني إبداع عمل أدبي جديد يستند في شكله أو محتواه أو في الاثنين معاً إلى التراث.
2. الإعداد أو الاقتباس: ويعني إعادة سبك عمل فني لكي يتفق مع وسط فني آخر، كأن تعاد كتابة حكاية في الفن الروائي أو أن تعاد كتابة سيرة شعبية في شريط سينمائي، أو تعاد كتابة سيرة تاريخية في ثوب قصصي، أو أن تعاد كتابة قصة إلى قصة للأطفال، الإعداد أو الاقتباس هو نقل عمل في إطار جنسه، أو إلى أجناس أخرى، أو داخل وسائط ثقافية أخرى.

(1) خرايف ليبية، أحمد يوسف عقيلة، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 11.

(2) ينظر: التنمية الثقافية للطفل العربي، عبد الله أبو هيف، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 81-

3. التَّحْوِيل: ويقصد به، نقل مادة أدبيّة أو جنس أدبي إلى جنس أدبي آخر، فقد تكون القصة على سبيل المثال، محولة عن خبر أو مثل أو نادرة أو حديث تاريخي أو مقالة أو شعر أو تمثيلية أو قصة للكبار، وقد يعثور النص الزيادة أو النقصان، التعديل أو التبديل، قصر جملة حين تبدو طويلة وبالعكس.

4. التَّقْدِيم: يفيد التقديم معنى الاختيار على سبيل الشرح أو التعريف عندما يلجأ الكاتب إلى وضع مختارات وتقريبها من مدارك القراء، وهذا ما فعله الشاعر سليمان العيسى في كتابه "شعراؤنا يقدّمون أنفسهم للأطفال" الذي قدم فيه سلسلة من الشعراء العرب البارزين في الأدب العربي وقد اختارهم من أجود المواهب وأعقفاً تأثيراً في الأجيال القديمة والحديثة على السواء.

5. الاستدعاء: وهو استحضار الشخصيات أو المراحل التاريخية في عمل أدبي جديد، ويكون الاستحضار جزئياً أو كلياً، وتصريحاً أو تلميحاً، تعبيراً مباشراً أو تعبيراً فنياً.

6. التضمين: حيث يضمّن الكاتب كتابته شحنة تراثية تقيم علاقة ما داخل العمل الفني، وقد يكون التراث فيها إطاراً أو محتوى، لتعزيز الصلة بالواقع أو لتكريسه لنفح قيمة وتجربة أو الاقتصار على صوت أو نبذة أو دلالة.

الموروث الشعبي في قصص الشريف:

اعتمد الشريف في بعض قصصه على الموروث الشعبي الحكائي في ليبيا - سبقت الإشارة لذلك في مباحث سابقة - رغم أنّه انتقد الكتاب الذين يتوجّهون بكتابة الخرافات للأطفال، فيقول: "إننا قد نقبلها في مرحلة عمرية معينة لإثارة خيال الطفل وتحفيزه على الاستفهام عن حقيقة ما يقرأ في الخرافة، وفي ظني أنّ الذين يكتبونها لأنّ الأطفال يحبونها هم على خطأ عظيم"⁽¹⁾، وينبغي ألا ننسى أنّ الموروث الشعبي يعتمد بشكل كبير على الخرافة، وقد تنوّع أسلوب توظيف الموروث الشعبي في بعض قصص الشريف الموجهة للأطفال، وقد اعتمدت تلك القصص والحكايات على التراث من مصدرين:

(1) دراسات في الطفولة "الكتاب الثاني"، "كيف أكتب للأطفال"، يوسف الشريف، مرجع سابق، ص 167.

1. الحكايات الشعبية:

أ. **الحكايات ذات البعد التاريخي:** وهو ما يسمّى بالاستدعاء، حيث استدعى الكاتب مرحلة الاستعمار الإيطالي، وبعض هذه القصص لها أصل في تاريخ الجهاد ضد الاستعمار، مثل قصص: "الراعي الشجاع"⁽¹⁾، وبطلها صبي صغير أسهم في الجهاد ضد الإيطاليين وذلك بتبليغ المجاهدين المعسكرين في الجانب الآخر من الجبل عن قدوم العدو إليهم، و"الليبية الشجاعة"، وبطلتها امرأة ليبية دافعت عن نفسها من جنود الاحتلال الإيطالي في تلك الحقبة، و"فرقة عمر"، وبطلها أحد الشباب المجاهدين الذين انتصروا في إحدى المعارك على جنود العدو، لكنه عندما اكتشف وجود رصاصة أسرع لملاحقتهم ومن ذلك اليوم لم يرجع، وتتنوع أبطال هذه القصص يحمل إشارة إلى أنّ الشعب الليبي بكل شرائحه أسهم بالجهاد ضد الاستعمار الإيطالي حتى تمّ التخلص نهائياً من الاستعمار وتحقيق الاستقلال.

ب. **الحكايات ذات البعد التربوي:** وهي قصص استمدها الكاتب من التراث الحكائي، ويمكن تسمية ذلك بالإعداد أو الاقتباس، وهي تحمل قيم تربوية، مثل قصص: "السمكة الذهبية"، التي حملت قيم الرأفة بالحيوانات والإحساس بمعاناتها، وقصة "سعد وسعيد ومسعود"، وهي تحمل قيم تحرّي الصدق وتجنّب الكذب مهما كانت المغريات، و"العودة إلى الفردوس"، التي حملت فكرة الاتحاد وتجنّب الخصومة والتفرّق بين الإخوة و"كيس اللؤلؤ"، التي حملت قيم الكرم والعطاء ومساعدة الآخرين.

بعض الحكايات حاكي الكاتب فيها أسلوب بعض الحكايات الشعبية: فكانت قصة "عصفور اللون الأبيض" على نسق حكاية "أم بسيسي"، وقصة "صياد يدخل الغابة"، وهي على نسق خرافة "الدجاجة المداجة".

■ **حكاية "أم بسيسي":** من الحكايات الشائعة في القطر الليبي، حكاية "أم بسيسي" التي بطلتها إحدى العصافير المحلية^(*)، تُعرف محلياً باسم "أم بسيسي"، الطريف أنّ هذا النوع من الطيور رغم صغر حجمه فقد كان بطلاً لأشهر حكايتين شعبيتين في ليبيا، هما حكايتا "أم بسيسي" و"الدجاجة المداجة".

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "الراعي الشجاع"، يوسف الشريف، المصدر سابق، د.ترقيم.

(*) طائر الخطّاف.

إنَّ بطلة الحكاية هي "أم بسيسي" كما يشاركها البطولة، أهم الشخصيات المحورية وهو فأر صغير، تقول خرافة أم بسيسي⁽¹⁾: "قبل العيد بأيام .. أم بسيسي دزّت الفار يجيب لها حليب .. وهو جاي في الطريق شرب م الحليب .. ومسح شنيياته .. مسح واحد وخلاً واحد .. قالت له أم بسيسي: (ليش شربت م الحليب؟) .. أنكر .. وحلف .. الناس يقولوا: (على راسك الريش يا سارق الدجاج) .. قالت له: (أهو الحليب علي شنيباتك يا كذاب .. ما دام غطست فيه والله ما نشرب منه) .. وقطعت ذيله .. قال لها: (عطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي) .. قالت: (لا) .. قعد يجدي فيها .. وهي تقول: (لا لا) .. بعدين قالت له: (إن كان تبّي ذيك .. عدّي جيب حليب من هذيك العنز).

مشى الفار للعنز .. قال لها: (يا عنز عطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وأم بسيسي تعطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي).

قالت العنز: (عدّي جيب لي نبق من هذيك السدرة).

مشى للسدرة .. قال لها: (يا سدرة عطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وأم بسيسي تعطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي).

قالت السدرة: (عدّي جيب لي سيل من هذاك الوادي).

مشى للوادي .. قال له: (يا وادي عطيني سيل .. والسيل للسدرة .. والسدرة تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وأم بسيسي تعطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي).

مشى للنجع .. قال لهم: (يا نجع عطوني زغراتات والزغراتات للوادي .. والوادي يعطيني سيل .. والسيل للسدرة .. والسدرة تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وأم بسيسي تعطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي).

قال النجع: (عدّي جيب لنا حولي^(*) من راعي الغنم).

مشى للراعي .. قال له: (يا راعي الغنم عطيني حولي والحولي للنجع .. والنجع يعطيني زغراتات .. والزغراتات للوادي .. والوادي يعطيني سيل .. والسيل للسدرة .. والسدرة تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وأم بسيسي تعطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي).

(1) خرايف لبيبة، "أم بسيسي"، جمع: أحمد يوسف عقيلة، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 107 - 115.

(* خروف).

قال الراعي: (عَدَي جيب لي عصا من هذيك الخروبة).

مشى للخروبة .. قال لها: (يا خروبة عطيني عصا .. والعصا لراعي الغنم .. وراعي الغنم يعطيني حويلي ..
والحويلي للنجع .. والنجع يعطيني زغراتات .. والزغراتات للوادي .. والوادي يعطيني سيل .. والسيل للسدرة ..
والسدرة تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وام بسيسي تعطيني ذويلي
نلعب عليه يوم العيد قَدَام خوالي).

قالت الخروبة: (عَدَي جيب لي جرو من هذيك الكلبة).

مشى للكلبة .. قال لها: (يا كلبة عطيني جريو .. والجريو للخروبة .. والخروبة تعطيني عصا .. والعصا لراعي
الغنم .. وراعي الغنم يعطيني حويلي .. والحويلي للنجع .. والنجع يعطيني زغراتات والزغراتات للوادي .. والوادي
يعطيني سيل .. والسيل للسدرة .. والسدرة تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام
بسيسي .. وام بسيسي تعطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قَدَام خوالي).

قالت الكلبة: (عَدَي جيب لي سلا من هذيك الفرس).

مشى للفرس .. وقال لها: (يا فرس عطيني سلا .. والسلا للكلبة .. والكلبة تعطيني جريو .. والجريو للخروبة ..
والخروبة تعطيني عصا .. والعصا لراعي الغنم .. وراعي الغنم يعطيني حويلي .. والحويلي للنجع .. والنجع يعطيني
زغراتات والزغراتات للوادي .. والوادي يعطيني سيل .. والسيل للسدرة .. والسدرة تعطيني نبق .. والنبق للعنز ..
والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وام بسيسي تعطيني ذويلي نلعب عليه يوم العيد قَدَام خوالي).

قالت الفرس: (عَدَي جيب لي غمر من هذوك الحصادة).

مشى للحصادة .. قال لهم: (يا حصادة عطوني غمر .. والغمر للفرس .. والفرس تعطيني سلا .. والسلا للكلبة ..
والكلبة تعطيني جريو .. والجريو للخروبة .. والخروبة تعطيني عصا .. والعصا لراعي الغنم .. وراعي الغنم يعطيني
حويلي .. والحويلي للنجع .. والنجع يعطيني زغراتات .. والزغراتات للوادي .. والوادي يعطيني سيل .. والسيل للسدرة
.. والسدرة تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وام بسيسي تعطيني
ذويلي نلعب عليه يوم العيد قَدَام خوالي).

الحصادة قالوا: (عَدَي سن لنا المناجل عند الحداد).

مشى للحداد .. قال له: (يا حداد سن لي المناجل .. والمناجل للحصادة .. والحصادة يعطوني غمر .. والغمر
للفرس .. والفرس تعطيني سلا .. والسلا للكلبة .. والكلبة تعطيني جريو .. والجريو للخروبة .. والخروبة تعطيني
عصا .. والعصا لراعي الغنم .. وراعي الغنم يعطيني حويلي .. والحويلي للنجع .. والنجع يعطيني زغراتات ..

والزغرات للوادي .. والوادي يعطيني سيل .. والسيل للسدر .. والسدر تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وام بسيسي تعطيني ذولي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي).

قال الحداد: (عدّي اقبس لي نار من هذاك البيت).

مشى للبيت .. قال لهم: (يا هل البيت عطوني نار .. والنار للحداد .. والحداد يسن لي المناجل .. والمناجل للحصادة .. والحصادة يعطوني غمر .. والغمر للفرس .. والفرس تعطيني سلا .. والسلا للكلبة .. والكلبة تعطيني جريو .. والجريو للخروبة .. والخروبة تعطيني عصا .. والعصا لراعي الغنم .. وراعي الغنم يعطيني حويلي .. والحويلي للنجع .. والنجع يعطيني زغرات .. والزغرات للوادي .. والوادي يعطيني سيل .. والسيل للسدر .. والسدر تعطيني نبق .. والنبق للعنز .. والعنز تعطيني حليب .. والحليب لام بسيسي .. وام بسيسي تعطيني ذولي نلعب عليه يوم العيد قدام خوالي).

هل البيت حنوا عليه .. حرام في العيد يبقى بلا ذيل يلعب عليه .. عطوه نار .. وعطوه قصعة مثرودة .. وشكوة لبن وركبوه على حمار.

عرّض له هذاك الذيب يعرج .. يعكز .. وقال له: (كراعي واجعني .. اردفني وراك) .. ركبّه .. تمّا الذيب يشرب في اللبن .. وياكل في المثرودة .. وبعدها قال: (نزلني هنا وصلت) .. نزلّه وعدّا في سبيل حاله.

عطش الفوير وجاع .. يريد يشرب لقي الشكوة فارغة .. والقصعة منزّهة .. قال للحمار: (الذيب ضحك علينا .. شرب اللبن وكل المثرودة) .. وجعته .. قعد يخمم: (أيش ندير؟ أيش ندير؟) .. بعدها قال للحمار: (هيا لقطرة الذيب .. ودير روحك ميت في فم الحقة) .. رقد الحمار علي ظهره .. نفخ بطنه .. وفتح فمه .. وتمّا الذبان يخش فيه.

قالت الضبّاحة للذيب: (حلمت البارح لاوين حمار ميت قدام قطرتنا) .. قال الذيب: (خير .. وما يرجع إلا خير) .. طلع .. لقي الحمار .. بطنه منتفخة .. قال للضبّاحة: (تعالني ريتي حلمك متمدد في فم القطرة .. يا فتّاح يا عليم .. هذا منام يخرف تخريف) .. جابوا حبل .. ربطه الذيب في رقبته .. وطرف الحبل لآخر ربطه في رقبة الحمار .. وقعد يكرّ .. يسحب .. نخط الحمار وقفز .. وراح يكركر في الذيب .. يجري ويبرطع .. قعد الذيب يعوي ويقول: (يا قاطش وذني والشبرق .. يا قاطش ما نلعب شي .. يا قاطش وجهي والشوك .. يا قاطش ما نلعب شي) .. نين سلخ جلده.

رد الذيب للقطرة .. قال للضبّاحة: (اقطع مناماتك إن كان قعدت برّة كلني الحر .. وإن كان خشيت جوا كلني الذر).

الفار جاب النار المقبوسة للحداد .. والحداد سن له المناجل .. والمناجل للحصادة .. والحصادة حصدوا غمر .. والغمر للفرس .. والفرس عطاته سلا .. والسلا للكلبة .. والكلبة عطاته جريو .. والجريو للخروبة ينبج تحت منها .. والخروبة قطعت له من فرعها منهرة .. والمنهرة لراعي الغنم .. وراعي الغنم عزل له حويلي .. والحويلي للنجع ..

والنجع عطاءه زغرانات .. زغرتن للوادي .. فاض وعطاه سيل .. والسيل جرى للسدره .. والسدره رويت وحتت له نبق .. والنبق للنعز .. والنعز درت حلبت له حليب مرغوي .. والحليب لام بسيسي .. وام بسيسي عطاته ذويلة يلعب عليه يوم العيد قدام خواله.

ونا جيت جاي .. وهم عدوا غادي .. مرحبة بك .. انتي خير منهم).

عند التأمل في خرافة "أم بسيسي" رغم الإطار الخيالي فيها، فإننا نجد شيئاً من الواقعية فيما يخص العلاقة السببية فيها، فعلى سبيل المثال، هناك علاقة: بين الحليب والنعزة، والنعزة والنبق، والنبق والسدره، والسدره والوادي، والوادي والسيل، والسيل، والزغرادات والنجع، والنجع والكبش، والكبش والراعي، والراعي والعصا، والعصا وشجرة الخروب، والجرو والكلبة، والكلبة والسلا، والسلا والفرس، والفرس والحصيد، والحصيد والحصاد، والحصاد والمناجل، والمناجل والحداد، والحداد والنار، والنار وأهل البيوت، وأهل البيوت والرحمة والإنسانية.

في حين هناك علاقات غير حقيقية أو قل غير واقعية، مثل العلاقة بين: الزغرادات بالوادي، فليس حقيقياً أن ينتظر الوادي الزغرادات لتزغرد حتى يسيل، كذلك ليس حقيقياً أن شجرة الخروب تحتاج للكلبة لترقد تحتها مثلاً.

يُطلق على هذا النوع من القصص قصص "الحلقات المسلسلة"، وهي موجودة في العديد من بلدان العالم، ففي مصر نجد مثيلتها قصة: "وحصاني دخل الخزنة، والخبزنة عايزة سلم، والسلم عند النجار، والنجار عايز مسمار، والمسمار عند الحداد، والحداد عايز فلوس، والفلوس عند الصراف ... وهكذا⁽¹⁾. كذلك مثيلتها من أفريقيا قصة "المعلم جوزو" وهي إحدى القصص التي قام "الشريف" بترجمتها، ففي إحدى الصباحات وجد التلاميذ معلمهم جوزو ميتاً تحت شجرة جوز الهند، ويقعة كبيرة من الدم على رأسه، وثمره جوز الهند ملقاة بجواره، فعزموا على معرفة القاتل للاقتصاص منه.

تقول الحكاية: "ذهبوا إلى ربح الجنوب، فقالت: كيف يمكنني أن أفعل هذا..؟ لو كنت قوية .. هل أقف عاجزة أمام حائط الطين..؟ ذهبوا إلى بازا حائط الطين، فقال: كيف يمكنني قتل جوزو..؟ فلو كنت قوية لمنعت الفأر بانجا من حفر جوره في جسدي. ذهبوا إلى الفأر بانجا، فقال: كيف يمكنني أن أفعل هذا .. ؟ فلو كانت الفئران قوية لمنعت القط باكا من أكلها. ذهب التلاميذ إلى القط باكا، فقال: كيف يمكنني قتل المعلم جوزو..؟ فلو كنت قوية فهل يستطيع

(1) ينظر: في أدب الأطفال، د.علي الحديدي، مرجع سابق، ص 179.

الحبل كامبا الالتفاف حول رقبتني ..؟" ذهبوا إلى الحبل كامبا، فقال: كيف يمكنني قتل المعلم، فو كنت قوياً لمنعتُ السكين كيسو من قطعي..؟ ذهبوا إلى السكين كيسو، فقال: كيف يمكنني قتل المعلم، فلو كنت قوياً لمنعتُ النار موتو من حرقني..؟ ذهبوا إلى النار موتو، فقالت: كيف يمكنني قتل المعلم، فلو كنت قوياً لمنعتُ الماء ماجي من إطفائي والقضاء عليّ..؟ ذهبوا إلى الماء ماجي، فقال: كيف يمكنني قتل المعلم جوزو، فلو كنت قوياً لمنعتُ الذبابة إنزي من شربي..؟ ذهبوا إلى الذبابة إنزي، فقالت: كيف يمكنني قتل جوزو ..؟ فلو كان الذباب قوياً لمنع القرد تانجا من أكله. ذهب التلاميذ إلى القرد تانجا الذي اندهش عندما رآهم، قال له التلاميذ، إنه هو الذي قتل المعلم جوزو. اعتقد القرد تانجا أنهم يملكون الدليل على قولهم فاعترف، نعم أنا قتلتُ المعلم، لكن كيف عرفتم..؟، قال التلاميذ: أنت تأكل الذباب، والذباب يشرب الماء، والماء يطفئ النار، والنار تحرق السكين، والسكين يقطع الحبل، والحبل يربط الفط، والقط يأكل الفأر، والفأر يعمل جحراً في الحائط، والحائط يسد الريح، والريح تهز الشجرة فتسقط منها ثمرة على رأس المعلم جوزو. قالوا له: ما كان يجب أن تفعل هذا. فقد القرد تانجا القدرة على الكلام رغم أنه لم يكن هدف التلاميذ، فلم يكن معهم دليل ضده، لكنه اعترف وانقضى الأمر⁽¹⁾.

أمّا حكاية الشريف "عصفور اللون الأبيض" يمكن تصنيفها بأنها تعليمية معرفية، فيها كل شيء له علاقة حقيقية أو سببية بآخر، ليخرج بها من الطابع الخرافي الصرف، إلى الواقعية ولكن في إطار خيالي، وقد استغلَّ الشريف هذا الأسلوب الشيق الذي عايش جماله طفلاً؛ ليعرّف القارئ الصغير ببعض العلاقات التي تربط بعض المخلوقات والظواهر الطبيعية ببعضها، ورغم ما في هذا الأسلوب من تكرار، فإنَّ هذا التكرار هو أحد أسباب الانجذاب والمتعة عند الأطفال، ولا يبعث على الملل كما هو معروف عن التكرار عادةً، وإذا استطاع الكاتب أن يصل إلى عقل الطفل ووجدانه معاً فقد حقّق هدفه.

يقول الشريف في حكاية (عصفور اللون الأبيض): "في يوم من الأيام جاع عصفور اللون الأبيض فذهب إلى سنبله في الحقل وقال لها: يا سنبله الحقل الأخضر أعطني حبة قمح أو حبتين.

قالت السنبله: وأنت قل للنهر يعطيني قطرة ماء أروي بها جذوري لأعطيك حبة أو حبتين.

طار العصفور إلى النهر وقال له: يا نهر الماء الرقيق أعطني قطرة ماء أروي بها جذور السنبله لتعطيني حبة قمح أو حبتين.

(1) ينظر: مجموعة "المهر الأسود"، قصة "المعلم جوزو"، ترجمة: يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 368 - 371.

قال النهر: وأنت قل للسحابة تعطيني مطراً يسقيني لأعطيك قطرة ماء تروي بها جذور السنبللة لتعطيك حبة قمح أو حبتين.

طار العصفور إلى السحابة وقال لها: يا سحابة السماء لو تعطي النهر مطراً يسقيني قطرة ماء أروي بها جذور السنبللة لتعطيني حبة قمح أو حبتين.

قالت السحابة: وأنت قل للريح تحملني فوق النهر لأعطيه مطراً يسقيه ليعطيك قطرة ماء تروي بها جذور السنبللة لتعطيك حبة قمح أو حبتين.

طار العصفور إلى الريح وقال لها: لو تحملني السحابة فوق النهر لتعطيه مطراً يسقيه ليعطيني قطرة ماء أروي بها جذور السنبللة لتعطيني حبة قمح أو حبتين.

قالت الريح: وأنت قل للبحر يعطي للسماء بخاراً ليصير سحابة ماء أحملها فوق النهر لتعطيه مطراً يسقيه ليعطيك قطرة ماء تروي بها جذور السنبللة لتعطيك حبة قمح أو حبتين.

طار العصفور إلى البحر وقال له: يا بحر اللون الأزرق لو ترسل للسماء بخاراً ليصير سحابة ماء تحملها الريح فوق النهر لتعطيه مطراً يسقيه ليعطيني قطرة ماء أروي بها جذور السنبللة لتعطيني حبة قمح أو حبتين.

قال البحر: وأنت قل للشمس تعطيني شعاعاً ليصير الماء بخاراً.

طار العصفور إلى الشمس وقال لها: يا شمس اللون الأحمر لو تعطي البحر شعاعاً ليصير الماء بخاراً ثم سحابة ماء تحملها الريح فوق النهر لتعطيه مطراً يسقيه ليعطيني قطرة ماء أروي بها جذور السنبللة لتعطيني حبة قمح أو حبتين.

ضحكت الشمس وقالت: يا عصفور اللون الأبيض، أنت سافرت بعيداً وبعيداً لتتال شعاعاً من ناري.. هذا شعاع مني أعطيه للبحر ليعطى للسماء بخاراً ليصير سحابة ماء تحملها الريح فوق النهر لتعطيه مطراً يسقيه ليعطيك قطرة ماء تروي بها جذور السنبللة لتعطيك حبة قمح أو حبتين.

يا عصفور اللون الأبيض بئغ للكل سلامي"⁽¹⁾.

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، حكاية عصفور اللون الأبيض، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، 2006، ص 65-66.

إنَّ حكاية الشريف تحمل الكثير من الحقائق ولكن في إطار خيالي، فهي تزود القارئ الصغير بكثير من الظواهر التي تكون سبباً لظاهرة أخرى، فالسنابل تحتاج للماء، والماء مصدره الأنهار، التي تغذيها السحب بالأمطار، والسحب يغذيها البحر بالبخر، والبحر يتبخر ماؤه بسبب حرارة الشمس.

■ **حكاية الدجاجة المدّاجة(*)**: تعتمد هذه الحكاية على بطلتين محوريتين إحداهما "الدجاجة المدّاجة" صاحبة البيض، والبطلة الثانية هي "أم بسيسي" التي قامت بإرجاع الدجاجة لِقنّها الذي كانت ترقد فيه على بيضها، الذي طردها منه الذئب المعتدي، كما طرد جميع من جاءوا لمناصرة الدجاجة المدّاجة؛ لترجع هي إلى مكانها، باستثناء أم بسيسي هي لوحدها استطاعت أن ترجع للدجاجة حقّها، وهي مفارقة تجذب الأطفال وتشعرهم بشيء من النشوى والسعادة.

المفارقة في الأمر أنّ العصفورة الصغيرة المعروفة باسم "أم بسيسي" هي التي استطاعت طرد الذئب، بعد أن لطمته على وجهه حتى سال دمه، فهرب تاركاً البيض لتعود صاحبتة لترقد عليه. ربما كان مغزى هذه الخرافة أنّ الشجاعة والحزم أهم من القوة البدنيّة التي يميّز بها البعض من البشر وغير البشر.

تقول الحكاية⁽¹⁾: "كان يا ما كان دجاجة اسمها "الدجاجة المدّاجة" ترقد بسلام على بيضها، في يوم من الأيام جاءها الذئب وأمرها أن تترك بيضها ليرقد هو عليه.

رفضت الدجاجة المدّاجة التخلّي عن بيضها فضربها وطردها بالقوة.

ذهبت الدجاجة المدّاجة باكية إلى صديقها الثور.. وأخبرته بما فعل الذئب الذي طردها ورقد على بيضها.

ذهب الثور إلى الذئب الذي وجده راقداً على بيض الدجاجة المدّاجة، وأمره أن يترك البيض لترقد عليه الدجاجة المدّاجة، رد عليه الذئب: أنت من؟ فقال له: أنا الثور جبّاد المظمور. ردّ عليه الذئب: إذا كنت الثور جبّاد المظمور لماذا يضربك العبد يا مقهور.

عندها خجل الثور وذهب.

ثم ذهبت الدجاجة المدّاجة إلى النسر واشتكت إليه ما فعله الذئب الذي طردها ورقد على بيضها.

ذهب النسر إلى الذئب، وأمره أن يترك البيض لترقد عليه الدجاجة المدّاجة. رد عليه الذئب: من أنت؟ أجابه: انا النسر، أصابعي مثل البسر^(**)، وعمامتي مثل القصر. رد عليه الذئب: إذا كنت أنت النسر، وأصابعك مثل البسر، وعمامتك مثل القصر، ليش تشم البايّة في مصر وتصلها بين مغرب وعصر؟! عندها خجل النسر وذهب.

ذهبت الدجاجة المدّاجة إلى الغراب، وأخبرته بما فعل الذئب لها.

(*) تبدو الكلمة وكأنّها وصفٌ للدجاجة، ولكن الباحثة لا تظن أنّ للكلمة معنى، وإنّما أتت بها للجرس الصوتي فقط.

(1) حاولت الباحثة تقريب الحكاية للغة الفصحى.

(**) البسر: في اللهجة الليبية هو البلح غير الناضج.

جاء الغراب إلى الذئب وأمره أن يترك البيض لترقد عليه الدجاجة المداجة.
سأله الذئب: من أنت؟ أجابه الغراب: أنا الغراب طويل النقاب (*). رد الذئب: إذا كنت الغراب طويل النقاب، إيش سؤدك بين السماء والسحاب يا كذاب.

عندها ولَّى الغراب خجلاً!

ذهبت الدجاجة المداجة إلى الصردوك (**)، وأخبرته بفعلة الذئب.

ذهب الصردوك إلى الذئب، وأمره بأن يترك البيض لترقد عليه الدجاجة المداجة.

سأله الذئب: من أنت؟ أجابه قائلاً: أنا الصردوك ضافي البمبوك (***) . رد عليه الذئب: إذا كنت الصردوك ضافي البمبوك، لماذا تبحث في الخرى بمناخرك؟! .

ولَّى الصردوك خجلاً.

عند ذلك ذهبت الدجاجة المداجة إلى "أم بسيسي"، وأخبرتها بفعلة الذئب.

ذهبت أم بسيسي إلى الذئب وأمرته بأن يترك البيض لترقد عليه الدجاجة المداجة.

سألها الذئب: من أنت؟ أجابته: أنا أم بسيسي سيئة نرتع تحت الشاوية.. موسين ما ذبحني.. جملين ما حملني.. قدرين ما طبخني.. ونضرب فرخ الذئب حتى يسيل دمه..

وضريت أم بسيسي الذئب بمنقارها على وجهه، فهرب الذئب مبتعداً ودمه يسيل على وجهه.

وجاءت الدجاجة المداجة ورقدت على بيضها.

تلتقي الحكايتان في استعانة المستضعف بمن يراهم أقوياء، لمساعدته على إرجاع حقه ممن ظلمه، فكما لجأت الدجاجة المداجة بمن حولها من الأقوياء ليرجعوها إلى بيضها الذي استولى عليه الذئب ورقد عليه، كذلك عصفير الشريف في حكاية "عند الرحيل لا تغني العصفير" التي كانت تعيش هائنة في غابتها الجميلة، حتى دخل عليها دخيل ظالم من بني البشر، وأخذ فيها تقتيلاً ببندقته، كما كان يسرق بيضها، استتجبت تلك العصفير بمن حولها من الأقوياء الذين يشاركونها تلك الغابة، استتجبت بهم واحداً واحداً لكن الصياد تمكّن منهم جميعاً، هذا ما حدث - تقريباً - بمن استتجبت بهم الدجاجة المداجة في الخرافة الشعبية، كما تلتقي الحكايتان أن جميع المستجذب بهم ذهبوا إلى المعتدي بثقة، لكن كانت النتيجة بعد ذلك إما الهزيمة كما في حكايتنا الشعبية باستثناء أم بسيسي، أو القتل من قبل المعتدي كما حكاية الشريف.

(* المنقار.

(**) الديك

(***) عظيم الهيئة.

لكن نهاية حكاية الشريف كانت مختلفة تماماً عن حكاية الدجاجة المداجة، فلم يكن هناك منقذ استثنائي كما كان في حكاية الدجاجة المداجة، حيث اضطرت عصافير الشريف إلى الهجرة إلى غابة بعيدة أكثر أمناً.

كان من الأنسب أن يجد الشريف مخرجاً آخر لهذه العصافير المظلومة، لتبقى في غابتها التي تمثل وطنها الغالي، ليرسل الكاتب رسالة إيجابية للقارئ الصغير، قد يكون هذا المخرج عن طريق الاتحاد كما هو في قصص وحكايات أخرى، أو الحيلة وإعمال العقل، فالحرب خدعة كما يقال، ومن حق المظلوم أن يعمل المستحيل دفاعاً عن حقوقه المسلوبة.

يقول الشريف في حكايته: في الغابات التي لا تحدّها عين أو قدم، تسكن العصافير، جاءت إليها من كل أطراف الدنيا واتخذت لها مقاماً بها، إلا أنها لم تحتمل ما يفعله الصياد معها منذ زمن طويل، فكلمها ولد صغير قنصته بندقية الصياد، وكلمها شيدت عشاً سرق الصياد بيضه، حتى أصبحت حياتها خوفاً دائماً.

قال واحد منها: يجب أن نفعل شيئاً وإلا قضى علينا الصياد واحداً واحداً. قالوا جميعاً: ليس هناك من يحمينا من بطشه سوى الأسد. ذهبوا إلى الأسد في عرينه. قالوا: أيها الأسد، يا سيد الغابات، جئناك نطلب الحماية من الصياد.

- الصياد؟ هل هو ذلك العجوز؟ إنني أراه أحياناً يمر من أمام قصري.

- إنه هو .. أفعل شيئاً يمنعه من صيد العصافير!

فكر الأسد قليلاً: قال: اذهبوا مطمئنين، فلن يقتل الصياد عصفوراً بعد اليوم. لكن الصياد قتل الأسد وصنع من جلده فراشاً ينام عليه.

ذهبت العصافير إلى الفيل:

- أيها الفيل، يا صديق الأطفال، هل يرضيك ما يفعله الصياد؟

- الصياد؟! إنه رجل طيب، فكثيراً ما أحضر لي غداء أو عشاء.

- إنه يخدعك، لكي توافق على ما يفعل.

- وماذا يفعل؟

- إنه يقتل العصافير.

- هذا مستحيل، فالعصافير تغني.

- لكن الصياد لا يحب الغناء.

- إذا كان صحيحاً ما أسمع فإني سأسحق هذا الصياد بقدمي. اذهبوا مطمئنين، فلن يقتل الصياد عصفوراً بعد اليوم. لكن الصياد قتل الفيل وصنع من نابه عقداً لزوجته.

ذهبت العصافير إلى الثعلب: يا ثعلب البراري، يا سيد المكر والخداع، إن الصياد يقتل العصافير وغداً يقتل الثعلب.

- ما هذا الذي أسمع؟ لماذا يقتلني الصياد؟

- هل نسيت أن جلود الثعالب ثمينة؟

- إنه لن يجرواً على فعل هذا.

- ألم تسمع أن الصياد قتل الفيل وقتل الأسد؟

- اذهبوا مطمئنين، فلن يقتل الصياد عصفوراً بعد اليوم.

لكن الصياد قتل الثعلب وصنع من فرائه قبة لزوجته.

ذهبت العصافير إلى الأفعى: أيتها الأفعى، يا ذات الأجراس، هل سمعت بما يفعله الصياد؟

- لا .. لم اسمع، ولا يهمني أن أسمع!.
- إن الصياد يقتل عصافير الغابات وغداً يقتل كل الحيوانات.
- إن الصياد يخشاني .. بالأمس أوشكت أن أقضي عليه عندما أزعجني أثناء نومي، لكنه فرَّ هارباً.
- ألم تسمعي بأن الصياد قتل الأسد، وقتل الفيل، وقتل الثعلب؟
- إن الأسد مغرور، والفيل غبي، أما الثعلب فأحمق، لكن الأفعى ذكية.
- إن من يقتل الأسد، يستطيع أن يقتل الأفعى .. إنه يملك بندقية!
- غضبت الأفعى وقالت: أنا لا أخشى الصياد.

لكن الصياد قتل الأفعى وصنع من جلدها حذاء لزوجته.

ذهبت العصافير إلى التمساح: يا تمساح النهر الواسع، انهض.

- من هذا الذي يناديني؟
- نحن عصافير الغابات.
- وماذا تريد عصافير الغابات مني؟
- جنناك نشكو قسوة الصياد.
- انتفض التمساح وصرخ: الصياد، إنه عدوي اللدود.
- إنه يقتل عصافير الغابات.
- ضحك التمساح واستراح، وقال مقهقهاً: وما شأنني أنا بهذه القصة السخيفة؟
- لقد دخل الصياد الغابة وهو يملك بندقية!..
- إن بندقية صيد العصافير لا تقتل تمساحاً!
- لكن الصياد قتل التمساح وصنع من جلده حقيبة جميلة لزوجته.

أيقنت العصافير أن الصياد هو سيد الغابات لأنه يملك بندقية. وحات في أمرها، ولم تعرف حلاً لمشكلتها حتى قال واحد منها: فلنهاجر إلى غابات بعيدة.

وهكذا، وفي صباح يوم حزين لم يغرد فيه عصفور، ولم تتفتح فيه زهرة، أخذت العصافير تجمع صغارها وتودع أعشاشها لتبدأ رحلة طويلة نحو غابات بعيدة لا يوجد بها صياد ولا بندقية.

في اليوم التالي، وبعد رحيل العصافير عاد الصياد مثل كل يوم، جذلان فرحاً مزهواً بقوته، لكنه لم يجد الغابات، فالأشجار احترقت والأزهار نضب رحيقها، النهر الواسع جف مجراه، والأرض لبست ثوباً أسود، والشمس رحلت إلى غابات بعيدة، والنجوم لم تعد تتلألأ، والقمر توارى خلف السحب السود حزناً على رحيل العصافير.

بحث الصياد هنا، وبحث هناك، ثم أراد أن يستريح، فأتكأ على جذع شجرة لكن الشجرة نفضته وألقت به بعيداً وهي تصرخ: لا تلمسني يا قاتل العصافير.

كما كان هذا الأسلوب أوضح ما يكون في قصة "سعد وسعيد ومسعود"، وتحديداً في بداية القصة التي بدأها بعبارة نقلت حرفياً من الموروث الشعبي، حيث كانت من ضمن اللوازم التي يبدأ بها الراوي عند روايته للخرافات والحكايات

الشعبية⁽¹⁾، حيث بدأها بقوله: "كان فيه مرة سلطان، وما سلطان إلا الله، ومن كانت عليه ذنوب يقول: استغفر الله"⁽²⁾.

■ بعض الحكايات كان فيها بعض أبطال قصصه بأسمائهم الشعبية المحليّة مثل: قصة "حاكم بلا رعية": التي استخدم فيها أسماء محلية لبعض أنواع الطيور، مثل: "بو شعيرة" و"بو زريق"، و"بو سيقان"، و"الحرراوية"، و"الخطيف"⁽³⁾.

وفي هذه القصة تصدّرت "أم بسيسي" البطولة، وقد استدعاها الكاتب من التراث الشعبي، وهي تحمل الاسم نفسه والصفات نفسها التي تُعرف بها في الحكايات الشعبيّة، فهي دائماً تتميز بالحكمة والشجاعة والحزم، ففي هذه الحكاية وصفها الشريف عند حديثه عن بعض طيور الغابة بقوله: "تجمعت في بيت الحكيمة" أم بسيسي⁽⁴⁾، وفي قصة "الثعلب والأرنب"، لم يذكر الكاتب اسم العصفورة البطلة، ولكن قارئ القصة يستشعر عند قراءتها أنّ العصفورة المقصودة هي "أم بسيسي"، فهي تحمل الصفات التي اشتهرت بها في التراث الشعبي في ليبيا.

2. الأمثال الشعبيّة: بعض القصص كانت مستمدة من الأمثال الشعبيّة المعروفة في ليبيا، وهو ما يطلق عليه النقّاد "التحويل"، حيث كانت بعض القصص في الأصل مثلاً من الأمثال الشعبيّة الشائعة في ليبيا، وهي: قصة "بنة الراعي" التي حملت معنى المثل الشعبي "صنعة اليدين ولا مال الجدين"، أو "يوبا مال الجدين وتعد صنعة اليدين"، أو "اللي ما عنده صنعة ما عنده منعة"، أو "اللي يخدم صنعة اطيعه"، وجميع هذه الأمثال تحمل قيمة واحدة هي قيمة أن يكون لدى الإنسان صنعة ما يجيدها يكسب منها رزقه، وقصة "أم السعد وولدها الكذاب" التي حملت معنى المثل "حيل الكذب قصير"، وقصة "العصفور والشجرة" التي حملت معنى المثل القائل: "كل طير يقول وكري وكري" وقصة "القوي بمفرده ضعيف"، التي حملت معنى المثل: "الكثرة تغلب القوة" أو المثل القائل: "حمل الجماعة ريش".

(1) ينظر: خرايف لبيبة، أحمد يوسف عقيلة، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008، ص 24، كما ينظر: بدايات ما ورد في هذا الكتاب من خرافات.

(2) سلسلة قصص لبيبة للأطفال، "سعد وسعيد ومسعود"، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

(3) ينظر: سلسلة قصص لبيبة للأطفال، "حاكم بلا رعية"، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981، د.ترقيم.

(4) ينظر: سلسلة قصص لبيبة للأطفال، "حاكم بلا رعية"، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

ثالثاً: الرسوم والألوان والصُّور (التَّصوير):

يؤكد النُّقاد على الدور المهم الذي يلعبه الرسم والتصوير في كتب الأطفال، وتزداد هذه الرسوم أهمية كلما كان الأطفال أصغر سناً، وأقل معرفة بالقراءة، وذلك في المراحل الأولى للطفولة التي يكاد يكون الرسم والتصوير اللغة الوحيدة المعبرة فيها⁽¹⁾.

كما تُعد الرسوم في قصص الأطفال من عوامل جذب الاهتمام وإثارة الخيال حيث يعتمد عليها اعتماداً أساسياً في نقل الأفكار والمعاني المطلوب توصيلها للأطفال، بالإضافة إلى أنها تُسهم في تكوين صورة عقلية لأحداث القصة كما أنَّ للرسوم دوراً مهماً في تعزيز الإدراك وتنمية الحس الجمالي وإغناء النص وإثرائه والمساعدة على فهمه⁽²⁾.

والاحتفال بالرسوم في قصص الأطفال في مراحلهم الأولى، مرجعه أنَّ الحصيصة اللغوية لهؤلاء الأطفال لا تمكّنهم من فهم كل المضامين التي تقدّم إليهم، هذا بالإضافة إلى اعتمادهم على حاسة البصر في التعرف على العالم المحيط بهم، لذلك يجب أن تعتمد قصصهم اعتماداً كبيراً على الصور والرسوم مع مراعاة أسلوب الرسم الذي يناسب كل مرحلة عمرية⁽³⁾.

"وتحظى الرسوم باهتمام كبير في قصص الأطفال، بل يعتبر وجودها ضرورياً في المراحل المبكرة من العمر، ففي مرحلة ما قبل الكتابة من سن (3 - 6) سنوات وعند تقديم قصة يكون أبطالها من حيوانات الغابة - قصص الحيوانات هي المفضلة عادةً في هذه المرحلة - كان من المحتم وجود الرسوم المصاحبة للقصة لعدة أسباب، منها أنَّ الطفل في هذه المرحلة المبكرة من سنه لا يعرف الكثير مما يوجد في البيئة القريبة والبعيدة، فهو مثلاً لا يعرف شكل الثعلب أو الزرافة أو الفيل .. إلخ، والسبب الآخر أنَّه لا يجيد القراءة بشكل جيد أو لا يجيدها مطلقاً فكان طبيعياً اعتماده على القصص المرسومة، ثم يتدرج بعد ذلك فتكون الرسوم مع وجود كلمات قليلة جداً، ويتزايد عدد الكلمات والجمل

(1) ينظر: أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 221.

(2) ينظر: قصص الأطفال وفن روايتها، أمل خلف، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2006، ص 92.

(3) ينظر: المصدر السابق نفسه، والصفحة نفسها.

مع تقدُّم سن الطفل؛ لأنَّ ذلك مرتبط بالمرحلة التي يمرُّ بها، إضافةً إلى أنَّه سريع الملل فليس من المناسب له الإكثار من الكلام وتطويل الجمل والعبارات⁽¹⁾.

ولا بدَّ للرسوم المصاحبة أن تخدم النص، وأن تساعد الطفل على فهمه، وتغرس في الطفل القيم الجماليَّة وحب الجمال، وألا تخل بقيم المجتمع وعاداته، ويفضَّل أن تكون ملونة⁽²⁾.

وهذا ما يؤكِّده أحد الباحثين بقوله: "إنَّ اعتماد الرسم في الكتب والقصص أمر أساسي، لا يؤلَّف عنصراً إخراجياً فحسب، بل هو مادةٌ أدبيَّة وفنيَّة، لها قيمة جماليَّة، وثقافيَّة، فقد يؤثر الرسم سلباً على النص، وقد يحقق الغرض المرجوَّ منه"⁽³⁾.

وهناك بعض المعايير التي ينبغي مراعاتها في الرسوم المصاحبة لقصص الأطفال، وهي⁽⁴⁾:

- أن تكون مساحة الصورة أكبر من مساحة النص، ويفضل أن تكون المساحة المخصصة للصورة من 80% إلى 90%.

- أن تقل تفاصيل الرسوم مع صغر السن، وذلك لأنَّ كثرة التفاصيل تترك الطفل وتشتت انتباهه، وكلما زاد سن الطفل تزداد التفاصيل في الرسوم.

- أن تظهر الرسوم الشيء بكامله وليس جزءاً منه.

- أن تصف الرسوم الأشياء على حقيقتها من حيث الشكل واللون.

- أن يوضح الرسم الفكرة التي تتناولها القصة حيث يجسم الفكرة ويجسم الشخصيات، وتصبغ الفكرة بجو المرح والفكاهة كأن يلبس الأرنب ملابس الطبيب ويرتدي نظارة وسماعة ويمشي على قدميه.

- أن تكثر في الرسوم الحركة والحياة، وأن تكون واضحة غير معقدة.

(1) في أدب الأطفال، علي الحديدي، مرجع سابق، ص 129.

(2) أدب الطفل في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2000، ط 1، ص 235.

(3) ينظر: الرسوم التوضيحية والشكل والإخراج، أحمد عازم، مجلة مرايا، العدد الأول، أيلول/2015، ص 52.

(4) قصص الأطفال وفن روايتها، أمل خلف، مصدر سابق، ص 92 - 93.

- أن تتناسب الرسوم مع النص فلا تأتي قبل سرد الحادثة ولا بعدها ولا تناقض ما يمليه النص.
- أن تتناسب مع خصائص الأطفال النفسية في مختلف مراحل النمو.
- أن تبتعد عن الرسوم الكاريكاتورية.

وللرسوم المصاحبة في كتب الأطفال أهداف تربويّة، منها ما يلي:

- تنمية المدركات العقلية للطفل.
- تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو البيئة، وما تحويه من جماد ونبات وأشجار وحيوان وإنسان، وذلك للتعرف عليها، وبيان فوائدها، وطرائق استثمارنا لها.
- تنمية الميول والمواهب.
- إثارة الخيال عند الطفل، وتشجيعه على الإبداع والابتكار.
- تنمية مهارات التذوق الفني، وتربية الحس الجمالي لدى الطفل⁽¹⁾.

الطريقة المتبعة عند استخدام الرسوم المصاحبة للنصوص الموجّهة للأطفال:

1. رسوم دون نص، فهي تحل محل النص، فهي تأخذ المساحة كلها، وذلك في مرحلة قبل القراءة.
2. رسوم مع نص محدود الكلمات، فالرسوم تأخذ مساحة كبيرة جداً على عكس مساحة النص، وذلك قبيل تعلّم القراءة.
3. رسوم ذات مساحة مساوية لمساحة النص، وذلك في فترة تعلّم القراءة، فخيال الطفل في هذه المراحل لا يزال مقيّداً بالبيئة من حوله، وكثير من الأسماء والتعبيرات تحتاج لترجمة عن طريق الرسوم المصاحبة.

4. نصوص دون رسوم مصاحبة، فهي تكاد تخلو من الرسوم لعدم الحاجة إليها، وذلك ما بعد تعلّم القراءة وإتقانها، وهي عادة في فترة الطفولة المتأخرة أو مرحلة المراهقة، ففي هذه المرحلة يكون الطفل

(1) ينظر: قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية، أ.د.سمير عبد الوهاب أحمد، دار المسيرة، عمان، ط 1، 2004 م، ص 265 - 266.

قادراً على فهم الكثير من التعبيرات اللغوية والمعاني التجريدية، والصور الخيالية، فعالمه أرحب وأوسع ممّا يمكن أن يصوره مصور.

والرسوم في كتب الأطفال - حسب رأي النقاد - وسيلة تزيين تثري مظهر الورقة ومكانها حول النص أو في الأشكال التي تعطي الرسم التوضيحي، ووسيلة إيضاح للنص تحيي وتميّز الأبطال المذكورين في النص والزمن والمناظر التي تكون أحياناً غير موصوفة في النص، ووسيلة تفسير توسع الأوضاع التي في النص وتؤكددها وتكملها أو تضيف عليها تبعاً للعالم الثقافي الخاص بالرسام، ووسيلة تخلق جواً مضحكاً أو حزيناً أو حالماً...، وتقوم الرسوم بوظائف أربع هي:

1. الوظيفة التعليمية المعرفية: لقد كانت بداية الرسم التوضيحي في كتب الأطفال تهدف إلى المساعدة في نقل مضامين تعليمية مجردة واستيعاب المعلومات اللغوية، أما الوظيفة التي قام بها الرسم المصاحب فهي توضيح المصطلحات النصية المجردة وإعطاء أمثلة على ظواهر بعيدة عن عالم الطفل، وتوفير تسلييات بصرية لعملية التعلم، وقد توسّعت هذه الوظيفة مع مرور الوقت.

2. الوظيفة القيمية: لقد أدرك أدب الأطفال الذي يستعمل الرسوم المصاحبة منذ ولادته كمنتج استهلاك ثقافي، أنه يعكس مجموع الفلسفات التربوية والجوانب الثقافية والقيمية الخاصة بالمجتمع الذي أنتج فيه.

3. الوظيفة الفنية الجمالية: إنّ الرسوم المصاحبة إنتاج فني ومصدر للمتعة الجمالية من عدّة نواحٍ منها اللغة وشكل الجمل التي تماثل الفن التشكيلي.

أمّا الاعتراف بأهمية الرسوم المصاحبة كإنتاج فني وبالكتاب الذي يحوي رسوماً من هذا النوع كقطعة فنية، فقد جاء متأخراً نسبياً من الناحية التاريخية، وجاء هذا الاعتراف من ناحية ثقافية بعدما تجذرت الوظيفتان السابقتان عند المحرّرين.

والرسم المصاحب كإنتاج فني، هو رسم يوضّح ويعطي مثلاً، بجانب النص المعطى، أو الفكرة أو الإحساس أو القيمة أو مضمون حياتي آخر الذي كان بمثابة إحياء للرسام، وليس من السهل التمييز بين الرسم التوضيحي والرسم.

4. الوظيفة النفسية العلاجية: إنّ هذه الوظيفة هي ثمرة الاعتراف المتزايد بالحاجة للتفهم والتطّلع

الذاتي، الذي بدأ يدخل إلى أدب الأطفال كجزء من العمليّات الاجتماعيّة التي بدأت في الستينيّات من القرن العشرين، وما حظي بها العلاج النفسي في الحياة اليوميّة في الغرب.

وفي أدب الأطفال الحالي الذي لا يصف كما في الماضي واقعاً "مثاليّاً" فقط، فبدأ يكشف منذ السبعينيّات واقعاً أليماً وعالماً داخليّاً من المعاناة، التي تتبع من أسباب مختلفة، لذلك فعلى الرسم التوضيحي أن يعطي تعبيراً صادقاً ومناسباً، وهذا هو السبب في القرب بين الوظيفة النفسية والوظيفة الفنية؛ لأنّ الرسم المصاحب الجيد يمكنه أن يوقظ في الناظر تجارب شعوريّة من التضامن والتفهم والنشوة.

وعليه، ففي كتب الأطفال في العقود الأخيرة بدأت تظهر مضامين مؤلمة لم يتعوّد الكتاب أن يعبروا عنها في أدب الأطفال في الماضي، مثل الطلاق والموت والمرض والوحدة والخوف والتوتر وواقع الحروب والفقر والحرمان العرقي ... وغير ذلك، فعلى الرسم المصاحب أن يعبرّ بواسطة عمليّات سايكوباتية، وأن يقترح حلولاً للصمود أمام مختلف أوضاع المعاناة⁽¹⁾.

(1) ينظر: الرسوم التوضيحية والشكل والإخراج، أحمد عازم، مرجع سابق، ص 53 - 56.

الرُّسوم في قصص الشريف

وقع "يوسف الشريف" في فخ المفاضلة بين اللُّغة والرُّسوم في النَّص الموجَّه للأطفال! مخالفاً بذلك رأي النِّقاد الذين أخضعوا الرُّسوم في كتب الأطفال عموماً وفي قصصهم خصوصاً لمعايير وقواعد ملزمة لكل من يتصدَّى للكتابة للأطفال، بعض هذه المعايير راعت المراحل العمريَّة للأطفال والأخرى خاصة بمعايير الرسم نفسه، وخُصَّص "الشريف" إلى أنَّ الرُّسوم في كتب الأطفال هي جنس من الأجناس الأدبيَّة، وخالف الرأي القائل بأنَّ الكلمة إذا ما توفَّرت فيها شروط البساطة والعمق والشفافيَّة فهي في غنى عن أي سنديٍّ آخر، بل ذهب إلى أنَّ الرُّسوم هي الأكثر تأثيراً إذا ما توفَّرت شرط وجودها في النَّص، وبَرَّر كل ذلك بأنَّ استيعاب الطفل للرُّسوم أسرع بكثير من استيعابه للكلام! وفسَّر ذلك بأنَّ الرسم يتَّجه إلى قلب الطفل في حين أنَّ الكلمة تتَّجه إلى عقله! واعتبر أنَّ الكلمة تتعدَّى على حرية الطفل فهي تقيِّده بمعانيها وقواعدها، والرسم لا يتعدَّى على حريته، بل إنَّ الرسم يمنحه استقلالية مطلقة!⁽¹⁾.

فالشريف بذلك يحمِّل الرُّسوم أكثر ممَّا تحتمل، وقد قال الخبراء كلمتهم في هذا الشأن وأقروا جميعاً - كما سبق أن ذكرت - بأهميَّة الرُّسوم في قصص الأطفال ولكن كل ذلك مقيدٌ بالمرحلة العمريَّة للطفل، ورغم رأيه السابق عن الرُّسوم في كتب الأطفال، فإنَّ ليوسف الشريف "العديد من المجموعات القصصية المؤلفة والمترجمة التي تخلو تماماً من الرُّسوم مع أنَّه قد توجَّه بها للأطفال المرحلة المتوسطة وما قبلها، وعند التفحص في هذه القصص والحكايات نجد أنها تنقسم على ثلاثة أقسام من حيث وجود الرُّسوم فيها وعدمها:-

1. سلاسل ومجموعات مصاحبة بالرُّسوم:

(1) ينظر: دراسات في الطفولة، الرسم في كتب الأطفال، يوسف الشريف، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ليبيا، 2010 م، ط 1، ص 26 - 27.

ويقتصر ذلك على السلاسل الصادرة في المرحلتين الأولى والثانية، وهي سلسلة قصص ليبية للأطفال التي صدرت سنة 1977م⁽¹⁾، وسلسلة قصص ليبية للأطفال التي صدرت سنة 1981م⁽²⁾، وسلسلة قصص ليبية للأطفال التي صدرت 1985م⁽³⁾، وسلسلة نوافذ التي صدرت 1998م⁽⁴⁾، وسلسلة طفل يقرأ التي صدرت سنة 1999م⁽⁵⁾.

وكانت الرسوم في السلسلتين الأولى والثانية تأخذ حيزاً كبيراً من القصة، ففي السلسلة الأولى كانت الرسوم تحوز صفحة بكاملها إضافة إلى جزء من صفحة النص في بعض مراحل القصة، وهي رسوم ملونة، كما كانت أوراق القصة متعددة الألوان فكل صفحتين متقابلتين يميزهما لون معين، أما الكتابة فكانت دائماً باللون الأسود.

أمّا في السلسلة الثانية فكانت الرسوم مع النص في الصفحة ذاتها، فتارةً يكون النص في أعلى الصفحة والرسم المصاحب في أسفلها وتارةً يكون العكس، وهي رسوم ملونة، ورسوم هذه السلسلة أكثر واقعية وإتقان من سابقتها ومن لاحقها.

أمّا في السلسلة الثالثة فكانت الرسوم المصاحبة تشغل الصفحة ذاتها مع نصوص القصة، وهذه السلاسل من الحجم الكبير، وهي بدون ترقيم، كما أنها مكتوبة بخط اليد، وجميعها مضبوطة بالشكل، وجميع السلاسل السابقة غير مرقمة الصفحات.

أمّا سلسلة نوافذ التي صدرت سنة 1998م، فكانت الرسوم المصاحبة مقابلة للنص في الصفحة المقابلة، وهي باللونين الأسود والأبيض، كما أنها تغطي كل مراحل القصة، وتتميز بغلاف ملون يصور أبطال القصة أو حدث من أحداثها، وهي مضبوطة بالشكل، كما أنها مرقمة الصفحات.

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، يوسف الشريف، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1977م.
(2) سلسلة قصص ليبية للأطفال، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981م.

(3) سلسلة قصص ليبية للأطفال، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985م.

(4) سلسلة نوافذ، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، 1998م.

(5) سلسلة طفل يقرأ، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م.

أما سلسلة طفل يقرأ التي صدرت سنة 1999 م⁽¹⁾، فكانت الرسوم المصاحبة متنوعة من حيث التوزيع فكانت في بعض القصص تتقاسم الصفحة مع النص، والبعض الآخر كانت في صفحة مستقلة، وأحياناً تنتوع في القصة ذاتها، وهي أقل جاذبية واتقاناً من سابقتها، والكتابة كانت غير مضبوطة بالشكل، والخط باللون الأسود، أما لون الصفحات فهو الأبيض، والصفحات مرقمة، وحجم القصص صغير مقارنةً بأحجام قصصه الأخرى.

مجموعة من حكايات العصافير صدرت سنة 2008 م⁽²⁾، كانت الرسوم المصاحبة في صفحة مستقلة عن النص، وهي لم تغطِ جميع أحداث القصة ومراحلها، والكتابة مضبوطة بالشكل، وهي باللون الأسود أما الصفحات فهي بيضاء اللون، وغير مرقمة، ذات غلاف كرتوني سميك وهي كبيرة الحجم. مجموعة يا زهر القرنفل صدرت سنة 2010 م⁽³⁾، كانت الرسوم المصاحبة متنوعة التوزيع، فبعضها ظهر في صفحة مستقلة، والآخر اشترك مع النص في الصفحة ذاتها، وهي في الغالب تغطي أغلب أحداث القصة، وهي ملونة، أما الكتابة فهي مضبوطة بالشكل، والصفحات بيضاء اللون، وهي مرقمة، ذات غلاف كرتوني سميك، كما أنها من الحجم الكبير.

مجموعة المطر يسقط في الصحراء صدرت سنة 2010 م⁽⁴⁾، الرسوم المصاحبة فيها متنوعة التوزيع فبعضها تشترك مع النص في الصفحة ذاتها بعضها الآخر في صفحة مستقلة، وهي ملونة وتغطي أغلب أحداث القصة، والكتابة مضبوطة بالشكل، ذات غلاف كرتوني سميك، وهي كبيرة الحجم.

وسلسلة: أمي، صديقان، السماء بيت العصافير، الشمس تأتي بالصباح، يمكن عدّها سلسلة رغم عدم وضعها تحت اسم موحد كما هي العادة في السلاسل، فإنها صدرت عن الدار نفسها وفي الوقت نفسه، والرسوم المصاحبة فيها متنوعة التوزيع ففي القصة الواحدة نجد بعض الرسوم في صفحة مستقلة، والبعض الآخر يشترك مع النص في الصفحة ذاتها، وهي ملونة، ويغطي أغلبها أحداث القصة، والكتابة مضبوطة بالشكل، وهي بخط اليد، وغير مرقمة الصفحات.

(1) سلسلة طفل يقرأ، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) مجموعة من حكايات العصافير، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008.

(3) مجموعة يا زهر القرنفل، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010.

(4) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010.

2. سلاسل ومجموعات اقتصرت رسومها على الصفحة الأولى فقط:

المجموعة القصصية "المهر الأسود" التي صدرت سنة 2006 م⁽¹⁾، تخلو من الرسوم المصاحبة فقط في الصفحة الخاصة بعنوان القصة التي تظهر بعض أبطال القصة، وهي ضخمة الحجم يبلغ عدد صفحاتها 527، أما الصفحات فهي باللون الأخضر الفاتح والكتابة باللون الأسود، وهي مضبوطة بالشكل.

كذلك مجموعته القصصية "حكايات قبل النوم للأطفال"⁽²⁾، وهي - أيضاً - اقتصرت فيها الرسوم المصاحبة على الصفحة الخاصة بعنوان القصة، رغم أنها لا تتجاوز الأطفال في المراحل المتوسطة على أبعد تقدير، بمعنى أن وجود الرسوم فيها يُعد مهماً إن لم يكن ضرورياً.

3. سلاسل ومجموعات خالية تماماً من الرسوم:

مجموعة "من حكايات الحروف" سنة 2003 م⁽³⁾، تخلو من أية رسوم مصاحبة لهذه الحكايات، وهي موجّهة إلى الأطفال في بداية المرحلة المتوسطة التي يبدأون فيها بتعلّم القراءة والكتابة، وكتابتها مضبوطة بالشكل، تبلغ عدد صفحاتها نحو 135 صفحة، من الحجم الصغير، وخلوها من الرسوم يُعد من المآخذ على هذه المجموعة تحديداً؛ لأنّ فكرتها معرفيّة تهدف لأن يتعلّم الأطفال القراءة والكتابة، التي تبدأ بالتعرّف على الحروف الهجائيّة نطقاً ورسماً، ولهذا فإنّ وجود الرسوم في مثل هذه القصص أمر ضروري لتقريب أبطال قصصه بطريقة طريفة مصحوبة بالألوان، وعدم الاكتفاء بالرسم العادي للحروف والكلمات.

النّواحي الموضوعيّة والفنيّة للرسوم المصاحبة في قصص الشريف:

تختلف قصص الشريف من حيث الرسوم المصاحبة لقصصه من الناحيتين الموضوعيّة والفنيّة من مجموعة أو سلسلة إلى أخرى، وفي العرض الآتي نماذج من تلك القصص:

(1) المهر الأسود" قصص للأطفال، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) حكايات قبل النوم للأطفال، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(3) من حكايات الحروف للأطفال، يوسف الشريف، مصدر سابق.

في السلسلة الأولى من قصص ليبية للأطفال يظهر التفاوت في الجانبين الموضوعي والفني، نجد الرسوم المصاحبة في قصة "ابنة الراعي" تعبر بشكل يتناسب مع أحداث القصة وطبيعة الأشخاص والبيئة المكانية والزمانية، فظهر الأمير يرتدي زياً قديماً ممسكاً بلجام حصانه، يدل على كونه أميراً غنياً من أمراء الزمان القديم، وظهرت ابنة الراعي وهي ممسكة بنايها وبجانباها أحد خرفانها التي تقوم برعيها كما في أحد أحداث القصة، كما ظهر السلطان وهو واقف في إحدى شرفات قصره، كما ظهر الراعي الفقير وهياته تدل عليه، من ملابسه إلى العصا التي كان ممسكاً بها ليهش بها على أغنامه، كما ظهرت إحدى الرسوم التي تصوّر هروب جمع من سكان المملكة تعبيراً عما تعرضت له هذه المملكة من هجوم من قبل الأعداء، كما صورت في إحدى مراحل القصة الأمير وزوجه ابنة الراعي بعد هروبهما وهما جالسان في كوخ متواضع، وفي نهاية القصة ظهرت صورة لهما وهما جالسان في بيت جميل يدل على تحسن حالهما، كل ذلك يتوافق مع مراحل القصة وطبيعة أبطالها وأحداثها.

أمّا قصة "القوي بمفرده ضعيف" فرغم تغطيتها لكل مراحل القصة وأبطالها، فلم تكن متقنة من الناحية الفنية، مما يفقدها الجاذبية، ثم إنَّ بعض الرسوم لجأ فيها الرسام إلى الشرح لتوضيحها مما يتنافى مع جودة الرسوم، حيث يفترض في النص والرسم المصاحب له أن يكونا مكملين لبعضهما، وهذا يؤكد أحد الباحثين بقوله: "إنَّ العلاقة بين الكتابة والرسم، فهي واحدة، حيث يجسّد التصوير والرسم، ما يقوله النص، والنص بدوره، يشرح الصورة ويكملها"⁽¹⁾. فعندما يحتاج الرسم إلى شرح وتوضيح فهذا يعني عجز الرسوم عن التعبير عن الحدث أو الشخصية، كما أنَّ ذلك يشوه الرسم، ويستهيئ بذكاء القارئ الطفل.

وقصة "السمة الذهبية" لا تختلف كثيراً عن سابقتها، فرسوم هذه القصة غطت كل أحداثها، ولأنَّها من القصص ذات الخلفية التراثية الليبية، فقد ظهر فيها أبطالها يرتدون الزي الليبي، وما يؤخذ على رسوم هذه القصة ظهور بعض أجزاء الرسم واختفاء أجزاء أخرى، ففي أحد الرسوم لم يظهر من إبراهيم سوى يديه وهما تمسكان بالإتاء الزجاجي وهذا يخالف المعايير الفنية للرسوم المصاحبة في قصص الأطفال.

(1) ينظر: الرسوم التوضيحية والشكل والإخراج، أحمد عازم، مرجع سابق، ص 52.

وفي قصة "الراعي الشجاع" غطت الرسوم المصاحبة تصوير أبطال القصة، كما غطت أغلب أحداثها، ولأن موضوع القصة جهاد الليبيين ضد الاستعمار الإيطالي، فقد ظهر الأبطال بأزياء معبرة عن البيئة الليبية في ذلك الوقت، حيث ظهر الطفل عمران وهو راعٍ صغير مرتدياً للزي الليبي وهو ممسك بعصا يهش بها على أغنامه، كما ظهر أحد المجاهدين ممتطياً جواده ويرتدي "الجرد الليبي" وبنديته على ظهره، كما ظهر الجنود الإيطاليون يرتدون ملابسهم العسكرية الرسمية وبعضهم خلف مدافعهم والبعض الآخر على أحصنتهم، وبهذا كانت كل هذه الرسوم واقعية وموضوعية جداً، غير أن اختيار الألوان كان غير مناسب، حيث ظهرت الأحصنة والأغنام والكلب الحارس لها بألوان تخالف طبيعتها، حيث ظهرت بألوان البنفسجي والأزرق السماوي.

وفي السلسلة الثانية وتحديداً في قصة "الليبية الشجاعة" كانت الرسوم موفقة إلى حد كبير من الناحيتين الموضوعية والفنية، فقد واكبت كل أحداث القصة ومراحلها، كما ظهر فيها أبطال القصة بشكل موضوعي عبر عن خلفية كل شخصية، فظهرت المرأة الليبية ترتدي الرداء وهو الزي المعروف في ليبيا وهو ما يتناسب مع البيئة المكانية والزمانية وهي فترة الغزو الإيطالي لليبيا، كما ظهر الجنود الإيطاليون يرتدون الزي العسكري وهم ممسكون بأسلحتهم، وفي إحدى مراحل القصة ظهرت أمامهم "قصعة فيها البازين" وجرة ماء مما يعزز الجانب الموضوعي للقصة، كما ظهر جزء من البيت وخاصة الباب على الطراز القديم شكلاً ولوناً، مما يدل على اهتمام الرسام بالتفاصيل التي تجعل من العمل أكثر واقعيةً واتقاناً، ولكن ما يؤخذ على إحدى رسوم هذه القصة ظهور المرأة الليبية وهي جالسة في بيتها وبجانبها كلبها، وهو ما يتنافى مع قيم المجتمع الليبي المسلم، فليس من طبيعة هذا المجتمع التعايش مع الكلاب داخل البيوت.

وفي قصة "الثعلب والأرنب"، عبّرت الرسوم المصاحبة بشكل كامل عن أبطال القصة وأحداثها بما فيها الحدث الماضي الذي بسببه جادلت العصفورة الثعلب، وهو الحدث الذي يصور الثعلب وهو يلاحق الأرنب التي تجري محاولة النجاة من براثن الثعلب، كما ظهر هذا الثعلب على الغلاف وهو ممسك بالأرنب، كما ظهرت البيئة المكانية المتمثلة في الغابة من أشجار وأعشاب، وظهرت الصور بشكل ولون أقرب إلى الواقع.

وفي السلسلة الثالثة وتحديداً في قصة "العودة إلى الفردوس" كانت الرسوم المصاحبة مواكبة لجميع أحداث القصة وأبطالها، حيث ظهر الأبناء الثلاثة على الغلاف، كما ظهروا في إحدى مراحل القصة وهم يتحلقون حول أبيهم، وظهر الأب العجوز المريض شبه مستلقٍ على ظهره، وفي مرحلة أخرى ظهر الأبناء وهم يتصارعون، وفي الرحلة التي تليها ظهروا وكل واحد بجانب أحد الأشياء التي أخذها من تركة أبيه، فظهر أحدهم بجانب البقرة ممسكاً برباطها، والثاني بجانب البئر، والثالث بجانب إحدى أشجار البستان، وفي مرحلة أخرى ظهرت أشجار البستان وهي يابسة، كما ظهر كل واحد منهم بمظهر البائس الحزين، وفي المرحلة الأخيرة ظهروا وقد اجتمعوا وتحسن مظهرهم وظهر البستان من خلفهم أخضر والأشجار كثيرة الثمار، ولأنَّ هذه القصة ذات خلفية تراثية ليبية فقد ظهر أبطال القصة وهم يرتدون الزي الليبي المعروف بالجرد.

وفي سلسلة نوافذ⁽¹⁾، كانت الصور المصاحبة في جميع قصصها مواكبة لأحداثها ومراحلها، وقد تميزت أغلفة هذه القصص برسوم ملونة تصور أبطال القصة وأحداثها، وجميع الرسوم ظهرت باللونين الأبيض والأسود، وكمثال على ما سبق، كان الغلاف في قصة "الحمامة تزرع شجرة" يظهر حمامة تطير وهي تحمل بمنقارها بذرة، وفي أولى مراحل القصة ظهرت الحمامة في أرض شبه خالية من الشجر، وفي مرحلة أخرى ظهرت الحمامة وهي تبحث عن بذرة ماء، ثم وهي تطير وهي تحمل بمنقارها هذه البذرة، ثم وهي تحفر الأرض بمنقارها لتصنع حفرة صغيرة وبجانب الحفرة البذرة، ثم وهي تنزل قطرات من الماء من منقارها على نبتة صغيرة، ثم وهي على أحد أغصان شجرة كبيرة، وفي المرحلة الأخيرة تظهر الشجرة وهي تعج بالطيور والعصافير وأعشاشها، وكانت الرسوم في هذه السلسلة في المستوى ذاته من النواحي الموضوعية والفنية، وذلك لأنَّ رسامها واحد.

وفي سلسلة طفل يقرأ⁽²⁾، ظهرت الرسوم على أغلفة قصص هذه السلسلة مصورة أبطال القصة أو أحد أحداثها الرئيسية، وحاول الرسام أن يصور أهم أحداث كل قصة من قصصها، وكمثال على ذلك، ظهر غلاف قصة "عيون النار" يصور أهم أحداث القصة وهو الحدث الذي أنقذ فيه عيون النار الطفل الذي سقط في البئر، فظهر عيون النار وهو يحاول الدخول في البئر ويحيط بالبئر مجموعة من

(1) سلسلة نوافذ، يوسف الشريف، مصدر سابق.

(2) سلسلة طفل يقرأ، يوسف الشريف، مصدر سابق.

الأطفال الذين كانوا يلعبون عندما سقط أحدهم في البئر، كما ظهر بطل القصة الملقب بعيون النار وهو أسود البشرة محمر العينين كما وصفه الكاتب، وفي الرسم الأول ظهر "عيون النار" الذي أسهب الكاتب في وصف شكله وطبيعته التي جعلت الكبار ينفرون منه، في حين كان الصغار مقربين منه، وكان في هذه الصورة واقفاً وبجانبه أحد أطفال القرية، وفي صورة مقابلة ظهر "عيون النار" وخلفه أحد رجال القرية وهو معرض عنه، وفي رسم آخر ظهر بيت المرأة العجوز وحظيرتها وبعض الدجاج، ثم أحد اطفال القرية يقف حائراً بعد اختفاء عيون النار، ورسم آخر يظهر بعض أطفال القرية وهم يتحلقون حول البئر الذي سقط فيها زميلهم، وفي الرسم التالي ظهر عيون النار وهو يحاول النزول في البئر، وفي صورة أخرى ظهرت المرأة العجوز وهي تنثر الحب لدجاجتها قبل أن تختفي، وفي صورة أخرى يظهر عيون النار وبجانبه أحد أطفال القرية وهو ينظر إليه بطمأنينة، وفي صورة أخرى يظهر بعض أطفال القرية وعلامات الدهشة تظهر على وجوههم وهم ينظرون إلى دجاجة المرأة العجوز التي اختفت منذ فترة، وفي الرسم الأخير الدجاجة تعود إلى حظيرتها.

إنَّ الرسوم في هذه السلسلة متقاربة وهو أمر طبيعي فرسامها واحد، وهناك بعض المآخذ على الرسوم المصاحبة في هذه السلسلة، من أهمها أنَّ كثيراً من الرسوم غير مواكبة لأحداث القصص، فالنص يتحدث عن حادث معين ويكون الرسم معبراً عن حادث آخر، كما أن بعض الأحداث تمَّ تجاهلها ولم يعبر عنها بالرسم، وبعض الرسوم ظهرت مخالفة للقيم الإسلامية للمجتمع الليبي ففي قصتي "عندما اختفت ليلي" و"درس كل يوم" ظهرت فيهما المعلمة وهي ترتدي ملابس قصيرة.

وفي مجموعة "حكايات العصافير"⁽¹⁾، التي اقتصر فيها الرسوم المصاحبة لقصصها على أهم مراحل القصص، فلم تكن مواكبة لكل الأحداث، وكمثال على ذلك حكاية "عصفور وفيل" ووفقاً لأحداثها في الرسم الأول ظهر الفيل وهو يحاول إبعاد العصفور بخراطومه، وفي الثاني تظهر العصفور واقفاً على رأس الفيل، والأخير يظهر الفيل باكياً، وأظن أنَّ هناك تقدماً وتأخيراً في الرسمين الأخيرين، بمعنى أنَّه كان ينبغي أن يظهر رسم الفيل الباكي قبل رسم العصفور الواقف على رأس الفيل لنتناسب مع سياق أحداث الحكاية، ففي البداية انزعج الفيل من العصفور الذي كان يخلص الفيل من الحشرات التي على جسمه، فقام بطرده، وعندما ذهب أحس بقيمة العصفور الذي كان يريحه من

(1) مجموعة من حكايات العصافير، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008.

الحشرات المؤذية له، وعند ذلك ندم ونادى العصفور وترجّاه أن يخلصه من الحشرات التي تنهش جسمه، وفي العموم لم تكن الرسوم في المستوى المطلوب شكلاً وموضوعاً بحيث تكون معززة للنص جاذبة للقارئ الصغير.

وفي مجموعة "يا زهر القرنفل"⁽¹⁾، كانت الرسوم المصاحبة في قصص هذه المجموعة مواكبة لأغلب أحداث القصص، كما ظهر فيها أبطال القصص والبيئة المكانية المتنوعة وفقاً لكل قصة، وهي رسوم تشاكل الواقع شكلاً ولوناً، وكمثال على ذلك عبّرت الرسوم المصاحبة في قصة "الزرافة والسلحفاة" التي غطت فيها الرسوم المصاحبة أهم الأحداث، ففي الصورة الأولى تظهر الزرافة والسلحفاة وقد التقتا أول مرة، وفي الصورة التي تليها تظهران وهما يتبادلان الحديث، ثم تظهر الزرافة وهي تقدم ورق الشجر للسلحفاة الجائعة، وفي الرسم الأخير تظهر الزرافة وعلى ظهرها السلحفاة الصغيرة لتساعدتها على إيجاد أمها.

وفي مجموعة "المطر يسقط في الصحراء"⁽²⁾، غطت الرسوم المصاحبة لقصص هذه المجموعة، أغلب أحداثها، وكمثال على ذلك قصة "عاشور يقتل الأشجار"، في صفحة الغلاف يظهر الرسم بطل القصة عاشور وهو ممسك بفأس قرب شجرة كبيرة، أما الرسم التالي فيظهر بستان عاشور الذي تظهر به الأشجار المثمرة، وفي رسم آخر يظهر بعض أطفال القرية داخل البستان يسرقون الثمار، وفي الرسم التالي يظهر عاشور خارجاً من القرية وحاملاً فأساً على كتفه وممسكاً باليد الأخرى منشاراً، وعلامات الغضب بادية على وجهه، ثم يظهر عاشور وهو قرب شجرة ضخمة تعج بالعصافير، ثم يظهر عاشور وهو واقف قرب الشجرة وهي ساقطة على الأرض، وفي الرسم التالي تظهر بعض سكان القرية وهم ينظرون إلى السماء التي غطتها أعداد كبيرة من العصافير الذاهبة في اتجاه بستان عاشور، وفي الرسم الأخير تظهر العصافير راجعة من بستان عاشور كما جاء في النص.

وفي سلسلة: أمي، صديقان، السماء بيت العصافير، الشمس تأتي بالصباح⁽³⁾، غطت الرسوم المصاحبة أغلب أحداثها وعناصرها، ولكن اللآفت للنظر في رسوم قصص هذه السلسلة التي تتضمن

(1) مجموعة يا زهر القرنفل، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010.

(2) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010.

(3) قصص مفردة، يوسف الشريف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005 م.

عناصر إنسانية ظهور هذه العناصر بشكل بشع ومنقّر، كما في قصة "السماء بيت العصافير" وقصة "الرجل والمظلة" وقصة "حديقة الورد"، وقصة "صديقان"، ومثال على ما سبق ذكره قصة "صديقان"، والرسم على الغلاف يظهر بطلي القصة وهما طفل وعلى كتفه عصفور، في الرسم الأول يظهر الولد ماشياً على الطريق، والرسم التالي يظهر الطفل وهو ينحني على عصفور ملقى على الأرض، ثم وهو يجلس على المائدة وأمامه العصفور يطعمه ويسقيه، ثم ظهر العصفور وهو يطير داخل البيت، وفي الرسم التالي يُظهر العصفور وهو يطير في الفضاء بعد أن فتح له الطفل النافذة، ثم ظهر الطفل وهو يتطلع من نافذة حجرته، ثم يظهر الطفل وهو يعمل في حديقة البيت، ثم ظهر العصفور وهو قادم إلى الحديقة، ثم ظهر وهو واقف على كتف الطفل ويقبله، ثم ظهر الطفل وهو ينظر إلى السماء، ثم ظهر العصفور طائراً بعيداً عن الطفل، وأخيراً يظهر العصفور وهو يبتعد أكثر عن الطفل، وقد صوّر الطفل - كما في جميع قصص هذه السلسلة - بصورة لا تتوفر فيها عناصر الجمال الجاذبة للطفل.

وختلاصة ما سبق يتّضح أنّ القصص الصادرة في المرحلتين الأولى والثانية كانت أوفر حظاً من حيث الرسوم المصاحبة من المرحلة الأخيرة التي اختلفت في فترات منها تلك الرسوم، ويغلب على قصص هذه المرحلة صدورها في شكل مجموعات كبيرة، مما أثر سلباً على العناية بالرسوم المصاحبة، كما أنّ تنوّع الرسامين في السلسلة الواحدة أو من سلسلة إلى أخرى، جعل هناك تفاوتاً واضحاً في مستويات جودة تلك الرسوم.

الفصل الرابع

دراسة تحليلية تطبيقية

نماذج من قصص يوسف الشريف للأطفال

حاولتُ في هذا الفصل أن أكون موضوعيةً في اختيار القصص والحكايات التي سيتم تحليلها، حيث وضعتُ معايير محدّدة تضبط هذا الاختيار، أولها: أن تغطّي هذه القصص جميع مراحل إبداع يوسف الشريف للأطفال الممتدة من سنة 1977 م، التي تمثّلت في سلسلة "قصص ليبية للأطفال"، إلى مجموعاته الأخيرة الصادرة سنة 2014 م وهي مجموعات "قصص لأطفال الثورة"، و"قصص من حياة الحيوان"، و"زهرة المطر"، وثانيها: أن تغطي أنواعاً مختلفة من قصصه سواء من حيث الشكل أو المضمون، وكان اختيار القصص ضمن هذه المعايير يركن أيضاً إلى اختيار القصص في السلسلة أو المجموعة نفسها التي رأيت أنها أفضل من سواها.

أولاً: نموذج من قصص المرحلة الأولى(*):

قصة "سعد وسعيد ومسعود"

إحدى قصص سلسلة قصص ليبية للأطفال، التي أصدرها الكاتب سنة 1977 م، وهي السلسلة الأولى التي تمثّل المرحلة الأولى من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخّص القصة

تحكي القصة، قصة أحد السلاطين تعرّض ذات يوم للمرض، فأراد أن يطمئن على السلطان من بعده، ليسلمه لمن هو أهل به من أولاده الثلاثة، وهم: "سعد" و"سعيد" و"مسعود"، حيث جمعهم وطلب منهم أن يجلب كل واحد منهم لبن العصفورة وبيض البقرة، ووعد من يأتيه بهذه الأشياء سوف يكون السلطان من بعده، فذهب "سعيد" و"مسعود" بحثاً عن طلب السلطان، ليرجعا بعد فترة إليه يحملان بما يدّعيان أنّه طلب السلطان، فيما بقي "سعد" يفكّر في مغزى طلب السلطان، وعند اجتماع السلطان بأبنائه، أمر بجلد "سعيد" و"مسعود" كل واحد منهما مائة جلده، فيما وعد "سعد" بأنّه سيكون الملك من بعده.

(*) يلاحظ أنّ عدد قصص الشريف في المرحلة الأولى كانت من حيث العدد قليلة، ولذلك كان اختيار قصة واحدة لتحليلها يتناسب مع عدد القصص المحدود، حيث صدرت له سلسلة (قصص ليبية للأطفال).

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: يدور موضوع القصة حول أهمية إعمال العقل وصدق التعامل مع الآخرين وأن الاستهانة بعقولهم ومحاولة خداعهم هو في حقيقته منتهى حماقة والغباء.

ب. الأحداث والعقدة:

المقدمة: مقدمة القصة مقتبسة من بعض المقدمات التي يبدأ بها الراوي عادةً القصص والحكايات الشعبية الليبية، وقد سبق تفصيل ذلك في الفصل السابق، كما تضمنت هذه المقدمة القصيرة أن هذا السلطان له ثلاثة أبناء، هم: "سعد" و"سعيد" و"مسعود".

بدأت الأحداث بمرض السلطان، ممّا دعاه إلى جمع أبنائه الثلاثة، وطلب من كل واحد منهم أن يأتيه بلبن العصفورة، وبيض البقرة، ووعدهم من يأتيه بما طلب بأن يكون ملكاً من بعده، وفي طلب السلطان تكمن عقدة القصة، واستؤنفت الأحداث بانطلاق "سعيد" و"مسعود" بحثاً عن طلب السلطان، فيما ذهب "سعد" إلى أمه يسألها عن مغزى الطلب، إذ أدرك أنه اختبار لهم، وأن هذا الطلب يستحيل تحقيقه، وبعد فترة عاد "سعيد" و"مسعود"، وجلس السلطان والملا من حوله، ونادى على أبنائه الثلاثة، فادّعى كلٌّ من "سعيد" و"مسعود" بأنهما جلبا طلب السلطان، وبأنهما الجديران بتولي الملك من بعده، فكان جزاؤهما جلد كل واحد منهما مائة جلدة، أما "سعد" فكانت إجابته مختلفة تماماً، حيث صرّح للسلطان بأنه يعرف أن ليس للعصفورة لبن ولا للبقرة بيض، وأن طلبه مستحيل، وهنا صرّح السلطان عن الحكمة من طلبه الغريب، وهو أنه أراد أن يختبر ذكاء أبنائه^(*)، لكي يطمئن على شؤون الرعيّة والمملكة من بعده.

وانتهت القصة بتصريح السلطان بسبب أمره بجلد "سعيد" و"مسعود"، فهما اعتقدا أنه غبي وأحمق، فحاولا خداعه، حيث جلب أحدهما لبن الناقة والثاني لبن النعجة على أنه لبن العصفورة، كما جلب أحدهما بيض الحمام والثاني بيض العصفورة على أنه بيض البقرة، كما أعلن السلطان أن ابنه "سعد" هو من سيكون الملك من بعد أبيه السلطان؛ لأنه استخدم عقله، ومن يستخدم عقله لا يخطئ.

(*) هذا ما جاء على لسان السلطان في تبرير طلبه الغريب، لكن واقع الحال هو اختبار لصدق الأبناء وأمانتهم، والقرينة على ذلك أنه لا يمكن معاقبة أحد على غبائه وحمقه، فلو كان الأمر كذلك لاعتقى السلطان بالحرمان من السلطان والملك من بعده.

ج. الشخصيات: شخصيات القصة جميعها إنسانية، من أسرة واحدة، تتكوّن من السلطان وأبنائه الثلاثة، "سعد" و"سعيد" و"مسعود" إضافةً إلى الأم، التي تمثّل شخصية مساندة لبطل القصة وهو "سعد" الذي تميّز بالتعقّل والتفكير السليم، مما جعله موضع رضا السلطان وثقته فأوصى بأن يكون هو الملك من بعده، أمّا أخواه "سعيد" و"مسعود" فهما يمثلان الشخصيات السالبة، بعدم تفكيرهما السليم في مغزى طلب السلطان، وبمحاولتهما خداعه، أما السلطان فهو شخصية أساسية في القصة، فهو من قام باختبار أبنائه ليختار أجدرهم بتولي الملك من بعده، فهو يمثّل التجربة والحكمة إضافةً إلى السلطة.

د. البيئة المكانية والزمانية: البيئة المكانية في هذه القصة غير محدّدة، فهي إحدى الممالك القديمة التي رسم معالمها من خلال مضمون القصة وشكلها. كذلك زمان القصة غير محدّد، وهو ممّا تتسم به الحكايات عادةً، حيث استهل الكاتب سرد الأحداث بقوله: "وفي يوم من ذات الأيام.."⁽¹⁾، كما أنّ أحداث القصة استغرقت فترة طويلة، فعلى الرغم من أنّ سعيد ومسعود وعدا السلطان بجلب ما طلبه قبل مغيب يوم الغد، حيث أجابه سعيد قائلاً: "قبل مغيب الشمس غداً، سأصبح أنا الوريث"⁽²⁾، أو قبل مغيب اليوم، كما أجاب مسعود قائلاً: "قبل مغيب شمس اليوم، سأصبح أنا الملك من بعدك"⁽³⁾، في إشارة أنّهما سيأتيان بطلب السلطان، فإنهما قد استغرقتا شهوراً قبل أن يأتيا بما ادعيا أنه طلب الملك، جاء ذلك في قول الكاتب: "ومرت الأيام، ومّرت الشهور وفي يوم من ذات الأيام عاد "سعيد" وعاد "مسعود"⁽⁴⁾.

ويُرجع "محمد شوقي" سر ولع الأطفال بهذا اللون من القصص إلى "استجابتهم للنزعة التخيلية التي تحقق لهم الرغبة في الانفلات من حدود الزمان والمكان، فالأحداث تنفلت من الزمن المباشر الصريح لتدور في عالم الممكن المطلق، وهو عادةً: (قديم الزمان وسالف العصر والأوان)، وتشغل حيّزاً مكانياً غير محدّد وهو (بلد من بلاد الله) وبهذا الاستهلال السحري تُلغي الخرافة كل قيود والمكان، وتشكّل نوعاً تعبيرياً ملائماً للأطفال؛ إذ يتداخل الحلم والواقع عندهم تداخلاً يُزيل كل الفواصل بينهما

(1) سلسلة قصص ليبيّة للأطفال، "سعد وسعيد ومسعود"، يوسف الشريف، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا، 1977 م، د.ترقيم.

(2) المصدر السابق، د.ترقيم.

(3) المصدر السابق، د.ترقيم.

(4) المصدر السابق، د.ترقيم.

حتى يمكنهم خيالهم من أن يزوروا الأماكن البعيدة، والممالك القديمة ويكونوا هنا وهناك في اللحظة ذاتها"⁽¹⁾.

هـ. اللُّغة والأسلوب: يغلب الحوار على السرد في هذه القصة، ودارت أغلب هذه الحوارات بين السلطان وأبنائه الثلاثة، وكشفت هذه الحوارات عن طبيعة شخصيات القصة ومكانتها وأسلوب تفكيرها، فما قاله السلطان لأبنائه يتوافق مع كونه ملكاً حاكماً يريد الاطمئنان على ملكه ورعيته من بعده، كما يكشف عن حكمته وخبرته في الحياة، وهذا ما دعاه إلى اختبار أبنائه عندما تعرّض لمرض ربما أحسّ بسببه بدنو أجله؛ لذا جمعهم وقال لهم: "من يأتي بلبن العصفورة، وبيض البقرة، يكن له الملك من بعدي!"⁽²⁾؛ ولكونه السلطان كان أغلب كلامه أوامر لحجابه ورعيته وأبنائه، فعند عودة "سعيد" و"مسعود" من رحلتهم، وبعد أن جلس السلطان ومن حوله الملاً، نادى على "سعد" و"سعيد" و"مسعود"⁽³⁾، ثم قال: "أنت يا "سعيد"، هات ما أمرتك به"⁽⁴⁾، وعندما أخرج "سعيد" الأشياء مدعياً أنها ما طلب السلطان، فما كان من السلطان أن نادى على الحاجب وأمره: "إجلد "سعيداً" مائة جلدة!"⁽⁵⁾، وتكرر الأمر نفسه مع "مسعود"، وبعد معرفة الملك لردود أبنائه كشف عن مغزى هذه الطلبات، حين قال: "لقد أردت أن أختبر ذكاءكم، لكي أطمئن على شئون الرعية والمملكة من بعدي"⁽⁶⁾، والاختبار لا يكون إلا ممن هو الأكثر علماً أو مكانة إلى الأقل علماً ومكانة، كما أن من وضع الاختبار هو من يقرّر نتيجته؛ وهذا ما كشف عنه كلام السلطان في نهاية القصة، عندما سأله "سعد" عن سبب أمره بجلد "سعيد" و"مسعود"، فقال: "لأنهما اعتقدا أنني غبي وأحمق، فأحضر الأول لبن الناقة وأحضر الثاني

(1) الخرافة في أدب الأطفال، محمد شوقي، ندوة الطفل العربي، بنغازي، 2002 م، ص 1.

(2) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "سعد وسعيد ومسعود"، يوسف الشريف، مصدر سابق، د.ترقيم.

(3) المصدر السابق، د.ترقيم.

(4) المصدر السابق، د.ترقيم.

(5) المصدر السابق، د.ترقيم.

(6) المصدر السابق، د.ترقيم.

لبن النعجة، أما البيض فكان بيض حمام وعصفورة..⁽¹⁾، وفيما يخص "سعد" فقال له والده السلطان: "أنت يا سعد" ستكون الملك من بعدي، لأنك استخدمت عقلك، ومن يستخدم عقله لا يخطئ"⁽²⁾.

وما صدر عن الأبناء الثلاثة كشف عن شخصية كل منهم، كما كشف كلام "سعيد" و"مسعود" عن تشابه كبير في التفكير، فعندما أمرهما السلطان بالإتيان بلبن العصفورة وبيض البقرة، يكاد يكون ردُّهما واحداً، حيث قال "سعيد": "قبل أن تغيب الشمس غداً، سأصبح أنا الوريث!"⁽³⁾، وكان رد "مسعود": "قبل مغيب شمس اليوم، سأصبح أنا الملك من بعدك"⁽⁴⁾، فهذه الردود تبيِّن أنَّ أحدهما أسوأ من الآخر، أمَّا "سعد" فكان مختلفاً تمام الاختلاف عن أخويه، وهذا ما كشف عنه كلامه ومواقفه، ففي هذا الموقف بقي "سعد" صامتاً لم يتكلم، وعندما سأله السلطان: "لماذا لا تتكلم وتقول متى تريد أن تصبح ملكاً؟ ألم تسمع ما قاله "سعيد" و"مسعود"؟ كان رده: "أنا أفكر فيما طلبت"⁽⁵⁾، وهو رد يكشف عن تعقُّل "سعد" وتفكيره السليم، وهو ما قاده في النهاية إلى النجاح في الاختبار وفوزه بالملك من بعد أبيه السلطان.

ومن مظاهر تعقُّل "سعد" استشارته لأمه، كما كشف حوارهما عن ذكاء "سعد"، فعندما أخبرها بطلب السلطان، كان ردها مشجعاً وداعماً لابنها بالاعتماد على نفسه وعدم سؤال الآخرين والتفكير جيداً في طلب السلطان، ربما لكونها أمهم فهي تعرف أكثر من غيرها أبناءها، وتوسّمت الذكاء والنباهة في "سعد"؛ لذا ردَّ على قول أمه قائلاً: "لكنَّ طلبه مستحيل"⁽⁶⁾، فهو عرف منذ البداية أنَّ وراء طلب السلطان مغزى، وهذا ما ظهر في حوارهِ الداخلي بعد أن خرج من عند أمه مهموماً، حيث قال في نفسه: "إما أن يكون السلطان مجنوناً، وإما أنه يختبر ذكاءنا"⁽⁷⁾، ولأنَّ السلطان ليس مجنوناً فهو يختبر ذكاءهم، لذا كانت إجابته للسلطان الذي استغرب عدم سفره كما فعل أخواه، قائلاً له: "سأجيبك على

(1) سلسلة قصص ليبيبة للأطفال، "سعد وسعيد ومسعود"، يوسف الشريف، د.ترقيم.

(2) المصدر السابق، د.ترقيم.

(3) المصدر السابق، د.ترقيم.

(4) المصدر السابق، د.ترقيم.

(5) المصدر السابق، د.ترقيم.

(6) المصدر السابق، د.ترقيم.

(7) المصدر السابق، د.ترقيم.

سؤالك عندما يعود "سعيد" و"مسعود"⁽¹⁾، وعندما عاد أخواه وكان منهم الذي كان، كانت إجابة "سعد" مختلفة تماماً عنهما، حيث قال: "أنت تعرف يا أبي أن العصفورة لا تعطي لبناً، وأن البقرة لا تضع بيضاً، لكنك طلبت المستحيل!"⁽²⁾.

واتبع الكاتب أسلوب النماذج المتناقضة، وهو أسلوب اتبعه في العديد من قصصه، - وقد سبق شرح ذلك في الفصل السابق - فصورة "سعد" الإيجابية كانت أكثر وضوحاً وأعمق أثراً لدى القارئ الصغير، بوجودها جنباً إلى جنب مع صورة أخويه "سعيد" و"مسعود" السالبة.

أمّا اللُّغة المستخدمة فلم يبعد بها الكاتب عن اللغة الإبداعية، وفيما يخص المفردات، فهي توحى ببيئة ضاربة في القدم، وهو أمر طبيعي إذا عرفنا أن الحكاية من الموروث الشعبي في ليبيا، ومثال هذه المفردات: السلطان، والحاجب، والجراب، وما عدا ذلك فإنّ الجمل والمفردات كانت واضحة قريبة من قاموس الطفل.

ثانياً: نماذج من قصص المرحلة الثانية:

قصة "البتشة"

إحدى قصص سلسلة قصص ليبية للأطفال، التي أصدرها الكاتب سنة 1981 م، وهي السلسلة الثانية التي تمثّل المرحلة الثانية من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

من القصص الواقعية، التي تحكي قصة طفل اسمه "عمران" مع كلبه "البتشة"، حيث قام بطرده بسبب معاكساته ومشكساته المتكررة لقطته نوسه، فخرج "البتشة" حزيناً واختفى في الشارع، وفي أحد الأيام اعترض رجل طريق "عمران" وهو عائد لبيته، يريد أن يغتصب منه نقوده، فخرج البتشة فجأة من

(1) سلسلة قصص ليبية للأطفال، "سعد وسعيد ومسعود"، يوسف الشريف، د.ترقيم.

(2) المصدر السابق، د.ترقيم.

الظلام وعضَّ الرجل في ذراعه فهرب وهو يصرخ، ففرح "عمران" وندم على ما فعله بكلبه الوفي الشجاع.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع:

يتناول موضوع القصة وفاء بعض الكلاب لأصحابها، وما ينبغي أن يقابل به هؤلاء الناس كلابهم الوفية من رفق بها وتجنب إيذائها.

ب. الأحداث والعقدة:

المقدمة: بدأت القصة بعرض الصفات الشكلية والنفسية للكلب الذي يملكه "عمران" الذي أطلق عليه اسم "البتشة"، فهو أبيض اللون، قصير جداً، كما يتميز بالسرعة والشجاعة والذكاء، فهو يفهم لغة الإشارة؛ لذا كان "عمران" سعيداً به، كما كان يملك - أيضاً - قطة صغيرة اسمها "نوسة".

بدأت الأحداث بقيام الكلب "البتشة" بمشاكسة "القطة" "نوسة" بشرب حليها، وتكرر مشاكسته لها عند قيامه بعضها في ذيلها.

ويأتي الحدث الثاني بعودة "عمران" من مدرسته، ومعرفته أنّ "البتشة" قد عضَّ القطة "نوسة" في ذيلها، فقام بطرده من البيت، فاختم في شوارع القرية، وتصل الأحداث إلى التأزم والتعقيد، وذلك أثناء عودة "عمران" ذات ليلة إلى البيت فاعترض طريقه رجل لا يعرفه محاولاً اغتصاب ما معه من نقود، وحاول "عمران" الهرب لكنه لم يستطع.

ويأتي الحل المفاجئ بخروج "البتشة" من الظلام مهاجماً الرجل المعتدي وعضَّه في ذراعه فهرب وهو يصرخ من الألم، واختلط الفرح بالندم في نفس "عمران" بهذه المفاجئة، الفرح بنجاته، والندم على ما فعله بكلبه الوفي، وكان لهذا الحدث وقع إيجابي كبير على نفس "عمران" وقصَّ أحداثها على أصدقائه الذين أعجبوا بالبتشة، وتمنوا لو كان لديهم كلبٌ وفيٌّ وشجاع مثل "البتشة".

ج. **الشخصيات:** يشترك في هذه القصة شخصيات إنسانية وحيوانية، يمثل الشخصيات الإنسانية "عمران" وهو طفل لم يحدّد الكاتب سنه بالتحديد، لكنه يدرس في المدرسة، كما ذكر الكاتب ذلك، كذلك شخصية الرجل الشرير الذي اعترض طريق "عمران"، وهو شخصية مجهولة جاءت عرضاً رغم إنّ ما قام به كان له أثر كبير في تغيير اتجاه القصة، أما الشخصيات الحيوانية، فتمثلها: القطة "نوسة" والكلب "البتشة" الذي هو محور القصة وبطلها، فهو من أنقذ صديقه "عمران" وخلصه من الرجل المعتدي، ورغم أنّه تعرّض للطرد من البيت فإنه نسي كل ذلك ودافع عن "عمران"، فهو يمثل قيم الوفاء والشجاعة أيضاً فليس من السهل أن يواجه كلب صغير الحجم مثل "البتشة" رجلاً شريراً.

د. **البيئة المكانية والزمانية:**

جاء ذكر الكاتب للمكان وهو "القرية" في منتصف القصة، وذلك عندما قام "عمران" بطرد "البتشة" من البيت، حيث قال: "واختفى بين شوارع القرية"⁽¹⁾، كما كان أحد أماكن هذه القرية مسرحاً للحدث الرئيس الذي تعرّض فيه "عمران" للاعتداء عليه من قبل الرجل، والذي خرج فيه "البتشة" فجأة لينقذ صديقه، ولم يذكر الكاتب أي معالم تطبع القرية بخصوصية معينة، فهي مثل أي قرية من العالم، وكان البيت مسرحاً للأحداث الأولى حيث يعيش فيه "عمران" وصديقه "نوسة" و"البتشة".

أمّا الزمان فقد شكّل "الليل" بعداً إضافياً للمحك الذي تعرّض له "عمران"، فرغم إنّ "عمران" كان يسير في الليل دون خوف، فإنّ تعرّض الرجل له في الظلام، جعل هذا الاعتداء أكثر خطورة، فهذا يزيد من قدرة الرجل على الاعتداء، باعتبار أنّ الليل هو البيئة المناسبة للكثير من اللصوص والمجرمين، حيث يتخذون منه ستاراً يتخفون وراءه لممارسة أعمالهم الإجرامية، كما يقلل من إمكانية وجود من يمكن أن ينقذ "عمران" من هذا الخطر، فهو يعيش في قرية وهي ككل القرى التي يبني أهلها مبكرين.

هـ. **اللغة والأسلوب:** اعتمدت هذه القصة على السرد بلغة مبسّطة وواضحة، وقد بدأ الكاتب سرده بوصف "البتشة" و"نوسة" كما وصف العلاقة الجميلة التي تربط "عمران" بحيواناته الأليفة، وقد أطلق "عمران" اسم "البتشة" على كلبه ليتوافق مع شكله الكروي الذي يشبه الكرات الزجاجية التي يلعب بها الأطفال، و"عمران" طفل ككل الأطفال تستهويه هذه الأشياء، لذا اتخذ له اسماً من عالمه الذي يعرفه.

ولم يتخلل القصة أي نوع من أنواع الحوار المتعارف عليه، وهو أمر منطقي باعتبار أنّ القصة واقعيّة، حيث ظهرت فيها الحيوانات بطبيعتها، ولم تتم أنسنتها، لذا اقتصرت وسيلة التفاهم بين "عمران"

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "البتشة"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 167.

وأصدقائه من الحيوانات على لغة الإشارة، أو الكلام من جانب "عمران" فقط، كما ذكر الكاتب ذلك في مقدّمة القصة، وذلك عندما قال: "يفهم منه اللغة والإشارة"⁽¹⁾، ومثالاً على ذلك الطريقة التي اشتكت فيها القطة "نوسة" لصاحبها "عمران" بما فعله "البتشة" لها، وذلك في قول الكاتب: "عندما عاد عمران جاءتة تجري، ومسحت ذيلها بيده، وعرف أنّ البتشة عضّها في ذيلها"⁽²⁾.

قصة "العصفور والشجرة"^(*)

وهي إحدى قصص سلسلة قصص ليلية للأطفال، التي أصدرها الكاتب سنة 1985 م، وهي السلسلة الثالثة التي تمثّل المرحلة الثانية من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

من قصص الحيوان، بطلها عصفور صغير يعيش مع أمه استهوته النجوم واستغرب صغر حجمها، فسأل أمه عن سبب ذلك، حاولت أمه الإجابة عن تساؤلاته، كما وعدته بأنها ستجلب له كتاباً عن النجوم، لكن العصفور بات ليلته يفكر في النجوم البعيدة، فعزم على السفر إلى الغابات البعيدة لعله يتمكن من معرفة المزيد عنها، فغافل أمه وسافر في رحلة علمية استكشافية، وانتقل من غابة إلى أخرى، ومن شجرة إلى أخرى، لكنه رآها صغيرة كما هي على الشجرة التي يعيش عليها مع أمه، وأصرّ على الذهاب إلى غابات أبعد يمكنه منها رؤية النجوم أكبر.

وفي آخر يوم من رحلته وصل إلى إحدى الغابات التي أعجب بجمالها، وما إن اختار شجرة ليبين فيها حتى رأى طيوراً سوداء لا عدّ لها، أخذت تهاجمه وتطارده من شجرة إلى شجرة، وفي هذا الموقف الصعب تيقّن العصفور الصغير أنّ غابته أجمل من كل الغابات، كما أنّه رأى النجوم في هذه الغابة أيضاً صغيرة، وما إن أشرقت الشمس حتى بدأ رحلة العودة وهو يصارع الألم والجوع، وعندما وصل

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "البتشة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 167.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(*) لم تتمكّن الباحثة من الحصول على النسخة الأصلية من هذه القصة، فاستعانت بالنسخة المعاد نشرها ضمن مجموعة المهر الأسود.

إلى غابته وشجرته احتضنته أمه وبادرت به بسؤاله عن النجوم، فكان جوابه إنَّ النجوم في غابته أكبر والعصافير في غابته أجمل.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: يقوم موضوع القصة على فكرة حب الوطن الذي يعني الشعور بالانتماء والأمن، وهي من القصص الرمزية التي اتخذ فيها الكاتب الحيوان وسيلة لإيصال فكرته، فالعصفور الذي ذهب به فضوله بعيداً عن غابته، ورأى الكثير من الغابات وأجملها، عرف بعد هذه التجربة أنَّ الوطن يبقى هو الأفضل والأجمل.

ب. الأحداث والعقدة:

المقدمة: بدأت القصة بحوار بين العصفور الصغير وأمّه، وهو ككل الصغار كثيري الأسئلة والفضول، وكان موضوع الحوار هو النجوم، فالعصفور يريد معرفة لماذا تبدو النجوم في السماء صغيرة؟ حاولت الأم الإجابة على تساؤلات صغيرها، وعندما لاحظت عدم اقتناعه بذلك، وعدته بأنها ستجلب له كتاباً يقرأ فيه كل شيء عن النجوم، لكن الصغير بات ليلته يفكر في النجوم، وعقد العزم على السفر إلى الغابات البعيدة ثم يعود ويخبر أمه بما رأى.

بدأت الأحداث بخروج العصفور الصغير من تحت جناح أمّه، ليبدأ رحلته إلى الغابات البعيدة، وانتقاله من غابة إلى أخرى، حتى يصل في اليوم الأخير إلى غابة جميلة افتتن بسحرها وجمال أشجارها، لكنه استغرب من عدم سماعه لأي تغريد، ولم ير أي عصفور! وفي أثناء بحثه عن شجرة مناسبة يحتمي بها، تدخل الأحداث في التأزم، وذلك عندما ".فجأة سمع حركة، سمع أصواتاً، رفع عينيه إلى الأعلى، فرأى طيوراً لا عدّ لها، تغطي السماء، فارتجف رعباً، طيورٌ سوداء سقطت على كل غصن، حتى أصبح لون الأشجار أسود"⁽¹⁾، وازدادت الأمور تعقيداً عندما "هجموا عليه، وطارده من غصن إلى غصن، ومن شجرة إلى شجرة، أحسَّ أنَّ نهايته قرّبت، تذكّر أمه وأصحابه، وندم على ما

(1) مجموعة المهر الأسود، "العصفور والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 266.

فعل⁽¹⁾، وحدث جدال بين العصفور وهذه الطيور السوداء، انتهى بتهديدها له بأنه إن لم يرجع إلى غابته سوف يجعلونه طعاماً لصغارهم.

الحل: ينتهي العصفور بعد هذه التجربة إلى اقتناع بأنّ "النجوم في الغابات البعيدة لم تكن أكبر، وأنّ الغابات لم تكن أجمل"⁽²⁾، لذا قضى آخر ليلة خارج غابته مسهداً يستعجل تلك الليلة الطويلة لتنتهي، ليبدأ رحلة العودة إلى موطنه غابته، وما أن أشرقت الشمس "حتى بدأ رحلة العودة، لم يتوقف عن الطيران، كان يسابق الزمن والمسافات، ويصارع الألم والجوع" وعند وصوله إلى الغصن الذي يعرفه "احتضنته أمه والفرح يغمرها"، وسألته: "كيف وجدت النجوم في الغابات البعيدة؟ هل هي أكبر من نجوم غاباتنا؟ أجاب ودموع الفرح في عينيه: لا يا أمي .. إنّ النجوم في غابتنا أكبر، والعصافير في غابتنا أجمل"⁽³⁾.

ج. الشخصيات: اقتضت القصة على الشخصيات الحيوانية، وتحديدًا عالم العصافير، حيث مثلّ العصفور الصغير الشخصية الرئيسة فيها، وكان نموذجاً للشخصية الفضولية الباحثة عن المعرفة والاستكشاف لما حوله من مظاهر الطبيعة والفلك، ومثلت العصفورة الأم الشخصية المساندة لشخصية البطل، وقد قامت بدورها ومسؤوليتها تجاه صغيرها وتساؤلاته، فهي الأم الخبيرة المجربة التي أجابت على تساؤلات صغيرها بأمانة، كما وعدته بأن تحضر له كتاباً يجد فيه ما يريد معرفته عن النجوم، أما الشخصيات الثانوية فمثلتها الطيور السوداء، التي قامت بمهاجمة العصفور الصغير وطرده من غابتها.

د. البيئة المكانية والزمانية: تعددت البيئة المكانية لأحداث القصة، وإن كانت جميعها غابات، فالعصفور الصغير كان في البداية يعيش في غابته مع أمه، وتمثّل هذه الغابة وطناً له، ثم انطلق منها إلى غابات أخرى بعيدة عنها، حتى وصل إلى الغابة التي كانت مسرحاً للحدث الرئيس، التي تمثّل وطناً للطيور التي هاجمته وقامت بطرده منها، وأخيراً يعود إلى غابته التي انطلق منها.

(1) مجموعة المهر الأسود، "العصفور والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 266.

(2) المصدر السابق، ص 267.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

أما البيئة الزمانيّة فقد استغرقت أحداث القصة أياماً وليالي، حيث حدث بعضها صباحاً وبعضها الآخر ليلاً، وتوحي القصة أنّ الحوار بين العصفور الصغير وأمه كان ليلاً، فالحديث كان عن النجوم التي تظهر عادةً في الليل، ويؤكد ذلك قول الكاتب: "في الليل لم ينم العصفور الصغير، بقي يفكر في النجوم البعيدة والغابات البعيدة، سيطير إليها ثم يعود ليخبر أمه بما رأى، في الصباح سيطير إليها"⁽¹⁾، كما كان الصباح موعداً لانطلاق العصفور الصغير من غابته إلى الغابات البعيدة، جاء ذلك في قول الكاتب: "في الصباح خرج من تحت جناح أمه، رفر بجناحيه، وأرسل تغريدةً فيها حزن الوداع"⁽²⁾، وكان كلما وصل إلى غابة وجد فيها النجوم تبدو صغيرة، يصمم على مواصلة الرحلة حتى يجد الغابة التي يرى فيها النجوم أكبر، جاء ذلك في قول الكاتب: "فكلما أشرقت عليه شمس يوم جديد كان يقول: غداً أصل إلى الغابات البعيدة التي سأرى فيها النجوم أكبر"⁽³⁾.

كذلك كان هو الموعد الذي بدأ فيه رحلة العودة من الغابة البعيدة إلى غابته، جاء ذلك في قول الكاتب: "لم تكد شمس اليوم الجديد تشرق، حتى بدأ رحلة العودة"⁽⁴⁾، وقد أحسن الكاتب استخدام هذين التوقيتين؛ لأنهما يتوافقان مع أسلوب حياة العصافير التي تستيقظ مبكرة مع انبلاج أول خيوط الفجر، وتبيت مع غروب الشمس.

هـ. **اللغة والأسلوب:** اعتمد الكاتب في هذه القصة على الموازنة بين السرد والحوار، ممّا أكسبها شيئاً من الحيويّة، وكشف الحوار عن شخصيات القصة، وكيفية تفكيرها، بدأت القصة بحوار بين العصفور الصغير وأمه، وكان هذا الحوار في شكل أسئلة من جانب العصفور الصغير، وأجوبة من قبل العصفورة الأم، وكان محور هذا الحديث عن النجوم التي يبدو أنها استرعت انتباه العصفور الصغير، فسأل أمه: "لماذا النجوم في السماء صغيرة. فأجابته أمه: "النجوم كبيرة .. كبيرة جداً"⁽⁵⁾، واستمر السؤال من قبل العصفور الصغير، وهو يمثّل الصغار بفضولهم وأسئلتهم التي لا تنتهي، كما تكشف

(1) مجموعة المهر الأسود، "العصفور والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 265.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق، ص 266.

(4) المصدر السابق، ص 267.

(5) المصدر السابق، ص 265.

أجوبة العصفورة الأم عن سعة صدرها وثقافتها، وذلك من خلال أجوبتها السليمة، كذلك تشجيع صغيرها على القراءة والاطلاع بوعدها له بإحضار كتاب يزوده بكل شيء عن النجوم.

كما حدث حوارٌ متوترٌ بين العصفور الصغير والطيور السوداء ، وذلك عندما انتقل إلى إحدى الغابات البعيدة، وقد حمل مضمون كلام تلك الطيور الوعيد والتهديد والسخرية، كما طلبوا منه الرحيل عن غاباتهم، وانتهت القصة بحوار عاطفي بين العصفور الصغير وأمه بعد عودته إلى حضنها، حيث سألته أمه: "كيف وجدت النجوم في الغابات البعيدة؟ هل هي أكبر من نجوم غاباتنا؟ أجاب ودموع الفرح في عينيه: لا يا أمي.. إنَّ النجوم في غابتنا أكبر، والعصافير في غابتنا أجمل"⁽¹⁾، وعند التأمل في رد العصفور الصغير على تساؤلات أمه نجد تأثير المشاعر العاطفية واضحاً عليها، فالنجوم في غابته لم تكن في الواقع أكبر؛ لكنه رآها بعين المحب لغابته التي وجد فيها الأمن والمحبة، أما الحوار الداخلي، فكان عندما وصل العصفور الصغير إلى الغابة التي افتتن بسحرها، فقال في نفسه: "هذه هي الغابات التي أحلم بها وأبحث عنها"⁽²⁾.

أمّا فيما يخص اللغة، فكانت واضحة مبسطة، كما تتناسب المفردات وطبيعة الشخصيات "العصافير"، فعندما قرر العصفور الصغير السفر "خرج من تحت جناح أمه، رفرج بجناحيه، وأرسل تغريدة فيها حزن الوداع"⁽³⁾، الملاحظ أنّ ما ورد في هذه العبارة من أفعال أو مفردات لم تخرج عن طبيعة العصافير، فالعصافير الصغيرة تحضنها أمهاتها العصافير الكبيرة، لذا كان خروج العصفور الصغير من تحت جناح أمه مطابقاً للحقيقة والواقع، كما استخدم الكاتب مفردات، مثل: الجناح والرفرفة والتغريد وهي مفردات من طبيعة الطيور والعصافير، والقصة مليئة بمثل هذه المفردات.

(1) مجموعة المهر الأسود، "العصفور والشجرة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 267.

(2) المصدر السابق، ص 266.

(3) المصدر السابق، ص 265.

قصة "هدية العيد"(*)

وهي إحدى قصص سلسلة نوافذ، التي أصدرها الكاتب 1998 م، التي تمثل المرحلة الثانية من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

هذه القصة من القصص ذات المضامين الاجتماعية، تحكي قصة طفل اسمه "أيمن" أراد تقديم هدية لأمه في عيدها، لكنه لم يملك نقوداً يشتري به الهدية، وقد لاحظت المعلمة شروده على غير عادته، وعندما عرفت سبب ذلك نصحته بالاهتمام بدروسه، وعندما يكبر سيعمل ويكسب نقوداً كثيرة، لكنه بعد انتهاء اليوم الدراسي لم يرجع إلى بيته كعادته، وإنما انحرف إلى طريق آخر يؤدي إلى حوانيت المدينة، أخذ يتجول بين شوارعها ويتوقف مبهوراً أمام حوانيتها التي تعرض معروضاتها، متمنياً في نفسه لو أنه يملك نقوداً يشتري بها هدية لأمه، توقف أمام حانوت مكتظ بالمصنوعات الفضية، دخل الحانوت وعندما عرف البائع قصته، طلب منه مساعدته في ترتيب بعض الأشياء الصغيرة، مقابل الحصول على قرط يهديه لأمه، وبعد قيامه بالعمل كما ينبغي، طلب منه البائع اختيار أحد المصوغات الفضية، فاختار "أيمن" قرطين صغيرين على شكل عصفورين جميلين، ثم انطلق يدعو تغمره السعادة والفرح.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: تقوم القصة على فكرة بأن العمل هو الوسيلة الوحيدة المقبولة للحصول على النقود؛ لنشتري بها واحتياجاتنا ولا ينبغي الاستهانة بأي عمل مهما كان صغيراً، إضافة إلى البر بالأم وإرضائها.

(*) وردت هذه السلسلة في كتاب: "النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921 - 2005"، أسماء مصطفى الأسطى، مرجع سابق، في خانة المترجمات، ينظر: الكتاب ص 208 - 213، وهي سلسلة مختلطة بين الترجمة والإبداع الخاص بالكاتب حسبما هو مدوّن على كل كتاب من هذه السلسلة، وهذه القصة من ضمن القصص التي هي من نتاج الكاتب كما هو مدوّن على غلافها، وقد اخذت الباحثة بما هو مدوّن على السلسلة.

ب. الأحداث والعقدة: المقدمة: بدأت القصة بمقدمة متضمنة للعقدة، حيث وصف فيها الكاتب الحالة النفسية لبطل القصة الصغير، جاء فيها: "أيمن في الفصل .. شاراد الذهن حزين، ولم يفهم شيئاً من شرح المعلمة"⁽¹⁾، ودار حوار طويل بين المعلمة و"أيمن" عرفت من خلاله أن سر شروده وحزنه عدم تمكنه من شراء هدية لأمه في عيدها، وتلك هي عقدة القصة.

وبانتهاء الدرس بدأت الأحداث، فأيمن لم يعد إلى بيته كعادته، فهو مشغول بالبحث عن هدية يقدمها لأمه في عيدها لذا "انحرف على طريق آخر .. طريق المدينة.. وفي شوارعها أخذ يتجول.. أحياناً يتوقف مبهوراً أمام نوافذ حوانيتها ويتأمل معروضاتها.."⁽²⁾، وينتهي به الأمر إلى التوقف أمام حانوت مكتظ بالمصنوعات الفضية، وأعجبه أحد الأقرط، وكان البائع مستغرقاً في ترتيب اللعب الصغيرة، وعندما رفع رأسه "رأى" أيمن "يحدق فيه بعينين فيهما سؤال واحد ... أعطني قرطاً لأمي"⁽³⁾، ثم أشار البائع لأيمن بالدخول، ودار بينهما حوار عرف البائع من خلاله برغبة "أيمن" في الحصول على هدية لأمه، كما عرف أنه لا يملك نقوداً لشرائها.

الحل: وبدأ حل العقدة عندما سمح البائع لأيمن بترتيب بعض الأشياء الصغيرة مقابل قرط، حيث "ألقي" أيمن "بمحفظته متحمساً .. وبدأ يعمل بنشاط وسعادة غامرة"⁽⁴⁾، وبعد أن قام بعمله طلب منه البائع أن يختار ما يريد، فاختر "أيمن قرطاً صغيراً وجميلاً .. عصفوران .. صغيران .. صغيران"⁽⁵⁾، وبعد أن حصل على مبتغاه "انطلق يعدو .. وهو يتمنى لو أن له جناحين"⁽⁶⁾.

ج. الشخصيات: اشتملت القصة على عدد من الشخصيات الإنسانية، يمثل "أيمن" بطل القصة والشخصية الرئيسية فيها، وهو كما يتضح من القصة أنه طفل منتظم في المدرسة، ولم يحدد الكاتب سنه، ورد ذلك في عدة مواضع في القصة، حيث جاء في بدايتها: "أيمن في الفصل .. شاراد الذهن

(1) سلسلة نوافذ، "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 2.

(2) المصدر السابق، ص 6.

(3) المصدر السابق، ص 10.

(4) المصدر السابق، ص 14.

(5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

حزين"⁽¹⁾، وفي: "انتهت دروس اليوم بالمدرسة، وخرج الصغار عائدين إلى بيوتهم.. لكن "أيمن" انحرف إلى طريق آخر"⁽²⁾، كما أسهمت الرسوم المصاحبة في إيضاح طبيعة الشخصيات ومن ضمنها بطل القصة الصغير، إضافةً إلى شخصية البطل هناك شخصية مساندة تمثلها المعلمة، التي لاحظت شرود "أيمن" في الفصل، وعدم استيعابه لشرحها على غير عادته، مما أثار دهشتها، جاء ذلك في: "اندهشت المعلمة، فهي تعلم أنّ "أيمن" تلميذ ذكي ونشيط"⁽³⁾، وعند معرفة المعلمة سبب شرود ذهن "أيمن" وحزنه نصحته قائلة: "عليك الآن أن تهتم بالدرس.. وعندما تكبر ستعمل وتجمع نقوداً كثيرة"⁽⁴⁾، كذلك نجد في القصة شخصية ثانوية يمثلها بائع المصوغات الفضية، الذي سمح لأيمن أن يقوم بمساعدته بترتيب بعض الأشياء الصغيرة مقابل قرط صغير يقدمه هديه لأمه بمناسبة العيد، جاء ذلك عندما قال البائع: "تعال .. إذا رتبت هذه الأشياء كما ينبغي أعطيك قرطاً"⁽⁵⁾.

د. البيئة المكانية والزمانية: تعددت البيئة المكانية التي وقعت فيها أحداث هذه القصة، ففي البداية وقعت الأحداث في أحد فصول المدرسة، حيث يدرس بطل القصة "أيمن"، جاء ذلك في قول الكاتب: "أيمن في الفصل .. شارد الذهن حزين"⁽⁶⁾، وبعد خروج "أيمن" من المدرسة انحرف إلى طريق المدينة، وأخذ يتجول في شوارعها، يتأمل معروضات حوانيتها، ثم دخل أحد الحوانيت الذي أعجب بمعروضاته الفضية، وذلك بعد أن أشار إليه صاحب الحانوت بالدخول: "أشار إليه بيده .. فلم يتردد أيمن ودخل"⁽⁷⁾. أما البيئة الزمانية، فلم يأت الكاتب على أي ذكر للبيئة الزمنية التي حدثت فيها أحداث القصة، ولكن يمكن للقارئ أن يعرف أنّ أحداثها وقعت نهاراً، حيث وقعت بعض أحداثها في المدرسة أثناء الدرس، وبعضها الآخر بعد الانتهاء من الدروس وعودة الجميع إلى بيوتهم.

(1) سلسلة نوافذ، "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 2.

(2) المصدر السابق، ص 6.

(3) المصدر السابق، ص 2.

(4) المصدر السابق، ص 4.

(5) المصدر السابق، ص 12.

(6) المصدر السابق، ص 6.

(7) المصدر السابق، ص 10.

هـ. اللُّغة والأسلوب: اتَّجه الكاتب إلى التبادل والتوالي بين السرد والحوار في عرض قصته؛ وهو ما أسهم في الحفاظ على حيويتها، كما ساعد الحوار بالكشف عن مكونات شخصيات القصة، كما عبّر بشكل كبير عن طبيعة شخصياتها أو -على الأقل- ما يمكن توقعه منها، واتضح هذا جلياً في ردود "أيمن" على سؤال معلمته عندما سألته عن سبب شروده وحزنه؟ فأجابها بعفوية الطفولة: "غداً عيد ميلاد أمي.. الأولاد يفرحون في عيد ميلاد أمهاتهم. لكنني لا أملك نقوداً أشتري بها هدية لأمي"⁽¹⁾، وجاء رد المعلمة طبيعياً، مناسباً لمن صدر منه وكذلك لمن توجه إليه: "عليك الآن أن تهتم بالدرس.. وعندما تكبر ستعمل وتجمع نقوداً كثيرة"، كذلك ما دار بين "أيمن" والبائع، حيث دار حوار مشابه لما دار بينه وبين معلمته، فعندما عرف البائع برغبة "أيمن" بشراء قرط لأمه، وأنه لا يملك نقوداً، قال له: "لا تهتم .. أنت ما زلت صغيراً"⁽²⁾، فرد "أيمن": "لستُ صغيراً .. أستطيع أن أقوم بما تعمل" وهو رد واقعي، فعندما يحرم طفل ما من شيء يحبه ويرغبه بحجة أنه لا يزال صغيراً من المتوقع أن ينفي عن نفسه كونه صغيراً، كما أن قول "أيمن" أوحى للبائع بأن يساعده بترتيب بعض الأشياء الصغيرة نظير القرط الصغير، فقال له: "تعال.. إذا رتبت هذه الأشياء كما ينبغي أعطيك قرطاً"⁽³⁾.

ويبدو أنّ البائع لم يرد ترتيب الأشياء بقدر رغبته في أن يعطي لأيمن درساً عملياً وهو أنّ العمل هو الوسيلة المثلى في الحصول على احتياجاتنا، كما حاول البائع إيصال رسالة أخرى وهي ضرورة اتقان العمل ليكون العائد أفضل، وذلك باشتراطه "كما ينبغي"، أيضاً وبعد أن قام "أيمن" بترتيب الأشياء قال له: "لقد قمت بعمل جيد، لك أن تختار أيّ واحدة تريد"⁽⁴⁾ فإنّ اتقان "أيمن" لعمله جعل البائع يسمح له بأن يختار ما يريد من المصوغات الفضية التي بطبيعة الحال تختلف في أثمانها، ولا يتقيد باختيار القرط الصغير الذي قيمته دينار واحد فقط.

كما ساعد الحوار الداخلي على كشف ما يدور في نفس "أيمن" وذلك حينما أُعجب ببعض المصوغات الفضية، فتمنّى لو يتمكّن من شرائها لأمّه، وهذا يبيّن مدى حرصه ورغبته الجامحة في

(1) سلسلة نوافذ، "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 4.

(2) المصدر السابق، ص 12.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر السابق، ص 14.

الحصول على مبتغاه، وذلك عندما عبّر الكاتب عمّا يدور في نفس "أيمن": " اندهش لجمالها ودقّة صنعها.. واستغرق في أمنية واحدة .. لو يشتري ذلك القرط الجميل لأمه"⁽¹⁾.

أمّا من ناحية اللّغة، فهي واضحة تناسب المرحلة المستهدفة، وهي لا تتجاوز مرحلة الطفولة المتوسطة، ورغم ذلك هناك بعض الألفاظ والمفردات التي قد تكون غريبة وغير شائعة الاستخدام، مثل كلمة "حانوت"، فهي لا تتناسب مع البيئة المكانية ولا الزمانيّة التي حدثت فيها القصة.

أمّا اللّغة الإبداعية فقد استخدمها الكاتب في نهاية القصة لتصوير الحالة الشعورية للبطل ومدى فرحته بنجاحه في الحصول على هدية جميلة لأمه، حيث وصف دموع الفرح في عينيه بالتوهج، وذلك في "توهّجت في عينيه دموع فرح" ورافق ذلك: "توهج العصفوران قبل أن يلودا بكفّه الصغيرة"⁽²⁾.

ويلاحظ استخدام الكاتب للفعل "يلودا بكفه" وهو هنا يعني العصفورين الفضيين مشبهاً إيّاهما بالعصفورين الحقيقيين، وكأنّ العصفورين متشوقان أيضاً ليدي "أيمن" مثلما كان "أيمن" متشوقاً للحصول عليهما، فكل هذه الاستعارات الجميلة وصفت مشاعر "أيمن" وعواطفه الجياشة في هذا الموقف، وقد عبّرت الجمل الأخيرة التي خُتمت بها القصة بدقة عن الحالة النفسيّة لأيمن بعد حصوله على مبتغاه، حيث انطلق يعدو.. بل تمنى أن يطير ليصل لأمه بسرعة، وذلك في "انطلق يعدو .. وهو يتمنّى لو أنّ له جناحان"^(*)⁽³⁾، فالمعروف أنّ الطيران أكثر سرعة من العدو.

قصة "تار في البيت المهجور"

وهي إحدى قصص سلسلة طفل يقرأ، التي أصدرها الكاتب 1999 م، التي تمثّل المرحلة الثانية من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

(1) سلسلة نوافذ، "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 8.

(2) المصدر السابق، ص 14.

(*) هكذا وردت في النص الأصلي، والصحيح (جناحين).

(3) سلسلة نوافذ، "هدية عيد الميلاد"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 14.

تحكي هذه القصة عن مخاوف بعض الأطفال مما يظنون أنه غول، حيث استخدم الكاتب الحقائق العلمية في دحض هذه الاعتقادات الخاطئة، فبينما كان "رامي" وأقرانه يلعبون ليلاً بالقرب من أحد البيوت المهجورة رأوا ناراً تتبعث من داخل ذلك البيت، ففرّ الأطفال هاربين، ودخل "رامي" على أمه يلهث مرعوباً، فطمأنته أمه بعدم وجود غول، لكنه كان مقتنعاً بصحة ظنونه خاصة وأنّ الفقيه حذرهم مسبقاً بوجود غول في البيت المهجور، فذهبت به أمه إلى البيت المهجور وأخذت بقايا العظام التي تحتوي على مادة الفسفور ورجعت بها إلى البيت، وأثبتت له عملياً أنّ ما رآه ورفاقه ما هو إلا مادة الفسفور التي تتوهج في الظلام.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: تقوم القصة على فكرة أنّ انتشار الكثير من الاعتقادات الباطلة التي تترافق مع بعض الظواهر، سببها الجهل، ويسهم العلم مساهمة كبيرة في انحسارها والقضاء عليها نهائياً.

ب. الأحداث والعقدة: لا يوجد لهذه القصة مقدمة، حيث بدأت بالحدث الرئيس، وكل ما يمكن تضمينه في المقدمة كتحديد للبيئة المكانية والزمانية والشخصيات يتعرّف عليها القارئ من خلال أحداث القصة. بدأت القصة بحدث رئيس يتملّ في دخول رامي على أمه يتملّكه الخوف والهلع، وعندما عرفت أمه سبب خوفه حاولت إقناعه بعدم وجود "الغول" واستخدم الكاتب هذا الأسلوب لمعرفة تفاصيل ما حدث لرامي وأقرانه قبيل دخوله على أمه خائفاً، ويلاحظ أنّ الكاتب قد استخدم هذه الأسلوب في قصص أخرى⁽¹⁾.

وتكمن العقدة في سيطرة فكرة وجود الغول في البيت المهجور على تفكير "رامي" وأقرانه، ورغم محاولة أمه إقناعه وإفهامه بعدم صحة فكرته فإنّه ظل على اقتناع بذلك الفهم، لذا قرّرت أن تثبت له عدم وجود الغول عملياً، ففي الحدث الثاني ذهبت الأم آخذة ابنها الصغير "رامي" معها إلى البيت المهجور رغم اعتراضه خوفاً، وتبدأ العقدة في الحل بوصول الأم وابنها إلى البيت المهجور، غير أنّ "رامي" ظن أنّ "الغول" هرب خوفاً من أمه وذلك في: "نظر رامي فلم يرَ النار التي حكي عنها لأمه.

(1) ينظر: سلسلة قصص ليبية للأطفال، "الثعلب والأرنب"، يوسف الشريف، مصدر سابق.

قال: لا بدَّ أنَّ الغول خاف منك يا أمي وهرب"⁽¹⁾، لذا التقطت الأم بعض المواد من أرض البيت المهجور وحملتها معها إلى البيت.

الحل: حمل الحدث الأخير حل العقدة، وذلك بقيام الأم بإغلاق إحدى الغرف وأطفأت نورها ثم نثرت الأشياء والمواد التي جلبتها من البيت المهجور، فتوهَّجت تلك المواد ثم أضاءت مصباح الغرفة فتأكد "رامي" أنَّ مصدر النار هو بقايا العظام، وشرحت له أمه بالتفصيل التفسير العلمي لتوهج بقايا العظام في الظلام، وبهذا تأكد "رامي" من عدم وجود "الغول"، والمعروف أنَّ الخوف شعور غريزي، لكن الخوف غير المنطقي غالباً ما يتعزز بفعل أساليب تربوية خاطئة يقوم بها من لهم علاقة مباشرة بالأطفال، ويمثل ذلك في هذه القصة الفقيه.

ج. الشخصيات: اقتصرَت القصة على شخصيتين، هما شخصية "رامي" الذي يمثل بطل القصة، ويلاحظ عدم تحديد الكاتب لسن بطل القصة، ولكن القارئ يمكنه معرفة الكثير من خلال سرد القصة وما جرى فيها من حوار كذلك من خلال الرسوم المصاحبة التي تبيِّن أنَّ رامي طفل صغير، ولجوء "رامي" إلى أمه عند شعوره بالخوف، هو ردة فعل غريزية يقول بها عادةً الأطفال، كذلك ما جاء في وصف حالته الانفعالية فهو يوشك على البكاء الذي مبعثه خوفه الشديد ممن يظن أنه الغول، والشخصية الثانية هي شخصية الأم، وهي الشخصية المساندة، وقد كان لها دورٌ محوري في القصة، فقد تعاملت مع خوف ابنها من الغول بوعي وحكمة، فلم تكفِّ بمحاورة ابنها الصغير فقط، بل قامت بإثبات حقيقة الأمر عملياً، وهو الأمر الذي جعل "رامي" يقتنع بكلام أمه، مما ساعده على التخلص من مخاوفه الناجمة عن أوهامه.

د. البيئة المكانية والزمانية: بدايةً ينبغي التنويه إلى أن الكاتب لم يأتِ على تحديد مكان معين لأحداث القصة، وربما قصد الكاتب ذلك لإمكانية حدوثها في أي مكان في العالم، ولكن طبيعة المكان لعبت دوراً محورياً في هذه القصة، فالبيت المهجور مثلاً تحدياً كبيراً للصغار الذين كانوا يلعبون بقرية، وعندما تراءى لهم وميض نار في ذلك المكان، فرَّ كل واحد منهم عائداً إلى بيته ظناً منهم أنه "غول كبير ينفث ناراً"⁽²⁾، ولا ننسى أنَّ الفقيه قد أخبرهم بوجود غول في البيت المهجور، ونلاحظ بعد ذلك

(1) سلسلة طفل يقرأ، "تار في البيت المهجور"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 12.

(2) المصدر السابق، ص 4.

تبادل انتقال الأحداث بين بيت "رامي" والبيت المهجور، فبعد هروبه إلى البيت ليحتمي بأمه، عادت به أمه إلى داخل البيت المهجور لتثبت له حقيقة الأمر، مروراً بالشوارع المقفرة وسط الليل حالك السواد، وعندما لم يفتنع عادت ببعض المواد إلى البيت لتشرح له عملياً حقيقة ما حدث.

ومثلما كان لطبيعة المكان تأثيره المباشر في أحداث القصة، كذلك شكّل الزمان متمثلاً في الليل الذي أهم ما يتصف به الظلام الذي يشكّل بدوره خلفية مؤثرة في الأحداث، فعلى صعيد أوام الأطفال كان الليل مؤثراً محورياً في خوفهم مما يظنون أن غول، كما جاء ذكر الليل عرضاً من خلال كلام "رامي" لأمه: "لا يا أمي، إنه هناك يتربص بكل من يخرج ليلاً"⁽¹⁾، فجاء ذكره عند خروج الأم وابنها متوجهين إلى البيت المهجور، حيث قال الكاتب: "كان الليل أسوداً"^(*) حالك السواد، وكان البرد قارساً، والشوارع مقفرة"⁽²⁾، كل ذلك يبيّن بوضوح أنّ البيئة الزمانيّة التي وقعت فيها أحداث القصة كانت الليل أو بتعبير أدق جزءاً منه، أما على الصعيد العلمي، فالمعروف أنّ مادة الفسفور يظهر توهجها بوضوح في الظلام، حدث هذا في المرة الأولى عندما رأى الأطفال وهم يلعبون ناراً تتبعث من البيت المهجور، وفي المرة الثانية عندما ذهب مع أمه إلى البيت المهجور، وعند ذلك ".. رأى على الأرض نقطة صغيرة تتوهج بضوء أحمر ثم تغيب .. تظهر .. ثم تغيب"⁽³⁾، كذلك عندما عادت الأم وابنها ببعض تلك المواد المشعة إلى البيت، ودخلت به الغرفة وأطفأت المصباح فظهر توهج مادة الفسفور في حين اختفى التوهج عند إضاءتها للمصباح، جاء ذلك في قول الكاتب: "في البيت أغلقت باب الغرفة ونوافذها، وأطفأت نورها"⁽⁴⁾.

هـ. اللّغة والأسلوب: غلب الحوار على السرد في هذه القصة، الذي أدّى دوره في إيضاح شخصيات القصة ومكوناتها، حيث كشف عن بواعث خوف بطل القصة الصغير "رامي"، كما أبان طريقة معالجة الأم لهذا الخوف، كما ظهر من خلال كلام "رامي" أنّ هذا الوهم لم يقتصر عليه وحده بل إنّ أقرانه أيضاً سيطر عليهم هذا الخوف الذي جعلهم ينفضون هاربين ممن تخيلوا أنه غول، وأنّ ما ذكره

(1) سلسلة طفل يقرأ، "تار في البيت المهجور"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 12.

(*) هكذا وردت في النص الأصلي، والصحيح (أسود).

(2) المصدر السابق، ص 7.

(3) المصدر السابق، ص 9.

(4) المصدر السابق، ص 11.

الفقيه^(*) لهم السبب الحقيقي وراء خوفهم، حيث جاء على لسان "رامي" عندما قالت له: "لا تصدق هذا الكلام"⁽¹⁾ أي وجود الغول في البيت المهجور، فردَّ قائلاً: "كن الفقيه يقول إنَّ غولاً يسكن البيت المهجور"⁽²⁾، كما كشف الحوار ثقافة الأم المعرفية، حيث شرحت لصغيرها بطريقة علمية مبسطة وواضحة سر النار المنبعثة من البيت المهجور، وبطبيعة الحال يمكن للقارئ الصغير فهم هذا الشرح واستيعابه كما فهمه واستوعبه بطل القصة "رامي".

كذلك أدى السرد دوره في هذه القصة، حيث بدأت القصة بوصف الحالة الانفعالية التي دخل بها "رامي" على أمه، وذلك في قول الكاتب: "دخل رامي على أمه وهو يلهث هلعاً"⁽³⁾، كذلك نجد السرد في وصف خروج الأم بابنها إلى البيت المهجور، ووصف الظرف الزماني والمكاني الصعب الذي صاحب هذا الخروج، إضافةً إلى الحالة النفسية المضطربة لرامي فقد "تشبث رامي برداء أمه والتصق بها"⁽⁴⁾، كما يظهر السرد في حزم الأم وسرعتها في التوجُّه بابنها إلى مصدر خوفه حيث: "كانت أمه تحت الخيطي نحو البيت المهجور"⁽⁵⁾، ثم يعود ليصف حالة الرعب التي اعترت "رامي" عند دخوله رفقة أمه إلى البيت المهجور، حيث "حاول رامي أن يصرخ فاحتبس صوته ودسَّ وجهه بين ثنايا ثوب أمه حتى لا يرى ما ترى"⁽⁶⁾، وعندما طلبت منه أمه أن يفتح عينيه ليرى النار التي ظنَّ أنها غول، وصف الكاتب بدقه حركاته الناجمة عن خوفه، حيث "سدَّ رامي عينيه بكفيه، ونظر من بين أصابعه

(*) من الغريب الرَّجُّ بالفقهاء وعلماء الدين في ترويج المعتقدات الباطلة، لأنَّ هذا يتعارض مع رسالتهم وعلمهم، كما يتعارض مع واقع الحال، لأنَّ الجهل بالدين هو سبب رئيس لانتشار مثل هذه الأفكار المغلوطة وليس العكس، كما أنَّ إصاق هذه التهم بالشيوخ والفقهاء له أثره السلبي على النشء، فالدين يمثل هُويَّة المجتمع ويسهم في تربيتهم وتقويم الأخلاق والمعتقدات.

(1) سلسلة طفل يقرأ، "نار في البيت المهجور"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 5.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق، ص 3.

(4) المصدر السابق، ص 7.

(5) المصدر السابق، ص 7-8.

(6) المصدر السابق، ص 8-9.

متلصصاً..⁽¹⁾، واستمر توالي السرد والحوار إلى نهاية القصة، حيث قام السرد بإبراز الأفعال والحالة النفسية للأبطال، ليأتي بعد ذلك الحوار ويكمل المشهد.

وتكاد تخلو القصة من اللُّغة الإبداعية، غير أنّ الكاتب أجاد في تصوير كثير من الانفعالات بلغة مباشرة لكنها لا تخلو من الجمال، من ذلك مثلاً صَوَّر دخول "رامي" على أمه هرباً من الغول، بجملة واضحة ومعبرة، وذلك في قوله: "دخل رامي على أمه وهو يلهث ويرتعش هلعاً"⁽²⁾، وعندما سألته أمه عن سر خوفه، وصف الكاتب حالته الانفعالية بقوله: "أجاب وهو يوشك على البكاء.."⁽³⁾، وحين طلبت منه أمه الذهاب معها إلى البيت المهجور عبّر الكاتب عن رعب رامي قائلاً: "صرخ رامي مستغيثاً: أنا!!.."⁽⁴⁾، وأثناء سيرهما في الظلام الحالك والشوارع المقفرة "تشبث رامي برداء أمه والتصق بها.."⁽⁵⁾، وفي تعبير آخر وصف انفعال "رامي" وشدة خوفه حين دخلت به أمه ذلك البيت قال: "حاول رامي أن يصرخ فاحتبس صوته ودسَّ وجهه بين ثنايا ثوب أمه حتى لا يرى ما ترى"⁽⁶⁾، وعندما طلبت منه أمه أن يفتح عينيه لير ما ترى: "سدَّ رامي عينيه بكفيه، ونظر من بين أصابعه متلصصاً.."⁽⁷⁾، كل هذه التعبيرات المباشرة نقلت بأمانة وصفاً غير مباشر لمشاعر رامي وانفعالاته، وهو سر ما فيها من جمال قد لا يقل شأنًا فيما لو استخدم الكاتب في ذلك لغةً إبداعيةً.

وفيما يخص المفردات كانت جُلُّها واضحة، ويلاحظ طغيان المفردات المعبرة عن مشاعر الخوف على غيرها، حيث نجد مفردات مثل: الهلع والخوف والفرع الروع قد تكررت كثيراً وفي عدة صور، كما نجد بعض المقابلات، مثل: يظهر ويختفي، وتغيب وتظهر، أطفأت وأضاءت، النور والظلام، كما تضمنت القصة الكثير من الاستفهامات، ويلاحظ أنّ هذه الاستفهامات جاءت بدايةً على لسان الأم، حين استفسرت من ابنها "رامي" عن سر دخوله عليها مرعوباً، مثل: "ماذا حدث؟ لماذا أنت خائف

(1) سلسلة طفل يقرأ، "تار في البيت المهجور"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 9.

(2) المصدر السابق، ص 3.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر السابق، ص 7.

(5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر السابق، ص 8-9.

(7) المصدر السابق، ص 9.

ترتجف؟ من يطارديك؟⁽¹⁾، ثم يتولّى "رامي" توجيه جملة من الاستفهامات، منها: "سألها فزعاً: وماذا ستفعلين يا أمي؟"، و"هل أنت لست خائفة؟"⁽²⁾، و".. ولكن لماذا أطفأت النور؟"، و"هذه نار .. من أين جاءت؟"⁽³⁾، ويمكن تفسير ازدحام هذه القصة بالتساؤلات إلى أمرين، أولهما: أنّ أهم ما يميّز به الأطفال هو كثرة الأسئلة، حتى أنّ الخبراء يطلقون على مرحلة الطفولة المبكرة بمرحلة السؤال، وثانيهما: أنّ طبيعة القصة ومضمونها المعرفي فرضت أساليب معينة وأهمها أسلوب الاستفهام.

وقد تخلّل القصة بعض الأفعال التي توحى بحزم الأم وعزمها على حل مشكلة ابنها، مثل: جذبته، ودفعته، في قول الكاتب: "جذبته من زراعه ودفعته أمامها..⁽⁴⁾، كذلك في: "هيا، ثم دفعته أمامها وخرجا معاً"⁽⁵⁾، و"تقدمت ويدها تقبض على يده"⁽⁶⁾، كما نجد الكثير من المفردات الدالة على الوصف، مثل: "كبير، وأسود حالك السواد، وقارساً، ومقفرة، قديماً، ومهدماً، ومهجوراً، وصغيرة، ومعدنية". وفيما يخص اللغة الإبداعية، استخدم الكاتب أسلوب التشبيه في جملة واحدة وذلك في وصف النار المنبعثة من البيت المهجور، هي: "رأت أمه شيئاً يلمع مثل البرق"⁽⁷⁾. كما يلاحظ استخدام الكاتب لبعض المفردات التي قد تكون فوق مستوى قاموس من تتوجه إليهم القصة، مثل استخدامه لكلمة تطغى، التي لا تتناسب مع ثقافة الشخصية، جاء ذلك على لسان "رامي": ".. رأينا النار تطغى الأرض^(*) فركض كل واحد منا عائداً إلى بيته"⁽⁸⁾، ومجيء هذا اللفظ على لسان البطل الصغير غير واقعي، ولا يعبر عن شخصية قائلها من حيث مستواه السنّي والثقافي!

وربما تعمّد الكاتب استخدام بعض الكلمات الصعبة، باعتبار أنّ القصة ضمن سلسلة معرفية، وسبقت الإشارة إلى أنّ الكاتب ذيل قصص هذه السلسلة بجدول أسماء "الرصيد اللغوي"، جاء في

(1) سلسلة طفل يقرأ، "تار في البيت المهجور"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 3.

(2) المصدر السابق، ص 6.

(3) المصدر السابق، ص 11.

(4) المصدر سابق، ص 5.

(5) المصدر السابق، ص 7.

(6) المصدر السابق، ص 9.

(7) المصدر السابق، ص 8.

(*) صياغة الجملة غير دقيقة وربما يقصد الكاتب: تنتشر أو تسود مساحة كبيرة من الأرض.

(8) المصدر السابق، ص 5.

المستوى الأول الذي شرح فيه معاني بعض المفردات الصعبة، وفي مستوى الثاني جموع بعضها، وفي الثالث أزداد بعض المفردات، وذلك لإغناء الرصيد اللغوي للقراء الصغار.

ثالثاً: نماذج من قصص المرحلة الثالثة:

الحكاية السادسة

إحدى قصص مجموعة "من حكايات الحروف"، التي أصدرها الكاتب سنة 2003 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثل المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

تحكي قصة اختفاء أحد الحروف من حديقة الحروف وهو حرف "الكاف"، الذي باختفائه اختفت كل الكتب، واتفق الراوي مع حارس حديقة الحروف وهو حرف "الألف" للذهاب في نزهة إلى الحديقة العامة، ليجدا حرف "الكاف" هناك، ودار بينهم حوار عرفا من خلاله غضب حرف "الكاف" واختفائه، وذلك لعدم تلبية طلبه ببناء مكتبة مركزية في وسط المدينة ومكتبة خاصة بكتب الأطفال وغيرها من الطلبات الخاصة بالاعتناء بالكتب وطباعتها، واقتنع الراوي وحرف "الألف" بكلام حرف "الكاف" وأقنعه بالعودة إلى حديقة الحروف لتعود الكتب إلى الأطفال.

تحليل القصة

البناء الفني:

- أ. الموضوع: تقوم القصة على فكرة ضرورة توفر المكتبات العامة والمكتبات الخاصة بكتب الأطفال.
- ب. الأحداث والعقدة بدايةً يمكن القول إنَّ معالجة الكاتب لهذه المجموعة في جميع حكاياتها تكاد تكون واحدة، فأى حكاية منها يمكن أن تكون نموذجاً لسائر الحكايات، وذلك من حيث الشخصيات التي تتمثل في الراوي وهو الكاتب الذي لم يكتف بالرواية بل كان من شخصيات القصة، كذلك الحروف الهجائية التي شخّصها لتصبح كائنات حية تتكلم وتفكر وغير ذلك، وفي كل قصة يتصدَّر حرف أو أكثر دور البطل، أما الأحداث فهي محدودة يتمثل الحدث الرئيس - غالباً - في اختفاء الحرف البطل أما العقدة

فهي نتيجة منطقية لاختفاء الحرف البطل من الكلمات التي يكون هو أحد حروفها فيختل المعنى وقد تختفي الأشياء التي يكون هذا الحرف أحد حروف أسمائها، والحل يكون - بطبيعة الحال وفي جميع الحكايات - برجوع الحرف إلى مكانه في حديقة الحروف لترجع الكلمات والأشياء التي اختفت باختفائه، والتزام الكاتب بهذا النسق والترتيب وطبيعة الشخص من الحكاية الأولى، ممّا سهّل للقارئ الصغير توقُّع السمات الرئيسة في كل حكاية من حكايات المجموعة.

المقدّمة: يمكن القول إنّ الكاتب لم يلتزم بمقدمة تقليدية، تتضمن ما يمكن توقعه من تحديد للبيئة المكانية والزمانية وغير ذلك، وككل حكايات هذه المجموعة بدأت هذه الحكاية بسرد الراوي لما رآه أثناء زيارته الأسبوعية إلى حديقة الحروف، حيث وجد أمام بوابتها الكثير من البشر كباراً وصغاراً، كما رأى حارس الحديقة وهو حرف "الألف" يصيح طالباً منهم الهدوء.

يتضح من المقدّمة أنّ الحكاية بدأت بحدث روتيني، حيث يقوم الراوي بزيارة حديقة الحروف، والوضع غير المؤلف الذي رآه هناك، لكنّ الحدث الرئيس تمثّل في سبب ذلك الوضع فعندما تقدم الراوي من حرف "الألف" وهو حارس حديقة الحروف عرف منه أنّ حرف "الكاف" قد اختفى، وبهذا يمكن القول إنّ الحدث المحوري قد حدث في زمن ماضٍ، ونتج عن هذا الاختفاء لحرف "الكاف" المشكلة أو العقدة وهي اختفاء الكتب من المدارس، جاء ذلك على لسان حرف "الألف" حين أخبر الراوي قائلاً: "اختفى ولم يبق في كل المدارس كتاباً واحداً"⁽¹⁾، وعندما سأل الراوي حرف "الألف" عن علاقة حرف "الكاف" بالكتب، أجابه متعجباً: ألا تعرف أنّ كلمة كتاب تبدأ بحرف الكاف؟ فإذا ذهب الكاف، ذهب الكتاب"⁽²⁾، وبقيت المشكلة على حالها حتى اقترح الراوي على حرف "الألف" الذهاب إلى الحديقة العامة ليفكروا بهدوء في حل هذه المشكلة، ورغم تكوّن حرف الألف في البداية وافقه في نهاية الأمر على الذهاب، وبهذا تبدأ الأمور في الانفراج، حيث وجدا حرف "الكاف" جالساً هناك، وحدث نقاش وجدال طويل عرفا من خلاله سبب هروب حرف "الكاف" واختفائه الذي أدى إلى اختفاء الكتب.

الحل: بعد جدال طويل أقنع الراوي وحرف الألف حرف الكاف بالعدول عن قراره والرجوع إلى حديقة الحروف لتعود الكتب إلى الأطفال، وقد وعدهما أنّه سيعود حبّاً في الأطفال والكتب، وذلك حين قال

(1) مجموعة من حكايات الحروف، الحكاية السادسة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 61.

(2) المصدر السابق، ص 64.

بعد تفكير: "سأعود معكم لأنني أحب الأطفال وأحب الكتاب"⁽¹⁾، لتنتهي الحكاية بعودة حرف "الكاف" فعلياً إلى حديقة الحروف، لينتهي ذلك الإشكال، وتختتم الحكاية بقول الراوي: "وهكذا عاد حرف الكاف إلى حديقة الحروف، وهكذا عاد الكتاب إلى كل طفل، وعاد إلى حرف التاء والألف والباء"⁽²⁾.

ج. **الشخصيات:** تضمّنت هذه الحكاية عدّة شخصيات، أولها شخصية الراوي الذي لم يكتف بالرواية بل كان له دور أساسي في القصة، فهو من الشخصيات المساندة، وهو صديق لحديقة الحروف كما جاء في مقدمة المجموعة التي بدأها بمخاطبة القارئ الصغير قائلاً: "صديقي الصغير"⁽³⁾ وقال أيضاً: "وأنا صديق الحروف"⁽⁴⁾، وأكّد ذلك في عدد من حكاياته، فقال في إحداها: ".. لأنني معروف عند الجميع بأني صديق لحديقة الحروف"⁽⁵⁾، وقال في أخرى: ".. وقد فرحت بالدعوة كثيراً، لأنني صديق حديقة الحروف"⁽⁶⁾، كما جاء على لسان أحد الحروف مخاطباً الراوي: ".. لأننا نحن أصدقاؤك الحروف"⁽⁷⁾.

إنّ الغرض من هذا العرض لشخصية الراوي تسهيل معرفة طبيعة هذه الشخصية ودورها في جميع حكايات المجموعة بما فيها هذه الحكاية التي بين أيدينا، ويمكن تصنيف شخصيته بالشخصية المساندة، وذلك وفقاً لدوره في هذه الحكايات، فهو الصديق الذي يقوم بمساندة أصدقائه ومساعدتهم في حل ما يعترضهم من مشاكل، ففي هذه الحكاية ظهرت علامات الاستبشار والفرح على حارس الحديقة حرف "الألف" عندما رأى صديقهم الراوي ليساعده في حل مشكلتهم، وذلك ما جاء على لسان الراوي: "وعندما رأني ظهرت على وجهه علامات الفرحة، واندفع نحوي وقال لي: لا يحل المشكلة إلا أنت"⁽¹⁾، ومسار الحكاية وأحداثها تؤكد على هذه الفكرة، حيث قام الراوي بمساعدة حارس الحديقة في حل المشكلة المتمثلة في اختفاء الكتب الناتج عن اختفاء حرف "الكاف".

(1) مجموعة من حكايات الحروف، الحكاية السادسة، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 69.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق، ص 5.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(5) الحكاية العاشرة، المصدر السابق، ص 105.

(6) الحكاية الحادية عشرة، المصدر السابق، ص 115.

(7) الحكاية الثانية عشرة، المصدر السابق، ص 128.

(1) مجموعة من حكايات الحروف، الحكاية السادسة، مصدر سابق، ص 63.

أما الشخصية الأساسية الثانية فهي شخصية حارس حديقة الحروف الذي يمثل دوره حرف "الألف" في جميع الحكايات باستثناء الحكاية التاسعة والعاشر التي تولى فيها حرف "الطاء" حراسة حديقة الحروف، ليعود حرف الألف في الحكايتين الحادية عشرة والثانية عشرة.

قام حرف "الألف" باعتباره حارس لحديقة الحروف بدوره، يظهر ذلك في البداية من قلقه وانشغاله بما أحدثه اختفاء حرف "الكاف" من مشاكل، فباختفائه اختفت الكتب، كما نتج عن ذلك الكثير من الفوضى حيث تجمع الكثير من الناس كباراً وصغاراً؛ لأنهم لم يعودوا يجدون أي كتاب، حيث استعان حارس الحديقة بصديق الحروف الراوي، وطلب منه المشورة عندما رآه مقبلاً عليه، وأخذ بنصيحته، حتى نجحاً معاً في اقناع حرف "الكاف" بالرجوع لحديقة الحروف.

أما الشخصية المحورية، التي كانت محور الأحداث ويطلها هو حرف "الكاف"، الذي أحدث اختفاؤه مشكلة كبيرة، حيث اختفت الكتب في كل المدارس، وهذا ما دفع الناس إلى التجمع أمام حديقة الحروف، وعند متابعة أحداث الحكاية ليكتشف القارئ أنّ اختفاء حرف "الكاف" لم يكن تهوراً أو عدم مسؤولية، وإنما عكس ذلك تماماً، فهو قد اختفى احتجاجاً على عدم تلبية طلباته ببناء المكتبات العامة، وبناء مكتبة خاصة بكتب الأطفال وطباعة الكتب ونشرها، كما أنّ إحساسه بالمسؤولية هو ما دفعه إلى العودة إلى حديقة الحروف.

د. البيئة المكانية والزمانية: انتقلت الأحداث - من حيث البيئة المكانية - بين مسرحين، أولهما: حديقة الحروف، وهو اسم اصطلاحه الكاتب، واختيار هذا المصطلح له مدلوله الجمالي، فكما أنّ الحديقة الطبيعية هي مكان للخضرة وجمال الطبيعة كذلك حديقة الحروف التي تجمع الحروف الهجائية التي نجد فيها الكثير من الكلمات والألفاظ، وثانيهما: الحديقة العامة، وهي المكان التي يتروض فيه الناس ويستمتعون فيه بمظاهر الجمال الطبيعي، من ورود وأزهار وغير ذلك، جاء ذلك على لسان الراوي: "قلت لحرف الألف: ما رأيك في نزهة في الحديقة العامة؟"⁽¹⁾، وفي موضع آخر قال: "في الحديقة العامة لم نجد أطفالاً يلعبون على ألعابهم .."⁽²⁾.

(1) مجموعة من حكايات الحروف، الحكاية السادسة، مصدر سابق، ص 65.

(2) المصدر السابق، ص 66.

أما البيئة الزمانيّة، فقد أشار الراوي في مقدمة الحكاية إلى أنّ بداية الأحداث حدثت صباحاً، وذلك حين قال: "في زيارتي الأسبوعية إلى حديقة الحروف، وجدتُ خلقاً كانوا أمام بوابتها، رجالاً ونساءً وأولاداً وبناتاً، ولم أعرف سبب تجمعهم هذا الصباح"⁽¹⁾، وفي العبارة السابقة ما يشير إلى أنّ تلك الأحداث وافق حدوثها مع زيارة الراوي إلى حديقة الحروف، كما تبين أنها زيارة تتم بصورة منتظمة في يوم محدد من أيام الأسبوع لم يهتم الكاتب بذكره.

أما فيما يخص التوقيت الذي استغرقته الأحداث ومن خلال تتبّع مسارها لم يتجاوز نهار ذلك اليوم، حيث قام الراوي بزيارته المعتادة في الصباح ولم ينته ذلك النهار حتى انتهت الحكاية بعودة حرف "الكاف"، ولكن ينبغي الإشارة أن الراوي لم يشر إلى توقيت هروب حرف "الكاف" من حديقة الحروف وهو ما تمّت الإشارة إليه بأنه الحدث المحوري للحكاية، ولا يفهم القارئ سوى أنه حدث في وقت سابق، حيث جاء ذلك على لسان حرف "الألف في خطابه للراوي": "اختفى حرف الكاف"، ولكن يمكن القول إنّ ذلك الوقت لم يكن بعيداً؛ لأنّ نتيجة الاختفاء كانت لها نتائج فورية، باختفاء حرف "الكاف" اختفت جميع الكتب، فكانت ردّة فعل الناس كباراً وصغاراً فورية أو - على الأقل - لم تأخذ وقتاً طويلاً، وذلك من خلال تجمعهم أمام حديقة الحروف احتجاجاً على اختفاء الكتب.

هـ. اللّغة والأسلوب: هذه المجموعة تقوم أساساً على فكرة المعرفة اللغويّة لذلك نجد الكثير من المفردات، في متن الحكاية التي ورد ذكرها كمثال على بعض الأسماء التي يكون الحرف البطل أحد حروفها، بل هو الحرف الذي تبدأ به الكثير من الكلمات، والحرف البطل في هذه الحكاية هو حرف "الكاف"، وجاء على لسان الراوي: "قلت لحرف الألف: إنّ حرف الكاف يوجد في كلمات أخرى كثيرة مثل: كرة، كعب، كسرة، كلب، كوخ، كوز، كوة، كأس، كيمياء، كمثرى، كتف، كف، كرسي، كربون، كتيبة، كبد، كشّاف"⁽¹⁾، كذلك حرص الكاتب على تذييل حكاياته بما أسماه الكاتب الرصيد اللغوي في نهاية الحكاية، الذي قام فيه بشرح معاني المفردات السابقة إضافة إلى كلمات أخرى، ويلاحظ أنّ الكاتب لم يقتصر على شرح معاني المفردات التي قد تشكّل على القارئ الصغير في المرحلة المستهدفة، وإنما التزم بشرح كل المفردات! بما فيها تلك المفردات التي لا تخرج عن بيئة الطفل بما

(1) مجموعة من حكايات الحروف، الحكاية السادسة، مصدر سابق، ص 63.

(1) المصدر السابق، ص 65.

فيها المرحلة الأولى، فعلى سبيل المثال: شرح معاني كلمات الكرة، والكرسي، والكوب، والكيس، وهناك بعض المفردات كان شرحها أكثر غموضاً منها، كمثال: الكمان حيث فسرها بقوله: "الكمنجة"، الكوز: "إناء من فخار أصغر من الإبريق"، الكمامة: "تسدُّ بها فم الحيوان لنمنعه من العض أو الأكل"⁽¹⁾.

وفيما يخصُّ اللُّغة الإبداعية، يمكن القول أنَّ هذه الحكاية تخلو منها تماماً، فالكاتب التزم اللُّغة المباشرة، ورغم هذا فإنَّ الأسلوب المستخدم في هذه الحكاية بل في المجموعة كلها لا يتناسب مع المرحلة المستهدفة، فيلاحظ استخدامه للجمل الطويلة في حكايته.

وعند التمعُّن في هذه الحكايات يلاحظ وجود ازدواجية أو عدم توافق بين الفكرة والطرح، فالفكرة تقوم على مخاطبة الأطفال في مرحلة تعلُّمهم الأولى، التي تبدأ - عادةً - بتعلُّم الحروف الهجائية وما يمثِّله كل حرف في الكلمات الذي يكون أحد مكوناتها، فباختفائه تفقد الكلمة معناها، كما يتزود ببعض المفردات التي يكون الحرف البطل أحد مكوناتها، أما من ناحية الطرح الذي يتَّسم بطول الجمل وكثرة الاستطرادات فهو لا يناسب المرحلة المستهدفة.

غلب الحوار على السرد في هذه الحكاية، مما ساعد بالكشف غير المباشر عن طبيعة الشخصيات، كما يتعرف القارئ على جل الأحداث وردود أفعال الشخصيات من خلاله، ويعرف سبب تجمع الناس أمام حديقة الحروف من خلال ما دار من حوار بين الراوي وحارس حديقة الحروف، كذلك يعرف سبب هروب حرف الكاف واختفائه من خلال حوار مع الراوي .. ، وبهذه الحوارات اتسمت الحكاية بشيء من الحيوية، إضافة إلى الحوارات بين أبطال الحكاية، يجد القارئ حواراً داخلياً عبَّر عما يدور في نفس الراوي، وذلك عندما وصل إلى حديقة الحروف ورؤيته لمنظر غير مألوف المتمثل في تجمع الناس وازدحامهم أمامها وحارس الحديقة يحاول تهدئتهم، فقال في نفسه: "لا بد أنَّ حرف الألف حارس الحديقة يعرف سبب تجمعهم وصيحاتهم"⁽¹⁾.

(1) مجموعة من حكايات الحروف، الحكاية السادسة، مصدر سابق، ص 71.

(1) المصدر السابق، ص 63.

طائرة الورق تجمع الأصدقاء

إحدى قصص مجموعة "المهر الأسود"، التي أصدرها الكاتب سنة 2006 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثل المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

تحكي القصة عن ثلاثة أصدقاء، هم حامد وأحمد ومحمود، يدرسون في مدرسة واحدة، رجع كل واحد منهم سعيداً بمسابقة الطائرات الورقية، التي ستكون في اليوم التالي يوم العطلة في الساحة الواسعة، قامت أم كل واحد منهم بنصيحة ابنها بأن يشتركوا جميعاً في طائرة واحدة باعتبارهم أصدقاء، فكانت إجابة كل واحد لأمه أنه تخاصم اليوم في المدرسة مع أصدقائه؛ لذا قرر كل واحد أن يصنع طائرته الخاصة به، التي يأمل أن تطير أعلى من طائرتي صديقيه، صنع كل واحد منهم طائرته التي يختلف لونها عن لون طائرتي صديقيه، وذهب كل واحد منهم إلى ساحة السباق حيث الكثير من الأطفال المتسابقين، وعند سماعهم صافرة الحكم أطلق الجميع طائراتهم، ارتفعت طائرات الأصدقاء عالياً، لكنها تشابكت في السماء وازدادت ارتفاعاً لتكون أعلى الطائرات ارتفاعاً، أعلن الحكم فوزهم، ضحكوا فرحين ثم تعانقوا وتشابكت أيديهم كما تشابكت طائراتهم، وعادوا إلى بيوتهم أصدقاء فائزين.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: تقوم القصة على فكرة نبذ الخصومة والخلاف بين الأصدقاء، فالمحبة والألفة هي سبيل السعادة والتعاون.

ب. الأحداث والعقدة: المقدمة: بدأت القصة بمقدمة قصيرة جداً، لم تأخذ سوى سطر ونصف السطر، ذكر فيها الكاتب أنّ يوم الغد عطلة، لذا يستعد كل التلاميذ في هذا اليوم للتسابق واللعب بطائراتهم الورقية في الساحة الواسعة.

بدأت الأحداث بحدث تكرر مع الأصدقاء الثلاثة، حامد وأحمد ومحمود، حيث رجع كل واحد منهم من مدرسته فرحاً بمسابقة الطائرات الورقية التي سيشترك فيها كل التلاميذ، وأخبر كل واحد أمه أنه

سيصنع طائرة ورقية يشارك بها في هذه المسابقة، ويأمل أن يفوز على غيره، ونصحت كل أم ابناً بأن من الأفضل أن يصنعوا طائرة واحدة لكونهم أصدقاء، فكان رد كل واحد منهم أنه على خصومة مع صديقه، ويلاحظ أنه قبل هذا الحدث كانت العقدة أو المشكلة، هي خصومة الأصدقاء الثلاثة، وازدادت الأمور تعقيداً في صباح اليوم التالي عندما ذهب كل واحد من الأصدقاء إلى الساحة الكبيرة حاملاً طائرته الخاصة به، حيث وقف كل واحد منهم بعيداً عن صديقه، لم يتبادلوا نظرة ولا تحية.

الحل: بدأت الأمور تتجه تدريجياً نحو الانفراج، وذلك بعد انطلاق صافرة الحكم فأرسل المتبارون طائراتهم المزركشة التي ارتفعت في السماء الصافية، كما ارتفعت طائرات الأصدقاء في السماء حتى أصبحت نقطة صغيرة بعيدة، وتحدث المفاجأة باقتراب طائراتهم من بعضها حتى تشابكت، ثم صارت طائرة واحدة، وارتفعت أعلى من كل الطائرات، فهلل الصغار وصفقوا، وأعلن الحكم فوز الأصدقاء بطائرة واحدة، ثم سحب الأصدقاء طائراتهم المتشابكة، وكانوا أكثر قرباً من بعضهم، وفي عيونهم فرح الفوز، وكلما سحبوا الأسلاك ازدادت حتى صارت سلكاً واحداً، والطائرات صارت طائرة واحدة بثلاثة ألوان، فضحكوا وتعانقوا وتشابكت أيديهم كما تشابكت طائراتهم، ثم "عادوا معاً إلى بيوتهم فائزين .. ثلاثة أصدقاء وطائرة واحدة"⁽¹⁾.

ج. الشخصيات: تضمنت القصة ثلاث شخصيات تمثل البطولة، فالبطولة في هذه القصة جماعية، وهؤلاء الأبطال هم: حامد وأحمد ومحمود، وهم أصدقاء يدرسون في مدرسة واحدة، مواقفهم متشابهة، فرقت بينهم الخصومة، ولم يستمع أحدٌ منهم لنصيحة أمه في الاشتراك بطائرة ورقية واحدة باعتبارهم أصدقاء، لكن تشابك طائراتهم أسهم في فوزهم وفي عودتهم لبعضهم أصدقاء متحابين، كما تضمنت ثلاث شخصيات مساندة، وهي شخصيات أمهات أبطال القصة، وكان لكل واحدة منهن الموقف نفسه في نصح ابنها بالاشتراك مع صديقه بطائرة واحدة، وبهذا يمثلن الدور الإيجابي الذي ينبغي أن تقوم به الأمهات في نصح ابنائهن، وتعليمهم المعاملة الحسنة مع الأصدقاء والناس بشكل عام.

د. البيئة المكانية والزمانية: تعددت أماكن أحداث القصة، حيث عاد كل واحد من الأصدقاء الثلاثة من المدرسة إلى بيته، حيث قام كل واحد منهم بالاستعداد لمسابقة الطائرات الورقية، وذلك بصنع

(1) مجموعة المهر الأسود، "طائرة الورق تجمع الأصدقاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 103.

طائرات ورقية يشاركون بها في المسابقة، جاء ذلك في قول الكاتب: "اليوم عاد حامد من المدرسة سعيداً ونشطاً .. ثم فتح خزانته الصغيرة وأخرج منها بكرة سلك أبيض، وعلبة غراء صغيرة ومقصاً وورقة عريضة زرقاء وشفافة وأوراقاً أخرى أصغر منها، وبألوان مختلفة وأشياء أخرى ليصنع طائرة ورقية"⁽¹⁾، وتكرر هذا الأمر مع الصديقين الآخرين، أما مسرح الحدث الرئيس فهو الساحة الواسعة التي تمت فيها هذه المسابقة، التي ذهب إليها الأصدقاء وهم متخاصمون ليرجعوا وهم أصدقاء متحابون، وفي هذا يقول الكاتب: "في الصباح .. نهض الصغار من نومهم مبكرين وتجمعوا في الساحة الكبيرة"⁽²⁾.

أما البيئة الزمانية فهي تنقسم إلى قسمين، أولهما: توقيت الأحداث، الذي يتحدد في توقيتين، أحدهما بعد عودة الأصدقاء من المدرسة، حيث انهمك كل واحد منهم بصنع طائرته الورقية، أما التوقيت الثاني فهو الوقت المحدد للمسابقة، وهو في صباح اليوم التالي، أما القسم الثاني: فهو الوقت الذي استغرقته تلك الأحداث، ويتبين من خلال القصة أنها استغرقت يومين، أحدهما اليوم الدراسي الذي عاد فيه التلاميذ إلى بيوتهم، والثاني هو يوم العطلة الذي تجرى فيه مسابقة الطائرات الورقية.

هـ. اللُّغة والأسلوب: اعتمد الكاتب على السرد والحوار في هذه القصة، مع غلبة الأول الذي أخذ مساحة أكبر من الحوار، أما لغة القصة وأسلوب المعالجة فهما يتناسبان مع مرحلة الطفولة المتوسطة، ورغم اللغة التقريرية التي سادت القصة، فإنها لم تخلُ من اللُّغة الإبداعية، حيث أُستخدم الاستفهام لغرض بلاغي كنوع من الحث والطلب من كل أم لابنها، حيث قلن: "أنتم أصدقاء، لماذا لا تصنعون معاً طائرة واحدة"⁽¹⁾، كما نجد التشبيه عند وصف الكاتب لطيران الطائرات الورقية بالسباحة في الفضاء، وذلك في قوله: "كأنها تسبح في الفضاء الأعلى"⁽²⁾، كما نجد الاستعارة في قوله: "فترتفع وهي تهز ذبولها المزركشة في حركات بديعة راقصة"⁽³⁾، حيث نلاحظ أنّ الكاتب استخدم لفظ "تهز" ولم يستخدم لفظ تهتز بمعنى أنه جعلها وكأنها كائن حي يتعمد فعل ذلك، رغم أنّها تهتز بفعل الرياح،

(1) مجموعة المهر الأسود، "طائرة الورق تجمع الأصدقاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 101.

(2) المصدر السابق، ص 102.

(1) المصدر السابق، ص 101 - 103.

(2) المصدر السابق، ص 103.

(3) المصدر السابق، ص 102 - 103.

كذلك الأمر عند حديثه عن اقتراب طائرات الأصدقاء الورقية وتشابكها في قوله "اقتربت حتى تشابكت وتعانقت"⁽¹⁾، حيث جعل الكاتب اقترابها متعمداً والقرينة على ذلك استخدامه لفظ "تعانقت" والعناق يسبقه المحبة والشوق، وهي مشاعر تختص بها الكائنات الحية وعلى وجه التحديد البشر، ثم استغل الكاتب هذا المعنى ليصل به إلى تعانق الأصدقاء وعودتهم إلى سابق عهدهم من المحبة والوئام، وجعل الكاتب من التشابك الذي يعتبر مشكلة لأصحاب الطائرات الورقية حلاً لمشكلتهم الأساسية وهي خصومتهم.

أمّا الحوار فإنه أسهم في الكشف عن رغبات الأصدقاء في المشاركة في مسابقة الطائرات الورقية كلُّ بطائرتة الخاصة به، كما كشف عمّا حدث من خصومة بينهم، كما كشف عن حرص أمهاتهم على أن تكون علاقة الأبناء ببعضهم علاقة سليمة، غير أنّ النصيحة المكررة التي نصحت بها كل أم ابنها بأن تكون لهم طائرة ورقية واحدة يشاركون بها في المباراة لا يخلو من التكلّف، ثم إنّ مشاركة كل واحد بطائرتة الخاصة ليس فيه ما يضير، فهو نوع من التنافس الشريف، إنما الضير هو في الخصومة الواقعة بين هؤلاء الأصدقاء، كما تضمنت القصة مفردات قد تصعب على من وجّهت إليهم القصة، ككلمة "تنهادى"⁽²⁾.

حكاية "الديك وأصدقاؤه الثلاثة"

وهي إحدى قصص مجموعة "حكايات قبل النوم"، التي أصدرها الكاتب سنة 2006 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثّل المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

تحكي القصة قصة أربعة من الأصدقاء، هم: ديك وقط وأرنب وبطة، يعيشون في بيت واحد، تجمعهم المحبة والتعاون، تعودوا الاجتماع كل ليلة بعد العشاء ليحكي لهم الديك كثيراً من الحكايات عن كل شيء، وكانوا فرحين بحكاياته، لكنهم كانوا أيضاً يتعجبون من كل هذه الحكايات التي يحكيها الديك لهم، وكانوا يسألونه عن مصدرها، لكنه طلب منهم أن يكتشفوا ذلك بأنفسهم، فانفق الأصدقاء

(1) مجموعة المهر الأسود، "طائرة الورق تجمع الأصدقاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 103.

(2) المصدر السابق، ص 103.

الثلاثة على تتبع الديك عند خروجه في الصباح لمعرفة أين يذهب كل صباح؟ واختاروا أن يتتبعه القط لسرعته وخفته، فاكتشف أنّ الديك دخل مبنى مكتوب عليه "مكتبة عامة"، وعندما دخل وراءه رآه يختار كتاباً من أحد رفوف المكتبة ويجلس ويشعر في قراءته، حتى انتهى منه ثم أرجعه إلى مكانه، وعندما همّ بالخروج سبقه القط وأخبر أصدقاءه باكتشافه، وبهذا الاكتشاف عرفوا مصدر حكايات الديك، وأصبح كل واحد منهم من رواد المكتبة، وكل ليلة يقوم واحد منهم بحكاية حكاية قرأها في أحد كتب المكتبة.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: يقوم موضوع القصة على فكرة أنّ ارتياد المكتبات وقراءة الكتب هو من أهم وسائل الثقافة، واكتساب المعارف والعلوم في شتى المجالات.

ب. الأحداث والعقدة: المقدمة: قدّم الكاتب لحكايته بمقدّمة طويلة عرّف فيها بالأصدقاء الأربعة، وهم ديك وقط وأرنب وبطة، فهم يعيشون في بيت واحد، يقوم كل واحد منهم بدوره، فهم يعيشون في هذا البيت الجميل تجمعهم المحبة والتعاون وكانوا في كل ليلة يجتمعون ليحكى لهم الديك حكايةً جديدةً، عن الحيوانات بأنواعها والطيور، والشمس والنجوم، والنباتات، وكانوا سعداء بذلك، وتضمّنت هذه المقدّمة عقدة القصة، حيث كان أصدقاء الديك يسألونه في كل مرة: "من أين تأتي بهذه الحكايات؟" فيجيبهم قائلاً: "اكتشفوا بأنفسكم من أين تأتي الحكايات"⁽¹⁾.

بدأت الأحداث بداية عادية، فكل الأيام استيقظ الأصدقاء من نومهم، وتناولوا إفطارهم ووزّعوا أعمال البيت فيما بينهم، لكن عندما قال الديك: "إنه سيذهب للقاء صديق"⁽²⁾، طالبه أصدقاؤه بأن يطلب من صديقه أن يأتي ويعيش معهم، أو أن يذهبوا معه ليتعرّفوا عليه، كما سألوه عن سر ذهابه

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "حكاية الديك وأصدقاؤه الثلاثة"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006، ص 25.

(2) المصدر السابق، ص 26.

إلى هذا الصديق كل صباح!، لكنه لم يجبههم على تساؤلاتهم، إنَّما وعدهم بأن يأخذهم إليه في يوم من الأيام.

وبدأت الأحداث غير العادية باجتماع الأصدقاء الثلاثة بعيد خروج الديك على عجل، وانفاقهم على تتبُّعه ليعرفوا سرَّ خروجه كل صباح، وانتهى الأمر بأن القط هو من ينتبعه لسرعته وخفته وقدرته على التخفي، وفي حدث آخر قام القط بتتبع الديك خفيةً عند خروجه في صباح اليوم التالي.

الحل: بدأ السر يتكشف عندما رأى القط صديقه الديك يدخل إلى بناية كبيرة جميلة فوق بابها لوحة مكتوب عليها "مكتبة عامة"، لكنه لم يعرف حقيقة الأمر إلا عندما دخل ورائه وأخذ يراقبه فرآه قد اختار كتاباً ثم جلس على كرسي وقرأه وعندما فرغ منه قام بإعادته إلى مكانه وخرج، وفرح القط كثيراً لأنه عرف مصدر الحكايات التي يحكيها الديك لهم كل ليلة.

وانتهت القصة بخروج القط مسرعاً مستبقاً الديك في الوصول إلى البيت، حيث أخبر أصدقاءه بما رأى، وعندما اجتمع الأصدقاء في الليل، وبعد انتهاء الديك من رواية حكايته، أخبروه أنهم عرفوا مصدر الحكايات، فهي في الكتاب، والكتاب في المكتبة، وفي الصباح ذهب الاصدقاء إلى المكتبة، وأخذ كل منهم كتاباً وقرأ فيه، ومنذ ذلك اليوم أمسى كل واحد منهم في كل ليلة يحكي حكاية لأصدقائه.

ج. الشخصيات: جميع شخصيات القصة من عالم الحيوان، وهم: ديك وقط وأرنب وبطة، وهي من الحيوانات الداجنة، وقد أحسن الكاتب اختيار هذه الحيوانات، فما ذكره عن الألفة والمحبة بينها غير بعيد عن عالم الواقع، وهذا يضيف على قصته شيئاً من الواقعية من هذه الناحية، كما أنَّ اختياره لكل واحد منها كان منقناً، فالديك جعله الكاتب بطل القصة، لما يتميز به في الواقع من صفات الثقة بالنفس والأناقة، كما مثل في القصة الشخصية المتميزة على أصدقائها بثقاقتها، فهو حريص على الذهاب كل صباح إلى المكتبة العامة ليقراً كتاباً جديداً، وعندما يأتي المساء يجتمع حوله أصدقاؤه ليحكي لهم إحدى الحكايات التي قرأها، أما بقية الأصدقاء فلا نكاد نجد بينهم فرق يذكر، غير أنَّ الكاتب ذكر بعض الصفات الطبيعية للبطة والأرنب والقط بشكل غير مباشر، وذلك عندما اتفق الأصدقاء الثلاثة على تتبع الديك لمعرفة أين يذهب كل صباح؟ فقال الكاتب: "الأصدقاء لم يعرفوا

كيف يتتبعون الديك لأنّ البطة سميحة وبطيئة، والأرنب تخاف من السيارات⁽¹⁾، فكان الحل حين قال القط: "أنا اتبعه وحدي، أنا سريع وخفيف ولن يراني"⁽²⁾، فاستغل الكاتب لبعض حيوانات البيئة، واختيار أدوارها كل حسب ما يتمتع به من صفات جسدية، يجعل القصة أكثر ملاءمة للقارئ الصغير خصوصاً في المرحلة الأولى مرحلة الخيال المحدود بالبيئة.

د. البيئة المكانية والزمانية: لم يذكر الكاتب البيئة المكانية العامة التي دارت فيها أحداث القصة صراحةً، لكنه ذكر ما يدل على أنها المدينة، مثل الشوارع والسيارات المسرعة والبنائات الكبيرة والمكتبة العامة، كل هذه الأشياء من معالم المدينة، جاء ذلك عرضاً في قول الكاتب: "الأصدقاء لم يعرفوا كيف يتبعون الديك، لأنّ البطة سميحة وبطيئة، والأرنب تخاف من السيارات المسرعة"⁽³⁾، وتتوّعت الأماكن الخاصة في هذه القصة بين البيت الذي بدأ الكاتب بذكره في مقدمة القصة وذلك في قوله: "في بيت جميل يعيش أربعة أصدقاء"⁽⁴⁾، والشارع والمكتبة العامة التي يتردد عليها الديك للقراءة والاطلاع على الكتب.

أمّا البيئة الزمانية فكانت متعاقبة بين الليل والنهار، ففي الليل: "في كل ليلة يتناولون العشاء ثم ينظف كل منهم صحنه وملعقته ويضعونها في مكانها بالمطبخ، ثم يجتمعون في حجرة الجلوس يستمعون للديك وهو يحكي لهم حكاية، كل ليلة يحكي لهم حكاية وهم فرحون بحكاياته"⁽¹⁾، أما النهار وتحديداً الصباح فجاء ذكره في قول الكاتب: "في الصباح استيقظ الأصدقاء من نومهم..."⁽²⁾، كذلك "في صباح اليوم التالي خرج الديك سعيداً بموعده مع صديقه، تبعه القط خفيةً، الديك يمشي والقط يتبعه..."⁽³⁾.

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "حكاية الديك وأصدقائه الثلاثة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 26.

(2) المصدر السابق، ص 26.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر السابق، ص 25.

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر السابق، ص 26.

(3) المصدر السابق، ص 27.

هـ. اللُّغة والأسلوب: اعتمد الكاتب في هذه القصة على السرد والحوار معاً، حيث بدأ قصته بوصف البيت الذي يعيش فيه الأصدقاء الثلاثة، كما وصف العلاقة الوثيقة التي تربط الأصدقاء، ونظام حياتهم داخل البيت الذي يتسم بقيام كل منهم بدوره، وبالتعاون فيما بينهم، وكيفية قضاء أوقات فراغهم بعد الانتهاء من أعمالهم، حيث يتحلق الأصدقاء حول الديك كل ليلة ليحكي لهم إحدى الحكايات، ويبدأ الحوار بسؤال هؤلاء الأصدقاء صديقهم الديك عن مصدر حكاياته، وذلك في العبارة: "الديك سعيد بحكاياته وبأصدقائه، وأصدقائه سعداء به وبحكاياته، لكنهم في كل ليلة يسألونه: من أين تأتي بهذه الحكايات؟ قل لنا وعلمنا الحكايات"⁽¹⁾، يحمل هذا الإلحاح على معرفة مصدر الحكايات الرغبة الشديدة في المعرفة والتعلم، وعدم الاكتفاء بالاستماع لحكايات صديقهم الديك، كما يحمل رد الديك عليهم، حين قال: "أنا أعرف كل الحكايات وأنتم لا تعرفون، اكتشفوا بأنفسكم من أين تأتي الحكايات"، نوعاً من التشويق لأصدقائه ليحثهم على السعي لمعرفة السر، وقد أحسن الكاتب استعمال "الحكايات" لأنها الكلمة السحرية التي تجذب الصغار، وتجعلهم يشاركون أصدقاء الديك تشوقهم لمعرفة الكنز الذي يحصل منه الديك على حكاياته الجميلة.

كما كشف حوار الأصدقاء في صباح اليوم التالي، بعد عزم الديك على الخروج للقاء أحد الأصدقاء، على معرفة تحركات صديقهم الديك غير المعروفة بالنسبة إليهم، فطالبه كل واحد منهم بأن يعرفهم على هذا الصديق، بأن يدعو ليعيش معهم، أو أن يذهبوا هم إليه للتعرف عليه، لكن الديك اكتفى بقوله: "صديقي لا يخرج من بيته. وهو يسكن في بيت جميل أجمل من كل البيوت، سأخذكم إليه في يوم من الأيام"⁽¹⁾، ويحمل هذا القول كناية جميلة، حيث قصد الديك بالصديق "الكتاب" وهو الوصف الشهير الذي أطلقه الجاحظ على الكتاب، وأسهب في محاسن هذا الصديق^(*)، كذلك في قول الديك "وهو يسكن في بيت جميل" وهو يقصد هنا المكتبة، وفي هذا دلالة على ولع الديك بالمكتبة التي يراها بيتاً جميلاً، فالجمال هنا يتعلّق بالقيمة المعنويّة، فمن يعرف قيمة الكتب والمكتبات يجلّها ويقدرها.

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "حكاية الديك وأصدقائه الثلاثة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 25.

(1) المصدر السابق، ص 26.

(*) تأثر الشريف بالجاحظ واضح من خلال وصفه للكتاب بالصديق الذي يميّز بكثير من الصفات المحبّبة.

إضافةً إلى الحوارات بين الأصدقاء، تضمّنت القصة حواراً داخلياً، وذلك عندما رأى القط الديك يدخل المكتبة العامة، فاندّش وسأل نفسه: "ماذا يفعل الديك في المكتبة؟"⁽¹⁾.

واستخدم الكاتب أسلوب التكرار لتصوير معاني معينة، جاء ذلك في قوله: "يستمعون للديك وهو يحكي لهم حكاية، كل ليلة يحكي لهم حكاية.."⁽²⁾، ليؤكد على حرص الديك على القيام بقصص الحكايات على أصدقائه، كما يدل هذا على الانتظام في هذا الأمر "كل ليلة"، وما يدل على التتابع أيضاً قول الكاتب: "الديك يمشي والقط يتبعه.. الديك يمشي والقط يتبعه"⁽³⁾، كما كرر الفعل المضارع "يحكي" في جمل متتابعة ولم يكتفِ بالعطف، ليفيد ويؤكد على حرص الديك على حكاية القصص والحكايات على أصدقائه كل ليلة، جاء ذلك في قول الكاتب: "الديك يحكي عن كل شيء يحكي عن الحيوانات.. يحكي عن الشمس والقمر والنجوم يحكي عن البحر.. يحكي عن الأشجار.. يحكي عن الطيور"⁽⁴⁾، وبشكل عام تتسم مفردات القصة بالوضوح، كما تخلو من اللغة الإبداعية من تشبيهات وغيرها؛ لأنّ الكاتب قصد التوجّه بها إلى المرحلة الأولى من مراحل الطفولة.

حكاية "عصفور شجاع"

إحدى قصص مجموعة "من حكايات العصفير"، التي أصدرها الكاتب سنة 2008 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثّل المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

هذه القصة من قصص الحيوان، وإن كان أحد شخصياتها من عالم البشر، تحكي القصة عن عصفور صغير شجاع يعيش مع أمه على شجرة، كما يعيش على هذه الشجرة الكثير من العصفير، وكانوا ينعمون بالأمن والسلام حتى جاء ذات صباح فسمعوا صوتاً غريباً مدوياً، ورأوا أسراباً من العصفير تطير في جميع الاتجاهات، وعندما استطلع العصفور الصغير الأمر وجد أنّ مصدر هذا

(1) مجموعة حكايات قبل النوم، "حكاية الديك وأصدقائه الثلاثة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 27.

(2) المصدر السابق، ص 25.

(3) المصدر السابق، ص 27.

(4) المصدر السابق، ص 25.

الصوت المخيف بندقية الصياد الذي جاء ليصطاد العصافير، قام العصفور الصغير بوضع خطة للقضاء على الصياد المعتدي، وعندما اقترب الصياد من شجرتهم هاجمته العصافير ذات المناقير القوية في الوقت نفسه، ومنذ ذلك اليوم عاشت العصافير في أمن وسلام.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: يقوم موضوع القصة على أن بالشجاعة والتخطيط السليم والاتحاد، يمكن التغلب على المعتدي مهما كانت قوته وجبروته.

ب. الأحداث والعقدة: المقدمة: بدأها الراوي مخاطباً من أسماهم اصدقاءه بحقيقة يعرفونها، وهي أن أجسام العصافير صغيرة، ثم يستدرك قائلاً: "لكن ليس كل صغير ضعيفاً، وليس كل ضعيف جباناً"⁽¹⁾، وأشار بعد ذلك إلى أن هذه الحكاية هي حكاية عصفور أصبح بطلاً، لكن المقدمة كانت طويلة إلى حد الترهل، حيث ذكر فيها الكاتب ما لا ضرورة له ولا علاقة له بالقصة وأحداثها، كعلاقة الأطفال بالعصافير، وذلك في قوله: ".. والصغار سعداء بالشجرة وبالعصافير، يلعبون تحتها وينثرون الحب تحتها فتأتي العصافير وتلتقط الحب من الأرض أو من أكفهم المفتوحة والمليئة بالحب..."⁽²⁾، في حين أغفل عن ذكر أشياء مهمة كتحديد البيئة المكانية التي تذكر عادةً في مقدمات القصص.

بعد المقدمة بدأت القصة بالحدث الرئيس، حيث استيقظت العصافير التي تعيش مطمئنة على إحدى الأشجار، على صوت قوي غريب، فاخفت العصافير في أعشاشها، وخافت الأمهات على صغارها، لكن بطل القصة العصفور "طيف" وقف على أعلى غصن في الشجرة يستطلع الأمر، فرأى عصافير كثيرة تطير في كل اتجاه، ويأتي الحدث الثاني عندما همَّ "طيف" أن يذهب ليعرف مصدر الصوت القوي الغريب، وطمان أمه التي حذرت من خطورة الأمر، وتزداد الأمور تازماً لتصل إلى العقدة، وذلك عندما لاقى "طيف" وهو في طريقه لاستطلاع الأمر عصفوراً صغيراً خائفاً، وعرف منه أن سبب خوفه هو صياد العصافير الذي حضر إلى شجرتهم واصطاد مجموعةً منها، وتبدأ العقدة

(1) مجموعة حكايات العصافير، "عصفور شجاع"، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008 م، ص 50.

(2) المصدر السابق، ص 50.

بالانفراج شيئاً فشيئاً، وكانت بداية ذلك عندما عاد "طيف" إلى الشجرة وأخبر أمه بتصميمه على البقاء ومواجهة صياد العصافير، ثم طلب من العصافير في كل الأشجار بالتجمع على شجرته، وعندما تجمعت أخبرهم بخطة للقضاء على الصياد وإبعاده عنهم، وأمرهم بأن يهجموا عليه في وقت واحد عندما يسمعون نداءه، في حين يذهب هو لمراقبة الصياد.

الحل: عند اقتراب الصياد من الشجرة، أطلق "طيف" نداءه هاجمت العصافير الصياد في وقت واحد، وكان "طيف" في مقدمة المهاجمين، وأخذت تنقره على وجهه حتى سال منه الدم، وسقطت بندقيته على الأرض، وهو يصيح وبطلب الرحمة لكنها لم تتوقف حتى سقط هو الآخر على الأرض، ومنذ ذلك اليوم لم يقترب صياداً من أي شجرة، وعاشت العصافير في أمن وسلام.

ج. الشخصيات: تضمّنت القصة العديد من الشخصيات، مثلّ فيها العصفور الصغير بطولة القصة، وقد أطلق عليه اسم "طيف" لأنه يجمع على جسمه كل ألوان الطيف، لكن أهم ما يتصف به هو شجاعته التي كانت موضوعاً للقصة وعنواناً لها، وكانت شجاعته مضبوطة بالذكاء والتخطيط السليم، وهو ما جعل عمله بعيداً عن التهور، كما اتصف بطل القصة بالنبل ومساعدة الآخرين، يظهر هذا عندما دعا العصفور الخائف إلى عش أمه، حيث قال له: "انت تعال معي إلى عش أمي نطعمك ونسقيك ونحميك من صياد العصافير"⁽¹⁾، كل هذه الصفات جعلت منه قائداً ناجحاً، فالتفت حوله جموع العصافير واستجابت لخطته لمهاجمة صياد العصافير، أمّا العصفورة الأم فقد مثلت الشخصية المساندة لابنها "طيف"، وكانت كأبي أم تخاف على صغيرها، وتتصح به بعد التهور أو الاقتراب من المخاطر، ومن الشخصيات الأساسية شخصية صياد العصافير الذي مثلّ الشخصية المعادية، كما تضمّنت شخصيات ثانوية، وهي شخصية العصفور الصغير الذي فرّ خوفاً من الصياد، وكذلك جموع العصافير التي اجتمعت وهاجمت الصياد بعد التخطيط لذلك مع "طيف" بطل القصة.

د. البيئة المكانية والزمانية: لم يحدّد الكاتب البيئة المكانية لأحداث القصة، وإن دلّت عليه بعض العلامات، فهو مكان تكثر فيه الأشجار والعصافير، حيث ذكر في مقدّمة القصة قائلاً: "في شجرة من الأشجار تعيش عصافير كثيرة"⁽¹⁾، فكل هذا يدل على أنّ مسرح الأحداث هو الغابة، أما البيئة الزمانية

(1) مجموعة حكايات العصافير، "عصفور شجاع"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 54.

(1) المصدر السابق، ص 50.

فقد ذكرها مع بداية الحدث الرئيس للقصة، حيث قال: "في صباح يوم من الأيام والعصافير تستيقظ لتستقبل شمس الربيع بشروقها.."⁽¹⁾، فهو إحدى صباحات الربيع المشرقة، وهو ما يوحي بما تتعم به العصافير من أمن وسلام قبل أن تتفاجأ بذلك الصوت المخيف المنبعث من بندقية صياد العصافير.

هـ. **اللغة والأسلوب:** يمكن القول إنَّ هناك تكافؤ بين السرد والحوار في هذه القصة، حيث كان السرد حين كانت هناك حاجة إلى السرد، كذلك الحال بالحوار، لولا بعض الحشو والتطويل الذي لا يخدم القصة ومضمونها - كما سبق ذكر ذلك - وتضمَّن السرد بعض الحقائق المعرفية، مثل قوله: "والطيف هو الألوان الموجودة في الضوء الأبيض وهي البرتقالي والأحمر والأخضر والأزرق والأصفر والبنفسجي والنيلي"⁽²⁾، وفيما يخص الألفاظ فهي تناسب مستوى مرحلة الطفولة المتوسطة، وغلب عليها المفردات المعبرة عن طبيعة القصة وموضوعها، مثل: الشجرة، والعصافير، وتغرد، وتطير، وأعشاش، وصياد، والمناقير، تنقر.. ، أما اللغة الإبداعية فقد اقتصر على بعض الكنايات التي تناسب الأطفال، مثل قول الكاتب: "رأى عصافير لا عدَّ لها"⁽³⁾ كنايةً عن كثرتها، كذلك "ولا تعرف إلى أين تطير" وأيضاً "تطير في كل اتجاه"⁽⁴⁾ كنايةً عن التخبط والارتباك الناتج عن الخوف من صياد العصافير، وهناك بعض الجمل غير الدقيقة المعنى، كما جاء على لسان "طيف": ".. علينا الاستعداد قبل أن يصل إلينا الصوت الغريب"⁽¹⁾ وهو يقصد - هنا - مصدر الصوت وهو صياد العصافير؛ لأنَّ الصوت وصل إليهم بالفعل.

أمَّا فيما يخص الحوار فقد عبَّر عن طبيعة شخصيات القصة، فكلام العصفورة الأم عبَّر عن مشاعر الأم وحنانها وإشفاقها على صغيرها الجريء، فحاولت في أكثر من موضع نصحه وإثاءه عن القيام بأي عمل يعرضه للخطر، أما ما صدر عن "طيف" بطل القصة الصغير، فهو يكشف عن شخصية تتمتع بجملة من مواصفات القيادة، أولها الشجاعة، فعندما حذرت أمه من خطر الوقوف على أعلى غصن في الشجرة مستظلاً مصدر الصوت القوي، رد قائلاً: "لا تخافي على طيف يا أمي، أريد

(1) مجموعة حكايات العصافير، "عصفور شجاع"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 50.

(2) المصدر السابق، ص 52.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(1) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

أن أعرف من أين يأتي الصوت الغريب؟"⁽¹⁾، أيضاً ردَّ على والدته عندما طلبت منه الهرب، قال: "إلى أين نهرب .. صياد العصافير سيتبعنا ببندقيته.. سنبقى يا أمي في شجرتنا ونحميها"⁽²⁾، كذلك مساعدة الضعفاء، فعندما لاقى في طريقه عصفوراً صغيراً فرَّ هارباً من صياد العصافير، قال له: "أنت تعال معي إلى عشِّ أمي نطعمك ونسقيك ونحميك من صياد العصافير"⁽³⁾، أيضاً دلَّ حوارهِ على الحكمة والذكاء وذلك في قوله لأمه: "تذكري يا أمي.. ليس كل صغير ضعيفاً، وليس كل ضعيف جباناً، وهي عبارة وردت - أيضاً - في بداية القصة على لسان الراوي، "وأنا سأثبت للصياد أنَّ العصافير لا تخاف"⁽⁴⁾، كل هذه الصفات جعلت منه قائداً ناجحاً رغم أنه لا يزال عصفوراً صغيراً، وقد تأكَّدت تلك القيم الجميلة والأخلاق النبيلة عملياً من خلال أحداث القصة.

قصة "المطر يسقط في الصحراء"

إحدى قصص مجموعة "المطر يسقط في الصحراء"، التي أصدرها الكاتب سنة 2010 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثِّل المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخَّص القصة

هذه القصة من قصص الطبيعة والنبات، تحكي قصة صراع بين ريح الجنوب التي تهب صيفاً، وشجيرة الزيتون، عندما هبت ريح الجنوب ذات يوم من أيام الصيف خافت الأشجار واحتمت ببعضها، وصرخت العصافير النائمة في اعشاشها، حيث ضربت تلك الرياح فروع الأشجار بعنف، أما شجيرة الزيتون فقد وقفت تتحدى ريح الجنوب، مما أثار حفيظتها فصرخت في وجهها غاضبة، وازداد تعجُّبها عندما طلبت منها شجيرة الزيتون الذهاب معها إلى الصحراء، وحدث جدال طويل وتراهننا، وانتهى الأمر بأن وافقت ريح الجنوب على ذهاب شجيرة الزيتون إلى الصحراء البعيدة، وبمجرد وصولها عملت شجيرة الزيتون على غرس جذورها في الرمال، آملة أن تسقط الأمطار لتنتعش الأرض وتنمو الأشجار وتتبت الأعشاب، وأخبرت قطرة ماء في سحابة بقصة شجيرة الزيتون لقطرة ماء أخرى، واتفقت كل

(1) مجموعة حكايات العصافير، "عصفور شجاع"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 52.

(2) المصدر السابق، ص 54.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

قطرات الماء على التجمع فملأت السحاب ورحلت إلى حيث شجيرة الزيتون، وتفاجأت ريح الجنوب بسقوط المطر في تلك الصحراء البعيدة، ونمت شجيرة الزيتون، ومن ذلك اليوم أصبح المطر يسقط في الصحراء.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: تُعد من القصص التي تعنى بالبيئة، حيث يمثل الاعتناء بأشجار الزيتون من أهم وسائل وقف التصحر في ليبيا وغيرها من المناطق التي تعاني من المناخ شبه الصحراوي، فشجرة الزيتون شجرة معمرة لها مكانتها الضاربة في أعماق التاريخ، كما أن ريح الجنوب التي تهب صيفاً من حين إلى آخر جالبة معها أكوام من الرمال والأتربة تشكل تحدياً للأشجار بشكل عام وأشجار الزيتون بشكل خاص.

ب. الأحداث والعقدة: المقدمة: لم يكن للقصة مقدّمة، فقد بدأت بالأحداث، وقد تمّ تحديد البيئة الزمانية وما إلى ذلك من خلال وقائع القصة وأحداثها.

بدأت القصة بالحدث الرئيس المتمثل في هبوب ريح الجنوب على الأشجار، ويمثّل هذا الحدث مشكلة كبيرة للأشجار، كما يمثّل العقدة الأولى للقصة، فما إن هبّت تلك الريح "خافت الأشجار واحتمى بعضها ببعض، وصرخت العصافير النائمة"⁽¹⁾، حيث أخذت تضرب فروع وأغصان الأشجار بقوة، غير أنّ شجرة الزيتون الصغيرة كان لها موقفٌ مغايرٌ فهي لم تخف بل "... وقفت في وجه الريح"⁽²⁾، ثم طلبت منها الذهاب معها إلى الصحراء، ورغم تحذير الريح لها أصرّت على طلبها، فهي تأمل كما قالت "إنّ أشجاراً ستولد من صلبني لتصنع غابةً من أشجار الزيتون"⁽³⁾، وبعد جدال طويل وتحدي ورهان وافقت ريح الجنوب على طلب شجرة الزيتون الصغيرة، وبعد أن وصلت شجرة الزيتون الصغيرة أصبح

(1) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، "المطر يسقط في الصحراء"، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ليبيا، 2010 م، ص 9.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق، ص 12.

لديها تحدٍ جديد وعقدة أخرى متمثلاً في عدم وجود الماء، حيث اختفت ريح الجنوب " .. وتركت شجرة الزيتون وحيدة تنتظر مطراً يرويها"⁽¹⁾.

الحل: يأتي الحل عندما أخبرت إحدى قطرات الماء في سحابة قطرة ماء أخرى بقصة شجرة الزيتون الصغيرة التي رحلت إلى الصحراء البعيدة، فعرضت عليها قائلة: "ما رأيك لو ذهبنا إلى هناك نرويها فتورق فنتج زيتاً وظلاً"⁽²⁾، فتجمعت قطرات الماء "فملأت السحاب ورحلت إلى الصحراء البعيدة حيث كانت الرياح تعصف بشجرة الزيتون الصغيرة فتوشك أن تحطمها"⁽³⁾، فجأة تسقط الأمطار حيث أرسل السحاب "مطراً دافقاً فقتل الرياح ورؤى شجرة الزيتون الصغيرة فأينعت فروعاً وأغصاناً وثماراً"⁽⁴⁾، وبهذا حُلَّت العقدة الثانية "ومنذ ذلك اليوم أصبح المطر يسقط في الصحراء"⁽⁵⁾.

ج. الشخصيات: تعددت شخصيات القصة، وجميعها من مظاهر الطبيعة وظواهرها، فهي جمعت بين الأشجار والرياح والسحاب، ولكن الشخصيتين المحورتين فيها هما: شجرة الزيتون الصغيرة وريح الجنوب، وتمثل شجرة الزيتون البطولة، واختيار الكاتب لشجيرة الزيتون لم يكن صدفة، فهي شجرة معمرة لها مكانتها الضاربة في أعماق تاريخ هذه المنطقة المعروفة بمنطقة حوض البحر المتوسط، والعناية بهذه الأشجار والاهتمام بها من أهم وسائل الحفاظ على البيئة ومكافحة التصحر، ووصف شجرة الزيتون بالصغيرة جاء من منطلق علمي ومنطقي، فالشجرة الصغيرة يمكنها أن تتمكّن من النمو في مكان آخر عند اقتلاعها من مكانها الأصلي، كما أنّ ريح الجنوب من الممكن أن تحمل شجيرة صغيرة إلى مكان آخر، والعكس فيما لو كانت الشجرة كبيرة، وبهذا لم يكن اختيار شجرة زيتون صغيرة مجرد دغدغة لعواطف القارئ الصغير، الذي بطبيعة الحال يتعاطف مع كل صغير مثله، والشخصية المحورية الثانية، هي ريح الجنوب، وهي - أيضاً - من ظواهر الطبيعة المعروفة في هذه المنطقة، فهي تهب صيفاً محملة بالأتربة فتضر بالبيئة خصوصاً البيئة النباتية، وبهذا مثّلت شخصية "ريح الجنوب" تحدياً للأشجار في هذه القصة باستثناء شجرة الزيتون الصغيرة التي وقفت في تحدٍ وتصميم

(1) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، "المطر يسقط في الصحراء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 16.

(2) المصدر السابق، ص 17.

(3) المصدر السابق، ص 19.

(4) المصدر السابق، ص 20.

(5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

على مواصلة الحياة ليس في مكان وجود تلك الأشجار بل في الصحراء البعيدة التي جاءت منها تلك الريح، كما تضمنت القصة شخصيات ثانوية لكنها مهمة، مثل حبيبات ماء السحابة التي تمثل موقفاً إيجابياً، حين اتفقت على التجمع في السحابة والذهاب إلى حيث شجرة الزيتون الصغيرة في الصحراء البعيدة.

د. البيئة المكانية والزمانية: إنَّ البيئة المكانية توضحَت من خلال أحداث القصة إذ يتبيَّن أنَّ هناك مسرحين لتلك الأحداث، أولهما: لم يذكره الكاتب صراحةً لكن يمكن الاستدلال عليه من خلال بعض الموصفات، فهو مكان كثير الأشجار والطيور، جاء ذلك في قوله: "عندما هبَّت ريح الجنوب ... خافت الأشجار واحتمى بعضها ببعض، وصرخت العاصفير النائمة في أعشاشها"⁽¹⁾، بمعنى أنه مكان بعيد عن الصحراء التي جاءت منها تلك الريح، فهو إما أن يكون بستاناً أو غابة، لكن في موضع آخر كان الأمر أكثر وضوحاً، حيث جاء على لسان "ريح الجنوب" في خطابها لشجرة الزيتون الصغيرة: "سيأخذك الحنين إلى نسيم الشواطئ وجداول الماء في الحقول الخضر" وبهذا يتضح أنَّها تقصد أنها ستحن إلى موطنها حيث الشواطئ وجداول الماء والحقول الخضر، أما المسرح الثاني فهو مكان عام غير محدد إلا كونه صحراء، جاء ذلك في قول الكاتب: "استقرت الريح في صحرائها وألقت بشجرة الزيتون الصغيرة وسط كثبان الرمال العالية"⁽²⁾.

جاء تحديد البيئة الزمانية لأحداث القصة في بدايتها، وذلك حين قال الكاتب: "عندما هبَّت ريح الجنوب في يوم من أيام الصيف"⁽¹⁾، وبهذا لم يحدد الكاتب يوماً بعينه، لكنه حدد الفصل الذي وقعت فيه تلك الأحداث، ربما لأنَّ تحديد اليوم غير ذي بال في مثل هذه الأحداث، لكن تحديد الفصل له أهميته الواقعية، فريح الجنوب تهب عادةً في هذا الفصل من السنة، ويبدو أنَّ شجرة الزيتون الصغيرة انتظرت حتى انتهى فصل الصيف ليأتيها المطر، وبهذا فإنَّ أحداث القصة استغرقت أكثر من فصل.

هـ. اللُّغة والأسلوب: اعتمدت القصة على الحوار بشكل كبير مقارنةً بالسرد، دار جل الحوار بين الشخصيتين المحوريتين، شجرة الزيتون الصغيرة وريح الجنوب، وقد ساعد هذا الحوار على كشف

(1) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، "المطر يسقط في الصحراء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 9.

(2) المصدر السابق، ص 14.

(1) المصدر السابق، ص 9.

طبيعة هاتين الشخصيتين، حيث يتبين من كلام "رياح الجنوب" مدى طغيانها وظلمها وغرورها ورغبتها في إيذاء الآخرين خصوصاً الأشجار، جاء ذلك حين صرخت في وجه شجرة الزيتون قائلة: "أنت تقفين في طريقي يا شجرة الزيتون.."⁽¹⁾، ومما يدل على غرورها قولها: "إنك شجرة صغيرة وأنا ريح جبارة، ألا ترين الأشجار ترتعش وتوشك على أن تسقط"⁽²⁾، وفي مقابل ذلك نجد بطلان القصة "شجرة الزيتون الصغيرة" تمثل جملة من الصفات الإيجابية، فهي تمثل روح التحدي والثقة بالنفس، وذلك عندما وقفت دون خوف في وجه "رياح الجنوب"، وقالت لها في تحدٍ: "أريد أن أذهب معك"⁽³⁾.

وكشف الحوار بعد ذلك أنّ شجرة الزيتون الصغيرة تريد الذهاب مع "رياح الجنوب" إلى الصحراء البعيدة، كما أنها تعي ما يمكن أن يواجهها هناك من تحديات، لهذا لم تأبه بتحذير "رياح الجنوب" لها من خطورة الأمر حين قالت لها: "إنّ الصحراء قاتلة والمطر عدو الصحراء، وبعد أيام سيجمد عودك وتصبحين حطباً للرعاة العابرين"⁽⁴⁾.

كما نكتشف من رد "شجرة الزيتون الصغيرة الروح الإيجابية وحب الخير، وذلك حين قالت رداً على سؤال "رياح الجنوب" عن سر رغبتها وإصرارها على الذهاب إلى الصحراء، فقالت: "أريد أن أغرس نفسي هناك لكي يأخذ من يعبر الصحراء منّي زيتاً لغذائه ومصباحه وظلاً لراحته"⁽¹⁾، كما كشف ردها على استهزاء "رياح الجنوب" منها بقولها: "لكنك شجرة واحدة وسط صحراء بلا نهاية"⁽²⁾، عن رغبتها في الحياة التي هي عكس الموت الذي تمثله الصحراء، وذلك حين قالت: "إنّ أشجاراً أخرى ستولد من صلبتي لتصنع غابة من أشجار الزيتون"⁽³⁾.

(1) مجموعة المطر يسقط في الصحراء، "المطر يسقط في الصحراء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 9.

(2) المصدر السابق، ص 10.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(1) المصدر السابق، ص 12.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

كما كشفت ردود "شجرة الزيتون الصغيرة" عن روح مفعمة بالأمل، وذلك حين قالت: "لعلني أستطيع أن أقاوم قلة الماء"⁽¹⁾، وكذلك: "سأعرس جذوري في قلب الأرض، فقد يسقط المطر ذات يوم"⁽²⁾، أمّا ما دار من حوار بين قطرتي ماء في السحابة الوحيدة التي كانت في سماء الصحراء، فهو يمثل حقيقة علمية تمّت معالجتها بأسلوب خيالي، وذلك حين انفتحت تلك القطرات على الذهاب إلى حيث توجد شجرة الزيتون الصغيرة، فقالت إحداهما للثانية: "ما رأيك لو ذهبنا إلى هناك نرويها فتورق فنتنتج زيتاً وظلاً"⁽³⁾، وحين ردت قطرة الماء الأخرى بقولها: " لكنّ المسافة بعيدة"⁽⁴⁾، قالت قطرة الماء الأولى: فلنرحل على ظهر السحاب"⁽⁵⁾، وهو كلام غير بعيد في مضمونه عن الحقيقة العلمية.

أمّا اللّغة المستخدمة فهي في مستوى مرحلة الطفولة المتوسطة، حيث تتسم بالوضوح والبساطة، واستخدم الكاتب بعض أساليب اللّغة الإبداعية، حيث نجد الاستعارات، في قول الكاتب: "خافت الأشجار" والشعور بالخوف خاص بالبشر وبعض المخلوقات الأخرى، كذلك في قوله: "صرخت العصافير النائمة في أعشاشها"، حيث استعار لفظ "صرخت" التي تدل على الشعور بالخطر، ولم يستخدم لفظ "غرّدت" التي تحمل معنى الفرح، وفي موضع آخر استخدم اللفظ نفسه تعبيراً عن الغضب، وذلك في قوله: "... هكذا صرخت الريح"، كما استخدم الصراخ الناتج عن الهلع في قول الكاتب: "فجأة صرخت الريح.."، كذلك ما جاء على لسان "ريح الجنوب": "... ألا ترين الأشجار ترتعش وتوشك أن تسقط" حيث استخدم لفظ "ترتعش" الناتج عن الشعور بالخوف، ولم يستخدم لفظ "تهتز" الذي يستخدم عادةً عندما تضرب الرياح الأشجار.

كذلك ما جاء على لسان "شجرة الزيتون الصغيرة" حين قالت: "ستولد من صليبي" ولم تقل "ستنبت من جذري" وهو استعارة من تعبير يخص البشر، ونجد الاستعارة في قول إحدى قطرات الماء لأخرى "فلنرحل على ظهر السحاب" حيث جعلت للسحاب ظهراً وكأنّه دابة تُستخدم للركوب، كما نجد بعض التشبيهات، كقوله: "كأنها حيوان مجنون" جاء وصفاً لشدة ريح الجنوب وعنفها وقسوتها في ضرب

1. مجموعة المطر يسقط في الصحراء، "المطر يسقط في الصحراء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 10.

(2) المصدر السابق، ص 14.

(3) المصدر السابق، ص 17.

(4) المصدر السابق، ص 19.

(5) المصدر السابق، ص 20.

الأشجار، كما نجد بعض الكنايات، مثل ما جاء على لسان "ريح الجنوب" لشجرة الزيتون الصغيرة: "وبعد أيام سيجف عودك وتصبحين حطباً للرعاة العابرين" كنايةً عن الموت الذي سيكون مصير شجرة الزيتون الصغيرة في الصحراء، كذلك في تعبير "صحراء بلا نهاية" كناية عن الاتساع والضياع.

أمّا فيما يخص بعض الألفاظ ودلالاتها، فيمكن الوقوف على لفظ له أهميته في القصة باعتباره أحد الشخصيات المحوريّة فيها، هذا اللفظ أورده الكاتب في صورتين: "ريح" و"رياح"، وقد أورد الكاتب لفظ "الريح" في عشرة مواضع، أما لفظ "رياح" فقد أورده في خمسة مواضع، ولا شك أنّ لكل لفظ منهما دلالتة ومعناه الدقيق الذي يختلف عن الآخر، نجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم، حيث ورد لفظ "الريح" في ثلاثة مواضع جميعها مرتبطة بالعذاب، نجد هذا في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽¹⁾ وفي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِيَمِّهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾⁽²⁾ وفي قوله: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرَصِرٍ عَاتِيَةٍ﴾⁽³⁾، أما لفظ "الرياح" فقد ورد في أربعة مواضع، ثلاثة منها مرتبطة بالنعيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾ وفي قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽²⁾ وفي قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ

(1) سورة آل عمران، الآية: 117.

(2) سورة يونس، الآية: 22.

(3) سورة الحاقة، الآية: 6.

(1) سورة البقرة، الآية: 164.

(2) سورة الأعراف، الآية: 57.

فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿١﴾، وواحدة فقط جاءت مرتبطة بالعذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُفْتَدِرًا ﴿٢﴾.

قصة "المهر الأبيض"

إحدى قصص مجموعة "يا زهر القرنفل"، التي أصدرها الكاتب سنة 2010 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثل المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

هذه القصة من قصص الحيوان، تحكي قصة مهر صغير أطلق عليه الكاتب "المهر الأبيض"، يعيش وأمه في حظيرة في إحدى المزارع مع قطيع من الجياد، غير أنَّ هذا المهر الأبيض الصغير كان يضيق بوجوده سجيناً في تلك الحظيرة، فهو يريد الخروج واللعب بحرية مع أصدقائه، ونصحته أمه بأن يصبر حتى يكبر، لكنه عندما جاء الليل قفز من فوق سياج المزرعة العالي واختفى في الظلام.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: تقوم فكرة القصة وموضوعها على طلب الحرية والنضال من أجلها، وعدم الاستكانة والتردد في طلبها.

ب. الأحداث والعقدة:

المقدمة: بدأت القصة بمقدمة طويلة، استغرقت ما يقرب من نصفها، وهذا ممَّا يفقد القصة توازنها، فينبغي أن يراعى التوازن في عرض مراحل قصته، فالمقدمة ما هي إلا تمهيد قصير للفكرة، وفيها

(1) سورة الحجر، الآية: 22.

(2) سورة الكهف، الآية: 45.

نعرف الحقائق اللازمة لفهم ما سيأتي فيما بعد⁽¹⁾، عرض الكاتب في مقدمة قصته مكان الأحداث ووصفه وظروفه وسكانه، كما ذكر بطل القصة ووصفه شكلياً ونفسياً، ومن خلال ذلك ألمح الكاتب إلى العقدة.

اعتمدت هذه القصة على الحوار أكثر من الأحداث، حيث لم تتضمن إلا على القليل من الوقائع والأحداث، وتبينت عقدة القصة من خلال حوار الفرس مع ابنها "المهر الأبيض" الذي هو بطل القصة، فالأم لاحظت ابتعاد ابنها عن الجياد الصغيرة وعدم اللعب معها، وذلك حين قالت: "الجياد تحبك وانت تهرب منها. الصغار يحبونك وأنت تهرب منهم"⁽²⁾، فكانت العقدة كما ردَّ "المهر الأبيض": "أنا لا أحب المزرعة لأنَّ فيها سياجاً عالياً يمنعني من الخروج واللعب مع أصدقائي، إذاً عقدة القصة هي عقدة شعورية، تكمن في شعور بطل القصة الصغير بفقدانه لحريته بسبب وجود سياجٍ عالٍ حول المزرعة هذا السياج يمنعه من الانطلاق واللعب مع أصدقائه، عند ذاك حاولت أمه أن تهوّن عليه الأمر، ونصحته بأنّه لا يزال صغيراً وعليه أن يصبر حتى يكبر، وبدأت الأحداث بحادثٍ عاديٍّ بذهاب "المهر الأبيض" إلى حظيرته كما ذهبت جميع الجياد إلى حضائرها، لكنَّ الأمر الجديد هو تأجج شعور الحزن والغضب في نفس "المهر الأبيض" جاء ذلك في قول الكاتب: "المهر الأبيض في حظيرته. المهر الأبيض ينظر للجياد في حضائرها. المهر الأبيض غاضبٌ وحزينٌ"⁽³⁾.

الحل: جاء الحل فجائياً دون سابق إنذار أو أي مقدمات أو تخطيط، فقد وصلت الأمور إلى ذروة تعقيدها لتصل إلى الحل، فيما يشبه الثورة المفاجئة أو الانفجار البركاني بعد فترة من الغليان غير الظاهر للعيان، وذلك بقيام "المهر الأبيض" بضرب باب حظيرته ثم الاندفاع جرياً نحو سياج الحظيرة العالي ليقفز من فوقه، ويختفي في الظلام، وعبرَ الكاتب عن ذلك بعبارة مكثفة قال فيها: "فجأة، ضرب المهر الأبيض باب حظيرته بقائمتيه، اندفع يجري ويجري، يجري بكل سرعة، حتى وصل إلى سياج

(1) ينظر: فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، مرجع سابق، ص 76.

(2) مجموعة يا زهر القرنفل، "المهر الأبيض"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 85.

(3) المصدر السابق، ص 87.

المزرعة العالي، قفز من فوقه واختفى في الظلام"⁽¹⁾، وبهذا فاز بطل القصة الصغير بمراده وهو الحرية.

ج. الشخصيات: تُعد هذه القصة وفقاً لأبطالها من قصص الحيوان، فبطل القصة مهرٌ صغير أطلق عليه الكاتب "المهر الأبيض" لبياض شعره، حيث جاء ذلك في قوله: "وفي المزرعة مهرٌ أبيض، مهرٌ جميلٌ ولونه في لون الثلج"⁽²⁾، فالبطل الصغير لم يتميّز على غيره من الجياد بروح التمرد على واقعه الأليم، والنفس الأبية الطالبة للحرية فحسب، بل إنه يتميز - أيضاً - بجماله الشكلي فهو مهر يملك مواصفات الجمال الخاصة بالجياد، ومنها اللون الناصع البياض الذي يميزه عن غيره من الجياد.

أجاد الكاتب اختيار شخصية من عالم الجياد لتمثيل روح النبل والجموح ورفض الضيم والقيود والذكاء، فالجياد تحظى بالإعجاب والاحترام في أغلب الثقافات الإنسانية قديماً وحديثاً، وخصوصاً في ثقافتنا العربية الإسلامية. أما الشخصية الثانية فهي شخصية الفرس الأم، وهي شخصية مساندة لابنها "المهر الأبيض"، تمثل دورها في نصح ابنها بالاختلاط مع الآخرين واللعب مع أقرانه فالجميع يحبه.

د. البيئة المكانية والزمانية: حدّد الكاتب البيئة المكانية لأحداث القصة ووقائعها في مقدّماتها، جاء ذلك في قوله: "في مزرعة من المزارع الواسعة الغنيّة بخضرتها ونباتاتها ومائها قطيعٌ من الجياد"⁽³⁾، أما البيئة الزمانية فهي غير محدّدة، حيث ذكر الكاتب بأنّه "في يوم من الأيام سألته أمه الفرس البيضاء.." ⁽⁴⁾، ويبدو أنّ هذا الحوار حدث نهراً، وفي ليل اليوم نفسه حدث الحدث الرئيس، جاء ذلك في قول الكاتب: "أقبل الليل، وذهب كل جواد إلى حظيرته. وذهبت الفرس البيضاء إلى حظيرتها.." ⁽¹⁾، وبهذا فإنّ وقائع القصة استغرقت يوماً واحداً، وتسوّر "المهر الأبيض" بالظلام ليتخلّص من سجنه، إضافةً إلى أنّ ذلك يدل على شجاعته رغم صغر سنه فهو لا يخشى الظلام بقدر خشيته من بقاءه

(1) مجموعة يا زهر القرنفل، "المهر الأبيض"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 87.

(2) المصدر السابق، ص 85.

(3) المصدر السابق، ص 83.

(4) المصدر السابق، ص 85.

(1) المصدر السابق، ص 83.

حبّيس الحظيرة، وفي هذا تلميح إلى أنّ الحرية تستحقّ المجازفة والاستهانة بالصعاب في سبيل نيلها، كما أنّ للظلام رمزيته فهو يرمز إلى عالم آخر من الاتساع بحيث لا يمكن تحديد معالمه.

هـ. اللّغة الأسلوب: اعتمدت القصة على السرد والحوار، مع غلبة الأول، ومفردات القصة سهلة واضحة لا تخرج عن قاموس الجزء الأول من مرحلة الطفولة المتوسطة، وتخلو تماماً من اللغة الإبداعية، وفيها تركيز واضح على الصفات الشكلية لشخصيات القصة وبعض الكائنات الأخرى خصوصاً الألوان، حيث جاء في وصف الجياد الموجودة في المزرعة: "قطيعٌ من الجياد، صغيرة وكبيرة، حمراء وسوداء وبيضاء، منها الأبيض المبقع ببقع سوداء، ومنها الأسود المبقع ببقع بيضاء"⁽¹⁾، وذلك على أساس أنّ من أهم ما يميّز الجياد أحجامها وألوانها الجميلة، وتكرر ذلك - دون تفصيل - في وصفه لأزهار المزرعة، وذلك في: "وفي المزرعة زهورٌ من كل لون"⁽²⁾، كما استخدم الكاتب التكرار دلالةً على التتابع والاستمرار، وذلك في قوله: "واندفع يجري ويجري، يجري بكلّ سرعته"⁽³⁾، وفي العبارة الأخيرة بنهايتها حُلّت الأزمة، حيث تميّزت بالمفاجأة والوقع السريع، ففجأةً ضرب المهر الأبيض باب حظيرته بقائمتيه، واندفع يجري بكلّ سرعته، وعند وصوله لسياج المزرعة العالي، قفز من فوقه واختفى في الظلام⁽⁴⁾، فسرعة الأفعال وتتابعها تصاعدياً، حتى الوصول إلى الغاية المرجوة، هو أمر يرتبط عادةً بالخيول، لذا كانت من أهم وسائل الكر والفر في المعارك قديماً، ولم يفت الشاعر العربي تسجيل ذلك في وصفه الدقيق لسرعة فرسه، بقوله:

مَكْرٍ مَقْرٍ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَاً كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ⁽⁵⁾

(1) مجموعة يا زهر القرنفل، "المهر الأبيض"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 83.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق، ص 87.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(5) ديوان امرئ القيس، ضبط وتصحيح: أم. مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ص 119.

كما سجّل القرآن الكريم ذلك عند وصف أخذ الله الناسَ فجأةً يوم القيامة، فكان الوصف من واقع حياة العرب، حيث كانت الحروب والغارات قوام حياتهم، نجد ذلك في "سورة العاديات"⁽¹⁾، حيث المفاجأة والوقع السريع المتتابع المتصاعد.

وما يُؤخذ على صياغة الجمل والعبارات، أنّ الكاتب لم يستخدم فيها الضمائر في الموضع الذي يتوجّب استخدامها فيه، نجد ذلك واضحاً في العبارات الآتية: "في مزرعة من المزارع ... قطع من الجياد، ... وفي المزرعة رجال يطعمون الجياد... وفي المزرعة أطباء يهتمون بصحتها، وفي المزرعة حظيرة لكل جواد... وفي المزرعة زهور...، وفي المزرعة كل يوم يأتي الصغار... وفي المزرعة مهرٌ أبيض، مهرٌ جميلٌ ولونه في لون الثلج. المهر يحب أن يكون دائماً وحيداً.."⁽²⁾.

أمّا الحوار فقد أسهم كثيراً في كشف ما يمور في نفس البطل الصغير، كما أبان موقف أمّه من ذلك، بدأ الحوار بحث الفرس الأم ابنها "المهر الأبيض" بمشاركة أقرانه واللعب معهم، وذلك عندما لاحظت انطواءه وابتعاده عنهم، جاء ذلك في قولها: "الجياد تحبُّك وأنت تهرب منها. والصغار يحبُّونك وأنت تهرب منهم"⁽³⁾، فكشف رده عما يمور في نفسه، فقال: "أنا لا أحب المزرعة لأنَّ فيها سياجاً عالياً يمنعني من الخروج واللعب مع أصدقائي"⁽⁴⁾، فالمهر الأبيض يبيّن أنّ ابتعاده عن أقرانه ليس كرهاً فيهم، بل هو كرهاً للمزرعة المسيجة بسياج عالٍ يمنعه من التمتع باللعب مع أصدقائه في جو من الحرية والانطلاق، ففي كلامه الكثير من المنطق، فوجود ما تحب في السجن لا يغير من كونه سجنًا، فكان رد الفرس الأم متوقّعا ومنطقياً، فهي تخشى على صغيرها، كما ترغب أن تهوّن عليه الأمر، فردت قائلة: "أنت صغير، وعليك أن تنتظر حتى تكبر"⁽⁵⁾.

(1) سورة العاديات، الآيات: 1، 2، 3، 4، 5.

(2) مجموعة يا زهر القرنفل، "المهر الأبيض"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 83 - 85.

(3) المصدر السابق، ص 85.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

قصة "الخطئة الذكيّة"

إحدى قصص مجموعة "زهرة المطر"، التي أصدرها الكاتب سنة 2014 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثّل المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخص القصة

هذه القصة من قصص الحيوان والطير، أبطالها عصفور وأمه، تتحدث عن اعتماد العصفور على أمه التي ساءها ذلك، فحثته ونصحته بأن يعتمد على نفسه فهو قد أصبح كبيراً وباستطاعته أن يطير ويبحث عن طعامه بنفسه، وعندما لم يجد معه ذلك، تظاهرت بالمرض وامتنعت عن جلب الطعام له، فحزن وبكى من الجوع محاولاً استدراج عطف أمه، لكنها قررت عدم الاستجابة له، وعندما استيقظت في صباح أحد الأيام لم تجده فعرفت أن خطتها قد نجحت.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: تقوم على فكرة الاعتماد على النفس، فمن الخطأ أن يستمر الأبناء في الاعتماد على أهلهم بعد أن أصبحت لديهم القدرة وعلى الأهل مساعدتهم وتشجيعهم على ذلك.

ب. الأحداث والعقدة:

المقدمة: أخذت مقدمة هذه القصة - أيضاً - حيزاً كبيراً من مساحتها، ذكر فيها البيئة المكانية، وأبطالها، كما فصل فيها الصفات الجسدية والنفسية للعصفور الابن، كما فصل في عقدة القصة، وسيأتي تفصيل هذه العناصر في مقام كل واحدة منها.

تقوم القصة على عقدة بسيطة، تجلّت في الخوف غير المبرر للعصفور الابن من الطيران، خوفاً هذا جعله يعتمد اعتماداً كاملاً على أمه، جاء ذلك في المقدمة في قول الكاتب: "والعصفور الصغير

يقدر أن يطير في السماء الزرقاء الجميلة وفوق الغابة، لكنه يحب العش كثيراً ويحب أمه العصفورة الكبيرة، لا يطير بعيداً عن الشجرة، يقول إنه لن يعرف الطريق إلى العش إذا خرج منه"⁽¹⁾.

أمّا فيما يخص الأحداث فبعد ما كانت تقوم به العصفورة الأم من طيران يومي لتحضّر الطعام لصغيرها حتى أضحي قادراً على الطيران، جاء الحدث الرئيس لهذه القصة وهو عدم الحدث! أي امتناع العصفورة الأم عمّا كانت تقوم به سابقاً، بمعنى أنّ امتناع العصفورة الأم عن الطيران لجلب الطعام لصغيرها هو ما غير مجرى الأحداث، فهذا الموقف الحازم المدروس البعيد عن العاطفة الساذجة، أثر تأثيراً مباشراً في نفسية العصفور الابن الذي طال اعتماده على أمه، وحفره ذلك وجعله أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن يموت جوعاً في عشه، وإما أن يجازف بالطيران الذي يحمل احتمال نجاته من الموت المحتم جوعاً.

الحل: أتى الحل نتيجة ناجحة لخطّة العصفورة الأم التي وصفها الكاتب بـ"الخطّة الذكيّة" وجعلها عنواناً للقصة، والجميل أنّ الكاتب لم يذكر الحل بشكل مباشر وإنما لمّح إليه تلميحاً يتناسب مع مستوى قارئه الصغار، وذلك عندما قال: "في صباح يوم من الأيام استيقظت ولم تجد العصفور الصغير في العش"⁽²⁾، وهو هنا يشير إشارة واضحة إلى أنّ العصفور قد استيقظ قبل أمه وطار باحثاً عن طعامه، ويؤكد ذلك بالعبارة التي انتهت بها القصة التي حملت طمأنينة العصفورة الأم على نجاح خطتها وانتظارها لعودة العصفور الابن، وذلك في قول الكاتب: "عرّفت أنّ خطتها نجحت وبقيت تنتظر عودة الصغير"⁽³⁾.

ج. الشخصيات: اقتصرّت القصة على شخصيتين من عالم الطيور، يمثل فيها العصفور الابن الشخصية المحورية أو الرئيسة، فهو كغيره من الصغار في جميع العوالم - بما فيها عالم الإنسان - يحب أمه ويعتمد عليها كثيراً في القيام بشؤونه، لكن الاعتماد الكامل على الأم يصبح غير منطقي عندما يصبح بمقدور الابن الاعتماد على نفسه، فخوفه وتردده حالاً دون ذلك، وهو أمر يرتبط بعدم

(1) مجموعة زهرة المطر وحكايات أخرى، حكاية "الخطّة الذكيّة" يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 2014، ص 45.

(2) مجموعة زهرة المطر وحكايات أخرى، حكاية "الخطّة الذكيّة" يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 46.

(3) المصدر السابق، ص 46.

الخبرة المتوقعة من صغير لم يخبر الحياة بعد، أما العصفورة الأم فقد مثلت الشخصية المساندة، حيث قامت بدورها المتوقع برعاية صغيرها حتى أصبح قادراً على الطيران بعيداً عن العش، ليبحث عن طعامه، لكنَّ تردده وخوفه أزعجها، وعندما لم يستجب لنصيحتها وتشجيعها المستمر له، حزمت أمرها لتنفيذ خطة تساعد من خلالها للقضاء على خوفه وتردده، وشخصية الأم في هذه القصة وغيرها من القصص عند الكاتب تبين للقارئ الصغير أنَّ حنان الأم ومحببتها لصغارها لا يعني الاتكال عليها في كل شيء، بل إنَّ من مظاهر حنانها تحمل مسؤوليتها في تعليم صغارها على مواجهة مصاعب الحياة بثقة واقتدار.

د. البيئة المكانية والزمانية: حدّد الكاتب البيئة المكانية لقصته في مقدمتها، حيث قال: "في شجرة من أشجار الغابة تسكن عصفورة كبيرة في عش مع عصفورها الصغير"⁽¹⁾، فالمكان يتمثّل في عش وشجرة وغابة، أمّا البيئة الزمانية فقد استغرقت فترة من الزمن، بدأت بقدرة العصفور الصغير على الطيران بعيداً عن العش، وفي هذا يقول الكاتب متحدثاً عن العصفورة الأم: "في كل صباح تخرج من العش، تطير في كل مكان تجمع الطعام للعصفور الصغير ثم تعود إلى العش سعيدة"⁽²⁾، لكنَّ العصفورة قررت عدم الاستمرار في هذا العمل إلى ما لا نهاية لذا: "وفي يوم من الأيام قررت العصفورة الكبيرة أن تعمل خطة ذكية"⁽³⁾، لتشرع بعد ذلك في تطبيق خطتها بالامتناع عن الذهاب صباحاً كعادتها للبحث عن الطعام لها ولصغيرها: "في الصباح لم تخرج من العش"⁽⁴⁾، وجاء في موضع آخر: "بعد يوم جاع العصفور الصغير وبكى"⁽⁵⁾، وورد أيضاً: "في صباح يوم من الأيام استيقظت ولم تجد العصفور الصغير في العش"⁽⁶⁾، لكنَّ زمن القصة لم ينته بعد، حيث خُتمت بقول الكاتب: "عرفت أنَّ خطتها نجحت وبقيت تنتظر عودة العصفور الصغير في العش"⁽⁷⁾.

(1) مجموعة زهرة المطر وحكايات أخرى، حكاية "الخطة الذكيّة" يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 45.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر السابق، ص 46.

(6) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

هـ. اللُّغة والأسلوب: بداية يلاحظ أنّ معالجة الكاتب لهذه القصة كانت واقعية فلم تقم شخصيات القصة بأمر خارج عن طبيعتها باستثناء اللغة أو الكلام.

غلب السرد على الحوار في هذه القصة، ولغتها واضحة مباشرة تخلو من اللغة الإبداعية، ولا تكاد تخرج القصة عن البيئة الواقعية شكلاً ومضموناً مع استثناء الحوار.

مهّد الكاتب لقصته بذكر مسرح شخصيات القصة وأحداثها، هذه الأمكنة هي العش والشجرة التي يكمن فيها والغابة، ورغم الانسجام الواضح بينها، فالشجرة هي إحدى مكونات الغابة والعش غالباً يكون فوق الشجرة، ورغم ذلك لا يغيب عن بالنا في الوقت نفسه التناقض الواضح بين العش الصغير المفعم بالدفع والأمن وبين الغابة وما تمثّله من مخاطر وتحديات كبيرة خصوصاً لعصفور صغير يفتقد للخبرة، وبهذا ورغم وقوف القارئ الصغير وتضامنه مع موقف العصفورة الأم بامتناعها عن جلب الطعام لصغيرها، لا يتخلّى كليّةً عن التعاطف مع العصفور الصغير الذي ربما يرى فيه الأطفال صورةً لهم، فالطيران فوق الغابة يحتاج إلى خبرة وشجاعة، لكن هذه الخبرة لا تكتسب إلا بالمحاولة، كل هذه الأفكار مطروحة في هذه القصة رغم بساطتها.

ولغة القصة ومفرداتها سهلة واضحة، تخلو من أي تعبيرات إبداعية، غير أنه استخدم بعض المفردات المتقابلة، مثل: العصفور الصغير وهو الابن، الذي يقابله العصفورة الكبيرة التي تمثّل الأم، ربما لعلم الكاتب أنّ الأطفال في المراحل الأولى أكثر ما يلفت نظرهم الميزات المظهرية الخارجية، متمثلة في الأشكال والأحجام والألوان، وربما يتخذ منها موقفاً بناءً على ذلك - وقد تمّ تفصيل ذلك سابقاً - ورغم ذلك لم تغب الأمور العاطفية عن ذهن الكاتب حيث نقل لقرائه الصغار الصراع العاطفي الذي تعانيه العصفورة الأم، بين حزنها على صغيرها الذي يتضوّر جوعاً ونداءاته المتكررة لطلب الطعام، وغضبها عليه لعدم محاولته الاعتماد على نفسه، جاء ذلك في قوله: "هي حزينة لأنّ عصفورها الصغير جائع، وهي أيضاً غاضبة، لأنّ العصفور الصغير لا يخرج من العش"⁽¹⁾.

(1) مجموعة زهرة المطر وحكايات أخرى، حكاية "الخطّة الذكيّة" يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 46.

أما الحوار فقد لخص الملامح الشخصية لبطلتي القصة، وعلاقتها ببعضهما، ففي قول العصفور الصغير لأمه: "هيا طيري يا أمي واحضري لي طعاماً أنا جائع..."⁽¹⁾ فهذا الكلام يدل على الاعتماد الكامل من قبل العصفور الصغير على أمه، بل إن استخدام صيغة الأمر لأمه يلمح إلى اعتقاد استولى على تفكيره مؤداه أن أمه خلقت لخدمته طوال حياته! وكان جواب أمه يدل على ملامح خطتها، حين ردت قائلة: "أنا مريضة ولا أستطيع الطيران"⁽²⁾، وفي عبارة حملت معاني الحيرة والاستعطاف رد العصفور قائلاً: "وماذا أفعل يا أمي.. أنا جائع...؟"⁽³⁾ فكان رد العصفورة الأم حازماً مقتضباً لتحمل صغيرها على التفكير الإيجابي ليصل لحل مناسب ينهي به مشكلته، حيث ردت قائلة: "لا أعرف"⁽⁴⁾، ولأنه صغير قليل الخبرة لجأ إلى وسيلة أخرى يلجأ إليه الكثير من الصغار وهي "البكاء" لعله ينجح في استسلام أمه وخضوعها لطلبه، جاء ذلك في قول الكاتب "بعد يوم جاع الصغير ويكي"⁽⁵⁾ مردداً أثناء ذلك قوله "أنا جائع يا أمي"⁽⁶⁾، لكن العصفورة الأم لم تستجب لنداءات صغيرها واستجداءاته المتكررة وهو ما عبّر عنه الكاتب بقوله: "سمعت العصفورة الكبيرة ولم تهتم"⁽⁷⁾، وعدم الرد هو في حد ذاته رد حازم يتيح للصغير الكف عن الاستجداء والبكاء ليفكر في وسيلة أنجع لحل مشكلته لإسكات جوعه.

-
- (1) مجموعة زهرة المطر وحكايات أخرى، حكاية "الخطبة الذكيّة" يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 45.
 - (2) المصدر السابق، ص 46.
 - (3) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
 - (4) مجموعة زهرة المطر وحكايات أخرى، حكاية "الخطبة الذكيّة" يوسف الشريف، المصدر السابق، ص 46.
 - (5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
 - (6) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.
 - (7) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

"الحكاية الرابعة"

إحدى قصص مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان"، التي أصدرها الكاتب سنة 2014 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثلُّ المرحلة الثالثة من إبداعات الشريف للأطفال.

ملخّص القصة

هذه القصة من القصص الواقعية المعرفية، يحكي كاتب القصة وراويها بأنه استيقظ من نومه ذات صباح، وذهب إلى حديقة بيته الصغيرة، التي اعتاد الجلوس بين أزهارها وممارسة هوايته بقراءة كتاب ما، وفي ذلك الصباح وبعد أن قام بسقي أزهارها، جلس يستمتع بنسيم الصباح المنعش، وفي أثناء ذلك رأى نملة صغيرة تدفع حشرة كبيرة ميتة، كانت تحاول دفعها مرة من اليمين ومرة من اليسار، ثم ذهبت واختفت لتعود ومعها عدد من النملات، أحطن بالحشرة الكبيرة ودفعنها إلى الأمام، وكنَّ يغيرن أماكنهن في كل مرة، وفي هذه الأثناء جاءت نملة سوداء كبيرة لكن النملات الصغيرة هجمن عليها ومنعنها من الاقتراب من الحشرة فهربت، ثم عدن إلى الحشرة الكبيرة الميتة وبدأن بدفعها من جديد حتى وصلن بها إلى شق صغير في الأرض، ثم تبادلن أماكنهن وبدأن بمحاولة دفعها في الشق، وبعد محاولات عديدة وتبادل للأماكن، وقد تعب راوي القصة الذي كان يراقب تلك النملات، لكن النملات نجحن في آخر الأمر في دفع الحشرة داخل الشق الصغير.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: هذه القصة من القصص المعرفية، التي تدعو إلى التأمل في مخلوقات الله تعالى مهما هانت وصغرت، وكان النمل بطلاً في كثير من القصص التي موضوعها الجد والاجتهاد والمثابرة والتوفير، وهذه القصة تحمل الفكرة ذاتها، ويلاحظ أنَّ قصص الشريف قد خلت من الأبطال الحشرات إلا في مجموعاته الأخيرة التي منها هذه القصة.

ب. الأحداث والعقدة: المقدمة: بدأت القصة بمقدمة تحدث فيها راوي القصة عما شاهده في صباح أحد الأيام، فبعد استيقاظه ذهب كعادته إلى حديقة بيته الصغيرة، التي اعتاد الجلوس فيها وقراءة الكتب، ففي ذلك الصباح وبعد أن انتهى من سقي نباتاتها، جلس يستمتع بنسيم الصباح المنعش.

بعد هذه المقدمة، تأتي الأحداث، ففي أثناء جلوس الراوي في حديقته رأى نملة صغيرة تدفع أمامها حشرة كبيرة ميتة، مرةً تدفعها من اليمين ومرةً تدفعها من اليسار، وقد استغرق منها هذا العمل وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً، وتكمن العقدة الأولى في محاولة النملة الصغيرة للوصول بالحشرة الكبيرة الميتة إلى هدفها، لذا انطلقت النملة الصغيرة واختفت عن عين الراوي، لتعود بعد ذلك ومعها مجموعة من النملات الصغيرات، حيث أحطن بالحشرة الكبيرة الميتة من كل جانب وبدأن بدفعها، وبهذا أخذت العقدة الأولى بالحل، وتأتي العقدة الثانية عندما جاءت نملة سوداء كبيرة، وتم حل هذه العقدة بأن هجم عليها ومنعها من الاقتراب من الحشرة الكبيرة فولت هاربة، ثم عدن إلى الحشرة وبدأن بدفعها من جديد، وكن يتبادلن أماكنهن حتى وصلت إلى شق صغير، وتبدأ العقدة الثالثة وهي صعوبة إدخال الحشرة الكبيرة في الشق الصغير، لكن بمزيد من المحاولات والجهد والمثابرة، حتى تمكن أخيراً من إدخالها.

ج. الشخصيات: تضمّنت هذه القصة عدداً من الشخصيات، تنتمي جميعها لعالم الحشرات وتحديدًا أمة النمل، ولأنّ القصة واقعية فلم يجعل الكاتب لها أسماء تميزها، فمن الصعب تمييز الحشرات من الجنس الواحد عن بعضها؛ ففي بداية القصة ذكر النملة بأل التعريف" وذلك في قوله: "الآن أحكي لكم حكاية النملة وما فعلت بالحشرة الكبيرة"⁽¹⁾؛ وذلك ليعرّف القارئ الصغير بطبيعة بطل قصته وجنسه، ولمزيد من التحديد والتمييز لجأ بعد ذلك إلى الوصف الشكلي، حيث وصف النملة وهي بطلة القصة ب"الصغيرة"، وذلك في قوله: "فرايتُ نملةً صغيرةً تدفع أمامها حشرة كبيرة ميتة"⁽²⁾، أو قد يلجأ إلى الترتيب المكاني لتمييز النملة البطلة عن النملات الأخريات بعد مجيء عدد آخر منهن، حيث اختفت النملة الصغيرة وعادت رفقة مجموعة من النملات الصغيرات وهنّ يمثلن الشخصيات المساندة، حيث لم يعد وصفها بالصغيرة كافياً لتمييزها عن سواها، فقال الكاتب: "وقد عرفتُ النملة الصغيرة لأنها كانت

(1) مجموعة حكايات للأطفال من حياة الحيوان، "الحكاية الرابعة"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2014 م، ص 13.

(2) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

في المقدمة لتدل رفيقاتها على مكان الحشرة الكبيرة⁽¹⁾، لا شك أن عين الإنسان لا يمكنها التمييز بين نملاّت يتصفن باللون والحجم نفسه، لكن الكاتب قد عرف النملة البطلة من خلال تقدمها للنملاّت الأخرى، في حين كان من السهل على الكاتب التعرف على النملة المعادية من خلال حجمها الكبير، وذلك في قوله: "وما حيرني أيضاً أنّ نملةً سوداء كبيرة جاءت لكنّ النملاّت هجمت عليها.."⁽²⁾، وتمثل النملة السوداء الكبيرة الشخصية الثانوية.

د. البيئة المكانية والزمانية: حدّد الكاتب في مقدمة هذه القصة البيئة المكانية والزمانية التي وقعت فيها أحداث القصة، حيث جاء في تلك المقدمة: "في صباح يوم من الأيام، استيقظت من نومي وذهبتُ إلى حديقة بيتي الصغيرة لأسقي أزهارها"⁽³⁾، فالحديقة من الأماكن التي من الطبيعي والمتوقع وجود الحشرات فيها، كما أنّها مكان يجلس فيه الناس طلباً للهدوء والراحة والاستجمام، وبهذا كان من الطبيعي أن تلفت الحشرات الصغيرة نظر راوي القصة أو صاحب الحديقة، ولتوضيح الأمر أكثر تزخر الغابات بالحشرات ومنها النمل، ولكن ليس من المتوقع أن يجلس الإنسان في وسط الغابة ليراقب حشرات صغيرة.

أمّا البيئة الزمانية فهي كما هو واضح ممّا سبق هي فترة الصباح، قد لا يكون لهذه الفترة من ناحية واقعية كبير الأثر، فالنمل يعمل في كل الأوقات، كما أنّ راوي القصة يمكنه مشاهدة ذلك في أي وقت من النهار، ولكن ربما لهذا الوقت رمزيّة خاصة كونه الوقت الذي تتطلق فيه معظم المخلوقات وخصوصاً الإنسان للعمل وطلب الرزق.

هـ. اللّغة والأسلوب: اعتمدت القصة على السرد بشكل كامل، ويلاحظ أنّ الراوي بدأ قصته بالفعل المضارع، وذلك في قوله: "الآن أحكي لكم حكاية النملة.."⁽⁴⁾، ثم تتوالى بعد ذلك وتطغى الأفعال الماضية، باعتبار أنّ أحداث القصة في الماضي، مثال ذلك: "فعلتُ، بدأتُ، استيقظتُ، ذهبتُ، زرعْتُ.. إلخ"، ويلاحظ خلو القصة من اللغة الإبداعية، وألفاظها سهلة؛ وذلك لأنّ القصة معرفيّة

(1) مجموعة حكايات للأطفال من حياة الحيوان، "الحكاية الرابعة"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 13.

(2) المصدر السابق، ص 14.

(3) المصدر السابق، ص 13.

(4) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

الهدف منها كغيرها من قصص هذه المجموعة معرفي، كما يلاحظ حضور الكاتب في جميع مراحل القصة، ففي المقدمة نجده في الكلمات الآتية: "سأحكي، استيقظت، نومي، ذهبتُ، بيتي، لأسقي، لكني، زرعتُ، مكاني، أستريحُ، أقرأ، أكتبُ، انتهيتُ، جلستُ، أستمتعُ، فرأيتُ، وفي مرحلة أخرى قال: "لا أعرفُ، وقد عرفتُ، حيرني، ولم أعرفُ، لكني، صممتُ، أن أتابعها، أعرفُ، حيرني، وفي المرحلة الأخيرة من القصة قال: "لم أعاد، مكاني، بقيتُ، أنتظرُ، انتظرتُ، تعبتُ، رأيتُ.

قصة "البيغاء"

إحدى قصص مجموعة "قصص لأطفال الثورة"، التي أصدرها الكاتب سنة 2014 م، وتُعدُّ إحدى المجموعات التي تمثّل المرحلة الثالثة من إبداعات الشرف للأطفال.

ملخص القصة

تحكي القصة عن طفل اسمه "سامي" ذهب رفقة والده إلى السوق؛ ليشتري عصفوراً لكنه أعجب ببيغاء يتكلم، ونصح البائع بأن يردد له اسمه خمس مرات، قام "سامي" بنصيحة البائع لكن البيغاء لم يستجب، فأعرض عنه "سامي" وذهب يتجول في السوق، وبعد لحظات سمع صوتاً يناديه مردداً اسمه، فبحث عنه "سامي" ووالده فاكتشف أنه البيغاء، فاشتراه ورجع به إلى البيت ووضع قفص البيغاء على خزنة بقرب النافذة، وحضر أصدقاء "سامي" لمشاهدة البيغاء الذي يتكلم وينادي "سامي"، كما كان يردد كلمة "افتح" لأنه أكثر كلمة كان يسمعا في البيت، وبعد أشهر بدأت الثورة والحرب، وكان والده يحضر كميات كبيرة من الأدوية وعرف "سامي" أن والده كان يسعف الثوار لأنه كان طبيباً، وكان "سامي" يسمع أصوات المدافع أحياناً قريبة وأحياناً أخرى يسمعا من بعيد، وفي بعض الليالي كان لا ينام بسبب الخوف.

تأثر البيغاء بذلك وتغيّر حاله فكان كثير الصراخ وصار يضرب القفص بمنقاره، ثم توقف عن تناول الطعام، وكانت المفاجأة الحزينة عندما استيقظ "سامي" في صباح أحد الأيام من نومه فلم يجد البيغاء ووجد القفص على الأرض مكسوراً، وفي إحدى الليالي وبينما كان "سامي" يقرأ في كتاب المدرسة، سمع هتافاً يأتيه من بعيد، وأكدت له أمه أنه هتاف الفرحة، وفي الوقت نفسه سمع "سامي" صوت نقرات على زجاج النافذة، ثم سمع صوت البيغاء يردد "سامي" .. "سامي" .. افتح .. افتح .. ليبيبا .. ليبيبا.

تحليل القصة

البناء الفني:

أ. الموضوع: تقوم القصة على فكرة رئيسية وهي النضال من أجل التحرر من الطغيان، وذلك من خلال حدث تاريخي تمثل في ثورة السابع عشر من فبراير التي ثار فيها الشعب الليبي ضد النظام، طلباً لحقهم في العيش بحرية وكرامة بعيداً عن الظلم والاستبداد.

ب. الأحداث والعقدة:

المقدمة: خلت القصة من مقدمة، يحدد فيها أبطال القصة، والبيئتين الزمانية والمكانية التي جرت فيها أحداثها، حيث دخل الكاتب في الأحداث مباشرة.

بدأت القصة بالحدث الرئيس الذي تمثل في ذهاب "سامي" رفقة والده إلى سوق الطيور وشرائه لبيعاء يتكلم، ورجوعه إلى البيت ليضع قفص الببغاء على خزنة قرب النافذة، بعد ذلك أخذت الأحداث منحى عام، وهو بداية حرب التحرير وانتظام والد "سامي" في هذه الأحداث من خلال مساعدته لجرحي الثوار كونه طبيباً، واستمرت الحرب وآثارها على الحياة بشكل عام، كما كان لها تأثيرها على الببغاء الذي تغير حاله فأصبح كثير الصراخ، ويضرب قضبان القفص بمنقاره، كما توقف عن تناول الطعام، وتصل الأمور إلى التّعقيد والتأزم^(*) عندما استيقظ "سامي" في صباح يوم من الأيام من نومه فلم يجد الببغاء ووجد القفص على الأرض مكسوراً، حزن "سامي" وبحث عن الببغاء لكنه لم يجد له أي أثر، واستمرت حرب التحرير دائرة، وفي هذه الظروف كان "سامي" وأمه وحيدين في البيت، ووالده لم يأت إلا مرتين ولدقائق معدودة.

(*) وهي عقدة بسيطة، بمعنى أنّها خالية من الصراع.

الحل: ذات ليلة وبينما كان "سامي" يقرأ في أحد كتبه، وكان الهدوء يعم الشوارع، سمع هتافات تأتيه من بعيد، ترك كتابه وسأل أمه فأجابته بأنها هتافات الفرحة، وفي هذه الأثناء سمع "سامي" نقرات على زجاج النافذة، ثم سمع صوتاً يعرفه، ينادي "سامي .. افتح .. افتح .. ليبيبا .. ليبيبا"⁽¹⁾.

والملاحظ في أحداث القصة أنها سارت سيراً واقعياً، غير أنّ ما قام به "الببغاء" في النصف الثاني من القصة لا يمكن إدخاله في هذا الإطار، المتمثل في اضطراب الببغاء وصراخه وامتناعه عن الأكل ونقره لقضبان القفص، ثم فراره بعد أن كسر القفص، كل ذلك تزامن مع اشتعال الثورة في ليبيا، يريد الكاتب من ذلك أنّ الجميع أصبح ينشد الحرية بما فيها "الببغاء"، وبهذا المعنى تدخل القصة مدخل الخيال بالإضافة إلى الرمزية، ويؤكد هذا ما انتهت إليه القصة حيث تزامنت عودة "الببغاء" مع انتصار الثورة، ونداءاته التي تتوافق مع ما كان يردد في تلك الهتافات، وكأنه فهم ما حدث وفهم مدلول تلك الكلمات التي يرددتها تقليداً للناس.

ج. الشخصيات: تعددت شخصيات القصة وتنوعت بين الشخصيات الإنسانية والحيوانية، ويمثل "سامي" بطولة القصة، ولم يحدّد الكاتب سن "سامي"، لكن من خلال سرد القصة يتضح أنه ولد يدرس في المدرسة، كما يتضح ذلك من خلال أحداث القصة وما دار فيها من حوارات، وأهم ما يتميز به "سامي" حبه للطيور والعصافير، لذا رافق والده لسوق الطيور لشراء عصفور يقوم بتربيته، ويمثل والده وأمه الشخصيات المساندة له، كما مثل البائع شخصية ثانوية، أما الشخصية الحيوانية فيمثلها "الببغاء" الذي مثل شخصية رئيسة في القصة.

د. البيئة المكانية والزمانية: تنقسم الأماكن في هذه القصة إلى قسمين، مكان عام يتمثل في ليبيا، وهو المكان لحدث تاريخي يتمثل في ثورة السابع عشر من فبراير سنة 2011 م، جاء ذلك في نهاية القصة على لسان الببغاء عندما قال: "افتح .. افتح .. افتح .. ليبيبا .. ليبيبا .. ليبيبا"⁽²⁾، ومكان خاص وهو - أيضاً - ينحصر في مكانين حدثت فيهما أحداث القصة، أولهما: سوق الطيور مكاناً للحدث الأول، جاء ذلك في بداية القصة، عندما قال الكاتب: "في يوم من الأيام ذهب سامي مع أبيه

(1) مجموعة قصص لأطفال الثورة، "الببغاء"، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، 2014 م، ص 28.

(2) المصدر السابق، ص 28.

إلى سوق الطيور ليشتري عصفوراً⁽¹⁾، أما المكان الثاني فهو البيت حيث استغرق أغلب أحداث القصة، وجاء ذلك عند قول الكاتب: "في البيت اختار سامي الخزانة التي قُربَ النافذة ووضع عليها قفص البيغاء"⁽²⁾.

أما البيئة الزمانية غير محدّدة، يلاحظ أنّ الكاتب بدأها بقوله: "في يوم من الأيام"⁽³⁾، ووقعت بعض أحداثها نهاراً، جاء ذلك في "في صباح يوم من الأيام استيقظ سامي من نومه فلم يجد البيغاء ووجد القفص على الأرض مكسوراً"⁽⁴⁾، وفي "كلّ صباح يذهب سامي إلى أصدقائه يسألهم لكنهم لا يعرفون أين يذهب البيغاء"⁽⁵⁾، وبعضها الآخر ليلاً، جاء ذلك في قول الكاتب: "بعد أيام جاء ثوار وأخذوا الأدوية، بعد يومين وكان الوقت ليلاً رأى سامي والده يستعد للخروج"⁽⁶⁾، وفي قوله: "في الليل سمع سامي أصوات المدافع، أحياناً يسمعها قريبة وأحياناً يسمعها بعيدة، وفي بعض الليالي لا ينام"⁽⁷⁾، وفي قوله "ذات ليلة كان سامي يقرأ في كتاب المدرسة..⁽⁸⁾، كما يلاحظ أنّ القصة استغرقت وقتاً طويلاً⁽⁹⁾، هذا الوقت بدأ قبل شهر من ثورة فبراير، جاء ذلك في قول الكاتب: "بعد شهر بدأت حرب التحرير..⁽¹⁰⁾، وتستغرق القصة كل فترة الثورة، وفي ذلك يقول الكاتب: "مرّت أيام وبعدها مرّت أيام وحرب التحرير مستمرة..⁽¹¹⁾، وانتهت بانتهاء الثورة بانتصارها وسماع "سامي وأمه هتافات النصر

(1) مجموعة قصص لأطفال الثورة، "البيغاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 23.

(2) المصدر السابق، ص 25.

(3) المصدر السابق، ص 23.

(4) المصدر السابق، ص 27.

(5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر السابق، ص 26.

(7) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(8) المصدر السابق، ص 27.

(9) المصدر السابق، ص 25.

(10) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(11) المصدر السابق، ص 27.

والفرح آتية من بعيد، جاء ذلك في قول الكاتب: "ذات ليلة كان سامي يقرأ في كتاب المدرسة، فجأة حدث شيء غريب، هدوء في الشارع، في كل الشوارع، سامي يسمع هنا فأ يأتيه من بعيد.."⁽¹⁾.

هـ. اللُّغة والأسلوب: اعتمدت القصة على السرد والحوار، مع غلبة الثاني، وقد كشف الحوار عن طبيعة شخصيات القصة، فحوار "سامي" مع والده وأمه وكذلك بائع الطيور عبّر عن قلة خبرته كونه طفلاً صغيراً، فحين رأى "سامي" أحد الطيور أعجب به فقال لأبيه: "أريد هذا العصفور. فردّ عليه والده: "هذا ليس عصفوراً، هذا ببغاء. كذلك عندما قال البائع: هذا الببغاء يتكلم. قال سامي: هل هذا صحيح يا أبي؟"⁽²⁾، وحين ردد الببغاء اسم "سامي" ظنّ أنه يعرفه، فقال: "تعال يا أبي .. الببغاء يقول اسمي .. إنه يعرفني .. إنه يعرفني .. هو يعرف اسمي .. هو يعرف اسمي .. أنا أحبه"⁽³⁾، وحاول الكاتب الإيحاء بهذه الفكرة حين جعل الببغاء يتفاعل مع الحدث العام متمثلاً في الثورة، كما جعله يردد بعض ما يتردّد من هتافات وكأنه يعرف مغزاها على وجه الحقيقة، أما من الناحية الشكلية فيبدو ترديد الببغاء للكلمات واقعياً، خصوصاً أنّ الكاتب اكتفى بأن جعل الببغاء يردد بعض الكلمات ولم يبالغ فيجعله يردد جملاً مثلاً، كما كان اختياره لكلمات بعينها متقناً، حيث كان الاختيار يتسم بالواقعية والرمزية معاً، فتريده لكلمة "ليبيا" كان واقعياً من حيث كانت الكلمة الأكثر ترديداً بين الناس في تلك الفترة، وفي الوقت نفسه كانت لها رمزيتها الخاصة، فهي الوطن الذي يسعى الثوار لتحريره من الاستبداد، كما كشف الحوار عن طبيعة عمل والد "سامي" كما كشف عن مشاركته المباشرة في الثورة من خلال معالجة الجرحى، جاء ذلك عندما سأل "سامي" والده عن سر الأدوية الكثيرة التي أتى بها إلى البيت، فقال الوالد: "أنا طبيب يا سامي، هذه الأدوية للجرحى من الثوار"⁽⁴⁾، وحين رأى سامي والده يستعد للخروج ليلاً سأله عن وجهته، فردّ الوالد قائلاً: "هل نسيت.. أنا طبيب والثوار يحتاجون لطبيب.. أنا ذاهب إليهم"⁽⁵⁾،

(1) مجموعة قصص لأطفال الثورة، "الببغاء"، يوسف الشريف، مصدر سابق، ص 27.

(2) المصدر السابق، ص 23.

(3) المصدر السابق، ص 25.

(4) المصدر السابق، ص 26.

(5) المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

وفيما يخص اللُّغة فهي واضحة تتناسب مع الجزء الأول من مرحلة الطفولة المتوسطة^(*)، وتخلو القصة من اللُّغة الإبداعية، باستثناء ما جاء على لسان الأم عندما سمعت الهتافات فقالت: "هذا هتاف الفرخ يا سامي.. هتاف الفرخ"⁽¹⁾، كنايةً عن انتصار الثورة.

ووردت بعض المفردات التي تتناسب وموضوع القصة، مثل: حرب التحرير، وثوار، ويحاربون، والجرحى، والمدفع، والهتاف.

ويلاحظ تأثير اللُّهجة المحكية في ليبيا في بعض الجمل، ممَّا يدخلها في الخطأ اللُّغوي، كالفصل بين الفعل المتعدِّي والمفعول به بحرف الجر "في"، وذلك في قول الكاتبة: "يقرأ في كتاب المدرسة"⁽²⁾.

(*) من خلال هذه الدراسة يتبيَّن أنَّ أغلب قصص الشريف يستهدف بها مرحلة الطفولة المتوسطة، والقليل منها يستهدف بها مرحلة الطفولة المبكرة.

(1) المصدر السابق، ص 28.

(2) المصدر السابق، ص 27.

الخاتمة

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة بعد تتبُّع قصص الأطفال عند يوسف الشريف عن نتائج وتوصيات لعلَّ

أهمُّها:-

أولاً: النتائج

- لا يزال الاختلاف يكتنف تعريف أدب الأطفال، ويبيِّنُ من التعريفات المختلفة الخلط بين الأدب بمعناه العام والأدب بمعناه الخاص، وكذلك الخلط بين مادة الأدب ووسائله ووسائطه.
- ترتبط وظيفة أدب الأطفال بالفلسفة التي يقوم عليها هذا الأدب، وهي فلسفة تستمد مقوماتها من قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، ومن فلسفة التربية الحديثة.
- لأدب الأطفال وظائف عديدة ذات صلة بتنمية قدرات الطفل الإبداعية والذهنية والنفسيَّة، ومن أبرز تلك الوظائف: الوظيفة الدينيَّة والتربويَّة الأخلاقيَّة والوطنية والقوميَّة، والمعرفيَّة واللغويَّة والجماليَّة والإمتاع والتسليَّة.
- إنَّ بداية عقد السبعينيَّات من القرن الماضي تمثِّلُ البداية الجادة للكتابة الأدبيَّة الموجهة للطفل في ليبيا، وقد تبلورت تلك الكتابة في القصة والمسرح والشعر.
- يلاحظ أنَّ النتائج القصصيَّة للأطفال في ليبيا كان هو الغالب على غيره تأليفاً وترجمة.
- من العوامل المؤثرة في نشأة أدب الأطفال وتطوُّره في ليبيا التأثيرُ بالثقافة العالميَّة والعربيَّة، والترجمة، وبالتعليم، وتنامي الوعي بالطفولة، وانتشار دور الطباعة والنشر.
- مع نشأة الحضارة الغربيَّة الحديثة بدأ الاهتمام بأدب الأطفال، في أوروبا وكان لفرنسا الريادة في ظهور هذا الأدب في العصر الحديث، ومنها انتقل إلى إنجلترا وأمريكا وألمانيا وغيرها من الدول.
- بدأ أدب الأطفال العربي خطواته بالترجمة من آداب الطفل العالميَّة، ثم اقتباساً وتأثراً بالتراث العربي الزَّاهر بالقصص والحكايات، وانتهى بالتأليف والإبداع الخالص.
- كان ليوسف الشريف مشاركته الواسعة في الكتابة والتأليف والترجمة في كل مراحل نشأة القصة الطفليَّة وتطوُّرها في ليبيا، فقد صدرت له ست عشرة من السلاسل والمجموعات القصصيَّة ابتداءً من عقد السبعينيَّات وحتى سنة 2014 م.

- من دوافع كتابة يوسف الشريف القصص للأطفال في ليبيا إدراكه لتخلف تربية الطفل في المجتمع، ولرغبته في دعم مكتبة الطفل، وتقديم المعرفة له وتزويده بالقيم الفاضلة ومساعدته على تجاوز المفاهيم الخاطئة.
- توافرت عوامل عدّة كان لها تأثير واضح في إبداع يوسف الشريف وفكره ومن أبرزها: الاطلاع على القصص والروايات العربية والأجنبية المترجمة، إلى جانب تأثير البيئة الثقافية حوله، ومزاولته لمهنة التعليم، وتعلّقه بالأطفال واهتمامه بكل ما له صلة بالطفولة من دراسات وإبداعات.
- جعل يوسف الشريف كثيراً من قصصه عن مظاهر الكون ومعالم الطبيعة والحياة مسكاً للمعرفة وأداة لتزود الطفل بالمعلومة وعاملاً من عوامل إثارة الخيال وتنميته.
- لا تختلف مراحل إبداع القصة وتطوره عند يوسف الشريف عن مراحل تطوره في ليبيا بشكل عام، غير أنّ قصص كل مرحلة تتسم بسمات قد لا نجدها في قصص المرحلة الأخرى لاختلاف مستوى النضج الفنّي عند الشريف في المرحلة الأخيرة عنه في مرحلة البدايات.
- تنوّعت المضامين والقيم التي تضمّنتها قصص الشريف: ما بين الاجتماعية، والأخلاقية، والوطنية، والصحية، وتكامل الشخصية، والمعرفية، والاقتصادية.
- تجاهل "الشريف" التاريخ العربي الإسلامي فلم يضمّنه أو يوظّفه في قصصه.
- عدم تحديد الكاتب للمرحلة العمرية لقصصه، يُعدّ هذا الأمر من أهم المآخذ على قصص "يوسف الشريف"؛ لما له من تأثير سلبي على الكاتب والباحث معاً إضافة للمربين.
- حاول "الشريف" نقل بعض الحقائق العلمية والمعارف والخبرات التي توصل إليها العقل البشري وضمّنها لقصصه، وقد وظّف بعض الحقائق العلمية بحيث جعلها حلاً لمشكلة حيوية، أو تنفيذ لمعتقدات خاطئة، أو لمجرد التعرّف والتأمل فيما حولنا من ظواهر كونية.
- لجأ الكاتب إلى الرّمز من خلال بعض قصص الحيوان والنبات؛ وذلك لإيصال بعض القيم التربوية، فالرّمز يعطي الكاتب مساحة من الحرية في انتقاد الشخصيات التي تمثّل القيم السالبة، وقد وُفق في ذلك فلم يغرق في الرمزية التي تشكّل صعوبة على القراء الصغار.
- يميّز يوسف الشريف في كتابته غالباً باستخدام لغة سلسة وأسلوب يتسم بالوضوح والبساطة والتأثير، دون تعقيد ممّا يدل على حرفية كبيرة وقدرة عالية على الكتابة للأطفال.

- توافرت لقصص الشريف للأطفال مقومات البناء الفني المتكامل من خلال استخدام عناصر القصة من حدث وشخصية وزمان ومكان ولغة وأسلوب، مما أسهم في بلوغها درجة رفيعة من النضج الفني.
- وفق يوسف الشريف في وضع عناوين مناسبة لقصصه وتوظيفها لتحقيق عنصر التشويق وجذب القارئ، وتيسير فهم دلالة القصة ومضمونها.
- رغم نجاح الشريف في أغلب قصصه للأطفال من حيث التعبير والتشكيل الفني إلا أن أسلوبه أحياناً لم يخلُ من بعض المآخذ، مثل: إقحام بعض الكلمات أو العبارات غير المحببة أو غير المناسبة للأطفال، وكذلك اعتماد الكاتب على المباشرة أحياناً من خلال الخروج من فعل السرد إلى التقرير.
- استخدم الشريف عدداً من التقانات الفنية استخداماً ناجحاً، ومن تلك التقانات الرمز وبخاصة في قصص الحيوان، كما استخدم مظاهر الطبيعة ليكون ذلك باباً للتسلية والترويح وتقديم المعرفة والحكمة والدروس التهديبية والأخلاقية.
- اعتمد الشريف في بعض قصصه على الموروث الشعبي الحكائي في ليبيا، وقد اعتمدت تلك القصص والحكايات على التراث من مصدرين: الحكايات الشعبية والأمثال الشعبية.
- حقق توظيف التراث العلمي والتاريخي والشعبي في قصص الشريف الطفلية أغراضه المعرفية والتربوية والجمالية.
- إنَّ القصص الصادرة في المرحلتين الأولى والثانية كانت أوفر حظاً من حيث الرسوم المصاحبة من المرحلة الأخيرة التي اختفت في فترات منها تلك الرسوم، ويغلب على قصص المرحلة الأخيرة صدورها في شكل مجموعات كبيرة، مما أثر سلباً على العناية بالرسوم المصاحبة، كما أنَّ تنوع الرسامين في السلسلة الواحدة أو من سلسلة إلى أخرى، جعل هناك تفاوتاً واضحاً في مستويات جودة تلك الرسوم.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

- أوصي بجعل مادة أدب الأطفال ضمن المواد التي يدرسها طلاب قسم اللغة العربية.
- كما أوصي بدراسة هذا الأدب من خلال بحوث التخرُّج وبحوث الدراسات العليا لتعويض النقص الحاصل في الدراسات النقدية.
- إقامة مسابقات تُقدَّم فيها جوائز للمؤلفات المتميزة في مجال أدب الأطفال في ليبيا، ودعم المؤلفات الفائزة للمشاركة في الجوائز العالمية، وفق معايير متفق عليها، أسوةً بالغرب والشرق.

- أوصي بالتعاون الثقافي وتبادل مطبوعات كتب الأطفال بين الأقطار العربيّة لتغطية العجز الذي تعاني منه أكثر الأقطار في هذا المجال.
- ضرورة إنشاء مؤسسة أو رابطة ينضوي تحتها كل المهتمين بثقافة الطفل وأدبه، لتبادل الخبرات والآراء؛ للخروج من العشوائية والعمل الفردي.
- إعادة نشر كتب الأطفال التي تلاقي إقبالاً عند الأطفال، عند نفاذها من المكتبات، مع تنقيحها وإخراجها بالشكل اللائق.
- الاعتناء بكتاب الطفل من الناحية الشكلية، وإخراجه بشكل مناسب يرتقي بالذوق الفني للطفل، من خلال إعداد كوادرن فنية تُعنى برسوم قصص الأطفال وتشجيعها.

الملاحق

نماذج من صور بعض قصص يوسف الشريف للأطفال

- القصص التي تمثل المرحلة الأولى:



شكل (1)

السلسلة الأولى التي صدرت سنة 1977 م، باللون الأزرق

« قصص ليبية للأطفال »



سحر وسعيد ومسعود

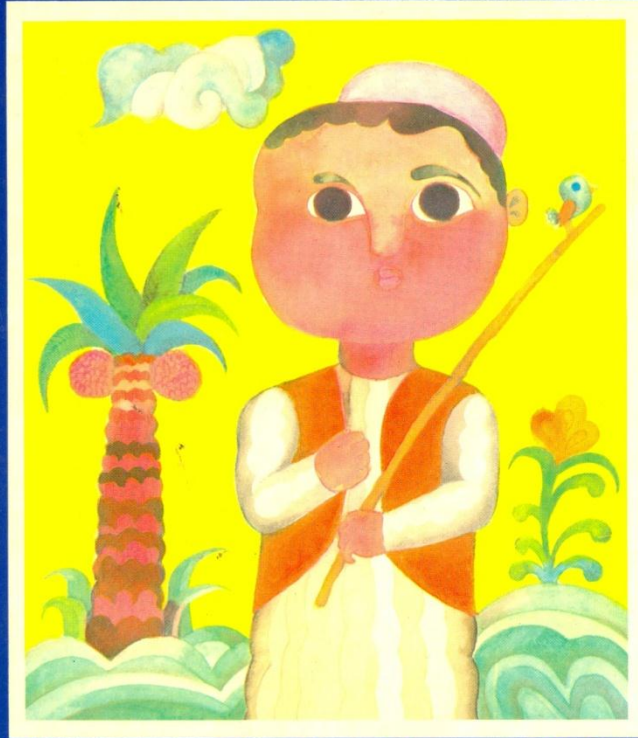
تأليف يوسف الشريف

رسوم تذاير نبعة

شكل (2)

السلسلة الأولى التي صدرت سنة 1977 م، باللون الأزرق
يلاحظ أن العنوان تحت صورة الغلاف

« قصص ليبية للأطفال »



الرّاعي الشّجاع

تأليف يوسف الشريف

رسم محمود وهبي

شكل (3)

ظهر الراعي الصغير على الغلاف بملابس تقليدية ليبية، ممسكاً بالعصا

« قصص ليبية للأطفال »



ابنة الراعي

يروىها يوسف الشريف

رسم نذير نبعنة

شكل (4)

خطأ إملائي في عنوان القصة حيث رُسمت همزة الوصل قطعاً في كلمة (ابنة)

- القصص التي تمثل المرحلة الثانية:

السلسلة الثانية التي صدرت سنة 1981 م، باللون الأخضر



شكل (5)

يلاحظ أن صورة الغلاف والعنوان قد وثقتا الثعلب والأرنب في حين أن بطل القصة كانت عصفورة صغيرة!

خطأ إملائي في العنوان حيث كتبت همزة القطع وصلاً

« قصص ليبية للأطفال »



الليبية الشجاعة

رسوم: عبد السلام النطاح

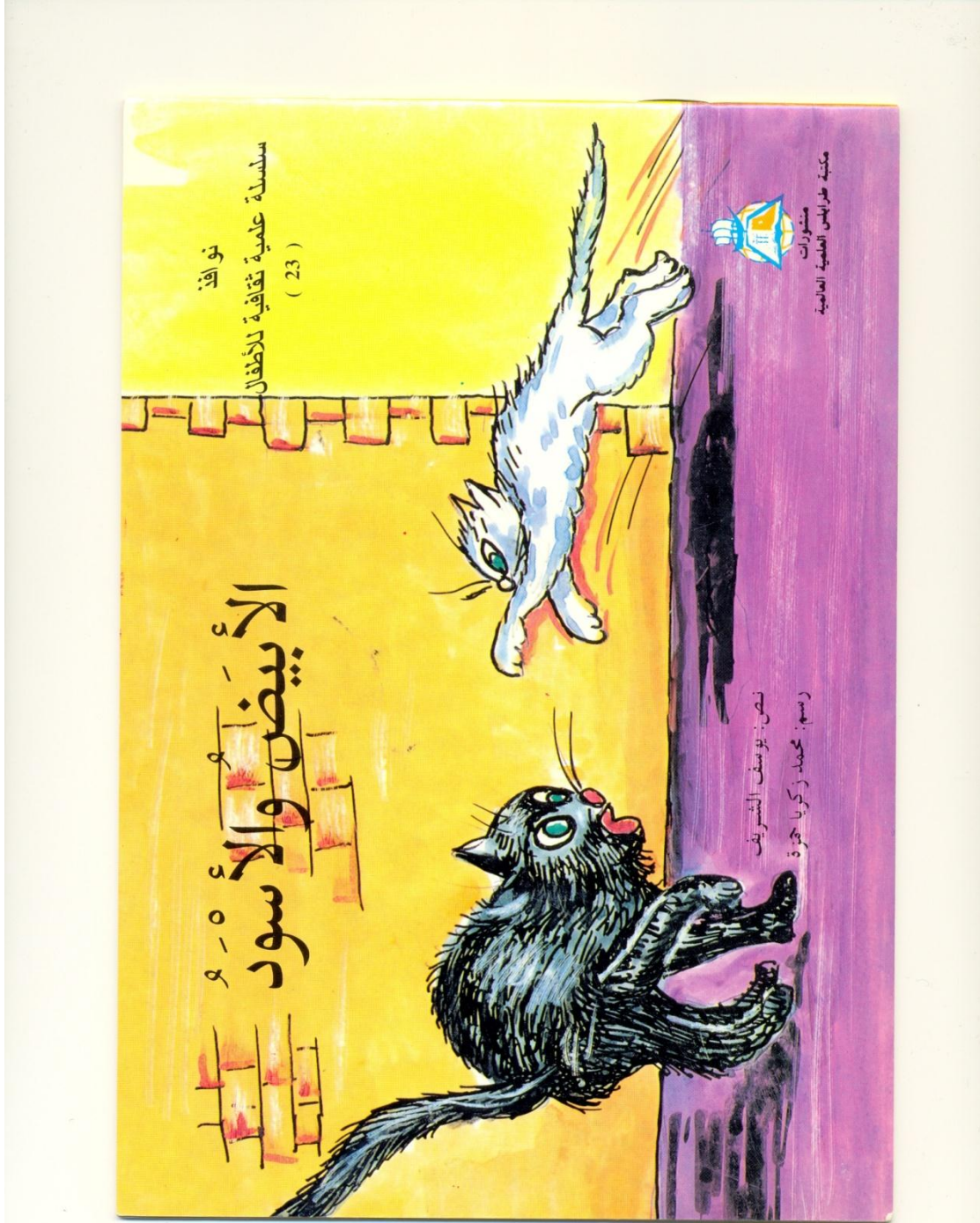
تأليف: يوسف الشريف

منشورات

المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان والطابع

شكل (6)

يلاحظ أن العنوان كتب تحت صورة الغلاف، كما يلاحظ أن بطله القصة ترتدي الزي الليبي مما يشير إلى هويتها، إضافة إلى الإشارة إلى هوية بطله القصة من خلال العنوان.



شكل (7)

يلاحظ أنَّ العنوان فوق صورة الغلاف، كما يلاحظ أنَّ القطين أحدهما لونه أبيض والثاني أسود، حيث يمثِّل القط الأبيض القيم الإيجابية في حين يمثِّل القط الأسود القيم السلبية، كما أنَّ الكاتب استغنى بالصفة الشكلية عن الموصوف.

نوافذ
سلسلة علمية ثقافية للأطفال
(19)

الحمامة تزرع شجرة



نص: يوسف الشريف
رسم: محمد زكريا حمزة



مكتبة طرابلس العلمية العالمية
مشورات

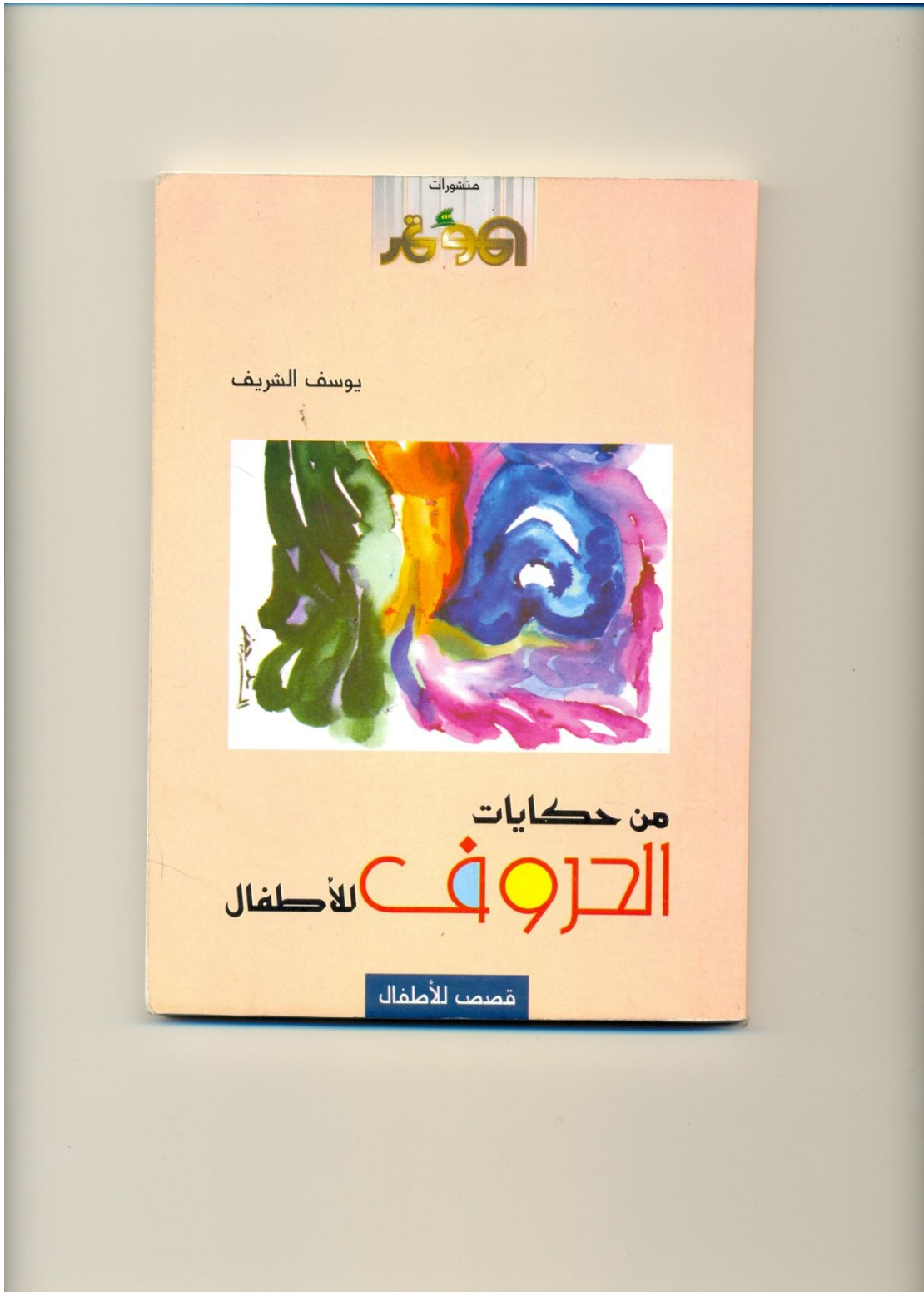
شكل (8)



شكل (9)

يلاحظ أنَّ المعلمة ظهرت بشكل لا يتناسب مع قيم مجتمعنا المسلم في ليبيا

- القصص التي تمثل المرحلة الثالثة:



شكل (10)

مكتبة الطفل

حكايات للأطفال

من حياة الحيوان

تأليف

يوسف الشريف



شكل (11)

مجموعة قصص للأطفال من حياة الحيوان"، صدرت سنة 2014 م، تخلو تماماً من أي رسوم

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:-

▪ القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم.

1. الحديث الشريف:

▪ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان.

▪ صحيح البخاري، بتحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1407 هـ - 1987 م.

▪ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان

▪ المجتبى من السنن، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ن: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب . سوريا، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م.

▪ مسند الإمام أحمد بن حنبل، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ن: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1420هـ/ 1999 م.

▪ الموطأ، مالك بن أنس، بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، دولة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2004 م.

2. الدواوين:

▪ ديوان، أحمد شوقي، ج 4، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1970 م.

▪ ديوان، أحمد شوقي، المجلد 2، ج 4، دار العودة، بيروت، 1988م.

▪ ديوان امرئ القيس، ضبط تصحيح: أ.مصطفى عبد الباقي، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، د.ت.

▪ ديوان (جسر الأحلام)، عبد المطلوب محمد المقوب، اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، إدارة الكتاب والنشر، سنة 2007 م،

▪ ديوان (سفينة الأحلام)، عبد المطلوب محمد المقوب، 1998 م.

▪ ديوان (الزهرة والعصفور)، حسن السوسي، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولى، مصراتة، 1992 م.

▪ ديوان شاعر الوطن الكبير، المهدي (أحمد رفيق)، المطبعة الأهلية، الطبعة الأولى، بنغازي، 1962م.

▪ الشوقيات المجهولة، محمد صبري، ج 1، دار الكتب، القاهرة، 1961.

- الشوقيات، أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
- ديوان الشوقيات، المقدمة، الطبعة الأولى، مطبعة المؤيد والآداب، 1898.
- ديوان طفلة النور، محمد سالم الحاجي، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، 2010 م.
- "20 قصيدة للأطفال"، عبد اللطيف المسلاتي، دار الحياة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الجزء الأول، بنغازي، 1995 م.
- 3. مصادر يوسف الشريف:-
- أ. مصادر الشريف الأدبية (تأليفاً وترجمة):
- الأيام الجنوبية، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 2012 م.
- سلسلة "قصص ليبية للأطفال"، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، سنة 1977 م.
- سلسلة قصص ليبية للأطفال، يوسف الشريف، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، 1981 م.
- سلسلة قصص ليبية للأطفال، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، تونس، 1985 م.
- سلسلة "توافذ" سلسلة علمية ثقافية للأطفال، تأليف وترجمة: يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، 1998 م.
- سلسلة طفل يقرأ، يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، 1999 م.
- مجموعة من حكايات الحروف، يوسف الشريف، منشورات مجلة المؤتمر، طرابلس، الطبعة الأولى، 2003 م.
- مجموعة السماء بيت العصافير، يوسف الشريف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005 م.
- مجموعة الشمس تأتي بالصباح، حديقة الورد، يوسف الشريف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005 م.
- قصة أمي، يوسف الشريف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005 م.
- قصة صديقان، يوسف الشريف، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2005 م.
- مجموعة المهر الأسود" قصص للأطفال، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، الطبعة الأولى، 2006 م.
- مجموعة حكايات قبل النوم، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006 م.
- مجموعة من حكايات العصافير، يوسف الشريف، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008 م.

- **مجموعة المطر يسقط في الصحراء**، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010 م.
- **مجموعة يا زهر القرنفل**، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، 2010 م.
- **مجموعة "حكايات للأطفال من حياة الحيوان**، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، الطبعة الأولى، 2014 م.
- **مجموعة حكاية زهرة المطر وحكايات أخرى**، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، الطبعة الأولى، 2014 م.
- **مجموعة قصص لأطفال الثورة**، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، الطبعة الأولى، 2014 م.
- **"ديوان صباح الخير يا ليبيا"**، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، 2014 م.
- **من حكايات الشعوب**، ترجمة: يوسف الشريف، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1988 م.
- ب. **مصادر الشريف غير الأدبية:**
- **دراسات في الطفولة**، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، الطبعة الأولى، 2010 م.
- **دراسات في الطفولة "الكتاب الثاني"**، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، الطبعة الأولى، 2014.
- **دراسات في الطفولة "الكتاب الثالث"**، يوسف الشريف، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، الطبعة الأولى، 2018 م.
- **المختار في اللغة والعلوم لتلاميذ مرحلة التعلم الأساسي**، يوسف الشريف، المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا، 2010 م.
- **المعجم الميسر للأطفال**، يوسف الشريف، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس _ ليبيا، الطبعة الأولى، 1369 و.ر.
- **الموسوعة العلمية الميسرة للفتيان والفتيات**، ترجمة يوسف الشريف، مجلس تنمية الإبداع الثقافي، ليبيا، الطبعة الأولى، 2003 م.
- 4. **مصادر: قصص وحكايات ومسرحيات لآخرين:-**
- **حكايات كليلة ودمنة**، بيدبا الفيلسوف الهندي، ترجمه ونقله عبد الله بن المقفع، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1992 م.
- **حكايات لافونتين**، ترجمة جيهان مصطفى فريجة، المركز القومي لثقافة الطفل، القاهرة، 1987 م.
- **خراريف ليلية**، أحمد يوسف عقيلة، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008 م.
- **خرافات يسوب**، ترجمة عبد الفتاح الجمل، دار الفتى العربي، بيروت، د.ت، ج 2.

▪ يا حزاركم (مجموعة من القصص الشعبي الليبي) هنرييت سكسك فراج، طرابلس، دار الفرجاني، الطبعة الثانية، 1991 م.

ثانياً: المراجع:

أ. الكتب العربية:

▪ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تقديم ومراجعة: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003 م، ج 3.

▪ أدب الأطفال "أهدافه وسماته"، محمد حسن بريغش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1996 م.

▪ أدب الأطفال "فلسفته، فنونه، وسائطه"، هادي نعمان الهيبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986 م.

▪ أدب الأطفال "فن المستقبل"، أنور عبد الحميد الموسى، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2010 م.

▪ أدب الأطفال المفاهيم الأشكال التطبيق، كمال الدين حسين، دار العالم العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2009 م.

▪ أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، أحمد زلط، دار النشر للجامعات المصرية، المنصورة، الطبعة الأولى، 1994 م.

▪ أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، محمود الضبع، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى 2009 م.

▪ أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، عبد الإله العرداوي، وهاشمية حميد جعفر الحمداني، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2014 م.

▪ أدب الأطفال فلسفته أنواعه تدريسه، عبد الرحمن عبد الهاشمي وآخرون، دار زهران، عمان، الطبعة الأولى، 2009 م.

▪ أدب الأطفال في الأردن، أحمد المصلح، منشورات دائرة الفنون والثقافة، عمان، الطبعة الأولى، 1983 م.

▪ أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، إسماعيل عبد الفتاح، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000 م.

▪ أدب الأطفال في المنظور الإسلامي دراسة وتقديم، محمد أديب الجاجي، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، 1999 م.

- أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 2006 م.
- أدب الأطفال نظرياً وتطبيقياً، عبد الله أبو هيف، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983 م.
- أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم، عبد الفتاح أبو معال، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2005 م.
- أدب الأطفال والقيم التربوية، د. أحمد علي كنعان، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، الطبعة الثانية، 1999 م.
- أدب الأطفال وبناء الشخصية "منظور تربوي إسلامي"، محمد عبد الرؤوف الشيخ، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، دبي، الطبعة الثانية، 1996 م.
- أدب الأطفال وثقافة الطفل، عبد الفتاح شحدة أبو معال، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008 م.
- أدب الأطفال ومكتباتهم، هيفاء خليل شرايحة، منشورات مركز هيا الثقافي، عمان، الأردن، الطبعة الثالثة، 1990 م.
- أدب الأطفال، أ.د. ربحي مصطفى عليان، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، 2014 م.
- أدب الأطفال، أنس داود، دار المعارف، القاهرة، 1993 م.
- أدب الأطفال، عبد المعطي نمر موسى، ومحمد عبد الحليم الفيصل، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، 2000 م.
- أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، 2000 م.
- أدب الطفل العربي "رؤى جديدة وصيغ بديلة"، د. أحمد عبده عوض، الشامي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000 م.
- أدب الطفل العربي، حسن شحاته، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2004 م.
- أدب الطفولة بين كامل كيلاني ومحمد الهراوي، أحمد زلط، دار المعارف، القاهرة، 1994 م.
- أدب الطفولة واقع وتطلعات "دراسة نظرية تطبيقية"، نزار وصفي اللبدي، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، 2001 م.
- أدب الطفولة.. أصوله.. مفاهيمه.. رواده، أحمد زلط، الشركة العربية للنشر والتوزيع، الدقي، مصر، الطبعة الأولى، 1990 م.
- الأدب العربي للطفولة، أحمد زلط، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008 م.

- الأدب المقارن، د.محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1977 م.
- أضواء على أدب الأطفال، إبراهيم أحمد نوفل، دار ومكتبة الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2014 م.
- بدايات الصحافة الليبية، عبد العزيز الصويغي، مصراتة، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولى، 1989م.
- البنى الحكائيّة في أدب الأطفال العربي الحديث، موفق رياض مقدادي، عالم المعرفة، دولة الكويت، 2012 م.
- تأثير ألف ليلة وليلة على أدب الأطفال العربي، يحيى رافع، دار الهدى للطباعة والنشر، حيفا، 2001م.
- تبسيط أدب الكبار للأطفال، دراسة نظرية مع نماذج تحليلية، سهير أحمد محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991 م.
- التنمية الثقافية للطفل العربي، عبد الله أبو هيف، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001 م.
- ثقافة الأطفال واقع وطموح، سعيد أحمد حسن، مؤسسة المعارف، بيروت، ، الطبعة الأولى، 1995م.
- ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 123، 1988 م.
- ثقافة الطفل العربي "دراسة"، سمر روجي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1987 م.
- ثقافة الطفل واقع وآفاق، إبراهيم محمود وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1997م.
- الخرافة في أدب الأطفال، محمد شوقي، ندوة الطفل العربي، بنغازي، 2002 م.
- الخطاب الأدبي والطفولة، أحمد زلط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الشباب، رقم 54، القاهرة، 1997 م.
- دراسة في أدب الأطفال، التهامي الهاني، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، الطبعة الأولى، 2004 م.
- سحر القصة والحكاية، محسن ناصر الكناني، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000 م.
- شعر الأطفال التاريخ والفن، إيهاب عبد السلام، دار الفاروق للاستثمارات الثقافية، الجيزة، الطبعة الأولى، 2008 م.
- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة.
- شوقي شاعر العصر الحديث، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية عشرة.

- الصحافة الأدبية في ليبيا، الطيب سالم الشريف، ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الطبعة الأولى، 2000 م.
- صورة الطفولة في التربية الإسلامية، صالح ذياب الهندي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000 م.
- الضفة الأخرى، خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008 م.
- الطفل وأدب الأطفال، هدى قناوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009 م.
- الطفل وعالمه الأدبي، عبد الرؤوف أبو السعد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994 م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1971، ج 3.
- فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، دار اقرأ، بيروت، د.ط، 2000 م.
- الفنان .. الموسيقى .. عبد الله جمال الدين الميلادي، علي مصطفى المصراتي.
- في أدب الأطفال، عبد الرزاق جعفر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979 م.
- في أدب الأطفال، علي الحديدي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، 1990 م.
- في أدب الأطفال، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس، حائل، السعودية، 1996 م.
- قراءات الأطفال، حسن شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الخامسة، 2001 م.
- قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، سمير عبد الوهاب أحمد، دار المسيرة، عمان، الطبعة الأولى، 2006 م.
- قوائد الأطفال في سورية دراسة تطبيقية، محمد قرانيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003 م.
- القصة تطوراً، يوسف يعقوب، مركز الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001.
- القصة الطفلية في سورية، دراسة تحليلية للقيم التربوية، د. عيسى الشماس، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996 م.
- القصة في أدب الأطفال في الأردن، روضة الهدهد نموذجاً، موفق رياض مقداي، دار الكندي، عمان، 2000 م.
- قصص الأطفال أصولها الفنية وروادها، محمد حسن عبد الله، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992 م.
- قصص الأطفال وفن روايتها، أمل خلف، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006 م.

- قصص الأطفال ومسرحهم، محمد حسن عبد الله، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001 م.
- قصص وحكايات الأطفال وتطبيقاتها العملية، أ.د.سمير عبد الوهاب أحمد، دار المسيرة، عمان، الطبعة الأولى، 2004 م.
- القضايا المعاصرة لأدب الطفل العربي، أحمد زلط، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009 م.
- القيم الإنسانية في أدب الأطفال، عبد العاطي كيوان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003 م.
- القيم في القصص المترجمة للأطفال دراسة تحليلية تقويمية، هويدا الحسيني، دار فرحة للنشر والتوزيع، 2009 م.
- كتب الأطفال في مصر 1955-1980 م، سهير أحمد محفوظ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001 م.
- المثقف في أدب الأطفال والشباب، د.إيمان البقاعي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
- المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية، علي مصطفى المصراطي، طرابلس، يوليو، 1962 م.
- المجمل في فلسفة الفن، كروتشه، ترجمة: سامي الدروبي، دار الآداب، القاهرة، 1947.
- المدخل إلى أدب الأطفال، محمد السيد حلاوة، المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2003 م.
- مدخل إلى تحليل النص الأدبي، د.عبد القادر أبو شريفة، أ.حسين لافي قزق، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، 2008 م.
- المرجع في أدب الأطفال، محمود حسن إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004 م.
- المسرح نشأته وآدابه وأثر النشاط المسرحي في المدارس، عيسى خليل محسن الحسيني، دار جرير، عمان، الطبعة الأولى، 2006 م.
- مصادر شعر شوقي للأطفال، حسن إسماعيل، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، 2005 م.
- مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال، مفتاح محمد دياب، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995 م.
- النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية، سعد أبو الرضا، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1993 م.

ب. الكتب المترجمة:

- أدب الأطفال من إيسوب إلى هاري بوتر، سيث ليرر، ترجمة ملكة أبيض، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010 م.
- الأدب الطفلي، سيسيليا ميرابل، ترجمة: مها عرنوق، دراسات نقدية عالمية، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1997 م.

ثالثاً: الرسائل العلميّة والأبحاث:

- أدب الأطفال في الجزائر دراسة لأشكاله وأنماطه بين الفصحى والعامية (1990 _ 2004)، (أطروحة دكتوراه)، زهراء خواني، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2008 م.
- أدب الأطفال في ليبيا "دراسة في مضمون القصة (1962 - 2000)، (رسالة ماجستير منشورة)، عبد الحميد محمد عامر، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام، الطبعة الأولى، 2006.
- أدب الأطفال في ليبيا في النصف الثاني من القرن العشرين دراسة تاريخية تحليلية، (رسالة دكتوراه منشورة)، فريدة الأمين المصري، مجلس الثقافة العام، سرت، 2008.
- أدب الطفل في ليبيا 1970-2000، (رسالة ماجستير منشورة) سالم امحمد العواسي، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006 م.
- سيمياء القصة للأطفال في الجزائر الفترة ما بين 1980 - 2000 أنموذجاً، يحيى عبد السلام، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، 2011.
- القصة القصيرة في ليبيا منذ الاستقلال حتى أواخر الثمانينيات، (رسالة دكتوراه مخطوط)، درأفت حسن أحمد رستم، كليّة الدراسات العربية/ قسم الدراسات الأدبية، القاهرة، 1999 م.
- قصص عبد التواب يوسف الديني للأطفال "دراسة تحليلية فنيّة" (رسالة ماجستير مخطوط)، شفاء بنت عبد الله حامد الحبيد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1425 هـ.
- مسرح الأطفال في ليبيا، عبد الحميد محمد عامر، جامعة اليرموك، الأردن، رسالة دكتوراه (مخطوط)، 2012.

رابعاً: المعاجم والموسوعات:

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 2002 م.

- بيبلوغرافيا كتب الأطفال، أسماء الأسطى، ج 1، تسلسل 129.
- دليل المؤلفين العرب الليبيين، دار الكتب، أمانة الإعلام والثقافة، طرابلس، 1977 م.
- مجمع الأمثال، الميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1978، ج 3.
- المستعمل من الألبسة الشعبيّة في طرابلس، سالم سالم شلابي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، 2006 م.
- معجم الأدباء والكتّاب الليبيين المعاصرين، ج 1، عبد الله سالم مليطان، مداد للطباعة والنشر والتوزيع والإنتاج الفني، طرابلس.
- معجم القصاصين الليبيين، عبد الله سالم مليطان، ج 1، مداد للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، الطبعة الأولى، 2001 م.
- موسوعة كتّاب الأطفال في الوطن العربي، محمود قاسم، الهيئة المصريّة للكتاب، 2007 م.
- المكتبات المدرسية في الجماهيرية، دمبروكة عمر محيريق، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، 1985 م.
- النتاج الفكري للأطفال والناشئة في ليبيا 1921-2005، أسماء مصطفى الأسطى، مجلس الثقافة العام، سرت، 2006 م.
- خامساً: الدوريات:
- كتاب العربي، (مجلة ثقافية، تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت) الكويت: - ع 23، أبريل، 1989 م.
- مجلة الثقافة العربية، (مجلة ثقافية عربية، تصدرها المؤسسة العامة للصحافة)، ليبيا: - ع 10، السنة الخامسة، 1978 م.
- مجلة جامعة دمشق: (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية)، دمشق: - ع 3، المجلد 26، 2010 م.
- - ع 2، المجلد 28، 2012 م.
- مجلة الخيال العلمي، (مجلة علمية ثقافية شهرية، تصدر عن وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية): - ع 1، آب 2008 م.
- - ع 12، تموز 2009 م.

- **مجلة: شمال الجنوب**، (دورية نصف سنوية ثنائية اللغة تصدر عن قسم اللغة الفرنسية كلية الآداب)،
مصراتة، جامعة 7 أكتوبر:
- ع 2، صيف 2008 م.
- **مجلة الطفولة والتنمية** "دورية (علمية - متخصصة - محكمة)"، يصدرها المجلس العربي للطفولة
والتنمية مع الإشراف العلمي لمعهد الدراسات التربوية - جامعة القاهرة:
- ع 20، سبتمبر 2013 م.
- **مجلة الفصول الأربعة**، (مجلة فكرية ثقافية شهرية، تصدر عن رابطة الأدباء والكتاب) ليبيا:
- ع 100، يوليو 2002 م.
- **مجلة مرايا**، المعهد الأكاديمي العربي للتربية:
- ع 1، أيلول، 2015 م.
- **مجلة المعرفة**: (مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة السورية، تأسست سنة 1962 م) سوريا:
- ع (214 - 215)، ك 1، 1979 - وك 2، 1980 م.
- **مجلة المؤتمر**، (مجلة دورية تصدر عن المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر):
- ع 68 و 69، السنة السابعة، أكتوبر، 2007 م.
- سادساً: الندوات والمؤتمرات:
- **الطفولة والقيم** (بحث مقدم إلى الحلقة الدراسية الإقليمية لعام 1985) بعنوان: (القيم التربوية في ثقافة
الطفل)، عبد التواب يوسف الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986 م.
- **الملتقى العربي لأدب الطفل**: المحور: القيم السائدة في النص السردي الموجّه للطفل العربي، أدب
الطفل العربي المعاصر: تونس، أبريل، 2014 م.
- سابعاً: شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

[file:///C:/Users/4G/Downloads/Documents/db_lfll_w_ltrby_lbdy_17_022.](file:///C:/Users/4G/Downloads/Documents/db_lfll_w_ltrby_lbdy_17_022.pdf)

[pdf](#)

<http://www.startimes.com>

- <https://wefaqdev.net/st>

<http://www.diwanalarab.com>

- <http://www.arabchildrensliterature.com/ar/resources/ar>

- <http://syrianstory.com/comment29-12.htm>

-<http://www.syrianstory.com/comment29-5.htm>
-<http://www.syrianstory.com/comment29-11.htm>
-<https://saaid.net/tarbiah/32.htm>
-http://fezzan24.blogspot.com/2015/09/blog-post_34.html
<file:///C:/Users/4G/Downloads/Documents>
-<http://www.merbad.net/vb/showthread.php/16076>
-http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=4139

<https://www.youtube.com/watch?v=LvZJyoHor5g>
<https://www.youtube.com/watch?v=9h2wAT1adIA>

* * *

رقم الصفحة	الموضوع	ر.م
------------	---------	-----

فهرس الموضوعات

أ	الآية الكريمة	1
ب	الإهداء	2
ج	الشكر والتقدير	3
د، هـ، و، ز	المقدمة	4
الفصل الأول		
أدب الأطفال وقصصهم: المفهوم والنشأة		
39 – 8	المبحث الأول: مفهوم أدب الأطفال ووظيفته	5
64 – 40	المبحث الثاني: نشأة أدب الأطفال في ليبيا	6
110 – 65	المبحث الثالث: نظرة حول أدب الأطفال عالمياً وعربياً	7
137 – 111	المبحث الرابع: مفهوم قصة الأطفال، ونشأتها في ليبيا	8
الفصل الثاني		
يوسف الشريف الإنسان والكاتب والمبدع		
149 – 139	المبحث الأول: العوامل المؤثرة في إبداعه وفكره	9
170 – 150	المبحث الثاني: إبداعه القصصي للأطفال	10
213 – 171	المبحث الثالث: مصادر الإبداع القصصي عند يوسف الشريف	11
229 - 214	المبحث الرابع: مراحل إبداع القصة وتطوره عند يوسف الشريف	12
الفصل الثالث		
قصص يوسف الشريف للأطفال: دراسة موضوعية وفنية		
259 – 231	المبحث الأول: المضامين والقيم التربوية والوطنية والإنسانية والمعرفية	13
343 – 260	المبحث الثاني: الدراسة الفنية اللغة والأسلوب - البيئة - الشخصيات - الحكمة والعقدة	14
400 – 344	المبحث الثالث: تقانات فنية: ▪ الرمز وعالم الطبيعة والحيوان ▪ توظيف التراث العلمي والتاريخي والشعبي ▪ الرسوم والألوان والصُّور (التصوير)	15
469 – 401	الفصل الرابع دراسة تحليلية تطبيقية لعدد من قصص يوسف الشريف للأطفال	
474 – 470	الخاتمة	16
486 – 475	الملاحق	17
499 - 487	فهرس المصادر والمراجع	18